بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الاسلامية
كلية أصول الدين والتربية
الدراسات العليا
قسم التفسير وعلوم القرآن

معالم الصراع الإيماني في قصة موسى

(عليه السلام)

رسالة مقدمة لتحصيل شهادة
الماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن
من كلية أصول الدين والتربية

اعداد
الطالب : جمال محمود محمد الهوبي

اشراف
فضيلة الشيخ الدكتور / عمر يوسف حمزة
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت هذه الرسالة في يوم الأربعاء الثامن من شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٨ للهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم الموافق السابع والعشرين من شهر يناير من سنة ١٩٨٨ للميلاد . وأجيزت بالتاريخ ذاته . وقد منح الطالب / جمال محمود محمد الهوبي على رسالته درجة : الماجستير ، بتقدير : ممتاز .

تواقيع أعضاء اللجنة المناقشة :

المشرف :

فضيلة الدكتور/ عمر يوسف حمزة ـــــــــ
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

المناقش الأول :

فضيلة الدكتور/ جمعة سهل ـــــــــ
عميد كلية أصول الدين والتربية

المناقش الثاني :

فضيلة الدكتور/ أحمد على الإمام ـــــــــ
أمين عام هيئة علماء السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة يوسف

﴿ أَنزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

سورة الرعد

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن
يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أما بعد

فقد قال العماد الأصفهاني:

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" .

المقدمـــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً . قَيِّمَاً لِيُنْذِرَ بَأْسَاً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرَاً حَسَنَاً))الكهف /١ ٢٠ .

(اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ). صحيح البخاري ،كتاب : (التهجد بالليل...) ٢/٤١، ٤٢.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ناصر المستضعفين في الأرض ، وقاهر الطواغيت والجبابرة والمتكبرين ، وجاعل الصراع بين الحق والباطل إلى يوم الدين .

وأشهد أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين ، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

فالصلاة والسلام عليك يا سيدي أبا القاسم ، وعلى آلك وصحبك أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فقد أنزل الله - تعالى - القرآن الكريم هداية للناس، وبينات من الهدى والفرقان ، يرشدهم إلى سبل السلام والإيمان والجنان، ويباعد بهم عن سبل الشيطان والنيران . أنزله -سبحانه- مفرقا بين الحق والباطل .

أنزل القرآن العظيم والناس بمنأى عن الصراع الإيماني الحق ، يعيشون في جهل وضلال ، ويحيون في العمى والظلام . جاء القرآن والناس في انحراف تباينت أطرافه ، وتباعدت خطوطه ؛ إنحراف في كل شيء ، جعلهم لا يميزون بين الحق والباطل ، ومن ثم لا يميزون الصراع الإيماني الحق عن غيره .

وأدى ذلك إلى وقوع الصراع بالباطل المرة تلو المرة ، من أجل حطام الدنيا ، ومن أجل الرئاسة والزعامة والملك ، ومن أجل السمعة والرياء، ومن أجل العصبية العمياء البغيضة المتمثلة في عصبية الجنس ، واللون ، واللغة ، والقبيلة ، والعشيرة ، والقوم ، والوطن وما إلى ذلك .

وقد تناول القرآن الكريم هذا الصراع - الإيماني - بالبيان،والتفصيل، من جوانب كثيرة ، وذلك من خلال عرض الصراع الإيماني في قصص الأنبياء.

إذ من خلال هذا الصراع الحي الذي وقع بين النبيين وأتباعهم المؤمنين من جهة ، وبين الكافرين والمنافقين من جهة أخرى ، وضع القرآن النقاط على الحروف ، حيث جلى معنى الصراع الإيماني ، وأظهر سبله وطرقه ، وأبرز أهدافه ، وبين خاتمته وعواقبه ، كما أشار وأوضح الدروس والعبر والمواعظ والمعالم المنبثقة منه ، والمنيرة للناس ، والمرشدة لهم .

أسباب اختياري لهذا البحث :

ولقد شجعني على اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها :

١- إن هذا الموضوع - من خلال الصراع الإيماني في قصة موسى - مليء بالمعالم البارزة المنيرة ، التي تنير للمسلمين عامة ، ولدعاة الحق والمجاهدين خاصة الطريق أثناء تعاملهم مع أمثال فرعون - وهم كثر في العالم الإسلامي - ، وأثناء تعاملهم مع بني إسرائيل - وهم مسيطرون الآن على المسجد الأقصى وفلسطين - .

٢- بيان إسلوب القرآن في عرض هذا الصراع ، وفي تجلية معناه الحقيقي.

٣- ظهور أحزاب إلحادية في بلاد المسلمين . فأردت أن أشارك في إظهار زيفها ، وفي كشف النقاب عن وجهها القبيح تمهيدا لزوالها.

٤- استفحال خطر اليهود بفلسطين ، حيث صار يهدد الإسلام ، والمسلمين، فأردت أن أشارك في إنارة الطريق الوحيد الموصل إلى النصر عليهم.

٥- ما لهذا الموضوع من إقبال العامة والخاصة عليه .

٦- يعد هذا الموضوع من الموضوعات المتصلة بقضايا العصر الحاضر ، وهو ممتد على مدى العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٧- قلة الكتابات المتخصصة المستوفية لكل مقاصد القرآن في عرضه لهذا الصراع .

٨- تزويد المكتبة الإسلامية بهذا اللون من الدراسة القرآنية المتخصصة.

٩- إن هذا الموضوع هو نوع تلبية ، واستجابة لأمر الله - تعالى - إذ يقول : ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)) محمد/٢٤ ويقول : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...)) . يوسف/١١١.

أهمية هذا البحث :

ويكتسب هذا البحث المنبثق من قصة موسى أهميته من عدة نقاط منها :

١- ما يحويه من المعاني الغزيرة ، والمعالم البارزة الكثيرة المفيدة .
٢- قيمته العلمية الكبيرة ، وحيويته المتجددة ، إذ أنه يعالج مشاكل الحاضر والمستقبل .

أهداف هذا البحث :

وأهدف من تسجيل هذا البحث إلى عدة أهداف منها :

١- تجلية الصراع الإيماني من جوانبه المختلفة من خلال قصة موسى كما عرضها القرآن .
٢- إظهار الرباط الوثيق بين تشابه الأحداث والصراع في قصة موسى ، وبين ما هو واقع اليوم في العالم الإسلامي .
٣- كشف السبيل الصادق الذي يصل بالمسلمين إلى الخلافة الإسلامية ، وإلى بيت المقدس ، والمسجد الأقصى .
٤- إيجاد المناخ الملائم لانقلاب الناس إلى الصراع الإيماني الحق الذي يرضي الله .
٥- بيان أن الحلول التي عرضها القرآن إنما هي دواء وشفاء لأمراض الأمة على مر الأزمان .

منهج هذا البحث :

وقد نهجت في كتابة هذا البحث منهجا - أرجو من الله -تعالى- أن أكون وفقت فيه - مبنيا على الإستقراء والإستقصاء - قدر ما فهمت واستطعت -.

فقمت بجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الصراع الإيماني في قصة موسى وصنفتها حسب موضوعاتها ، وحسب ترتيبها الزمني والتاريخي .

فجعلت الآيات التي تتحدث عن الصراع الإيماني بين موسى ، وفرعون وحزبه في الباب الأول ، والتي بين موسى ، وقومه في الباب الثاني .

ثم قسمت الباب الأول إلى ثلاثة فصول ، جعلت الآيات التي تتحدث عن الصراع الإيماني بين موسى ، وفرعون وملئه في فصل ،والتي بين موسى وفرعون وسحرته في فصل ، والتي بين موسى ، وفرعون وجيشه في فصل .

كما قسمت الباب الثاني إلى فصلين ، جعلت الآيات التي تتحدث عن الصراع الإيماني بين موسى ، ووثنية قومه في فصل ، والتي بين موسى، وفسق قومه في فصل .

وقد كان أسلوبي في البحث ، والتحليل ، والإستنباط ، والترجيح وغير ذلك كما يلي :

١- جعلت الآيات القرآنية بين أربعة أقواس ، وميزت آيات صلب الرسالة عن غيرها بخطوط أفقية مقطعة تحتها ، وأما أجزاء الآيات المقتطفة من آيات الصلب للتعليقات والشروح فقد جعلتها بين قوسين فقط .

٢- قمت بذكر موجز مبسط لخلاصة أقوال المفسرين المتعلقة بآيات الصلب بعدها مباشرة ، وذلك ليقف القارىء على المعنى الصحيح للآيات قبل الوقوف على الدروس والعبر والمعالم المنبثقة منها ، وذلك للرباط الوثيق بين هذا وذاك .

٣- قمت - في كثير من الأحيان - بذكر أقوال العلماء والمفسرين في المتشابهات ، والمبهمات - التي قد توقع القارىء في ربكة وحيرة - ، واللطائف والإشارات الخفية التي فيها فائدة كبيرة .

٤- قمت - حسب ما رأيت - بتجاوز المسائل التي لا تعنينا في هذا البحث من قريب أو من بعيد .

٥- المسألة المختلف فيها كنت أذكر أقوال العلماء المختلفة فيها ، وأدلتهم ، ثم أعمد إلى الترجيح - حسب ما يبدو لي - مع ذكر أدلتي في ذلك، إضافة إلى مناقشة أدلة الآراء الأخرى مبينا نقاط الضعف فيها ، وكنت أحيانا كثيرة أدعم ترجيحي بأقوال جهابذة المفسرين والعلماء . وكنت في بعض الأحيان أستكفي بأدلة الرأي الراجح عندي فقط .

٦- كنت أجهد في استخراج واستنباط المعاني والعبر والدروس المختلفة التي تشكل المعالم البارزة في هذا البحث من أحداث هذا الصراع .

٧- كنت أدعم تلك الدروس والعبر والمعالم بشواهد من القرآن الكريم ، وكان أكثر الشواهد من الآيات المتعلقة بالصراع الإيماني في قصص النبيين الآخرين خاصة محمد -عليه الصلاة والسلام- .

٨- كنت أدعمها أيضا بشواهد من الأحاديث النبوية الشريفة ، وذلك إكمالا للفائدة ، وإيضاحا للرؤية ، وتجلية للمراد .

٩- كنت في بعض الأحيان أعمد إلى ذكر مقارنات بين مواقف متشابهة ، في قصة موسى ، وقصة محمد -عليهما الصلاة والسلام- .

١٠- كنت في بعض الأحيان أذكر بعض النصوص من التوراة المترجمة ، من دون مناقشتها لوضوح حقيقتها ، ورمت من وراء ذلك : أن يقف القارىء على مقارنات بين ما ورد في الكتابين - القرآن والتوراة المترجمة - ، إضافة إلى الوقوف على بعض مما ورد في التوراة المنزلة على موسى وَتَشَابَهَ مع ما ورد في موضوع الرسالة التي يمثل موسى - عليه السلام - شخصها الأول .

١١- وزيادة في تحقيق المقصد قمت بتشكيل كل الآيات التي وردت في الرسالة إضافة إلى الأحاديث ، وعلاوة على تشكيل كثير من كلمات الرسالة .

حاشية هذا البحث :
==========

تسهيلا على القارىء والباحث اهتممت بالحاشية اهتماما بالغا ، وتوضيح ذلك كما يلي :

١- ذكرت فيها أرقام الآيات وأسماء سورها التي وردت فيها .

٢- ذكرت فيها مراجع الحديث ، والكتاب الذي ورد فيه الحديث ، إضافة إلى الباب والجزء والصفحة .

٣- إذا كان المقتطف منقولا بنصه كنت أجعله بين علامتي تنصيص وأشير إليه في الحاشية بذكر المرجع والجزء والصفحة ، وإذا كان منقولا بالمعنى فكنت لا أحصره بين علامتي تنصيص ، وأكتفي بالإشارة إلية في الحاشية بذكر كلمة : (أنظر) ، ثم بذكر المرجع والجزء والصفحة .

٤- ذكرت فيها معاني الكلمات الصعبة ، وذلك تسهيلا على القارئ لتحصيل المقصد المراد دون إبهام أو لبس ، ثم أتبعتُها بالمرجع الذي أخذت منه والجزء والصفحة .

٥- ذكرت فيها تراجم كثير من الأعلام التي وردت في الرسالة ، وذلك تسهيلا على القارئ للحصول على معلومات دقيقة حول العَلَم من دون جهد. وكنت أشير إلى العلم بنجمة أو أكثر حسب الوارد في الصفحة،وأجعل الترجمة في أسفل الحاشية للتسهيل ، وأتبعها بالمراجع التي أخذت منها والجزء والصفحة والأرقام التسلسلية إن وجدت .

٦- ذكرت فيها تراجم بعض المدن والبقاع ونحوهما ، واتبعت في ذلك المنهج المتبع في تراجم الأعلام الآنف الذكر .

٧- إذا ورد إسم المرجع لأول مرة كنت أذكر عنه معلومات كاملة ،من حيث الإسم ، والمؤلف ، والمحقق إن وجد ، إضافة إلى الطبعة ، وسنتها ، ودار النشر . ما وجدت لذلك سبيلا . وإذا ذكر المرجع ثانيا كنت أكتفي بذكر اسمه المختصر فقط والجزء والصفحة .

٨- أشرت فيها إلى ما تشابه في الرسالة ، وذلك للربط والتسهيل ، باستخدام صيغة : سبق الحديث عن ذلك ، أو : وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . ثم ذكرت أرقام الصفحات التي توضح ذلك .

٩- أشرت في الباب الثاني فيها إلى العلم الذي سبقت ترجمته بنجمة ، كتبت بعدها : اسم العلم ورقم الصفحة التي وردت فيها ترجمته ، بصيغة : لقد سبقت ترجمته . راجع / .

المصادر والمراجع :
==========

إعتمدت في بحثي هذا على كتاب الله الخالد - القرآن الكريم - الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد .

وقد استعنت بمراجع كثيرة ، قديمة وحديثة ، وكان اعتمادي على القديمة أكثر من الحديثة .

وكان أهم الذي استعنت به أمهات كتب التفسير ، وكتب الحديث ، وكتب التاريخ والسير ، والتوراة المترجمة ، وكتب الفكر الإسلامي ، والمعاجم ، والتراجم وكتب أخرى اقتضتها طبيعة البحث .وقد بلغت مراجعي في هذه الرسالة مايزيد على تسعين مرجعا .

هيكل البحث :
==========

وقد جعلت بحثي هذا في تمهيد ، وبابين ، وخاتمة أتبعتها بستة فهارس . أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن القصة والصراع الإيماني ، وعن بني

إسرائيل ، وعن موسى ، وجعلته في ثلاث نقاط ، وهي :

١- الصراع الإيماني والقصة في القرآن .
٢- بنو إسرائيل : نسبهم وأنبياءهم وتاريخهم وصفاتهم وأعمالهم .
٣- موسى : نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته .

وأما الباب الأول : فتحدثت فيه عن الصراع الإيماني بين موسى ،وفرعون وحزبه ، وجعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن الصراع بين موسى ، وفرعون وملئه ، وبينت فيه كيف أعد موسى للصراع ، وكيف بلغ دعوة ربه لفرعون، وكيف كان موقف الأخير وملئه من ذلك . وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن إعداد موسى للصراع وتأييده ، وبينت فيه أن الله أعده بالعلم والعبادة ، وأيده بالمعجزات وبأخيه ، و بأمور أخرى ، كما أعده بالإسلوب والمنهج في دعوته .

المبحث الثاني : وتحدثت فيه عن دعوة موسى للإيمان وموقف فرعون وملئه من ذلك ، وقد بينت فيه كيف أثبت موسى مصداقية رسالته ، وكيف بلغهم دعوة الله وحكمه ، كما جليت موقف فرعون وملئه من دعوة الله .

وأما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن الصراع بين موسى ، وفرعون وسحرته ، وبينت فيه أحداث الصراع ونتيجته وموقف فرعون بعد ذلك . وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن لقاء السحرة ، وهزيمتهم ، ثم إيمانهم .

المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن موقف فرعون بعد هزيمة سحرته ، وبينت فيه موقفه من السحرة الذين آمنوا ، ومن قوم موسى ، ثم من موسى أخيرا .

وأما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن الصراع بين موسى ، وفرعون وجيشه ، وبينت فيه إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهم ، كما بينت فيه وقوع الصراع ونتائجه وعواقبه . وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن إصرار الفراعنة على كفرهم ، وبينت فيه تكبرهم على آيات الله ، وعلى موسى ، كما بينت فيه دعاء موسى عليهم نتيجة لموقفهم النهائي ذاك .

المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن وقوع الصراع ، ونتائجه ، وعواقبه .

وأما الباب الثاني : فقد تحدثت فيه عن الصراع الإيماني بين موسى وقومه ، وجعلته في فصلين :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن الصراع بين موسى ، ووثنية قومه ، وبينت فيه وثنية بني إسرائيل بمحاولتهم عبادة الأصنام ، ووثنيتهم بعبادتهم العجل ، وموقف موسى من ذلك كله . وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن محاولة بني إسرائيل عبادة الأصنام، وموقف موسى من وثنية قومه هذه .

المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن عبادة بني إسرائيل العجل ، وبينت موقف موسى من ذلك ، ووضحت نتائج ذلك .

وأما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن الصراع بين موسى ، وفسق قومه ،وبينت فيه فسق بني إسرائيل برفضهم قبول التوراة ، وبإصرارهم على رؤية الله ، وفسقهم بتلكؤهم المستمر في ذبح بقرة ، وفسقهم أخيرا برفضهم دخول الأرض المقدسة . وجعلته في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن رفض بني إسرائيل قبول التوراة ،وإصرارهم على رؤية الله .

المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن أمرهم بذبح بقرة وسببه ، وتلكؤهم في تنفيذه ، وتعرضهم لنبيهم ، ثم ذبحهم البقرة ونتيجة ذلك.

المبحث الثالث: وتحدثت فيه عن رفض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة ، ونتائج هذا الرفض .

وأخيرا : الخاتمة : وعرضت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج .

وإتماما للبحث وللفائدة المرجوة أتبعت الخاتمة بستة فهارس على هذا النحو :

أولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة : وقد نظمتها حسب وقوعها في القرآن الكريم ، مع ذكر أرقامها وسورها ، وأرقام صفحات ورودها ، وجعلت لها أرقاما متسلسلة ، كما ميزت آيات الصلب عن غيرها بسماكة الخط الذي طبعت به .

ثانيا : فهرس الأحاديث النبيوة الشريفة : وقد صنفتها حسب الحروف الهجائية ، وذكرت أرقام الصفحات الواردة فيها ، كما جعلت لها أرقاما تسلسلية .

ثالثا : فهرس الأعلام : وذكرت فيه الأعلام الرئيسية في الرسالة حسب ترتيبها الهجائي بينما أهملت الأعلام التي وردت معرفة لغيرها فقط. وأما التي وردت مُعَرَّفَةً تارة ، ورئيسية تارة أخرى ، فقد ذكرت أرقام صفحاتها على الحالتين . وذكرت أرقام الصفحات التي وردت فيها ، ووضعت نجمة في نهاية العلم المترجم له ، وجعلت رقم صفحة الترجمة بين أربعة أقواس . كما جعلت لهذا الفهرس أرقاما تسلسلية .

رابعا : فهرس المدن والبلاد ونحوهما : وقد نظمتها حسب الحروف الهجائية ،وجعلت لها أرقاما تسلسلية ، وذكرت أرقام صفحات ورودها ، وأشرت إلى ما ترجم له بنجمة في نهايته ، إضافة إلى وضع رقم صفحة الترجمة بين أربعة أقواس .

خامسا : فهرس المصادر والمراجع : وقد صنفته حسب نوعيتها ، جاعلا كل صنف تحت عنوانه ، ونظمته حسب الحروف الهجائية ، وجعلت له أرقاما تسلسلية ،وقد ذكرت معلومات وافية عن كل مرجع على ما تيسر .

سادسا : فهرس الموضوعات : وقد رتبته حسب ما ورد في الرسالة مع ذكر أرقام الصفحات المقصودة ، وجعلته في فهرسين تسهيلا للباحث كما يلي :

أ) فهرس تفصيلي للموضوعات : وذكرت فيه كل نقطة في البحث تمثل عنوانا .

ب) فهرس موجز للموضوعات : وذكرت فيه العناوين الرئيسية المتمثلة في الأبواب ،والفصول، والمباحث ، والمطالب فقط .

وقد بذلت غاية جهدي في إعداد هذا البحث وإخراجه إلى النور بفضل الله وتوفيقه . فالكمال المطلق لله ، ولكن غايتنا أن نسعى إلى الكمال. فما كان من صواب فمن الله وتوفيقه ، وما كان من خطأ فمن الشيطان ومني، والله ورسوله منه براء .

أحمدك ربي وأستعينك ، وأتوب إليك وأستغفرك . يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، لك الحمد حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .

وأسأل الله العلي القدير أن يأجرني ووالدي وكل من له فضل علي، وأخص بالذكر : الدكتور/عمر يوسف حمزة ، المشرف على هذه الرسالة ، لما بذله من جهد، وما خصني به من نصيحة ، وما حباني به من وقته الغالي طول فترة كتابة هذه الرسالة ، والدكتور / أحمد علي الإمام ، لما أفادني من إرشادات، وتوجيهاته القيمة ، وكل أساتذتي ومدرسيّ في كلية أصول الدين والتربية بجامعة أم درمان الإسلامية، كما وأشكر الأخ صالح أحمد البوريني الذي قام بطباعة هذه الرسالة وإخراجها بهذا الرونق الجميل ، وأشكر كل من ساهم في هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن اصبح حقيقة ، وأخص بالذكر زوجتي (أم محمد)التي سهرت ليلها وبذلت كل ما في وسعها في سبيل إنجاز هذا العمل .

وأسأل الله - سبحانه- أن يجزل الأجر والثواب لأستاذيّ الكريمين لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة على ضيق وقتهما، وكثرة مشاغلهما، فضلية الدكتور/ جمعة سهل :عميد كلية أصول الدين والتربية، حفظه الله ،وفضيلة الدكتور/أحمد علي الإمام :أمين هيئة علماء السودان حفظه الله ، فجزاهما الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

وفي الختام أقدم شكري الكبير للجامعة الإسلامية بأم درمان التي فتحت أبوابها لطلبة العلم ، وأتوجه بالشكر والعرفان إلى الشعب السوداني المسلم الكريم المعطاء على ما أحاطنا به من إكرام واحترام .

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

الباحث الفقير إلى رحمة ربه :

جمال محمود محمد الهوبي

(التمهيـــــــــد)

١ـ الصراع الإيماني والقصة في القرآن .

٢ـ بنو إسرائيل : نسبهم وأنبياءهم وتاريخهم وأعمالهم .

٣ـ موسى : نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته .

١- الصراع الإيماني والقصة في القـــرآن

أولا : المعنى اللغوي والعلاقـــة :

الصراعُ والمُصارعةُ : مُعَالجتُهمَا أيُّهما يَصرعُ صاحِبَهُ ، والصَرْعُ : الطَرْحُ بالأرضِ . ويُقال عَنِ الإنسانِ : صارَعَهُ فَصَرَعَهُ يَصْرَعُهُ . وقد تَصَارَعَ القَـــومُ وَاصْطَرَعُوا ، وَصَارَعَهُ مُصَارَعَةً وَصِرَاعًا (١) .

وبذلكَ يكونُ مَعنى الصراعِ بجملةٍ أُخرى هو : المُدافعةُ والمُغالبـــةُ بينَ اثنينِ أوْ فَريقينِ ، يَنشأُ عنهَا ظُهورُ المُنتصرِ وهو الصارعُ ، والمُنهـــزمِ وهو المصروعُ ، والأمرُ كلُّهُ يُسمى : صِراعًا .

والمرادُ بالصراعِ في هذا البحثِ هو الصراعُ الإيمانيُّ ، المعروفُ بالصـــراعِ بينَ الإيمانِ والكفرِ ، أو بينَ الحقِّ والباطلِ ، أو بينَ الخيرِ والشرِّ . والمسلمونَ همْ أهلُ الإيمانِ والحقِّ والخيرِ ، والكافرونَ همْ أهلُ الكُفرِ والباطلِ والشرِّ . والصراعُ بينَ الفريقينِ مستمرٌ إلى قيامِ الساعةِ .

والمعالمُ : جَمعُ معلمٍ ، وهوَ ما جُعِلَ علامةً وعَلمًا ودَليلاً يُستدل بهِ على الطريقِ والحدودِ ، وعلى الدينِ ، وغير ذلكَ . ومَعلمُ كُلِّ شيءٍ مَظِنته ، وقيـــلَ: المعلمُ الأثـرُ يُستـدل بهِ (٢) .

ومعالمُ الصراعِ الإيمانيِّ هي : ما كانت علامةً عليهِ ، وعلماً ، ودليـلاً يُستدل بهِ عليهِ وأثراً ، ومَظِنةً .

والصراعُ الإيمانيُّ مُرتبطٌ بعلاقةٍ وثيقةٍ بالقصصِ القرآني ، لا يَنفصـــم أحَدُهما عن الآخرِ ، فلا تكادُ تُذكر قصةٌ في القرآنِ إلا ويُوجد فيها صـــورةٌ أوْ صُوَرٌ مِنَ الصراعِ ، " فهُوَ غالباً ما يكونُ في القصةِ القرآنيةِ منسجمـــاً مع المغزَى العام للقصةِ ، وهو الهدايةُ والدعوةُ إلى الإيمانِ " (٣) .

" وفي مشاهدِ الصراعِ التي يَعرِضُها القصصُ القرآنيُّ تبدو الحياةُ كُلُّهـــا بخيرِها وشرِّها ، ويَتمثلُ فيها الناسُ جميعاً بأخيارِهم وأشرارِهم ، علـــى اختلافِ ما رُكِّبَ فيهم من طباعٍ ، وما أُشْرِبُوا في قُلوبِهم وعُقولِهم من نزعـــاتٍ وأهـــواءٍ " (٤) .

---

(١) أنظر : لسان العرب ٦٤/١٠ . والقاموس المحيط /٩٥١-٩٥٢ . والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة . علي بن إسماعيل بن سيدة . تحقيق: مصطفى السقـــا والدكتور حسين نصار . ٢٦٩/١ . ط : ١ (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) أنظر : لسان العرب . جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الشهير بابـــن منظور ٣١٤/١٥-٣١٥ . ط : مصورة عن طبعة بولاق . الدار المصرية للتأليـف والترجمة .والقاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق:مكتب التراث في مؤسسة الرسالة . /١٤٧١-١٤٧٢ . ط: ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مؤسسة الرسالة بيروت .

(٣) التعبير الفني في القرآن.الدكتور بكري شيخ أمين/٢٢١ .ط:١ (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) دار الشروق .

(٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه . عبدالكريم الخطيب/١٩٩ .ط١ (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) مطبعة السنة المحمدية .

ثانيا : أنواع الصراع ومجالاته :

ينقسمُ الصراعُ الإيمانيُّ إلى قِسْمَيْنِ : صِراعٌ مَعنويٌّ ، وصِراعٌ مَـــادِيٌّ وَكِلاهُما لَهُ مَجَالاتُهُ المُخْتَصَّةُ بِهِ ، وتَفْصِيلُ ذلكَ كما يَلي :

القسمُ الأولُ: الصراعُ المعنويُّ ، وأقْسامُـهُ :

أ) صراع ذاتي داخلي ، ومجالاته :

١) النفـس: وهي التي حذَّرنا اللهُ سُبحانَهُ منْها بقولِهِ: ((وَأَمَّا مَـنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى)) (١) ، ووقعَ وصفُها في قولِهِ : ((إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ...)) (٢) .

٢) الهـوى : وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ منهُ في آياتٍ كثيرةٍ ، مِنْها قَوْلُـهُ: ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْـهِ وَكِيلاً))(٣) ، وقولُهُ : ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ))(٤).

٣) الشيطـان: وهو يَجري من ابنِ آدمَ مَجْرَى الدَّمِ ، والصِراعُ معهُ داخليٌّ لأنهُ يُوسوسُ في الصدورِ بالشرِّ والسوءِ والكفرِ ، وقدْ حذَّرنا اللهُ سبحانه منهُ في آياتٍ كثيرةٍ منها قولُهُ : ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ...))(٥).

ب) صراع خارجي : غيرَ أنهُ مَعنويٌّ ، أي : بالكلمةِ والحجةِ والمنطـــق، ومجالاتُه مع الكفارِ مِنْ أهلِ الكتابِ وغيرِهِمْ ، ومع المنافقينَ ، ومـــع المسلمينَ المنحرفينَ عن دينِهِم . ويَهدفُ هذا النوعُ إلى إحقاقِ الحـــقِّ وإزهاقِ الباطلِ ، وإخراجِ الناسِ مِن ظُلماتِ الكفرِ والمعصيةِ إلى نـــورِ الإيمانِ والطاعةِ ، عَنْ طريقِ الموعظةِ الحسنةِ . وقَدْ أشارَ القرآنُ إلى هذا النوعِ ، وذلكَ قَوْلُه : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَـــةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...))(٦) .

القسم الثاني : الصراع المادي ـ وهو خارجي فقط ـ ومجالاته :

١) بين المؤمنين والكفار : سواءً أكانُوا أهلَ كتابٍ أمْ غيرهم ، وقدْ أمَرَنا اللهُ سبحانه بخوضِهِ ، وذلكَ قولُهُ : ((وقاتلـــوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه مَعَ المُتَّقِينَ))(٧).

---

(١) النازعـات / ٤٠ .
(٢) يوسـف / ٥٣ .
(٣) الفرقان / ٤٣ .
(٤) القصـص / ٥٠ .
(٥) النور / ٢١ .
(٦) النحـل / ١٢٥ .
(٧) التوبـة / ٣٦ .

٢) بين المؤمنين والمنافقين : وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ نَبِيَّهُ ـ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ ـ مِنهُم بقولِهِ : ((... هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))(١)(٢).

وغالباً ما يَتخذُ المُنافقونَ مِن الكيدِ والتآمرِ والدسائسِ سلاحاً لهمْ. وقدْ يتجهونَ إلى السلاحِ الماديِّ إذا وَجَدُوا سبيلاً إلى ذلكَ لمحاربةِ المسلمينَ، كمحاولَتِهم اخراجَ الرسُول ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ مِنَ المدينةِ ، وذلكَ قولُه : ((يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ...))(٣)، وكبنائِهم مسجدَ الضرارِ للصدِّ عنِ المسجدِ النبويِّ ، وكرجوعِهم بثلثِ الجيشِ الإسلاميِّ في غزوةِ أُحد(٤) .

والمنافقونَ منْ أخطرِ الفرقِ على الإسلامِ ، لكونِهم العدوَّ في ثوبِ الصديقِ، ولمعرفتِهم عوراتِ المسلمينَ ، ولذلكَ حذَّرنا اللهُ ـ سبحانه ـ منهمْ في آياتٍ كثيرةٍ ، بَلْ وأُنزلتْ سورةٌ باسمِهم .

٣) بين المؤمنين وأنفسهم : ومثالُه ما وردَ في قولِهِ : ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ(٥) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ...))(٦) .

فالقتالُ الأولُ محرمٌ شرعاً ، وليسَ منَ الصراعِ الإيمانيِّ في شيءٍ ، والقتالُ الثانِي ـ (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) ـ مِنَ الصراعِ الإيمانيِّ ، لأنَّ اللهَ ـ سبحانَهُ ـ هوَ الذي أمرَ بهِ ، وذلكَ لحفظِ دماءِ المسلمينَ ، وردِّ الباغِي ، وإعطاءِ الحقوقِ لأهلِهَا .

والصراعُ الماديُّ ينسحبُ على الأفرادِ ، كما يَنسحبُ على الجماعاتِ والطوائفِ ، وقدْ يكونُ بالإقتتالِ والحربِ ، كما وقعَ في غزوةِ بدرٍ وأحدٍ ، وقدْ يكونُ بإظهارِ المعجزةِ الماديةِ كعصا موسى ـ حيث ابتلعت عصيّ وحبالَ السحرةِ ـ ، وقد يكونُ بتحطيمِ آلةِ الباطلِ ورمزِهِ ، كما فعلَ إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ عندمَا حطَّمَ أصنامَ قومِهِ المشركينَ ـ ، أو غيرِ ذلكَ .

٤) بين المؤمنين والطبيعة :

المؤمنُ معرضٌ في هذهِ الحياةِ لِقوى الطبيعةِ المختلفةِ ، وهي القوى العاتيةُ المهلكةُ المدمرةُ ، كالبحارِ والفيضاناتِ المغرقةِ ، والنارِ والشمسِ المحرقةِ ، والثلجِ والبردِ القارسِ ، والزلازلِ والبراكينِ والصواعقِ المدمرةِ ، إضافةً إلى الحيواناتِ المفترسةِ ، والحشراتِ والآفاتِ الممرضةِ ، وغيرِ ذلك .

---

(١) يؤفكون : يصرفون أو: يقلبون عن رأيهم ، والمراد : يصرفون عن الحق في الإعتقاد إلى الباطل، وعن الصدق في المقال إلى الكذب . انظر: القاموس المحيط/١٢٠٣، ومختار الصحاح.لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي /١٩، ط: (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) دار الكتاب العربي . والمفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق:محمد سيد كيلاني ١٩/٠. ط: لا يوجد، نشر: المكتبة المرتضوية ـ طهران .

(٢) المنافقون / ٤. (٣) المنافقون /٨ .

(٤) انظر:السيرة النبوية ،لأبي محمدعبدالملك بن هشام المعافري،ضبط:طه عبدالرؤوف سعد ١٧/٣ ، ١٢٨/٤ وما بعدها ط : (لا يوجد) . دار الجيل ـ بيروت .

(٥) تفيء: ترجع، أنظر: القاموس المحيط/٦١. ومختار الصحاح/٥١٦. ومفردات غريب القرآن /٣٨٩ .

(٦) الحجرات / ٩ .

وقدْ أشارَ اللهُ سبحانه إلى هذا النوعِ بقولِهِ : ((أَوْ كَصَيِّبٍ[١] مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ...)) [٢] .

وقدْ سخرَ اللهُ سبحانه لنا أسباباً تُعيننَا على هذهِ القوى ، وفي ذلكَ يقولُ تعالى : ((واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً[٣] وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ[٤] تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ[٥] كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)) [٦] ، ويقولُ - أيضاً - : ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)) [٧] .

وَعلى المؤمنِ أنْ يستعينَ باللهِ على هذهِ القُوى ، وأنْ يأخذَ بالأسبابِ المختلفةِ ليستفيدَ مِنها في وقايةِ نفسِهِ منْ تلكَ القُوى العاتيةِ المهلكةِ .

ويشيرُ صاحبُ [٨] "القصصِ القرآنيِّ في منطوقِهِ ومفهومِهِ" إلى الإعدادِ لأنواعِ الصراعِ بقولِهِ : " والعلمُ والتربيةُ أقوى قوةٍ عاملةٍ ، في إعدادِ الإنسانِ لهذا الصراعِ في ميادينِهِ الثلاثةِ [٩] جميعِهَا "[١٠] . ويوضحُ صاحبُ [١١] " الوحدةِ الموضوعيةِ في القرآنِ الكريمِ " العلاجَ لأنواعِ الصراعِ بقولِهِ : " والعلاجُ الوحيدُ والمنقذُ الصحيحُ إنما يكونُ بتعاليمِ الدينِ والعملِ بِهَا ، فبالعلمِ والتجربةِ يحصنُ الانسانُ نفسَهُ ، ويعالجُ مشاكِلَهُ مَع غيرِهِ ، ويستطيعُ أنْ يروضَ الطبيعةَ ويسخرَهَا كما ذكرَ القرآنُ . والقرآنُ الكريمُ هو منبعُ الخيرِ والعلومِ والمعارفِ "[١٢] .

ثالثا : الصراع القصصي والتاريخ :

إن الصراعَ في القصصِ القرآنيِّ عبارةٌ عنْ أحداثٍ معينةٍ ، بينَ شخوصٍ[١٣] معينةٍ ، وقعتْ في مكانٍ معينٍ ، وفي زمنٍ معينٍ - بأيِّ صورةٍ ونوعٍ منَ الأنواعِ التي سبقَ الحديثُ عنهَا - ، وهذا الصراعُ قديمٌ بقدمِ الإنسانِ نفسِهِ ، وهوَ صراعٌ نؤمنُ بصدقِ أحداثِهِ وما فيهِ إيماناً مطلقاً لا نرتابُ فيهِ ، لأنَّ اللهَ - تعالى - هو الذي أخبرنَا بهِ . قال تعالى : ((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [١٤] ، وقالَ : ((إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)) [١٥] .

---

(١) صيّب : السحاب أو : المطر . انظر : مفردات غريب القرآن/٢٨٨ .

(٢) البقرة / ١٩ .

(٣) أكناناً : جمع الكن، وهو: وقاء كل شيء وستره . انظر: القاموس المحيط/١٥٨٤ . ومختار الصحاح/٥٨٠ . ومفردات غريب القرآن/٤٤٢ .

(٤) سرابيل: جمع سربال وهو: القميص أو الدرع أو كل ما لبس وقد تسربل به . انظر القاموس المحيط/١٣١١ . ومختار الصحاح/٢٩٣ . ومفردات غريب القرآن/٢٢٩ .

(٥) بأسكم: عذابكم وحربكم . انظر: القاموس المحيط/٦٨٤ . ومختار الصحاح/٣٨، ٣٩ . ومفردات غريب القرآن /٦٦ .

(٦) النحل / ٨١ . (٧) الأنبياء /٨٠ .

(٨) هو: عبدالكريم الخطيب . باحث معاصر . (٩) يقصد : النفس ، والآخرين، والطبيعة .

(١٠) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه/٢١٥ . (١١) هو: محمود حجازي . باحث معاصر .

(١٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم/٣١٨ . ط(١٣٩٠ - ١٩٧٠) . دار الكتب الحديثة .

(١٣) شخوص : جمع كثرة لشخص ، وهو: سواد الإنسان يرى من بعد . انظر القاموس المحيط /٨٠٢ . ومختار الصحاح/ ٣٣١ .

(١٤) آل عمران /٦٢ . (١٥) الأنعام /٥٧ .

والصراعُ الأولُ الذي حدثَ في تاريخِ البشريةِ كانَ بينَ آدمَ - عليه السلام- متمثلاً فيهِ جانبُ الإيمانِ ، وبينَ الشيطانِ اللعينِ متمثلاً فيهِ جانبُ الكفرِ ، وكانَ ذلكَ في الجنةِ . قال-تعالى-: ((يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)) (١) ، والقصةُ في ذلكَ معروفةٌ ومشهورةٌ .

وكانَ أولُ صراعٍ قصصيٍّ وردَ في القرآنِ حدثَ على وجهِ الأرضِ ، بينَ ابنيْ آدمَ - عليه السلام - . فكانَ الخيرُ متمثلاً في أحدِهما والشرُّ في الآخرِ ، قال -تعالى-: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)) (٢) ... الآيات .

ثمَّ استمرَّ الصراعُ الإيمانيُّ بعدَ ذلكَ عبرَ الأيامِ والسنينِ ، داخلاً في حِقَابِ (٣) الزمنِ المتعاقِبَةِ . فكانَ منهُ صراعُ نوح - عليه السلام - مع قومِهِ ، وكذا إبراهيمَ ولوطٍ وصالحٍ وموسى وعيسى - عليهم السلام - مع أقوامِهِم ، وغيرِهم من الرسلِ الكرامِ - صلواتُ الله عليهم أجمعين - .

وإننا نجهلُ الكثيرَ منْ قصصِ الصراعِ الإيمانيِّ ، لأنهُ لا سبيلَ لنا إلى معرفتِها إلا عنْ طريقِ هذا الكتابِ العزيزِ ، وقدْ اكتفى القرآنُ بذكرِ أمثلةٍ لهذا الصراعِ للعظةِ والعبرةِ والدرسِ . قال-تعالى-: ((وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) (٤) ، وقال -سبحانه-: ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا(٥) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)) (٦) .

ثمَّ كانَ صراعُ الرسولِ - صلى الله عليه وسلم - وصحبِهِ معَ المشركينَ والمنافقينَ واليهودِ ، وقدْ وردَ هذا الصراعُ في آياتٍ كثيرةٍ منْ سُورِ القرآنِ.

ثمَّ استمرَّ الصراعُ الإيمانيُّ بعدَ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حيثُ كانت الفتوحاتُ الإسلاميةُ في الشرقِ والغربِ في عهدِ الخلفاءِ الراشدينَ ثمَّ كانت الفتوحاتُ الإسلاميةُ في عهدِ الدولةِ الأمويةِ ، ثمَّ في عهدِ الدولةِ العباسيةِ ، ثمَّ كانت فتوحاتُ صلاح الدينِ الأيوبيِّ* ، ثمَّ كانت الفتوحاتُ

---

(١) الأعراف /٢٧ .

(٢) المائدة / ٢٧ .

(٣) حِقَاب : جمع حُقْب ، وهو ثمانون سنة أو أكثر من ذلك . أنظر: القاموس المحيط /٧ ٩٠ ومختار الصحاح / ١٤٦ .

(٤) النساء/١٦٤ .

(٥) أمها : أي:أم القرى ، وهي : أصلها وعمادها . انظر: القاموس المحيط/ ١٣٩١ . ومختار الصحاح /٢٥ . و مفردات غريب القرآن/٢٢ .

(٦) القصص/٥٩ .

* صلاح الدين الأيوبي : هو يوسف بن أيوب شاذي أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر . من أشهر ملوك الإسلام ، وهو من الأكراد. حكم مصر أولا ثم الشام ثانيا . حارب الصليبيين ودانت له البلاد من آخر حدود النوبة جنوبا وبرقة غربا إلى بلاد الأرمن شمالا وبلاد الجزيرة والموصل شرقا . أعظم انتصاراته : " يوم حطين " و " افتتاح بيت المقدس" . ألفت فيه كتب كثيرة منها : " البرق الشامي" و " وصلاح الدين الأيوبي وعصره" . ولد بتكريت سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفي سنة ٥٨٩ هـ . انظر: البداية والنهاية . لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ١٣/١-٧ ،ط ١ (١٩٦٦م). مكتبة المعارف : بيروت ،ومكتبة النصر : الرياض . والأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . لخير الدين الزركلي ٩/٢٩١، ٢٩٢ ط٣ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) .

الإسلامية - على يد الدولة العثمانية - في أوروبا . وكان فتح القسطنطينية* .. وكان الجهاد والصراع الإيماني في فلسطين وأفغانستان اليوم ... وسيظل الصراع الإيماني ماضياً إلى قيام الساعة .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) (١).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) (٢) .

ومن الجدير ذكره أن التاريخ قد يعجز عن إيجاد دليل بأسلوبه الخاص على مصداقية القصص القرآني ، وعجزه لا يدل على انتفاء المصداقية ، إذ انتفاء العلم بالشيء لا يدل على عدم وجوده . والمؤرخون قسمان : الكافر المعذور بكفره ، فلا يُنتظر منه تصديق للقرآن أو لقصصه ، والمؤمن الذي يعتبر القرآن أصدق الأدلة التاريخية وأثبتها ، ويجب عليه أن يرد شبهة المؤرخين الكفرة بأسلوبه التاريخي الفني (٣) .

رابعا : أهداف وأغراض القصص القرآني :

إن الله الحكيم لم يذكر القصص في القرآن إلا لحكمة بالغة تهدف إلى إرشاد الناس إلى طريق الله ، وإلى اضاءة هذا الطريق أمامهم ، فيستعينون بالدروس والعبر والمعالم المنبثقة من هذا القصص على أمور دينهم ، وعلى طاعة ربهم ، وعلى جهاد الباطل بصوره المختلفة .

قال -تعالى-: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (٤) .

وقد أشار صاحب(٥) " نظرات في القرآن " إلى الأغراض العامة للقصة بقوله : " كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته ومزج تعاليمه "(٦) ، وبقوله : "إن القصص من أنجع (٧) الطرق التي اتبعها القرآن الكريم في تأديب النفوس ، وسياسة الجماعات ، والمحاورات النابضة التي أثبتها هي معالم خالدة لضبط الحقيقة وتوليد العبرة منها "(٨) .

---

(١) الحديث: أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم . كتاب: (الإمارة) باب: (قوله لا تزال طائفة من أمتي...) ٦/٥٣، ٥٣ . ط: مصورة عن المطبعة العامرة في دار الخلافة العلية / ١٣٣٤هـ

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الإمارة) باب: (قوله: لا تزال طائفة ...) ٦/٥٤ .

(٣) أنظر : نظرات في القرآن . محمد الغزالي . ١٢٢/ . ط٤/(١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) . دار الكتب الحديثة .

(٤) يوسف / ١١١ . (٥) هو: الشيخ محمد الغزالي، من العلماء والباحثين المعاصرين

(٦) نظرات في القرآن / ١١١ . (٧) أنجع : أفلح . انظر: القاموس المحيط/ ٩٨٩ .

(٨) نظرات في القرآن / ١١٧ .

* القسطنطينية : مدينة عظيمة كان فيها دار ملك الروم ، وسميت بذلك نسبة إلى قسطنطين الأكبر أحد ملوك الروم ، والحكايات عن عظمها وحسنها وكثرة أبوابها كثيرة ، ولها خليج من البحر تقع عليه ، ويفصل بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح ، وقد كان اسمها بيزنطة ، ثم حول العثمانيون المسلمون اسمها إلى اسطنبول .

أنظر: معجم البلدان. لشهاب الدين بن عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ٤/٣٤٧ - ٣٤٩ ط : بيروت (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) . دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة ، ومراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي . تحقيق: علي محمد البيجاوي ١/٨٨ ، ٣/٩٢ .

وقدْ فصلَ صاحبُ (١) " في ظلالِ القرآنِ " في هذهِ الأغراضِ وأشارَ إلى عمقِهَا بقولِهِ : " سِيقَت القصةُ في القرآنِ لتحقيقِ أغراضٍ دينيةٍ بحتةٍ ... ، وقدْ تناولت من هذهِ الأغراضِ عدداً وفيراً منَ الصعبِ استقصاؤُهُ ، لأنهُ يكادُ يتسربُ إلى جميعِ الأغراضِ القرآنيةِ ، فإثباتُ الوحيِ والرسالةِ ، وإثباتُ وحدانيةِ اللهِ ، وتوحدُ الأديانِ في أساسِها ، والإنذارُ والتبشيرُ ،ومظاهرُ القوةِ الإلهيةِ ، وعاقبةُ الخيرِ والشرِّ ، والصبرِ والجزعِ ، والشكرِ والبطرِ ... وكثيرٍ غيرُها مِنَ الأغراضِ الدينيةِ ، والمرامي الخُلقيةِ ، قدْ تناولَتْهُ القصةُ ، وكانت أداةً لهُ وسبيلاً إليهِ " (٢) .

والمتتبعُ للقصصِ القرآنيِّ يصلُ إلى حقيقةٍ لا ريبَ فيهَا ، وهيَ أنَّ هذا القصصَ لا تَنقضي أغراضُهُ وأهدافُهُ إلى آخرِ الزمانِ . فكلمَا استنبطَ العلماءُ دروساً وعبراً ومعالمَ ، جاءَ بعدَهُم علماءُ آخرونَ فاكتشَفُوا دروساً وعبراً ومعالمَ جديدةً استدركُوها على سابقِيهم ، وهَكذا . فالقصصُ القرآنيُّ حالُهُ كحالِ القرآنِ لا تَنقضِي عجائِبُهُ ، ولا يَخْلَقُ على مرِّ الأيامِ ، ولا تشبعُ مِنْهُ العلماءُ . كيفَ لا وهوَ جزءٌ واسعٌ مِنَ القرآنِ لا ينفصمُ عنهُ !

ومنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ هذا البحثَ سيتعرضُ لأغراضٍ وأهدافٍ كثيرةٍ للقصصِ القرآنيِّ منْ خلالِ قصةِ موسى - عليه السلام- .

خامسا : مظاهر القصة القرآنية :

للقصةِ القرآنيةِ مظاهرُ عديدةٌ ، سنقِفُ على بعضِهَا ، على هذا النحوِ :

أ) : مظهر الطول والقصر :

منَ المعلومِ أنَّ القصصَ القرآنيَّ مُتباينٌ في الطولِ والقصرِ ، فهناكَ القصةُ الطويلةُ ، وهناكَ القصيرةُ ، وهناكَ ما بينَ ذلكَ ، وفي هذا حكمةٌ بالغةٌ أشارَ إليها صاحبُ " الظلال " بقولِهِ : " وتارةً تُعرضُ [القصة] كاملةً وتارةً يُكتفى ببعضِ حَلقاتِها ، وتارةً تُتوسط بينَ هذا وذاكَ ، حسبَما تكونُ العبرةُ في هذا الجزءِ أوْ ذاكَ "(٣) .

وقصةُ مُوسى - عليه السلام - عُرضت بصورةٍ طويلةٍ كَما في سورةِ الأعرافِ، وطه ، والشعراءِ والقصصِ ، وعُرضت بصورةٍ متوسطةٍ كما في سورةِ يونسَ والدخانِ، وعُرضت قصيرةً كما في الزخرفِ والصافاتِ .

ب) : مظهر العرض :

ليسَ القصدُ منْ عرضِ القصصِ القرآنيِّ إظهارَ السردِ التاريخيِّ المتسقِ زمنياً للقصةِ ، وإنمَا الغرضُ هو خضوعُ القصةِ للغرضِ الدينيِّ ، " وكانَ منْ آثارِ خضوعِ القصةِ في القرآنِ للغرضِ الدينيِّ ... أنْ تُعرضَ بالقدرِ الذي يَكفي لأداءِ هذا الغرضِ ، ومنَ الحلقةِ التي تَتفقُ مَعَهُ ، فمرةً تُعرضُ القصةُ منْ أولِهَا ، ومرةً منْ وسطِهَا ، ومرةً من آخرِهَا "(٤) .

---

(١) هو سيد قطب . من الباحثين والمفسرين والأدباء المعاصرين .
(٢) التصوير الفني في القرآن . سيد قطب ١٢٠/ . ط(١٩٦٣) . دار المعارف .
وللإستزادة ،راجع : دراسات قرآنية . محمد قطب ١١١/ وما بعدها .طبعة: دار الشروق . والقصة في القرآن . الدكتور محمود بن الشريف ٦٧/-٧٣/ . ط:١(١٩٨٣م) .دار ومكتبة الهلال .
(٣) التصوير الفني في القرآن ١٣٤/ .
(٤) المرجع السابق . سيد قطب . نفس المكان .

" ومنَ التنويعِ في طريقةِ العرضِ ، ذكرُ ملخصٍ للقصةِ ثمَّ الشروعُ في تفاصيلِهَا وذلكَ كقصةِ أهلِ الكهفِ ، أو ذكرُ عاقبةِ القصةِ ومغزاهَا ثمَّ الدخولُ في أحداثِها بعدَ ذلكَ منْ بدايَتِهَا ، كقصةِ موسى في سورةِ القصصِ ، وقدْ تَبدأُ القصةُ بذكرِ أغربِ مشاهِدِهَا لإثارةِ القلبِ ثمَّ يَبدأُ عرضُ القصةِ ، كقصةِ موسى وفرعونَ في أولِ سورةِ طه ، وقدْ تُذكرُ مباشرةً دونَ مقدماتٍ كقصةِ سليمانَ مع بلقيسَ والهدهدِ "(١) .

جـ) : مظهر التكرار :

إنَّ التكرارَ مظهرٌ عام منْ مظاهرِ القرآنِ ، ويتضحُ أكثرَ في القصصِ القرآنيِّ ، فقصةُ مُوسى عليه السلام مثلاً كُررتْ في العديدِ منَ السُورِ كالأعرافِ ويونسَ وطه والشعراءِ والقصصِ والزخرفِ والدخانِ ، كما أنَّ بعضَ أحداثِها كُررت بنفسِها ، ولكنْ بأسلوبٍ مختلفٍ منْ سورةٍ لأخرى بالإضافةِ إلى الزيادةِ أو الحذف ، فمثلاً : تكررَ الحديثُ عنْ سحرةِ فرعونَ وإيمانِهِم في سورةِ الأعرافِ ويونسَ وطه والشعراءِ ، وكذا غرقِ فرعونَ وهلكِهِ في غالبِ السُورِ التي وقعتْ فيها القصةُ .

وهذا التكرارُ لمْ يأتِ جزافا أو ملءَ فراغٍ إنَّمَا لتحقيقِ الأهدافِ العليا للقرآنِ ، " وللوصولِ إلى هذهِ الأهدافِ لابدَّ أنْ يطرقَ الموضوعُ الواحدُ عدةَ مراتٍ مرةً بالشدةِ وأخرى باللينِ ، وتارةً بالتصريحِ ، وأخرى بالتلميحِ ، مرةً بضربِ الأمثالِ ، وأخرى بتأييدِ المقالِ . وكانَ لابدَّ في علاجِهِ منْ أنْ يسلكَ طرقاً متعددةً ، وأساليبَ متباينةً تبعاً لتباينِ الناسِ في استعدادِهِم ، وأنْ يمرَّ بمراحلَ ، ويتطورَ في علاجِهِ تبعاً لعمقِ الداءِ واستفحالِ المرضِ حتى يصلَ إلى العلاجِ الناجعِ والدواءِ الشافي"(٢) .

ويقولُ صاحبُ(٣) " سيكلوجية القصة في القرآن " مشيراً إلى دَواعِي التكرارِ : " وفي نظري أنَّ القرآنَ لمْ يُكررْ منَ القصصِ أوْ منْ حلقاتِها إلا مَا كانَ أشدَّ تجاوباً مع بيئةِ الدعوةِ ، وأكثرَ استجابةً لأهدافِهَا ، وخدمةً لأغراضِهَا ، ... كمَا أنهُ لمْ يكررْ بَلْ لمْ يَذكرْ منْ قصصِ الأنبياءِ إلا مَا يُقوي عزيمةَ الرسولِ وأصحابِهِ ، ويُثبتُ قلوبَهُم ، وينيرُ سبيلَهم ..."(٤) .

وقدْ ذهبَ صاحبُ(٥) " دراسات قرآنية " إلى أنَّ التكرارَ كانَ للتذكيرِ المستمرِّ بقصدِ تحقيقِ التربيةِ الإسلاميةِ لهذهِ الأمةِ(٦) .

وقدْ ذهبَ صاحبُ " في ظلال القرآن " إلى : " أنَّ التكرارَ لا يتناولُ القصةَ كلَّهَا غالباً ، إنما هو تكرارٌ لبعضِ حلقاتِها هنَا أوْ هناكَ لمناسبةِ السياقِ ، وإنَّ التناسقَ بينَ حلقةِ القصةِ التي تُعرضُ والسياقُ الذي تُعرضُ فيهِ هُو الغرضُ المُقدمُ ، وأنَّ هناكَ نظاماً مقرراً بينَ الحلقاتِ المكررةِ منَ القصةِ الواحدةِ إذا قُرئت حسبَ ترتيبِ النزولِ "(٧) .

---

(١) انظر: القصة في القرآن ٧٧/٨١ .
(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم/٣٩ .
(٣) هو : التهامي نقرة . كاتب معاصر .
(٤) سيكلوجية القصة في القرآن . التهامي نقرة ./١١٨ . الشركة التونسية للتوزيع .
(٥) هو : محمد قطب . باحث معاصر .
(٦) انظر : دراسات قرآنية /١٢٥ وما بعدها .
(٧) التصوير الفني في القرآن /١٢٨ وما بعدها .

سادسا : مقارنة بين القصة في القرآن ، والتوراة ،والأدب :

أ) بين القصة في القرآن والأدب :

١) القصةُ في القرآنِ عمادُها الصدقُ من أولِها لآخرِها ، أمّا في الأدبِ فقدْ تكونُ كلُّها خياليةٌ ، وقدْ تَعتمدُ على شيءٍ منَ الصدقِ ، ثمَّ تَجْنَحُ إلى الخيالِ المفرطِ .

٢) القصةُ في القرآنِ أُنزلتْ بأسلوبٍ عربيٍ بلاغيٍ معجزٍ مبينٍ ، لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يأتيَ بمثلِهِ ، وهذا بخلافِ القصةِ في الأدبِ .

٣) القصةُ في القرآنِ هي أنباءٌ منَ اللهِ سبحانه، وَ أمّا في الأدبِ فهيَ أحاديثُ البشرِ .

٤) القصةُ في القرآنِ تَهدفُ إلى العبرةِ والعظةِ وإرشادِ الناسِ " في الأحداثِ والأشخاصِ . منْ أساءَ منهمْ ومنْ أحسنَ . وموقفُ كلٍّ أمامَ دواعِي الخيرِ والشرِّ "(١) ، وأمّا القصةُ في الأدبِ فَهدفُهَا مربوطٌ بدينِ المؤلفِ واقتناعاتِهِ خيراً أو شراً ، وأسلوبُهُ " يَنزعُ إلى الإثارةِ والتشويقِ ، وامتلاكِ الشعورِ والوجدانِ حتى يصلَ بالمخاطبِ إلى ما يريدُ ، ولا بأسَ عندَهُ من استخدامِ المرأةِ أوْ غيرِهَا في الغرائزِ "(٢) .

٥) "القصةُ القرآنيةُ تهتمُّ بالحادثةِ أكثرَ منْ اهتمامِهَا بالشخصِ ،وعلى العكسِ منْ ذلكَ القصةُ الأدبيةُ "(٣) ، والحكمةُ منْ ذلكَ هيَ : إظهارُ العبرِ والدروسِ منْ خلالِ الأحداثِ لتركزِهَا فِيهَا أكثرَ من الأشخاصِ وما الأشخاصُ إلا عناصِر في الأحداثِ .

ب) بين القصة في القرآن والتوراة :

إذا أَردنَا أنْ نقارنَ بينَ القصةِ في القرآنِ ، وفي التوراةِ ، فعلينَا أنْ نميزَ بينَ أمرينِ ، الأولُ : المقارنةُ مع التوراةِ المنزلَةِ على موسَى ـ عليه السلام ـ وهيَ الألواحُ ، والثاني : المقارنةُ مع التوراةِ الموجودةِ الآنَ بينَ أيدينَا وهيَ المترجمةُ ، وهذهِ وقعَ عليها التحريفُ منذُ زمنٍ بعيدٍ ، مِمَّا يجعلُ المقارنةَ معَهَا ضعيفةً ، وتفصيلُ ذلكَ كما يَلِي :

أولاً : بين القصة في القرآن والتوراة الحقيقية :

إنَّ إيمانَنَا باللهِ عزَّ وجلَّ، وبأنبيائِهِ جميعاً ، وبكتبِهِ كلِّهَا ، يَفرضُ علينَا أنْ نؤمنَ بعدمِ وجودِ مفارقاتٍ ذاتِ شأنٍ بينَ القصصِ في الكتابينِ . فكلاهُمَا خرجَ من مشكاةٍ واحدةٍ ، وكلاهُمَا صادقٌ وكلاهُمَا متحدٌ في الهدفروهو العظةُ والعبرةُ .

وهذا بخلافِ رأيِ صاحبِ(٤) " الفنّ القصصي في القرآن " الذي ذهبَ إلى أنَّ التوراةَ قَصدتْ إلى التاريخِ ، والقرآنَ قصدَ إلى العبرةِ والعظةِ(٥) .

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن/٢٩٠. (٢) الوحدة الموضوعية/٢٩٠ .
(٣) الوحدة الموضوعية /٢٩٠. (٤) هو: محمد أحمد خلف الله . كاتب معاصر .
(٥) أنظر : الفن القصصي في القرآن . محمد أحمد خلف الله/٢٢٧، ٢٢٨. ط ٢ . مكتبة النهضة المصرية .

والذي ذهبنا إليه هو استنتاج من العديد من الآيات القرآنية. فلنتأمل قول الله - عز وجل - في حق التوراة : ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...)) (١)، ((وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ للذين هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)) (٢)، ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (٣) .

ثم نتأمل قول الله - عز وجل - في حق القصص القرآني : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورحمةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (٤) . وبهذا التأمل يتضح - لنا - صدق ما ذهبنا إليه .

وأما المفارقات فهي طبيعية ، وتبدو في اختلاف لغة الكتابين، وفي الأسلوب والمنهج تبعا لاختلاف اللغتين والرسالتين، من حيث خصوص التوراة ببني إسرائيل وبزمن معين ، ومن حيث عموم القرآن لكل الأمم قاطبة ، وإلى قيام الساعة .

ثانيا : بين القصة في القرآن ، وفي التوراة المترجمة :

حتى تتضح - لنا - المقارنة ، سنعمد إلى قصة وردت في الكتابين، ونبني المقارنة على ضوئها ، ولتكن قصة يوسف - عليه السلام - ، حيث وردت في القرآن مجتمعة في سورة يوسف - عليه السلام - ، ووردت في التوراة في سفر التكوين مجتمعة في إصحاحات كثيرة متتالية ، من الإصحاح السابع والثلاثين إلى الإصحاح الخمسين (٥) . ومن خلال المقارنة بين الكتابين يبدو الآتي :

١) القصة في التوراة أطول منها في القرآن بكثير ، فقد بلغت آيات قصة يوسف في التوراة أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية (٦) ، بينما لم تبلغ في القرآن إلا ثمان وتسعين آية (٧) .

٢) القصة في التوراة فيها حلقات كثيرة غير موجودة في القرآن ، وكذلك العكس ولكن بصورة أقل .

مثال الوارد في التوراة والمحذوف من القرآن :

(فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيده ورفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخبازين بين عبيده . ورد رئيس السقاة إلى سقيه . فأعطى الكأس في يد فرعون . وأما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر لهما يوسف) (٨) .

مثال الوارد في القرآن والمحذوف في التوراة :

((قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ (٩) وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ . قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)) (١٠) .

فلو رجعنا إلى الإصحاح السابع والثلاثين (١١) من سفر التكوين المتعلق برؤيا يوسف - عليه السلام - وإلقائه في البئر لما وجدنا لهذه المحاورة من ذكر.

---

(١) الأعراف /١٤٥. (٢) الأعراف /١٥٤. (٣) القصص/٤٣. (٤) يوسف/١١١ .
(٥) انظر: الكتاب المقدس العهد القديم. مترجم من اللغات الأصلية ٦١-٨٧. إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي . (٦) أنظر: الكتاب المقدس /٦١ - ٨٧ .
(٧) أنظر : القرآن الكريم . سورة يوسف/٤-١٠١ . (٨) الكتاب المقدس العهد القديم. سفر التكوين . الإصحاح /٤٠ ص ٦٧ الآيات /٢٠- ٢٢. (٩) يرتع : ينعم ويأكل كثيرا ويلهو في خصب وسعة . انظر : القاموس المحيط /٩٣٠. ومختار الصحاح/٢٣٢. ومفردات غريب القرآن/ ١٨٦ . (١٠) يوسف/١١-١٤ . (١١) أنظر : الكتاب

٣) إعتمادُ القصةِ في التوراةِ على السردِ التاريخيِّ والتفاصيل الجانبيّةِ أكثرَ منهُ على العظةِ ، وهذا بخلافِ ما هوَ موجودٌ في القرآنِ .
وبالمقارنةِ بينَ عددِ آياتِ القصةِ في الكتابينِ يتضحُ صدقُ ما ذهبنا إليهِ .
ومثالُ ذلكَ من التوراةِ : (ثمَّ أمرَ يوسفُ أنْ تملأَ أوعيتُهُمْ قمحاً وتُردَّ فضةُ كلِّ واحدٍ إلى عدلِهِ وأنْ يُعطَوا زاداً للطريقِ . ففُعِلَ لهمْ هكذا . فحَمَلُوا قمْحَهُمْ على حميرِهم ومَضَوْا منْ هناكَ.) (١) ...الخ الآيات .
ومثالُ ذلكَ منَ القرآنِ : ((وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (٢) .

٤) الأسماءُ في التوراةِ مذكورةٌ ومكرورةٌ بشكلٍ كبيرٍ ، وهذا على خلافِ ما في القرآنِ .
فمثلاً : ما وردَ من اسماءٍ في قصةِ يوسفَ في القرآنِ هي : يعقوبُ وإبراهيمُ وإسحقُ ويوسفُ والعزيزُ . بينما الأسماءُ التي وردت في التوراةِ كثيرةٌ للغايةِ ، فبالإضافةِ لمَا وردَ في القرانِ وردَ: شكيد وحبْرُون ودُوثَان وَرَأوبين وَيَهُوذَا وَفُوطِيفَار (٣) ... الخ،وهذ أشبه بالتاريخِ .

٥) القصةُ في التوراةِ مكتوبةٌ بلغةٍ وأسلوبٍ ركيكٍ ، ولعلَّ هذا منْ أثرِ التحريفاتِ والترجماتِ . وأمَّا القرآنُ فمنزلٌ بلغةٍ عاليةٍ، وأسلوبٍ بلاغيٍّ معجزٍ ، أعجزَ فصحاءَ العربِ أنْ يأتوا بمثلِهِ .
ومثالُ ذلكَ من التوراةِ : (فَأَخَذُوا قميصَ يوسفَ وذبَحُوا تَيْساً مِنَ المِعْزَى وغَمَسُوا القميصَ في الدمِ وأرسلُوا القميصَ الملوَّنَ وأحضَرُوهُ إلى أبيهم . وقالوا وجدْنَا هذا . حقيقٌ أقميصُ ابنك هو أمْ لا . فَتَحَقَّقَهُ وقالَ قميصُ ابني وحشٌ ردئٌ أكَلَهُ . افترسَ يوسفُ افتراساً) (٤) .
ومثالُ ذلكَ منَ القرآنِ : ((وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) (٥) .

٦) وجودُ تحريفاتٍ في قصةِ التوراةِ مخالفةٍ لقصةِ القرآنِ :
ومثالُ ذلكَ : أنَّ التوراةَ أخبرتْ أنَّ يوسفَ احتجزَ أحدَ الاخوةِ العشرةِ وحبسَهُ في المرةِ الأولى لقدومِهم إليهِ (٦) ، بينَمَا أخبرَ القرآنُ أنَّهُ جهزَهُم جميعاً وتركَهُمْ يعُودُونَ (٧) .

---

(١) الكتاب المقدس . العهد القديم. الآيات/٢٥-٢٧من الإصحاح/٤٢ من سفر التكوين، ص ٧٢ . (٢) يوسف/ ٦٢ .
(٣) انظر: الكتاب المقدس.العهد القديم . سفرالتكوين. الإصحاح/٣٧،ص :٦١ ومابعدها .
(٤) الكتاب المقدس.العهد القديم. سفر التكوين.إصحاح/٣٧. الآيات /٢١-٢٥ ص ٦٣ .
(٥) يوسف /١٦-١٨ .
(٦) أنظر : الكتاب المقدس.العهد القديم . سفر التكوين. إصحاح /٤٢. ص ٧١، ٧٢ .
(٧) أنظر : سورة يوسف /٥٨-٦٢ .

٢- بنو إسرائيل : نسبهم وأنبياؤهم وتاريخهم

أولا : النسب والتسمية :

يَنتسبُ بنو إسرائيل إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم - عليهم السلام- وينتسبُ إبراهيم إلى نوح ، وينتسب نوح إلى آدم - عليهم السلام - . فهو " إبراهيم بن تَارَح - آزَر - بن نَاحُور بن سَارُوغ بن رَاعُو بن فَالَغ بن عَابَر بن شَالَح بن أَرْفَخْشَد بن سَام بن نُوح - عليه السلام - "(١) .

ولقد اصطفى اللهُ عز وجل إبراهيمَ وجعلَهُ نبياً رسولاً ، واتخذَهُ خليلاً . قال تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)) (٢) ، وخصَّ اللهُ تعالى ذريةَ إبراهيمَ بالنبوةِ والكتاب ، فلا يُبعث نبيٌّ مِنْ بعدِهِ إلا منْ ذريتِهِ ، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ))(٣) .

وقدْ تزوجَ إبراهيمُ عليه السلام بِسَارَّةَ ، ثمَّ بهاجرَ التي رُزقَ منها إسماعيل عليه السلام، ورزقَ من الأولى بإسحاق . قال تعالى: ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)) (٤).

فأمّا اسماعيلُ فقدْ سكنَ مع أمهِ مكةَ المكرمةَ ، وتَزوجَ مِنَ العربِ واصطفاهُ اللهُ لرسالَتِه . قال تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا)) (٥) ، وبُورِكَ فِي نَسْلِهِ فكانتْ قريشٌ ، وكانَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم من قريشٍ، وهوَ النبيُّ الوحيدُ من ذريةِ جدِّهِ إسماعيل .

قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمَ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمَ)(٦) .

وَأمَّا إسحاقُ فقدْ اسْتَقَرَّ مَعَ أبيهِ إبراهيمَ في الشامِ ، واصطفاهُ اللهُ لرسالَتِهِ كأخيهِ إسماعيلَ ، قالَ تعالى: ((وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ))(٧) ، وقدْ تَزوجَ بِرِفْقَا بنتْ بِتْوِيل بن إلِيَاس ، فولدت له عيصَ ويعقوبَ(٨) الذي اصطفاهُ اللهُ لرسالَتِهِ ، قالَ تعالى: ((... وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وُكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًّا))(٩) .

---

(١) هكذا ورد نسبه في المراجع التالية ، مع اختلاف يسير في حروف بعض الكلمات نتيجة التصحيف والتنقيط والترجمة للعربية ، وقد ذكر الطبري وابن الأثير رجلا بين شالح وأرفخشذ ، وهو قينان ، وذكر صاحب المختصر أن اليهود أسقطوه لأنه كان ساحرا . أنظر : تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٢٢١ . ط: ١٩٦٠ . دار المعارف بمصر . والبداية والنهاية ١/١٣٩ . والكامل في التاريخ . لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير ١/٩٤ . ط: ١٩٦٥ . دار صادر بيروت . والمختصر في أخبار البشر . لعماد الدين إسماعيل أبي الفدا ١/١٣ . والكتاب المقدس . العهد القديم ، سفر التكوين . إصحاح ١١/ ص ١٧ ، ١٨ . (٢) سورة مريم/٤١ . (٣) سورة الحديد/٢٦ (٤) سورة إبراهيم/٣٩ . (٥) سورة مريم/٥٤ . (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الفضائل) باب (فضل نسب النبي ...) ٧/٥٨ . (٧) سورة الصافات /١١٢ .

(٨) أنظر : تاريخ الرسل والملوك ١/٣١٧ . والكامل في التاريخ ١/١٢٦ . والمختصر في أخبار البشر ١/١٨ . والكتاب المقدس . العهد القديم . سفر التكوين ، إصحاح ٢٤/ ص ٢٥ - ٢٨ . (٩) سورة مريم /٤٩ .

وقدْ تَزوجَ يعقوبُ (إسرائيل) لِيَا ابنةَ خالِهِ لبان بن بتويل بن إلياس ، فرُزِقَ مِنها : رُوبيل (رأوبين في التوراة) ، وشمعون ، ولاوي، ويهوذا ، وزبالون (زبولون في التوراة) ، ويسحر (يستاكر في التوراة) ثم تَزوجَ براحيل أخت ليا ، وكان جائزا في شرعهم ، فرُزق منها :يوسف وبنيامين، وقد أهدتْ اليهِ راحيلُ جاريتَها بلهةَ فرُزِق منها : دَانِ ونَفْتَالِي، وأَهْدَتْ اليهِ لِيَا جارِيَتَها زلفةَ ، فرُزِقَ منها : جاد ، وأشر (وفي البداية والنهاية أشير)[١] .

وفي ذلكَ يقولُ ابنُ حزمٍ الأندلسيّ * : " ولدَ اسرائيلُ وهو يعقوبُ رسولُ اللهِ... بن إسحق رسول الله بن إبراهيم رسول الله وخليله...: روبان، ولاوي ، وشمعون ،ويهوذا ، ويساخار، وزابلون . أشقاء ، أمهم : لياء بنت لابان بن بثوال بن ناحور بن آزر... وناحور هذا أخو إبراهيم، وهارون والد لوط - عليهما السلام - ، ويوسف رسول الله ... وبنيامين: أمهما راحيل بنت لابان المذكور ، وغاد وأشار: أمهما أمة لياء ، ودان ، ونفتالي : أمهما زلفى أمة راحيل . فعظمت أنسابهم كلهم جدا "[٢] .

وهؤلاءِ همْ أبناءُ يعقوب (إسرائيل) الإثني عشرَ منَ الذكورِ ، وقد سكَنُوا الشامَ مع أبيهِم أولاً ، ثمَّ لحقُوا بأخِيهم يوسف فسكنُوا معه مصرَ ثانياً .

وقدْ تَزوجُوا جميعاً فتكاثَرُوا وبُورِكَ في نسلِهِم الذي تَكوَّنَ منهُ مَا يُسمى ببني إسرائيل الذين يتكونونَ منْ اثني عشرَ سبطاً[٣] (قبيلةً ، كلُّ سبطٍ (قبيلةٍ) يَرجعُ نسبُهُ إلى أحدِ أولادِ يعقوبَ الإثني عشرَ. فمثلاً سبطُ لاوي يرجعُ نسبُهم إلى جدِّهم لاوي ، وكذلك سبطُ يوسفَ ، وسبطُ يهوذ ...الخ . قال اللهُ-تعالى-: ((وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ...))[٤].

---

(١) أنظر: تاريخ الرسل والملوك ١/٣١٧. وما بعدها . والبداية والنهاية ١/١٩٥. والكامل في التاريخ ١/١٢٦. والمختصر في أخبار البشر ١/١٨. والكتاب المقدس . العهد القديم ، سفر التكوين ، إصحاح/٢٩، ٣٠ ، ص/٤٥ وما بعدها .

(٢) جمهرة أنساب العرب . لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي. تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ٥/٥٠٣، ٥٠٤ . ط :١٩٦٢. دار المعارف بمصر .

(٣) سبطا : قبيلة من اليهود . انظر : القاموس المحيط/٨٦٤. ومختار الصحاح/ ٢٨٣ . ومفردات غريب القرآن / ٢٢٢.

(٤) سورة الأعراف /١٦٠ .

* ابن حزم الأندلسي : هو:علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره . وأحد أئمة الإسلام . كان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة . اتبعه خلق كثير في مذهبه الظاهري. كان سليط اللسان على العلماء. من مصنفاته :"المحلى في الفقه" و "الناسخ والمنسوخ" و " الفصل في الملل والنحل" ، ولد سنة ٣٨٤هـ ،وتوفي سنة ٤٥٦هـ . أنظر: الأعلام لخيرالدين الزركلي ٥/٥٩ط:٣.وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي/٤١٥رقم(١٢٠٥) . ط١٩٦٧. دار الكتاب العربي .

وكمَا يُطلقُ عليهم بنو إسرائيل نسبةً لأبيهم إسرائيل (يعقـــوب) فانهُ يُطلقُ عليهمْ ايضاً إسمُ " اليهود " . ويُقالُ : إنَّهم سُمُّوا بهذا الإسمِ نسبةً إلى سبطِ يَهوذَا الذي استقرَّ الملكُ فيهِ ، ويُقالُ : إنهم سُمُّوا بذلـــكَ الإسمِ اشتقاقاً منْ هادُوا بمعنى : تَابُوا ، وقيلَ : مِنَ المُهَاوَدَةِ بمعنـــى المُمَايَلَةِ ، ذلكَ أنهم كانوا يَتمايلُونَ أثناءَ ترتيلِ التوراةِ (١) .

والمعنى متقاربٌ فالترتيلُ منْ صفاتِ التائبينَ .

والراجحُ أنهُ مأخوذٌ مِنْ "(هَادُوا) بمعنَى : تَابُوا ،لقولهِ تعالى:((قَـــالَ يَا أَيُّهَا الذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ ...))(٢) ، ولقولِهِ تعالى: ((وَاكْتُبْ لَنَـــا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ...))(٣) .

وقيلَ : إنَّ كلمةَ " اليهود " أعمُّ منْ كلمةِ بني إسرائيل ، لأنَّ الأولـــى تَشملُ بني إسرائيل وغيرَهم مِمَّنْ تَهوَّدَ منَ الأممِ الأخرى ، بينما الثانيـــةُ تقتصرُ على الأسباطِ فقطْ (٤) .

ومنَ الملاحظِ أنَّ الأسماءَ التي أوردَهَا المؤرخونَ هُنا فيها تباينٌ ملحوظٌ، ويعلقُ على ذلكَ ابنُ خلدونٍ* بقولِهِ : " وهذه الأسماءُ الأعجميةُ كلُّهـــا منقولةٌ مِنَ التوراةِ ولغتُها عبرانيةٌ ، ومخارجُ حروفِها في الغالبِ مغايـــرةٌ لمخارجِ الحروفِ العربيةِ . وقدْ يجيءُ الحرفُ منها بينَ حرفينِ منَ العربيـــةِ فتردُّهُ العربُ إلى أحدِ ذَيْنكِ الحرفينِ ، وفي مخرجِهِ فيتغير أصلُهُ ، ولذلـــكَ تكونَ فيها إمالةٌ متوسطةٌ أوْ محصنةٌ فيصيرُ إلى حرفِ العلةِالذي بعدهُ من يـــاءٍ أوْ واوٍ ،فلذلكَ تُنقلُ الكلمةُ منهَا على اختلافٍ . وإلا فشأنُ الأعلامِ أنْ لا تَختلـــفَ "(٥) .

ثانيـــا : الملـــك والتاريـــــخ :

استقرَّ بَنو إسرائيلَ في مصرَ إلى جانبِ أهلِهَا القبطِ ، وبعدَ وفـــاةِ يوسفَ عليه السلام وقعوا تحتَ استعبادِ الفراعنةِ وقهرِهم ، حتى بعثَ اللهُ فيهم موسى نبياً ورسولاً ، وبهِ أنْقذُوا منْ ظلمِ الفراعنةِ الذينَ أُغْرِقُوا في البحرِ .

ثمَّ انطلقَ موسى بقومِهِ إلى الشامِ (ديارِ أجدادِهِ) ، غيرَ أنَّ قومَـــهُ رَفَضُوا قِتَالَ الجبَّارينَ ، فَضُرِبَ عليهم التيهُ أربعينَ سنـــةً .

ثم بعثَ اللهُ تعالى فيهم يُوشَعَ بْنَ نُونٍ نَبياً ، حيثُ افْتَتَحَ بِهـــمْ مدينةَ الجَبَّارِينَ ، وَتَتَبَّعَ ملوكَ الشامِ وهَزَمَهُم جميعاً ، وبذلكَ قامت دولَتُهُـــمُ الأولى في الشـامِ (٦) .

---

(١) انظر:المختصر في أخبار البشر ١/٨٧. ولسان العرب ٤/٤٥٠، ٤٥١ .
(٢) الجمعـــة /٦ .
(٣) الأعراف / ١٥٦ .
(٤) أنظر : المختصر في أخبار البشـر ١/٨٧ .
(٥) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عـ صرهم من ذوي السلطان الأكبر . لعبدالرحمن بن خلدون المغربي٢/٥٨، ٥٩ . ط ١٩٥٦ . دار الكتاب اللبناني .
(٦) انظر:تاريخ الرسل والملوك ١/٤٣٥ وما بعدها . والكامل في التاريخ ١/٢٠٢ وما بعدها . وتاريخ ابن خلدون ٢/١٦٦ وما بعدها .
* ابن خلدون : هو:عبدالرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ، ولي الديـــن الحضرمي الإشبيلي . أصله من إشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس . كـــان مؤرخا كبيرا . من مصنفاته : " العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر" و " شرح البردة " ورسالة في " المنطق" . ولد سنة ٧٣٢هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ . انظر:الأعلام للزركلي٤/١٠٦ ، ١٠٧،ط:٣والضوء اللامع لأهل القرن التاسع . لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن السخاوي ٤/١٤٥ رقم (٣٨٧) . ط ١٣٥٤هـ . نشر مكتبة القدس – القاهرة .

ثمَّ خَلَفَهُ كَالبُ بْنُ يُوفَنَّا ، ثمَّ حِزْقِيل بْنُ بُوذِي(١) .

ثمَّ تَعاقبَ الملوكُ على بني إسرائيلَ ، فكانوا حيناً يُحسنونَ ، وكانوا أحياناً يُفسدونَ ، وكانوا تارةً يَظْهَرونَ على أعدائِهِمْ بِطَاعَتِهم ربَّهم ، وتارةً أُخرَى يَظْهَرُ عليهم أعْداؤُهم بمعصيَتِهم ربَّهم .

ومن ذلك أنَّ اللهَ سلطَ عليهم جالوتَ ملكَ العمالقةِ فضَرَبَ عليهم الجزيةَ ، حتى بعثَ اللهُ فيهم شُمْويلَ نبياً ، وَعَيَّنَ عليهمْ طالوتَ مَلِكاً ، حيثُ هزمَ العمالقةَ وقَتَلَ داودُ جالوتَ (٢) .

ثم مَلَكَهُم بعدَ ذلكَ داودُ - عليه السلام - ، وعقبه ابنُهُ سليمان -عليه السلام- الذي ملكَ المشرق وَالمغربَ(٣) ، قالَ-تعالى-: ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ)) (٤) .

ثمَّ تَعاقبَ عليهم الملوكُ بعدَ ذلكَ ، إلى أنْ آلَ أمرُهُمْ إلى الركودِ في حَمْئَةِ الفِسْقِ والطُّغْيَانِ ، فَسَلَّطَ اللهُ عليهم القائِدَ الفارسي (بَخْتَنَصَّر مِنْ قِبَلِ الملكِ البَابِليِّ لهْرَاسِب ، الذي استولى على الشامِ ، وخرَّبَ بيتَ المقدسِ ، ودمَّرَ الهيكلَ (المعبد) ، وقتَلَ المقاتلةَ ، وسبَى الذريةَ (٥) .

وبذلكَ سقطت دولةُ بني إسرائيل ، وَتَشَتَّتَ اليهودُ في الأمصارِ .

وبعدَ موتِ لهراسب ملكَ فارسَ* ابنُهُ بشتَاسِب الذي أمَرَ اليهودَ أنْ يَعُودُوا إلى فِلِسْطِينَ ويُعَمِّرُوهَا ويُقِيموا الهيكلَ . فَرَجَعُوا ، وأقاموا في بيتِ المقدسِ ، وَرُدَّ إليهم أمْرُهُم ، وَكَثُروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمنِ ملوكِ الطوائفِ ، فلمْ يكنْ لهم بعد ذلك جماعةٌ (٦) .

ثم استولى المسلمون على الشامِ أيامَ " الفتحِ الاسلاميِّ " ، وطَرَدُو الرومَ مِنْهَا ، وأما اليهودُ فبعدَ زوالِ دولتِهم الثانيةِ مُزِّقوا كلَّ مُمَزَّقٍ وَتَشَتَّتُوا في البلدانِ ، وَ سُلط عليهم الناسُ ، قال-تعالى-: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ (٧) سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)) (٨) .

ومنَ اليهودِ منْ سَكنَ جزيرةَ العربِ خاصةً المدينةَ المنورةَ بعدَ ذهابِ دولتِهِم ، وكانَ من شأنِهم مع رسولِ اللهِ ما هو معلومٌ ، حيثُ مزقَ جمعَهُم

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٤٥٧/١ . والبداية والنهاية ٢/٢ .

(٢) انظر: القرآن الكريم . البقرة/٢٤٦-٢٥١ . وتاريخ الرسل والملوك ٤٦٧/١ وما بعدها . والبداية والنهاية ٥/٢ وما بعدها . والكامل في التاريخ ٢١٧/١ وما بعدها .

(٣) أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٤٧٦/١ وما بعدها ، ٤٨٦ وما بعدها . والبداية والنهاية ١٨/٢ وما بعدها . والكامل في التاريخ ٢٢٣/١ وما بعدها .

(٤) سورة ص/٣٥ . (٥) أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٥٣٨/١ وما بعدها . والكامل في التاريخ ٢٦١/١ وما بعدها . والبداية والنهاية ٣٤/٢ وما بعدها .

(٦) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٥٤٠/١ . والكامل في التاريخ ٦٢٨/١ وما بعدها . والبداية والنهاية ٤٢/٢، ٤٣ .

(٧) يسومهم: يبغيهم ، من سامه ، أي : أولاه وكلفه به ، وأكثر استعماله في العذاب والشر . انظر: القاموس المحيط/١٤٥٢ . ومختار الصحاح/٣٢٢ . ومفردات غريب القرآن/٢٥٠ . (٨) سورة الأعراف/١٦٧ .

* فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق أرجان ، ومن جهة كرمان السبرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيران ، ومن جهة السند مكران . انظر : معجم البلدان ٢٢٦/٤-٢٢٨ . ومراصد الإطلاع ١٠١٢/٣ .

وشتّتَ شَمْلَهُم وطَرَدَهُم . فَعَنْ ابنِ عمر* ـ رضي الله عنه ـ أنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَجْلَى رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بَنِي النَّضِيرِ وأقرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَّمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا وَأَجْلَى رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعَ (وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ**) وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالمَدِينَةِ(١) .

ثمَّ إنَّ عمرَ بنَ الخطاب*** ـ رضي الله عنه ـ أجْلَى بقيتَهُمْ منْ جزيرةِ العرب فعنْ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ـ أنهُ سمعَ رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقولُ : (لَأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا)(٢) .

وهكذا تَشتتَ اليهودُ في جهاتِ الأرضِ الأربعِ ، ولَقُوا مِنَ الذُلِّ والهوانِ ما لمْ يلقهُ غيرُهم ، حيثُ تسلط عليهم الأوربيون والكنيسة في العصور الوسطى بحجة دم المسيح ، ثم تَسلطَ عليهم هتلرُ وأحرقَهم بالنارِ في الحربِ العالميةِ الثانيةِ .

ثمَ تجمعَ اليهودُ مرةً أُخرى بعدَ قرون من التمزقِ والشتاتِ وأقاموا دولتَهم الثالثة الجديدة في فلسطين ، وسموها " إسرائيل " نسبةً إلى أبيهم إسرائيل (يعقوب) ـ عليه السلام ـ .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (إجلاء اليهود من الحجاز) ٥/١٥٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب) ٥/١٦٠ .

* ابن عمر : هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبدالرحمن المكي ، صحابي هاجر مع أبيه ، وشاهد الخندق وبيعة الرضوان ، وحدث عن النبي ، وكان واسع العلم كثير الأتباع متين الديانة ، توفي سنة ٩٤ هـ . أنظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال . لصفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي . تحقيق : محمود عبدالوهاب فايد ٢/٨١ رقم (٣٦٧٨) ط : (لايوجد) . الناشر مكتبة القاهرة . والإستيعاب في معرفة الأصحاب . لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر . تحقيق : محمد علي البيجاوي ٢/٩٥٠ رقم (١٦١٢) . ط : (لا يوجد) . مطبعة نهضة مصر . والإصابة في تمييز الصحابة . لابن حجر العسقلاني . تحقيق : محمد علي البيجاوي ٤/١٨١ـ١٨٨ رقم (٤٨٣٧) ط : (لا يوجد) . دار نهضة مصر .

** عبدالله بن سلام : هو : عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، ثم الأنصاري من ولد النبي يوسف ، أسلم بعد هجرة النبي الذي حول اسمه من حصين إلى عبدالله . حدث عن النبي . وتوفي سنة ٤٣هـ . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : محمد إبراهيم البنا وآخرون ٣/٢٦٤ ، ٢٦٥ رقم (٢٩٨٤) . ط : (لايوجد) . كتاب الشعب . والإصابة في تمييز الصحابة ٤/١١٨ـ١٢٠ رقم (٤٧٢٨) . وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٦٤ رقم (٣٥٥٧) .

*** عمر بن الخطاب : هو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي ، أبو حفص ، عز الإسلام والمسلمون بإسلامه . شهد بدرا وأحدا وغيرها من المشاهد . كان زاهدا عالما قائما بحدود الله عادلا . خليفة بعد أبي بكر . ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، ودفن يوم الأحد ١ محرم ٢٤ هـ .

أنظر : أسد الغابة ٤/١٤٥ـ١٨١ رقم (٣٨٢٤) . والإصابة ٤/٥٨٨ ـ ٥٩١ رقم (٥٧٤٠) . وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء . للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني ١/٣٨ ـ ٥٥ ، رقم (٢) ط : ٢ (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) بيروت ، لبنان .

والمسلمونَ على موعدٍ معَهُم لتدميرِ دولتِهِم ، وتمزيقِ شملِهِم، قَـــالَ رسولُ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُـــونَ الْيَهُودَ . فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ . حَتَّى يَخْتَبِيءَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ والشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَو الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَاللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَـــالَ فَاقْتُلْـهُ إِلَّا الْغَرْقَـدَ (١) فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) (٢) .

وبعدَ زوالِ دولتِهم القائمةِ الآنَ ، سَيُمَزَّقونَ في الأرضِ مرةً أُخـــرى غيرَ أَنَّ بَقَايَاهُم سَتَبْقَى إِلى قُبيلِ الساعةِ ، لقولِ رسولِ اللهِ-صلى اللهُ عليـــه وسلمَ-: (يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ * سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِـــمُ الطَّيَالِسَةُ) (٣) . وَستبقى مِنْهُم بقيةٌ إِلى قيامِ الساعةِ ، لقولِهِ-تعالـــى-: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُم سُـــوءَ الْعَذَابِ ...) (٤) .

ثالثا : النبـوة والكتـــاب :

لمْ يُبعثْ أنبياءُ في أُمةٍ منَ الأممِ مثلَ مَا بُعثَ في بَني إسرائيـــلَ، وذلكَ لكثرةِ معاصِيهِم ، وَجُنوحِهِم المُستمرِّ إِلى الشركِ والكفرِ . فكَانُـــوا يُبْعَثون فيهم لِيجدِّدُوا دينَهم ، وَلِيُطَهِّروهم من رجْسِهِم ، وَلِيُحْسِنوا سِيَاسَتِهِم، قالَ رسولُ اللهِ-صلى اللهُ عليه وسلمَ-: (كَانَتْ بَنُوا إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ (٥) الأَنْبِيَـاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَـهُ نَبِـيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ...) (٦) الحديث .

وهذهِ طائفةٌ منْ أنبيائِهم ، استقيناها من القرآنِ ، والسنةِ ، وكتـــبِ التاريخِ المعتمدةِ .

١) يوسفُ بْنُ يعقوبَ (عليهما السلام) ،وهوَ النبيُّ الوحيدُ منْ بين اخوتِـــهِ الإثني عشرَ .

قال اللهُ-تعالى-: ((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيـــثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيـــمَ وإِسْحَقَ ...)) (٧) . وعنْ أَبي هريرةَ** رضي اللهُ عنه-قالَ :(قِيلَ: يَا رَسُـــولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ ، قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَـــالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ ...) (٨) الحديث .

٢) مُوسى بْنُ عِمْرَانَ بْنُ يصهر بن قَاهِث بن لَاوي بن يَعْقُوب عليه السلام، وُيقال : مُوسى بْنُ عِمْرَانَ بْنُ قَاهِث بن عازر بن لاوي بن يَعْقُوب-عليه السلام- (٩) .

---

(١) الغرقد : هو: ضرب من شجر العِضاة وشجر الشَّوك، والغرقدة : واحدته . انظـــر: النهاية في غريب الحديث والأثر . للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجـــزري ابن الأثير . تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٣/٣٦٢ ط:٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار الفكر .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الفتن وأشراط الساعة) باب (لا تقوم الساعة حتى يمر...) ٨/١٨٨ . (٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الفتن وأشراط الساعة) باب: (في بقية من أحاديث الدجال) ٨/٢٠٧ . (٤) سورة الأعراف/١٦٧ .

(٥) تسوسهم: تأمرهم وتنهاهم وتتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه . انظر: القاموس المحيط/٧١٠ . والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٤٢١ . (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإمارة) بـــاب: (الأمر بالوفـــاء) ٦/١٧ . (٧) يوسف/٦ . (٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الفضائل) باب (من فضائل يوسف) ٧/١٠٣ . (٩) أنظر: تاريخ الرسل والملوك ١/٣٨٥ والبداية والنهاية ١/٢٣٧ . والكامل في التاريخ ١/١٦٩ .

* أصبهان : هي: مدينة عظيمة مشهورة، من أعلام المدن وأعيانها ،ويسرفون في وصف عظمتها ،وأصبهان إسم الإقليم بأسره من بلاد فارس. وسميت بذلك نسبة الى أصبهان ابن فلوج بن لنطى بن يونان بن يافث. ويقال: إن أصبهان صحيحة الهواء ،نقيـــة الجو ،خالية من جميع الهوام. انظر: معجم البلدان ١/٢٠٦-٢١٠ . ومراصد الإطـــلاع على أسماء الامكنة والبقاع ١/٨٧ .

** أبو هريرة : هو:- على الراجح- عبدالرحمن بن صخر . صحابي أسلم عـــام =

قال الله تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً)) (١) . وقد أنزل الله تعالى عليه التوراة ، قال سبحانه: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (٢) .

٣) هارون أخو موسى بن عمران - عليهما السلام - :
قال الله تعالى: ((وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً)) (٣) .

٤) يُوشَعُ - عليه السلام - بن نُون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب - عليهما السلام - (٤) . وَلَمْ يُصَرَّحْ باسمِهِ في القرآنِ ، ولَكِن أُشِيرَ إليه بقولِهِ: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ...)) (٥) . والمرادُ " بالفَتَى" هُنا : يُوشَعُ ابن نُون ، كما قال رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (قَامَ مُوسَى خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ ، قَالَ : فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : إِنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، قَالَ مُوسَى : أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : احْمِلْ حُوتاً فِي مِكْتَلٍ (٦) فَحَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ ، فَانْطَلَقَ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُون ...) (٧) الحديث .
وقال رسولُ الله - صلى اللهُ عليه وسلم -: (إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ) (٨) ، وقال رسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم -: (غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ... فَقَالَ لِلشَّمْسِ أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئاً ، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...) (٩) الحديث .
وهذانِ الحديثانِ يَدُلانِ عَلَى نبوةِ يُوشع - عليه السلام -.

= خيبر وشهد الغزوة ، ثم لزم الرسول وواظب عليه رغبة في العلم، وقد شهد له الرسول بذلك . كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له . توفي بالمدينة سنة ٥٧هـ وقيل : ٥٨ ، ٥٩هـ عن ٧٨ سنة . انظر: الإستيعاب ١٧٦٨/٤ - ١٧٧٢ رقم (٣٢٠٨) . والإصابة ٤٢٥/٧-٤٤٥ رقم (١٠٦٧٤) والخلاصة ٢٥٢/٣ رقم (٥٢٩) .

(١) سورة مريم/٥١ . (٢) سورة القصص /٤٣ .
(٣) سورة مريم/٥٣ .
(٤) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٤٣٥/١ . والبداية والنهاية ٣١٩/١ . والكامل في التاريخ ٢٠٠/١ .
(٥) سورة الكهف /٦٠ .
(٦) مكتل : هو: الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا ويجمع على مكاتل . انظر: القاموس المحيط/١٣٥٩ . والنهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٠/٤ .
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الفضائل) باب: (من فضائل الخضر) ١٠٣/٧-١٠٥ .
(٨) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده المعروف بـ: (مسند أحمد) . وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣٢٥/٢ . المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر . وقال الحافظ ابن كثير عن الحديث: "وهو على شرط البخاري" . انظر: البداية والنهاية ٢١٣/٢ .
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الجهاد والسير) باب: (تحليل الغنائم لهذه الأمة ...) ١٤٥/٥ .

٥) حِزْقِيل - عليه السلام - بن بُوذى ،ويقال بن نُورى ،المعروف بابْن العَجُوز. وهوَ صاحبُ القومِ المقصُودينَ بقولهِ-تعالى-: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ...))(١)(٢) .

٦) إِلْيَاس - عليه السلام - بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران (٣) . قالَ-تعالى-: ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ))(٤) .

٧) اليَسَعْ - عليه السلام - وقيل في نسبه هو: الأسباط بن عدى بن شولتم ابن افراثيم بن يوسف بن يعقوب ، وقيل:هو ابن عم إلياس النبي -عليه السلام-(٥) . قال تعالى:((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ))(٦) .

٨) شُمْوِيل-عليه السلام ، ويقال : أشمويل - بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا ابن عزريا (٧) .
وقدْ ذهبَ أكثرُ المفسرينَ أنَّ النبيَّ شُمْوِيل - عليه السلام - هو المقصودُ بقولهِ-تعالى-: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...))(٨)(٩) .

٩) دَاود - عليه السلام - بن إيشى،(إيشا) عند ابن كثير* وابن خلدون ، بن عويد (عوفد) عند ابن خلدون ، بن باعز (عابر) عند ابن كثير ،بن سلمون بن نخشون بن عمى نادب،(عوينادب) عند

---

(١)البقرة /٢٤٣ .
(٢)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٤٥٧/١ وما بعدها . والكامل في التاريخ ٢١٠/١، ٢١١ . والبداية والنهاية ٢/٢ وما بعدها .
(٣)انظر: تاريخ الرسل والملوك ٤٦١/١. والبداية والنهاية ٣٣٧/١. والكامل في التاريخ ٢١٢/١ .
(٤)الصافات /١٢٣ .
(٥)أنظر تاريخ الرسل والملوك ٤٦٤/١ . والبداية والنهاية ٤/٢. والكامل في التاريخ ٢١٧/١ .
(٦)الأنعام /٨٦ .
(٧)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٤٦٧/١. والبداية والنهاية ٥/٢ . والكامل في التاريخ ٢١٧/١ .
(٨)البقرة /٢٤٦ .
(٩)أنظر : البداية والنهاية ٦/٢ .

* ابن كثير : هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن الخطيب شهاب الدين أبي حفص القرشي البصروي الدمشقي الشافعي . كان عالما حافظا فقيها متفننا ، ومحدثا متقنا ومفسرا نقادا ومؤرخا كبيرا . من مصنفاته: " تفسير القرآن العظيم " و " البداية والنهاية " و " طبقات الشافعية " . ولد بأعمال دمشق سنة ٧٠١ هـ ، وتوفي يوم الخميس ٢٦ شعبان ٧٧٤ هـ . أنظر : طبقات المفسرين.للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي . تحقيق : علي محمد عمر١١٠/١ ، ١١١ ، رقم(١٠٣)ط:١(١٣٩٢هـ)،مكتبة وهبة .وشذرات الذهب في أخبار من ذهب . لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي٢٣١/٦. ط(لا يوجد) المكتب التجاري بيروت . والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق:محمد سيد جاد الحق٢٩٩/١ط(١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م)، المدني ، القاهرة .

ابن كثير ،و(عمى نوذب)عند ابن الأثير * ،و(عمينا ذاب)عند ابن خلدون ، بن حصرون بن فارض ،(بارص) عند ابن خلدون ،بن يعقوب -عليه السلام-. وقد سقط باعز عند ابن خلدون ، وزاد إرم بن حصرون ، ونسب ذلك لكتب اليهود والنصارى (١) .
قال تعالى-: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)) (٢) .

١٠) سُليمان بن داود - عليهما السلام - . قال اللهُ تعالى-: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ علما وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)) (٣) .

١١) شعيا - عليه السلام - بن أمصيا (٤) .

١٢) أرميا - عليه السلام - بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب - عليه السلام - (٥). ويُقال : إن أرميا هو المقصودُ بقولِ اللهِ تعالى-: ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ...)) (٦) (٧) .

١٣) العزير - عليه السلام - . قال فيه ابنُ كثيرٍ : " المشهورُ أنَّ عُزيراً نبيٌّ منْ أنبياءِ بَني إسرائيل كانَ فِيمَا بَيْنَ داودَ وسليمانَ، وبين زكريَّا ويَحيى "(٨) . قال اللهُ تعالى-: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ...)) (٩)، وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ،فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ(١٠)، فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ،فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ)(١١)

---

(١)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٤٧٦/١. والبداية والنهاية ٩/٢. والكامل في التاريخ ٢٢٣/١. وتاريخ ابن خلدون ١٨٢/٢ .
(٢)الإسراء / ٥٥ . (٣) النمل / ١٥ - ١٦ .
(٤)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٥٣٢/١. والبداية والنهاية ٣٢/٢. والكامل في التاريخ ٢٥٥/١ .
(٥)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٥٤٧/١ وما بعدها . والبداية والنهاية ٤٢/٢ . والكامل في التاريخ ٢٦٣/١ وما بعدها .
(٦)البقرة /٢٥٩ .
(٧)أنظر: البداية والنهاية ٤٢/٢. والكامل في التاريخ ٢٦٩/١ .
(٨)البداية والنهاية ٤٦/٢ . (٩) التوبة /٣٠ .
(١٠)جهازه : أي ما يحتاج إليه ، وقد جهزه تجهيزا فتجهز. انظر: القاموس المحيط /٦٥٢. ومختار الصحاح /١١٥.والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣٢١/١، ٣٢٢ . (١١)أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب(قتل الحيات وغيرها) باب :(النهي عن قتل النمل) ٤٣/٧ .

* ابن الأثير: هو: علي بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير ،كان إماما مؤرخا ،من العلماء بالنسب والأدب . من مصنفاته :"الكامل في التاريخ" و"أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"الجامع الكبير" . ولد سنة ٥٥٣هـ، ومات بالموصل سنة ٦٣٠هـ. أنظر: الأعلام للزركلي ١٥٣/٥. ط:٣.وطبقات الشافعية الكبرى.لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ١٢٧/٥،ط ١. المطبعة الحسينية المصرية .

فذهبَ ابنُ عباسٍ* والحسنُ البصري** وغيرُهما إلى أنهُ العُزَيْرُ (١) .

١٤) "زكريا - عليه السلام - بن برخيا - ويقال زكريا بن دان ويقال زكريا بن مسلم - بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن بلعاطة بن ناحور ابن شلوم بن بهفاشاط بن اينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود، أبو يحيى النبي-عليه السلام-من بني إسرائيل"(٢) .

قالَ اللهُ-تعالى-: ((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) (٣) ، وقالَ رسولُ اللهِ-صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ: (كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّاراً)(٤).

١٥) يَحْيَى بن زكريا - عليهما السلام - . قالَ-تعالَى-: ((فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً(٥) وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ))(٦) .

١٦) عِيسَى - عليه السلام - بْنُ مَرْيَمَ ، وتَنْتَسِبُ مريمُ إلى النبيِّ داودَ -عليه السلام-الذي يَنتسبُ لسبطِ لاوي ، ولا خلافَ في ذلكَ كما ذكرَ ابْنُ كثيرٍ (٧) .

---

(١) أنظر : البداية والنهاية ٢/٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ٢/٤٧ .

(٣) الأنعام /٨٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب:(الفضائل) باب:(من فضائل زكريا)٧/١٠٣.

(٥) وحصوراً : أي:الذي لا يأتي النساء إما لعنة أو لعفة. أنظر: المفردات في غريب القرآن/١٢٠. والقاموس المحيط /٤٨١ .

(٦) آل عمران /٣٩ .

(٧) أنظر : تاريخ الرسل والملوك١/٥٨٥. والبداية والنهاية ٢/٥٦.

* ابن عباس : هو:عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحابي جليل . حبر الأمة ، وكان فقيها عالما بالحديث والتفسير والقضاء ، وكان يسمى البحر لسعة علمه . حدث عن النبي وعن الصحابة ، وحدث عنه الصحابة والتابعون. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ،وتوفي سنة ٦٨هـ بالطائف عن ٧٠ سنة . أنظر : أسد الغابة ٣/٢٩٠-٢٩٤ رقم(٣٠٣٥). وحلية الأولياء ١/٣١٤-٣٢٩ رقم(٤٥). والإصابة ٤/١٤١-١٥٢ رقم(٤٧٨٤). والإستيعاب ٢/٩٣٣ رقم (١٥٨٨).

** الحسن البصري: هو:الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت ،وقيل:مولى جميل بن قطبة ، وقيل:غير ذلك . أعتقته الربيع بنت النضر . كان إماما كبيرا عالما عظيما زاهدا ورعا عابدا. حدث عن بعض الصحابة . له " التفسير " رواه عنه جماعة. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ،ومات في رجب١١٠هـ. أنظر:طبقات المفسرين للداودي١/١٤٧رقم(١٤٤). وحلية الأولياء٢/١٣١-١٦١رقم(١٦٩). وشذرات الذهب ١/١٣٦-١٣٨ .

قالَ اللهُ تعالى:((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...)) (١) .

وقدْ أنزلَ اللهُ عليهِ الإنجيلَ . قالَ تعالى: ((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ...)) (٢) .

وعيسى هوَ آخرُ أنبياءِ بَني إسرائيلَ لقولِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى . الأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ) (٣) .

ومنَ الجديرِ ذكرُه أنَّ الأنسابَ التي سبقَ ذكرُها ، والتي أوردَها المؤرخونَ وأجمعُوا على معظمِها هيَ رواياتٌ يَصعبُ التحققُ والتأكدُ والجزمُ بِها تماماً ، وإنمَا سُقْناهَا هنا للتعريفِ ببني إسرائيلَ - نسبهم - على غلبةِ الظنِّ بصحتِها أوْ ما يقاربُ ذلكَ . واللهُ أعلَم .

رابعا : الصفات والأعمال :

اتصفَ كثيرٌ منْ بني إسرائيلَ بصفاتٍ سيئةٍ ، وَعَملوا أعمالاً قبيحةً تُؤدي إلى الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ . وقدْ ذكرَ القرآنُ الكريمُ كثيراً منْ ذلكَ على سبيلِ العظةِ والإعتبارِ . قالَ تعالى: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ...)) (٤) . وسنذكرُ طائفةً منْ صفاتِهم وأعمالِهم على سبيلِ الإيجازِ ، تاركينَ التفصيلَ لموضوعِ الرسالةِ ، وذلكَ كما يَلي :

أ) تعرضهم لذات الله :

إذ أنهم نَسبوا إليهِ الفقرَ ، ولأنفسِهم الغِنى ، قالَ تعالى: ((لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ...)) (٥) ، بلْ ورَمَوا اللهَ عز وجل بالبخلِ ، قالَ تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ (٦) ...)) (٧) ، وذهبُوا إلى أبعدِ منْ ذلكَ فَنَسَبُوا إليهِ الولدَ، قالَ تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ...)) (٨) ، ثمَّ إنهم نَسَبوا أنفسَهم إليه ، قالَ تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...)) (٩) .

كما أنهم لمْ يَرجوا للهِ وقاراً (١٠) ، فقالُوا كما حكَى عنهم القرآنُ : ((... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)) (١١) ، ومثلُه قولُه تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...)) (١٢) .

---

(١) الصف/٦ .

(٢) المائدة/٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه .كتاب:(الفضائل)باب:(فضائل عيسى) ٧/٩٦.

(٤) يوسف/١١١.

(٥) آل عمران /١٨١.

(٦) مغلولة : أي مقيدة ،والمراد :البخل. انظر: المفردات في غريب القرآن /٣٦٣. والقاموس المحيط /١٣٤٣ .

(٧) المائدة/٦٤.

(٨) التوبة/٣٠.

(٩) المائدة/١٨.

(١٠) وقارا: رزانة وتعظيما ،والمراد :لاتخافون لله عظمة. أنظر: القاموس المحيط/٦٣٥ ومختار الصحاح/٧٣٢.

(١١) المائدة/٢٤ .

(١٢) البقرة/٥٥ .

ب) تعرضُهم لكتب اللهِ :

إذْ أنهمْ رفضُوا قَبُولَ التوراةِ حتى اضطُرُّوا إلى أَخْذِهَا بالقوةِ ، ثمَّ أعلنُوا العصيانَ ، قالَ تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ [١] خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ...))[٢] ، ثمَّ إنهمْ عَمَدُوا إلى كتابِ اللهِ فأوقعوا فيهِ التحريفَ حيثُ كتبوا فيهِ منْ عندِ أنفسِهِم مُقابلَ شيءٍ منْ حُطامِ الدنيا ، قالَ تعالى: ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ))[٣] ، ثم إنهم لَمْ يَكتَفُوا بذلكَ ، بلْ كفروا بكتبِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - ، ككفرِهم بالإنجيلِ والقرآنِ ، قالَ تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ...))[٤] .

ج) تعرضهم لأنبياء الله:

إذْ أنهم كانوا حيناً يَتَلَكَّئُونَ في تنفيذِ أوامرِ أنبيائِهم، قالَ تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ...))[٥]... الآيات ، وكانوا حيناً آخرَ يُحرِّفون كلامَ الأنبياءِ إليهم ، قالَ تعالى: ((فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الذِي قِيلَ لَهُمْ...))[٦] ، وكانوا أحياناً أُخرى لا يَسمعونَ ولا يطيعونَ لأنبيائِهم ، قالَ اللهُ تعالى: ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ...))[٧] ، وقالَ تعالى: ((قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى))[٨] .

ثمَّ إنهم تَعَرَّضوا لأنبيائِهم بأكثرِ منْ ذلكَ ، إذ أنهم آذَوْهم بالكلامِ ، قالَ تعالى: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا))[٩] [١٠] ، ثمَّ تَجَاوَزُوا أكثرَ منْ ذلكَ ، فَقتَلوا أنبياءَهم بغيرِ حقٍ ، قالَ تعالى: ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ ...))[١١] .

---

(١) الطور: جبل مخصوص، أو: إسم لكل جبل . أنظر: المفردات في غريب القرآن /٣٠٩. والقاموس المحيط /٥٥٤. ومختار الصحاح/٣٩٩.

(٢) البقرة /٩٣.

(٣) البقرة /٧٩.

(٤) البقرة /٩١.

(٥) البقرة /٦٧.

(٦) البقرة /٥٩.

(٧) المائدة /٢٤.

(٨) طه /٩١ .

(٩) وجيهاً : أي: ذو وجاهة وقدر ، وجمعها : وجهاء . انظر: المفردات في غريب القرآن/٥١٤. والقاموس المحيط/١٦٢٠. ومختار الصحاح/٧١١ .

(١٠) الأحزاب / ٦٩ .

(١١) النساء /١٥٥ .

د) تعرضهم لأنفسهم :

فقدْ كانوا يَتكَلَّمونَ في الأعراضِ ، ويأكلُ بعضُهم أموالَ بعضٍ بالباطلِ ، قالَ-تعالى-: ((لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ(١) وَالأَحْبَارُ(٢) عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ (٣)لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))(٤) ، وكانوا يُحِبُّونَ ذلكَ ، بلْ ويُسارعونَ فيهِ ، قالَ-تعالى-: ((وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ...))(٥) .

ثمَّ إنهمْ اعتدَى بعضُهم على بعضٍ بالقتلِ والتشريدِ منَ الديارِ ، قالَ -تعالى-: ((ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ...))(٦) ، بلْ وكانوا يَقتُلونَ الآمرينَ بالقسطِ منهمْ ، قالَ-تعالى-: ((إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ وَيَقْتُلُونَ الذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))(٧) .

ومنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ فِي القومِ منْ لمْ يُعدمْ صفاتِ الخيرِ والصلاحِ، ففيهم فريقٌ كانَ يَحملُ هذهِ الصفاتِ، وإنْ مَالَ هنا وهناكَ أحياناً ، قالَ -تعالى-: ((وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ))(٨) .

فمثلاً : امتثلُوا أمرَ اللهِ بقتلِ أنفسِهِم توبةً منْ عبادَتِهم العجلَ، قالَ-تعالى-: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العجل فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ(٩) فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلكم خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))(١٠) .

---

(١) الربانيون: جمع رباني ،وهو: الحكيم أو العالم أو الإلهي ، وقيل : هو لفظ سرياني . انظر: المفردات في غريب القرآن /١٨٤. والقاموس المحيط/ ١١٢ ومختار الصحاح/ ٢٢٨ .

(٢) الأحبار: جمع حبر،وهو: العالم الصالح الذي لعلومه أثر على الناس. انظر: المفردات في غريب القرآن/١٠٦.والقاموس المحيط/٤٧٢. ومختار الصحاح/١٣٠

(٣) السحت : القشر الذي يستأصل ، والمراد : ما يسحت دينهم ويستأصله . انظر: المفردات في غريب القرآن / ٢٢٥ .

(٤) المائدة/٦٣.

(٥) المائدة/٦٢ .

(٦) البقرة / ٨٥ .

(٧) آل عمران /٢١ .

(٨) الأعراف /١٥٩ .

(٩) بارئكم : من الباري،وهو مخصوص بوصف الله-تعالى-، ومعناه: الخالق . انظر : المفردات في غريب القرآن / ٤٥. وتفسير غريب القرآن . لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق:السيد أحمد صقر / ١٥،ط (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)،.دار الكتب العلمية - بيروت .

(١٠) البقرة /٥٤ .

وكذلكَ قتالُهم الجبارينَ بعدَ خروجهم منَ التيهِ ، قالَ-تعالى-: ((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ (١) فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ (٢) ...))(٣) .

وهناكَ مواقفُ أخرى وردَ ذكرُها في القرآنِ في هذا البابِ ، مثلُ موقف العلماءِ منْ قارونَ ، وممنْ تَمَنَّوا أن يَصيروا مِثْلَهُ ، قالَ-تعالى-: ((وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ))(٤) ، ومثلُ موقف أولئكَ الذينَ كانوا يَعِظُونَ الذينَ يَعْتَدُونَ في السبتِ ، قالَ-تعالى-: ((وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً (٥) إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))(٦) ... الآيات .

وعلى أيِّ حالٍ فهمْ أفضلُ عالَمِي زمانِهِم ، غيرَ أنهُ حُوِّلَ الأمْرُ بعدَهم لأمةِ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، فصارُوا بعدَ ذلكَ كفاراً إلا منْ آمنَ منهمْ بمحمدٍ ، وبما جاءَ بهِ ، وذلكَ لقولِ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)(٧) .

---

(١)القرية : هي:قرية الجبارين الواقعة في الأرض المقدسة . وسيأتي الحديث مفصلا عن ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٢)حطة : أي : حط عنا ذنوبنا . أنظر:المفردات في غريب القرآن/ ١٢٢ . والقاموس المحيط / ٨٥٥ . ومختار الصحاح / ١٤٣ .

(٣)البقرة /٥٨ .

(٤)القصص /٨٠ .

(٥)معذرة : مصدر عذرت ، كأنه قيل : نطلب من الله أن يعذرنا . انظر :المفردات في غريب القرآن /٣٢٨ .

(٦)الأعراف /١٦٤ .

(٧)أخرجه مسلم في صحيحة . كتاب:(الإيمان) باب:(وجوب الإيمان برسالة ...) ٩٣/١ .

٣- موسى : نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته

أولا : نشأته وشبابه :

أ) مولده وصباه :

وُلِدَ مُوسى - عليه السلامُ - في وسطٍ إرهابي ، حَيْثُ القهرُ والإذلالُ والتقتيلُ والإستحياءُ في قومِهِ ، وكانت غيومُ الظُلمِ والطُغيانِ والتَجبُّرِ والتَكبُّرِ تُخَيِّمُ على هذا الوسطِ ، وكانَ فرعونُ الجبَّارُ يَتَرَبَّعُ على هذهِ الغيومِ .

قَالَ-تعالى-: ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي(١) نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))(٢).

فَفِرعون استعبدَ بني إسرائيلَ وجعلَهم فِرقاً وأصنافاً في الخدمةِ ، والعبوديةِ ، يُسَخِّرُ صنفاً للبناءِ ، وآخرَ للحرثِ ، وآخرَ للحفرِ ، ومنْ لَم يُسخرهُ ضَربَ عليهِ الجزيةَ(٣) .

ثمَّ إنَّ فِرْعونَ خَشي أنْ يتكاثرَ بنو إسرائيلَ فَيَغْلبوا عليهِ ، أوْ يُعِينُوا أعداءَهُ عليهِ ، فأخذَ يُذَبِّحُ ويُقَتِّلُ مَواليدَهمْ الذكورَ ويذرُ مَواليدَهم الإناثَ . ويُقَالُ إنَّ الكهنةَ أو المنجمينَ أخبروهُ بأنَّ مولوداً يُوْلَدُ مِن بني إسرائيلَ يكونُ ذَهَابُ مُلكِهِ على يديهِ ، أوْ رأى رؤيا فَعُبِّرَتْ كذلكَ، فَحَكَمَ عليهمْ بتقتيلِ أبنائِهِمْ(٤) .

ولكنَّ اللهَ-عزَّ وجلَّ-كانَ لهُ بالمرصادِ ، فهوَ ناصرُ المستضعفينَ والمظلومين والمعذبينَ في الأرضِ، وهوَ قاهرُ الجبابرةِ والمتكبرينَ .

قَالَ-تعالى-: ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ.وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ))(٥).

فَفِي هذا الوسطِ الرهيبِ وُلِدَ مُوسَى ، وَمِنْ ثَمَّ تَعرَّضَ للقتلِ ، وَلَكِنَّ اللهَ-تعالى-جعلَ لهُ مخرجاً ، قالَ-تعالى-: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ(٦) وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ))(٧)، وَقالَ-تعالى-: ((إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا

---

(١)ويستحيي : ويستبقي . أنظر : القاموس المحيط / ٦٤٩ . ومختار الصحاح /١٩٦. والمعجم الوسيط . أخرجه : إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبدالقادر ، ومحمد علي النجار١/٢١٢ ط :(١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م).مطبعة مصر .

(٢)القصص / ٤.

(٣)،(٤)أنظر : الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١٣/٢٤٨ ط : ١ (١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤م).دار الكتب المصرية . والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٣/١٦٥ ط: الأخيرة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م).مطبعة مصطفى وعباس الحلبي وأولادهم .

(٥)القصص /٥، ٦ .

(٦)اليم: البحر. انظر: تفسير غريب القرآن/٣٢٨.والمفردات فيغريب القرآن/٥٥٢

(٧)القصص /٧ .

يُوْحَى . أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي))(١)، ثُمَّ إن موسى وَقَعَ في يدِ الفراعنةِ ، قالَ-تعالى-: ((فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ . وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ (٢) لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))(٣) ، ثمَّ إنَّ أمَّ موسى لَمْ تستطعْ على فراقِ ابْنِهَا صَبراً ، قالَ-تعالى-: ((وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً (٤) إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))(٥) ، وَأرسلَت أختَهُ في عَقبِهِ ، قالَ-تعالى-: ((وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (٦) فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))(٧)، ثمَّ إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى مُوسى المراضعَ حتَّى يُعيدَهُ لأمِّهِ، قالَ-تعالى-: ((وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ))(٨)، وقالَ-تعالى-: ((إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ...))(٩).

وَهكذا رجعَ مُوسى إلى أمهِ لِكيْ يُكملَ فترةَ الرضاعةِ عندَهَا ، قالَ -تعالى-: ((فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))(١٠) ، وقالَ-سُبحانه-: ((...فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ...))(١١) .

ثُمَّ إنَّ مُوسى أُعيدَ إلى بيتِ فرعونَ بعدَ رَضاعتِهِ ، ونَشأَ فيهِ ، وهكذا شاءَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - أنْ ينجوَ مُوسى منْ بطشةِ فرعونَ الكُبْرى ، بَلْ ويُربَّى في قصْرِهِ ؛ يَأكلُ منْ طعامِهِ ، ويَلبسُ منْ ثيابِهِ ، ويَنامُ على فراشِهِ ، ويُصبحُ ويُمسي في بيتِهِ وهوَ لا يدْرِي أنَّ هلاكَهُ عَلَى يديهِ،وهكذا قضى موسى مرحلةَ صباه كأحسنِ ما يَعيشُ أبناءُ المُلوكِ .

---

(١)طه / ٣٨ ، ٣٩ .

(٢)قرة عين: أي:هو محل سرور لنا . انظر:مفردات غريب القرآن/٣٩٨.

(٣)القصص/٨، ٩ .

(٤)فارغا :أي:فارغا من كل شيء إلا من أمر موسى.انظر:تفسيرغريب القرآن/٣١٩.

(٥)القصص /١٠ .

(٦)قصيه : أي : قصي أثره واتبعيه . غريب القرآن /٣٢٩ .

(٧)القصص /١١.

(٨)القصص /١٢.

(٩)طه /٤٠.

(١٠)القصص/١٣.

(١١)طه / ٤٠ .

ب) شبابُـه وزواجُـه :

قضى موسى مرحلةً من شبابه بعد مرحلةِ صباه في قصر فرعونَ حيث لبث في كَنفِه (١) سنين طويلةً ، قال-تعالى-: ((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)) (٢).

ثم حدثت لموسى بعد ذلك حادثةٌ خطيرة ، غيرت مجرى حياتِه كلِّها ، وحولتها من النقيضِ إلى النقيض ، ألا وهي قتلُه القبطيَّ ، والآياتُ التالية توضح هذا بصورةٍ جلية ، قال-تعالى-: ((وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ (٣) مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ . فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ (٤) مُبِينٌ . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ)) (٥).

وهكذا فشا خبر القتل في المدينة ، ومن ثم تعرض موسى للقتل ، ولكن الذي سخر له أسباب النجاة في المرة الأولى ، لم ينسه في المرة الثانية. قال - تعالى - : ((وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (٦) .

وهكذا خرجَ موسى - عليه السلام - من بلاد الظلم والطغيان والإستعباد ، إلى بلدٍ - هداه اللّه إليها - ينعم فيها بالحرية ، ويجد فيها سبلَ العيشِ الكريم ، ويُرزقُ فيها بالزوجةِ الصالحة ، وهذا المشهد

---

(١)كنفه : أي : في حرزه وستره وصيانته . أنظر : القاموس المحيط /١٠٩٩. ومختار الصحاح /٥٨٠ .

(٢)الشعراء / ١٨.

(٣)فوكزه : أي : لكزه أو لهزه أو ضربه أو دفعه أو طعنه . انظر: تفسير غريب القرآن /٣٣٠ . والقاموس المحيط / ٦٨٠ . ومختار الصحاح /٧٣٤ .

(٤)لغوي : أي : ضال ، ويجوز المراد : انك أضللتني بالأمس بقتل القبطي . أنظر : تفسير غريب القرآن /٣٣٠. والقاموس المحيط /١٧٠١. ومختار الصحاح /٤٨٥ .

(٥)القصص /١٥ - ١٩.

(٦)القصص /٢٠ ، ٢١.

توضحه لنا الآياتُ التالية ، قال تعالى : ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ(١) مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ(٢) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ(٣) الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ . فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ))(٤) .

ثانيا : نبوته ورسالته :

بعدَ أنْ وَفَّى مُوسى بأجلهِ الذي أُجِّل لهُ ، أَخَذَ أَهلَهُ وَسَارَ بِهِمْ مِنْ مَدْيَنَ * إلى مصرَ ، وفي طريقِ عودتهِ لمصرَ أكرمَهُ اللهُ سُبحانه بالنبوةِ والرسالَة ، والآياتُ التاليةُ تُوضحُ هذا المشهدَ ، قالَ تعالى : ((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ(٥) مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ(٦))) (٧) ، وقال تعالى : ((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي))(٨) ... الآيات .

---

(١) تلقاء : تجاه ، وأصلها : اللقاء . أنظر : تفسير غريب القرآن /٣٣١ . والقاموس المحيط/١٧١٦ . ومختار الصحاح/٦٠٣ .

(٢) تذودان : من الذود ،وهو : السوق والطرد والدفع والكف ، والمراد : تكفان غنمهما . أنظر : تفسير غريب القرآن /٣٣٢ . والقاموس المحيط/٣٥٩ .ومختار الصحاح/٥٢٥ . والمعجم الوسيط١/٣٣ .

(٣) يصدر : يرجع . انظر : تفسير غريب القرآن /٣٣٢ . والقاموس المحيط/٥٤٣ . والمعجم الوسيط ١/٥١٢ .

(٤) القصص /٢٢ - ٢٨ .

(٥) جذوة : قطعة ،أو جذمة ،أو قبسة . انظر: تفسير غريب القرآن/٣٣٢ . والقاموس المحيط/١٦٣٩ .

(٦) تصطلون: توقدون النار للدفئ وغيره . انظر:المفردات في غريب القرآن/٢٨٥ .

(٧) القصص / ٢٩ .

(٨) طه / ١١ - ١٤ .

* مدين : بلد على بحر القلزم ، محاذية لتبوك ، على نحو ست مراحل، وهي أكبر من تبوك ، وهي في الإقليم الثالث ، طولها إحدى وستون درجة وهي مدينة قوم شعيب ، وسميت بذلك نسبة إلى مدين إبراهيم - عليه السلام - .
انظر: معجم البلدان ٥/٧٧-٨٨ . ومراصد الإطلاع ٣/١٢٤٦ .

وبذلكَ بُعِثَ مُوسى-عليه السلام-نبـيـاً ورسولاً إلى قومِهِ ، اصطفاه مـن اللهِ وجزاءً إذ أنهُ كانَ منَ المُحسنين ، قالَ-تعالى-: ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ[1] وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) [2] ، وقالَ : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا)) [3] .

وكانتْ رسالةُ مُوسى - عليه السلام - خاصةً بقومِهِ-بني إسرائيل-، ولَمْ تَكنْ عامةً للأممِ قاطبةً كرسالةِ محمدٍ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - ، قالَ رسولُ اللهِ-صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ...) [4] الحديث .

والكتابُ الذي أنزلهُ اللهُ على موسى - وهو التوراةُ - كانَ خاصاً ببني إسرائيلَ ، وبعضُ أحكامِهِ نُسِخَتْ بواسطةِ أنبيائِهِمْ بعدَ ذلكَ .

فهذا عِيسى - عليه السلام - يَدْعُو قومَه (بني إسرائيل) إلى اللهِ، ويُحِلُّ لهمْ بعضَ ما حُرِّمَ عليهِم ، قالَ-تعالى-: ((وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ ...))[5] .

ثُمَّ نُسختْ رسالةُ موسى وعيسى - عليهما السلامُ - بعدَ ذلكَ برسالةِ محمدٍ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - ، فلا يجوزُ لأحدٍ أنْ يتبعَ غيرَ رسالةِ محمدٍ ، وَمنْ يفعلْ ذلكَ يكنْ منْ الكافرينَ .

قالَ-تعالى-: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) [6] ، وَقَالَ رسولُ اللهِ-صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) [7] .

ثالثا : مناقبه ووفاته :

أ) مناقبه وفضائلة وشمائله :

حَازَ مُوسى الكليمُ-عليه السلامُ-على مناقبَ[8] شَتَّى ، وَسَنَعْرِضُ في هذا

---

(١) أشده : أي:منتهى قوته قبل النقصان ، وقيل:هو سن الثلاثين أو ثمان وثلاثين أو ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين . انظر : تفسير غريب القرآن /٢١٥ . والقاموس المحيط/٣٧٢ ، ومختار الصحاح /٣٣٢ .

(٢) القصص / ١٤ .

(٣) مريم /٥١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب :(الصلاة) ٦٣/٢ .

(٥) آل عمران /٥٠ - ٥٢ .

(٦) آل عمران / ٨٥ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإيمان) باب:(وجوب الإيمان برسالة ...) ٩٣/١ .

(٨) مناقب : جمع منقبة،وهي : المفخرة ، وهي : ضد المثلبة . انظر: القاموس المحيط/١٧٨ . ومختار الصحاح/٦٧٤ .

المختصر طائفةً مِنْهَا ، كمَا وَرَدَتْ في القرآنِ الكريمِ والسنةِ المطهرةِ ، تاركين لهذه الرسالة التفصيلَ فيها ، وبيانُ ذلكَ كما يلي :

القسم الأول : في الدنيا :

١) النبوة والرسالة :

قالَ-تَعالى-: ((وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً))(١) ، وقَالَ-سبحانُهُ: ((قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ...))(٢) .

٢) التكليم والمناجاة :

قالَ-تَعالى-: ((... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمَا))(٣) ، وَقَالَ -سبحانَه-: ((وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً))(٤)

٣) الكتاب المنزل :

قالَ-تَعالى-: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرَاً لِلْمُتَّقِينَ))(٥) .

٤) الوجاهة :

قال-تعالى-: ((... وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهَا))(٦) .

٥) الأخ النبي الوزير هارون :

قال-تعالى-: ((وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً))(٧).

٦) الأمة العظيمة :

عن ابْنِ عباس-رضي اللهُ عنه-قالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَوْمَاً قَالَ : (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ وَرَأَيْتُ سَوَادَاً كَثِيرَاً سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ)(٨) .

٧) الصبر المتميز :

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه - قالَ : قَسَمَ النبيُّ-صلى اللهُ عليه وسلم-قَسماً فَقَالَ رَجُلٌ:لِمَنْ هَذِهِ القِسْمَةُ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَأَتَيْتُ النَبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)(٩) .

---

(١)مريم / ٥١ .

(٢)الأعراف / ١٤٤ .

(٣)النساء / ١٦٤.

(٤)مريم / ٥٢ .

(٥)الأنبياء /٤٨ .

(٦)الأحزاب / ٦٩ .

(٧)مريم / ٥٣ .

(٨)أخرجه الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي في صحيحه المسمى " صحيح البخاري" كتاب:(بدء الخلق) ٤/١٣١.ط:مصورة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول ١٣١٥هـ ، دار الفكر .

(٩)أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب(بدء الخلق) ٤/١٣٠ .

٨) الحياء المتميز :
قال رسول اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ: (إنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...) (١) الحديث .

٩) محاجة آدم :
قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى : أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ ثُمَّ تَلُومَنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ) (٢) .

١٠) المعجزة :
قال تعالى: ((قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)) (٣) ، وقال تعالى: ((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ(٤) تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى))(٥) .

١١) الأمانة :
قال تعالى: ((... إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ))(٦) .

١٢) الكرم :
قال تعالى: ((وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ))(٧) .

١٣) الحج :
عن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الأَزْرَقِ* فَقَالَ :(أَيُّ وَادٍ هَذَا فَقَالُوا هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطاً مِن الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ(٨) إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ ...) (٩) الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(بدء الخلق) ١٢٩/٤ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(بدء الخلق) ١٣١/٤ .
(٣) طه / ١٩، ٢٠ .
(٤) جناحك : إبطك ، والجناح : اليد أيضا . انظر: تفسير غريب القرآن/٢٣٣ .
(٥) طه/ ٢٢ .
(٦) الدخان/ ١٨ .
(٧) الدخان/١٧ .
(٨) جؤار : من جأر يجأر ، وهو : رفع الصوت والإستغاثة . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٣٢/١ .
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإيمان) باب:(الإسراء برسول الله ...) ١٠٥/١ .
* وادي الأزرق : بلفظ الأزرق من الألوان، ووادي الأزرق بالحجاز ، والأزرق ماء في طريق حجاج الشام دون تيماء . انظر: معجم البلدان ١٦٨/١ ومراصد الإطلاع ٦٥/١ .

القسم الثاني : في البـــرزخ (١) :

١) الصلاة في القبـــر :
قالَ رسولُ اللهِ ـصلى اللهُ عليهِ وسلمَ ـ: (أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ (٢)، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ) (٣) .

٢) السماء السادسة :
في حديثِ الإسراءِ والمعراجِ الطويلِ ، قالَ النبيُّ ـصلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ: (... فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ : مَنْ هَذَا ، قيل: جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ، قيل: مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ...) (٤)... الحديـــث .

٣) التخفيف على المسلمين :
قالَ النبيُّ ـصلى اللهُ عليهِ وسلمَ ـ: (فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى : مَاالَّذِي فُرِضَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فُرِضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ : قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ...) (٥) الحديث .

القسم الثالث : في الآخـــرة :

١) الأخذ بإحدى قوائم العرش :
قالَ رسولُ اللهِ ـصلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ: (النَّاسُ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ

---

(١) البرزخ: هو: الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى يوم البعث ، انظـــر: القاموس المحيط/٣١٨. ومختار الصحاح/٤٨. والنهاية في غريب الحديث ١/١١٨

(٢) الكثيب الأحمر : الرمل المستطيل المحدود، أو : التل من الرمل. انظـــر النهاية في غريب الحديث ٤/١٥٢. والقاموس المحيط/١٦٥. ومختار الصحاح/٥٦٣

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب :(الفضائل) باب:(من فضائل موسى) ٧/١٠٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(بدء الخلق) باب:(ذكر الملائكة) ٤/٧٧، ٧٨

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(بدء الخلق)باب:(ذكر إدريس...) ٤/١٠٧ .

فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ)[1] .

ب) وفاتـــــه :

تُوفِيَ مُوسى -عليه السلام- بعدَ أَنْ بَلَّغَ رسالةَ رَبِّهِ ، دونَ أَنْ يُفَرِّطَ بشيءٍ مِنَ الأمانةِ ، ولذلكَ أَحْيَا اللهُ ذِكرَهُ فِي الدُّنيا والآخرةِ ، وجعلَ لَهُ سلاماً فِي الأولينَ والآخرينَ ، وَدُفِنَ عليه السلامُ في الأرضِ المقدسةِ بِفلسطينَ.

قالَ رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبَّكَ . قَالَ : فَلَطَمَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا . قَالَ : فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي . قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ : الْحَيَاةَ تُرِيدُ ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ[2] ثَوْرٍ ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُوتُ . قَالَ : فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ . رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ)[3] .

قَالَ اللهُ -تعالى-: ((وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ))[4] .

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(بدء الخلق) باب:(قول الله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ...) ١٢٦/٤ .

(٢) متن : أصله: ما صلب من الأرض وارتفع ، والمراد : ظهر الثور . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٩٢/٤ . والقاموس المحيط /١٥٩١ .ومختار الصحاح / ٦١٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الفضائل) باب:(من فضائل موسى) ١٠٠/٧ .

(٤) الصافات /١١٤ - ١٢٢ .

(البـــــــاب الأول)

بيـــن موســـى وفرعـــون وحزبـــــه

الفصل الأول : بين موسى وفرعون ومـــــلإه .

الفصل الثاني : بين موسى وفرعون وسحرتـــه .

الفصل الثالث : بين موسى وفرعون وجيشـــه .

(الفصل الأول)

بين موسى وفرعون وملإه

(المبحث الأول)

إعداد موسى وتأييده

المطلب الأول : إعداده بالعلم والعبادة .
المطلب الثاني : تأييده بالمعجزات .
المطلب الثالث : تأييده بأخيه وبأمور أخرى .
المطلب الرابع : إعداده بالأسلوب والمنهج .

(المبحث الثاني)

دعوة موسى وموقف فرعون

المطلب الأول : إثبات مصداقية الرسالة .
المطلب الثاني : تبليغ الدعوة والحكم .
المطلب الثالث : موقف فرعون من موسى ودعوته .

(المبحث الأول)

(إعداد موسى وتأييده)

(المطلب الأول)

(إعداده بالعلم والعبادة)

بعدَ أنِ اصْطفى اللهُ - عز وجل - موسَى - عليه السلامُ - نبياً ورسولاً، كَلَّفَهُ - تعالى - بدعوةِ فرعونَ وملإِهِ ، وَأعدَّهُ لذلكَ ، بلْ وَأيَّدَهُ بِعِدَّةِ أمورٍ كي ينجحَ فِي دعوتِهِ ، وتفصيلُ ذلكَ كَمَا يَلِي :

أولاً : علم التوحيد :

فقدْ عَلَّمَ اللهُ - عز وجل - نبيَّه مُوسى - عليه السلامُ - أنواعَ التوحيدِ الثلاثةِ التاليةِ :

أ) توحيد الربوبية :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى[1]))[2] ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - أَيْضاً : ((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))[3] .

وتوحيدُ الربوبيةِ يُقصدُ بهِ الإقرارُ بأنَّ اللهَ - تعالى - هوَ ربُّ كلِّ شيءٍ وخالِقُهُ ورازِقُهُ ومالِكُهُ والمتصرِّفُ فيهِ كَمَا يَشاءُ ، فهوَ المُحيي والمُميتُ والنافِعُ والضَّارُ وغيرُ ذلكَ[4] .

ومما يُعضِّدُ مَا ذهبنَا إليهِ إجابةُ مُوسى لفرعونَ عندمَا سألهُ عن هذا النوعِ منَ التوحيدِ ، كما تُوضحه - لنا - هذهِ الآياتُ : ((قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى . قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))[5] ، وقولُهُ أيضاً : ((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ))[6] ... الآيات .

ب) توحيد الألوهية :

وذلكَ قولُهُ - تعالى - : ((إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي))[7] .

وتوحيدُ الألوهيةِ يُقصدُ بهِ إخلاصُ التألهِ للهِ - تعالى - في القصدِ والإرادةِ والعملِ فلا يُشرك معَ اللهِ شيءٌ في عبادَتِهِ[8] .

---

(١) طوى : قيل : هو اسم الوادي أو الأرض التي حصل فيها ، وقيل : هي إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الإجتباء فكأنه طوى عليه مسافة لو احتاج أن ينالها في الإجتهاد لبعد عليه . انظر : المفردات في غريب القرآن /٣١٣ . والقاموس المحيط /١٦٨٧ . ومختار الصحاح/٢٢٣ .

(٢) طه /١١، ١٢ . (٣) القصص /٣٠ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي . ١٢/١٤ وما بعدها ، ٣٧٦ وما بعدها . ط : (تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ) . وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص ١٧ ط لا يوجد . المكتبة السلفية .

(٥) طه/٤٩، ٥٠ . (٦) الشعراء/٢٣، ٢٤ . (٧) طه/١٤ .

(٨) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣ ، ١٥٠/٤ وما بعدها . وتيسير العزيز الحميد / ٢٠ .

ومما يُؤيدُ مَا ذهبنَا إليهِ قولُ موسَى لربهِ : ((كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا)) (١) ، ويَقصدُ - عليه السلامُ - نفسَه وأخاه هارون، ومرادُهُ إخلاصُ العبادَة للهِ .

ج) توحيد الأسماء والصفات :

وذلكَ قولُه - تعالى - : ((يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (٢) وقولُه : ((قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)) (٣) .

وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ يُقصدُ بهِ أنْ يُوصفَ اللهُ بِما وَصَفَ بهِ نفسَهُ، وبمَا وصفتهُ بهِ رسلُهُ نفياً وإثباتاً ، فَيُثْبَتُ للهِ ما أثبتهُ لنفسِهِ ، ويُنْفَي عنهُ ما نَفَاهُ عنْ نفسِهِ منْ غيرِ تمثيلٍ أوْ تكييفٍ أوْ تحريفٍ أوْ تعطيلٍ (٤) .

ومما يُعززُ مَا ذهبنَا إليهِ قولُ موسَى لربهِ مناجياً : ((إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا)) (٥) ، وقولُهُ لِفرعونَ لمَّا سألَهُ عَنِ القرونِ الأُولَى : ((قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)) (٦) .

وهكذا تَتَجَلَّى لنا الأهميةُ الكُبرى لعلمِ التوحيدِ بالنسبةِ للداعيةِ إلى الإيمانِ . ذلكَ أنَّ مدارَ الدينِ كلِّهِ على التوحيدِ ، فَمَنْ فَسدَ توحيدُهُ فسدَ كُلُّ عملِهِ بعدَ ذلكَ .

وفي ذلكَ يقولُ اللهُ - تعالى - : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) (٧) ، ويقولُ الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - عندمَا سُئلَ عنِ المُوجِبَتَيْنِ : (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) (٨) .

وإذا كانت الشرائعُ تتغيرُ منْ نبيٍ لآخرَ أوْ منْ أمةٍ لأُخرى ، فإنَّ التوحيدَ منَ الثوابتِ التي لا تتغيرُ على كلِّ الأحوالِ . فالأنبياءُ جميعاً جاءوا بتوحيدٍ واحدٍ ، فهذا نوحٌ يَدعو قومَه إلى التوحيدِ . قالَ تعالى ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...)) (٩) ، وكذلكَ هودٌ ، قالَ - تعالى - : ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) (١٠) ، وكذلكَ شعيبٌ ، قالَ تعالى : ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...)) (١١) ، وكذلكَ عيسى بنُ مريمَ ، قالَ تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وربكم فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)) (١٢) ، وغيرُ ذلكَ مِما وَرَدَ على لسانِ الأنبياءِ في القرآنِ .

---

(١) طه / ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) النمل / ٩ .
(٣) طه / ٤٦ .
(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣ ، ٥٩ . وتيسير العزيز الحميد / ص ١٩ .
(٥) طه / ٣٥ .
(٦) طه / ٥٢ .
(٧) النساء / ١١٦ .
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإيمان) باب : (من مات لا يشرك بالله ..) ١/ ٦٥ ، ٦٦ .
(٩) الأعراف / ٥٩ .
(١٠) الاعراف / ٦٥ .
(١١) الاعراف ٨٥ .
(١٢) آل عمران / ٥١ .

ولقدْ أمرنَا اللهُ بالتوحيدِ الخالصِ ، وحذرنَا منَ الشركِ في مواضعَ كثيرةٍ في القرآنِ ، منها على سبيلِ المثالِ قولُه-تعالى-في سورةِ الإسراءِ: ((لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا(١) مَخْذُولًا(٢) . وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...))(٣) .

ثانيا : علم العبادة والعمل :

عَلَّمَ اللهُ-تعالى- موسَى أنَّ العبادةَ لا تصرفُ إلا لهُ-سبحانه- وأمَرَهُ بذلكَ فقالَ : ((... فَاعْبُدْنِي ...))(٤) ، ثمَّ ذكرَ أهمَّ العباداتِ بقولِهِ: ((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي))(٥) ، وأشارَ إلى العبادةِ بصورةٍ عامةٍ بقولِهِ: ((اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي))(٦) .

وقدْ ناجَى مُوسى-عليه السلام-ربَّهَ بذكرِ عَزمِهِ على العبادةِ قائلاً: ((كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا))(٧) .

والعبادةُ التي علَّم اللهُ مُوسَى هيَ التي مِنْ أجلِهَا خُلقَ الجنِ والإنسُ، فكانَ موسى أحقَّ بِهَا مِنْ غيرِهِ لأنَّهُ هُوَ المُصطَفى والمُجْتَبى ، قالَ تَعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))(٨) .

وهكذَا تتضحُ لنَا أهميةُ العبادةِ وضَرُورَتُهَا للداعيةِ إلى اللهِ، فالعبادةُ تُمثلُ شِعَارًا وَعُنْوانًا لمصداقيّةِ الداعيةِ .

فيجبُ إذاً على الداعيةِ أنْ يلتزمَ ما يدعو الناسَ إليهِ مِنَ الإيمانِ والإيمانُ هوَ ما انبثقَ مِنَ القلبِ في صورةِ عملٍ صالحٍ . وذلكَ حتَّى لا يقعَ عَلَيْهِ قولُهُ-تعالى-: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))(٩) ، أوْ قولُهُ-صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ(١٠) أَقْتَابُهُ(١١) فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلَانُ ! مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ)(١٢) .

---

(١) مذموما : من ذمه يذمه فهو مذموم وذميم. انظر : المفردات في غريب القرآن /١٨١. والقاموس المحيط /١٤٣٤.

(٢) مخذولا : أي: مهزوما لا ناصر له ولا معين. انظر: المفردات في غريب القرآن /١٤٤. والقاموس المحيط/١٢٨٢. ومختار الصحاح/١٧١ .

(٣) الإسراء/ ٢٢ ، ٢٣ .
(٤)، (٥) طه / ١٤ .
(٦) طه/ ٤٢ .
(٧) طه/ ٣٣ ، ٣٤ .
(٨) الذاريات / ٥٦ .
(٩) الصف / ٢ ، ٣ .

(١٠) فتندلق: فتخرج باندفاع. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٠/٢. والقاموس المحيط /١١٤١ .

(١١) أقتابه : أمعاؤه . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١١/٤. والمعجم الوسيط ٧٢٠/٢ .

(١٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: (بدء الخلق) باب: (صفة النار وأنها مخلوقة) ٩٠/٤ .

ثالثا : علم الخاتمة والعاقبة :

وذلك قوله-تعالى-لموسى : ((إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)) (١) .

فَهُنا عَلَّمَ اللهُ موسى أَمْرَ الساعةِ ، وبَيَّنَ لهُ أنها آتيةٌ لا محالةَ ،وذلك لِتُحاسَبَ كلُّ نفسٍ بما سَعتْ في دُنياها .

ثمَّ إنه-تعالى-حَذَّرَ مُوسى مِنَ الكفرةِ الذينَ يَصُدُّونَ عنِ الساعةِ وعنِ الإيمانِ بها ، أُولئكَ المتبعينَ لأهوائِهم،فحذرهُ منهمْ حتى لا يهلكَ معهم فتكونَ عاقبتُهُ خسراً .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أنَّ العلمَ بالخاتِمَةِ والعاقبَةِ مِنَ الأشياءِ المهمةِ في حياةِ الداعيةِ ، وذلكَ لأنَّ فيها مصيرَ الإنسانِ ونتيجةَ ما قدَّمَهُ منْ عملٍ ، بالإضافةِ إلى مأواهُ الأخيرِ،إما إلى الجنةِ أوْ إلى النارِ .

وهذا العلمُ يَتمثلُ في معرفةِ علاماتِ الساعةِ الصُغرى والكُبرى ، ومَا يَحدثُ للناسِ وللكونِ منْ تقلباتٍ يومَ القيامةِ ، بالإضافةِ إلى البعثِ والنشورِ والحشرِ والعرضِ على اللهِ والحسابِ والميزانِ وتطايرِ الصحفِ والصراطِ ، ثُمَّ دخولِ الجنةِ أوِ النارِ ، وما إلى ذلكَ .

وهذا العلمُ مِنَ المرغباتِ والمُحفزاتِ للأعمالِ الصالحةِ ، وهوَ أيضاً مِنَ المُرهباتِ مِنَ المعاصي بحيثُ يَجعل النَّاسَ يقلعونَ عن المعاصِي ، ويُدبرونَ عَنِ الدُنيا ، ويُقبلونَ على اللهِ .

ولأهميةِ هذا العلمِ للمؤمنينَ وردَ ذكرُهُ كثيراً في القرآنِ مجملاً ومفصلاً ، ومثالُ ذلكَ قولُه-تعالى-: ((الْقَارِعَةُ (٢) . مَاالْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٣) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٤) الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)) (٧) ، وكذلكَ في السنةِ النبويةِ المطهرةِ ، ومثالُ ذلكَ قولُ رسولِ اللهِ-صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِم)(٨)، وقولُه أيضاً : (إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ) (٩).

---

(١) طه /١٥ ، ١٦ .
(٢) القارعة :القيامة ،لأنها تقرع الخلائق بشدتها وأهوالها . انظر: تفسير غريب القرآن/٥٣٧ . والقاموس المحيط/٩٦٩. ومختار الصحاح/٥٣١ .
(٣) المبثوث: المنتشر . انظر: تفسير غريب القرآن/٥٣٧. والقاموس المحيط /٢١١. ومختار الصحاح/٤٠ .
(٤) العهن : الصوف المصبوغ الملون . انظر: تفسير غريب القرآن/٥٣٧. والقاموس المحيط /١٥٧٢. ومختار الصحاح /٤٦٠ .
(٥) المنفوش : من النَّفش ، وهو : نشر الصوف . انظر: المفردات في غريب القرآن /٥٠٢. والقاموس المحيط/٧٨٤. ومختار الصحاح/٦٧٣ .
(٦) " أي النار له كالأم يأوي إليها " . تفسير غريب القرآن/٥٣٧ .
(٧) القارعة /١-١١ .
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(صفة القيامة والجنة والنار) باب:(في صفة يوم القيامة ..) ٨/١٥٨ .
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(صفة القيامة والجنة والنار) باب:(أول زمرة تدخل الجنة ...) ٨/١٤٦ .

وهكذا يَتجَلَّى لنا من خلالِ هذا المطلبِ أهميةُ العلمِ والعبادةِ للداعيةِ ودَورُهُما في الصراعِ الإيمانيِّ .

فالعلمُ مهمٌ ولا غِنى عنهُ للداعيةِ إلى الإيمانِ لقولِهِ تعالى: ((... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) (١) .

فعلى الداعيةِ للإيمانِ أنْ يُحَصِّلَ العلمَ الكافي لإظهارِ الحقِّ وإزهاقِ الباطلِ عنْ حقٍ وجدارةٍ . فلا يأمرَ بمنكرٍ ولا ينهَى عنْ معروفٍ لضعفِهِ العلميِّ أوْ جهلِهِ ، ولا يخاطبَ الناسَ إلا على قدرِ عقولِهم ، وذلكَ بمعرفتِهِ لمقاصدِ الشريعةِ كما قالَ تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...)) (٢) .

وهَكذا يَترتبُ على الداعيةِ أنْ يتعلمَ أولاً ، ثمَّ يَعبدَ اللهَ بما علمَ ثانياً ، ثمَّ يَدعو للإيمانِ ثالثاً .

فإذا تَحققتْ هذهِ الأمورِ في الداعيةِ للإيمانِ ، فإنهُ يَكونُ قدْ أُعِدَّ إعداداً جيداً لِخوضِ الصراعِ الإيمانيِّ . ومِنْ ثَمَّ سَيَكونُ نجاحُهُ حتماً دونَ شكٍ .

ومنْ هنا يَكونُ على قدمِ الأنبياءِ ، بلْ ومنْ ورثةِ الأنبياءِ .

(المطلب الثاني)

(تأييده بالمعجزات)

إنَّ المعجزةَ آيةٌ ودليلٌ وبرهانٌ مِنَ اللهِ على صدقِ النبيِّ ، وصدقِ دعوتِهِ ورسالتِهِ ، لذلكَ كانت تحدياً للجنِّ والإنسِ على أنْ يأتوا بمثلِها .

وقد أيدَ اللهُ تعالى موسَى بمعجزتينِ لخوضِ الصراعِ الإيمانيِّ ، وفيما يلي تفصيلُ ذلكَ :

أولا : معجزة العصا :

وذلكَ قولُه تعالى: ((قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)) (٣) ، وقولُه : ((وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ)) (٤) ، وقولُه : ((فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)) (٥) .

ففي هذهِ الآياتِ الكريمةِ تَظهرُ ثلاثةُ أوصافٍ لعصا موسَى بعدَ إلقائِهِ لَهَا : وصفُ الحيةِ ، والجانِّ ، والثعبانِ .

---

(١) الزمر / ٩ .
(٢) النحل / ١٢٥ .
(٣) طه / ١٩، ٢٠ .
(٤) القصص / ٣١ .
(٥) الأعراف / ١٠٧ والشعراء / ٣٢ .

والحيةُ تُطلقُ علَى الكبيرِ والصغيرِ والذكرِ والأُنثى ، والجانُّ يُطلقُ علَى نَوْعٍ صغيرٍ مِنَ الحياتِ في خفةِ حركةِ الجانِّ ، وأَما الثعبانُ فهوَ الذكرُ الضخمُ مِنَ الحياتِ (١) .

وقدْ جمعَ الزَّجَّاجُ* بينَ هذهِ الأوصافِ بقولِهِ : إِنَّهَا كَانَتْ فِي عِظَمِ الثعبانِ في الخلقةِ ، وفي خفةِ الجانِّ في الحركةِ (٢) . وقدْ تَبِعَهُ في ذلكَ الخَازِنُ **(٣) وابْنُ كثيرٍ (٤) وغيرُهم .

وقدْ جمعَ أبو الفَرَجِ الجَوْزِيُّ*** بينَ هذهِ الأوصافِ بقولِهِ : " إِنَّ صفتَهَا بالجانِ عبارةٌ عنِ ابتداءِ حالِهَا ، وبالثعبانِ اخبارٌ عَنِ انتهاءِ حالِهَا ، والحيةُ اسمٌ يقعُ على الصغيرِ والكبيرِ والذكرِ والأنثَى "(٥) .

والجمعُ الأولُ أَولى لأنَّ المعجزةَ فيهِ أبلغُ . واللهُ أعلمُ .

ووجوهُ الإعجازِ واضحةٌ في معجزةِ العصَا ، وتفصيلُ ذلكَ كما يَلي :

١) تَحويلُ العصَا مِنْ شيءٍ جامدٍ وساكنٍ وميتٍ إلى شيءٍ لينٍ ومتحركٍ وحيٍ .

٢) تحويلُ العصَا مِنْ شيءٍ معدومِ الجوارحِ لا مَعْلَمَ فيهِ إلى شيءٍ كاملِ الخلقةِ والجوارحِ .

---

(١) أنظر : لسان العرب ١٦/٢٥٠ . والقاموس المحيط/٨٠، ١٦٤٩ . والمحكم والمحيط الاعظم ٢/٧٠ ، ٣٠٥/٣ .

(٢) أنظر : زاد المسير في علم التفسير . أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ٥/٢٨٠ ط: ١ المكتب الإسلامي . ولسان العرب ١٦/٢٥٠ .

(٣) أنظر : لباب التأويل في معاني التنزيل . علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ٣/٢١٧ ط: لا يوجد . بيروت .

(٤) أنظر : تفسير القرآن العظيم . الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٣/١٤٥ ط: لا يوجد . دار إحياء الكتب العربية .

(٥) أنظر زاد المسير ٥/٢٨٠ .

* الزجاج : هو: إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحق الزجاج . كان فاضلا متديناً عالماً أخذ عن المبرد وعن ثعلب . ومن تصانيفه : " معاني القرآن " و " الإشتقاق " و " مختصر النحو " و " تفسير جامع النطق " . مات ببغداد في جمادى الآخرة ٣١١هـ عن ٧٠ سنة . وآخر ما سمع عنه : اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل . أنظر : طبقات المفسرين للداودي ١/٧ - ١٠ رقم(١٠) . والبداية والنهاية ١١/١٤٨ . وبغية الوعاة ١/٤١١ . وتاريخ بغداد ٦:٨٩ . وشذرات الذهب ٢/٢٥٩ .

** الخازن : هو: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن البغدادي الصوفي . كان من أهل العلم ، جمع وألف وحدث ببعض مصنفاته التي منها : " التأويل لمعالم التنزيل " و " شرح العمدة " . ولد ببغداد ٦٧٨ هـ ، وتوفي بحلب آخر رجب ، أواشعبان ٧٤١هـ .
أنظر : طبقات المفسرين للداودي ١/٤٢٢ ، ٤٢٣، رقم (٣٦٧) . والدرر الكامنة ٣/١٧١ رقم (٢٨٥) . وشذرات الذهب ٦/١٣١ . والأعلام للزركلي ٥/ط٢.

*** أبو الفرج بن الجوزي : هو: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج . علامة عصره في التاريخ والحديث . له نحو : ثلاث مائة مصنف ، منها : " زاد المسير في علم التفسير " و " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " و " مناقب بغداد " . ولد ببغداد ٥٠٨ هـ ، وتوفي فيها ٥٩٧ هـ .
أنظر : الأعلام للزركلي ٤/٨٩ ، ٩٠ ط٣ . والبداية والنهاية ١٢/٢٨ .

٣) تحويلُ العَصا مِنْ شيءٍ صمٍ[١] لا يَقْبَلُ دُخُولَ غيرِهِ فيهِ إلى شيءٍ يَبْتَلِعُ غيرَهُ داخِلَهُ .

٤) تحويلُ العَصا إلى ثعبانٍ ثُمَّ إلى عَصا ثمَّ إلى ثعبانٍ وَهَكَذَا ، وَاقْتِرانُ ذلكَ بِموسَى .

٥) إنَّ هذا الثعبانَ سويُّ الخِلْقَةِ بَيِّنٌ لَا لَبْسَ فيهِ ، بَلْ من يراه يَرْهَبُهُ .

٦) إنَّ هذَا الثعبانَ مُمَيَّزٌ ، جَمعَ بينَ الضخامَةِ في الجثةِ ، والخفةِ في الحركةِ كالجانِّ .

ثانيا : معجزة اليد :

وذلكَ قولُه-تعالى-: ((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ[٢] تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى))[٣]، وقولُه : ((اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ...))[٤]، وقولُه : ((وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ))[٥] .

فَفِي هذهِ الآياتِ الكريمةِ تَتَجَلَّى المعجزةُ الثانيةُ التي تتمثلُ في إدخالِ مُوسى-عليه السلامُ-يَدَهُ في جيبهِ ثمَّ نَزْعِهَا ، فَتَخْرُجُ بيضاءَ من غيرِ برصٍ كمَا ذهبَ الطَبَرِيُّ * [٦] وغيرُهُ .

وذهبَ الزَّمَخْشَرِيُّ ** إلى أنَّ (لِلنَّاظِرِينَ) تَتعلقُ بـ (بَيْضَاءُ) والمَعنى : فَإِذا هيَ بيضاءُ للنَّظارةِ ، وَلا تكونُ بيضاءَ للنظارةِ إلا إذا كانَ بياضاً عجيباً خارجاً عَنِ العادةِ ، يجتمعُ عليهِ النَّاسُ للنظرِ إليهِ كما تَجتمعُ

(١) صم : الصلب المُصْمَت . أنظر: القاموس المحيط/١٤٥٩ .
(٢) جناحك : مفرد جوانح ، وهي : الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر ، والمراد : جيبك . أنظر : تفسير غريب القرآن / ٢٧٨ . والقاموس المحيط /٢٧٦ . ومختار الصحاح/ ١٩٣ .
(٣) طه / ٢٢ .
(٤) القصص / ٣٢ .
(٥) الشعراء/ ٣٣ ، والأعراف / ١٠٨ .
(٦) أنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٠/٧٤ ط : ٢. مصطفى الحلبي .

* الطبري : هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآمليّ الطبريّ أبو جعفر . محدث ثقة صادق وفقيه ومفسر ومؤرخ وعالم زاهد . من مصنفاته : كتاب التفسير " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " وكتاب التاريخ : " تاريخ الرسل والملوك". ولد بآمل طبرستان عام ٢٢٤ هـ ، وتوفي ببغداد ليومين بقيا من شوال عام ٣١٠ هـ . أنظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٦- ١١٤ رقم (٤٦٨). وتاريخ بغداد٢/١٦٢. وشذرات الذهب٢/٢٦٠. ولسان الميزان للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٥/١٠٠ ط :٢ (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م) مؤسسة الأعلمي بيروت . وطبقات المفسرين . لجلال الدين السيوطي ٣٠/٠ رقم (٩٣) ط : (ليدن ١٨٣٩ م) .

** الزمخشري: هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي. نحوي لغوي معتزلي مفسر ، يلقب بجار الله لمجاورته بمكة زمانا . من مصنفاته : " الكشاف عن حقائق التنزيل.."و " الفائق في غريب الحديث " و " أساس البلاغة " . ولد في رجب سنة ٤٦٧هـ بزمخشر من قرى خوارزم ، ومات ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ . أنظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٣١٤-٣١٧رقم (٦٢٥). وطبقات المفسرين للسيوطي/٤٨ رقم(١٢٧). وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/٢٧٩ ط: ١ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

النظارةُ للعجائبِ (١) . وتَبِعهُ في ذلكَ الرَّازِيُّ*(٢) وَالنَّسَفِيُّ**(٣) وغيرُهما.

ووجوهُ الإعجازِ واضحةٌ في آيةِ اليدِ ، وتفصيلُ ذلكَ كما يَلي :

١) تحويلُ لَوْنِ اليدِ مِنَ الأسمرِ إلى الأبيضِ بمجردِ ضمِّها للجناحِ وَنَزْعِهَا ، ذلكَ أنَّ مُوسى-عليه السلام-كانَ آدمَ ، كَما قالَ رسولُ اللهِ-صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-: (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، مُوسَى ، رَجُلاً آدَمَ(٤) طُوَالاً جَعْدَاً(٥) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ(٦) ،...) (٧) .

٢) إنَّ هذا البياضَ لا عيبَ فيهِ ولا برصَ .

٣) إنَّ هذا البياضَ جميلٌ وعجيبٌ ، يُعجبُ النظارَ ، بلْ ويَجتمعونَ عليهِ ، فَكأنَّهُ بياضٌ نُورَانِيٌّ .

٤) تحويلُ لَوْنِ اليدِ إلى أَبْيَضَ ثمَّ إلى أَسْمَرَ ثمَّ إلى أَبيضَ وهكذا. واقترانُ ذلكَ بِمُوسى فقطْ .

٥) تَعَلُّقُ المعجزةِ هذهِ بذاتِ موسى ، فاليدُ يدُ موسَى ، والجَناحُ جَناحُ موسَى ، والضمُّ والنزعُ مِنْ موسى وهذا بخلافِ معجزةِ العَصَا .

وبالمقارنةِ بينَ المعجزتينِ يَتضحُ لنا أنَّ معجزةَ العَصَا أعظمُ اعجازاً منْ معجزةِ اليدِ ، وذلكَ للأسبابِ الآتيةِ :

١) إنَّ وجوهَ الإعجازِ في العصَا أكثرُ وأبلغُ مِنها في اليدِ كما فصَّلنا .

٢) إنَّ معجزةَ العَصَا كانتْ قَبْلَ اليدِ في الإعطاءِ مِنَ اللهِ ، وفي الإظْهَارِ أَمامَ الباطلِ .

٣) إنَّ معجزةَ العَصَا هِيَ التي قَهَرَتْ فِرعونَ وحزبَهُ بالدرجةِ الأُولى .

٤) إنَّ تَحَدِّي فِرعونَ وسحرتِهِ كانَ لمعجزةِ العَصَا بالدرجةِ الأُولَى .

---

(١) انظر : الكشاف ٢/١٠٢ .

(٢) انظر: التفسير الكبير . الفخر الرازي ١٤/١٩٦ ط:١ المطبعة البهية .

(٣) انظر : تفسير النسفي . أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ٢/٦٨ ط : لا يوجد . دار إحياء الكتب العربية .

(٤) أدم : تجمع : أدمان ،وهو الأسمر: من الناس . أنظر : مختار الصحاح /١٠، والقاموس المحيط /١٣٨٩ .

(٥) جعداً : أي:ذو شعر جَعْد ، وهو : خلاف الشعر السبط ، أو : شديد الأسر والخلق . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٧٥. والقاموس المحيط /٣١٨. ومختار الصحاح/١٠٥ .

(٦) شنوءة : إسم قبيلة سميت لشنآن بينهم ، وهي : قبيلة أزد شنوءة ، وتمثل بطنا من قبيلة أزد الكبيرة ، والشانيء: المبغض . انظر : القاموس المحيط /٥٥ . ومختار الصحاح/ ٣٤٨ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب:(بدء الخلق) باب:(إذا قال أحدكم..) ٤/١٤.

* الرازي : هو: محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن علي الشهير بفخر الدين الرازي . كان مفسرا متكلما زاهدا ، وكان إمام وقته في العلوم العقلية وأحد الأئمة في العلوم النقلية . وكان إمام الأحناف - أتباع مذهب أبي حنيفة - في عصره . من مصنفاته : " التفسير الكبير " و " شرح الأسماء الحسنى" . ولد سنة ٥٤٣هـ ،وتوفي بهراة في ٧ ذي الحجة سنة ٦٠٦ هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٥٥ رقم (٥٠). والبداية والنهاية ١١/٢٩٧ . وتاريخ بغداد ٤/٣١٤، ٣١٥ . وتذكرة الحفاظ . لأبي عبدالله شمس الدين الذهبي ٣/٩٥٩ . ط : ٧ دار إحياء التراث العربي . بيروت . والأعلام للزركلي ١/١٧١ ط:٣ .

** النسفي : هو: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات ، حافظ الدين . فقيه حنفي مفسر . من مصنفاته : " مدارك التنزيل " في التفسير و " كنز الدقائق " في الفقه و " المنار " في أصول الفقه . ولد سنة ٦١٠ هـ ، وتوفي سنة ٧٠١ هـ ، وقيل: ٧١٠ هـ .
انظر : الأعلام للزركلي ٤/١٩٢ ط:٣ والدرر الكامنة ٢/٣٥٢ رقم (٢١١٨).

٥) إنَّ مُعجزةَ العصَا تَعلَّقت بِها أُمورٌ أُخرى هامةٌ في الصراعِ الإيمانيِّ، كَشقِّ البحرِ كما قالَ تعالى-: ((فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ(٢) الْعَظِيمِ))(٢) .

وكضربِ الحجرِ لتفجيرِ الماءِ ، كمَا قَالَ تعالى-: ((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ...)) (٣) .

وقدْ أعانَ اللهُ-عزَّ وجلَّ-موسَى-عليهِ السلامُ-وأيَّدهُ وسلَّحهُ بهاتينِ المعجزتينِ لخوضِ الصراعِ الإيمانيِّ مَع فرعونَ وحزبِهِ كمَا قالَ تعالَى: ((...فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))(٤) .

ومنْ خلالِ هذا المطلبِ يَتبينُ-لنَا-أنَّ المعجزةَ تُعتبرُ مَعلماً مهماً مِنْ معالمِ الصراعِ الإيمانيِّ ، إلا أنَّ هذَا المعلمَ خاصٌّ بالأنبياءِ والرسلِ - عليهم السلامُ - كَما هوَ معلومٌ . ولكنَّ اللهَ - تعالى - قدْ يُؤيدُ أتباعَ الأنبياءِ والرسلِ بأمورٍ خارقةٍ للعادةِ في صراعِهِم الإيمانيِّ ، إلا أنَّ هذهِ الخوارقَ لا تصلُ إلى درجةِ المعجزةِ التي اختصَّ بِهَا الأنبياءُ .

ومثالُ ذلكَ : تأييدُ اللهِ للمؤمنينَ بالملائكةِ وبالأمنِ والنُعاسِ وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِ أعدائِهم في غزوةِ بدرٍ ، وذلكَ قولُهُ : ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)) (٥)، وقولُهُ: ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ(٦) وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ . إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)) (٧) .

وَمثالُ ذلكَ أيضاً مَا حدثَ في غزوةِ الأحزابِ مِنْ تأييدِ المؤمنينَ بالريحِ وبجنودٍ لَمْ يَرَوْهَا، وذلكَ قولُهُ : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)) (٨) .

وَمِنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ المُتتبعَ لكتبِ السنةِ والتاريخِ الإسلاميِّ يَجدُ خوارقَ كثيرةً أيَّدَ اللهُ بِهَا المؤمنينَ في صراعِهِم الإيمانيِّ ، لاسيَّما في الغزواتِ والحروبِ سواءً أكانتْ في معارك الفتحِ الإسلاميِّ أوْ فيما بعدَهُ .

وَينبَغِي على الداعينَ إلى الإيمانِ أنْ يُقَوُّوا صِلَتَهُمْ باللهِ ، وذلكَ بامتثالِ أوَامِرَهُ ، وباجتنابِ نواهيهِ ، وبالإكثارِ منَ الباقياتِ الصالحاتِ، حتَّى يؤيدَهم اللهُ بمثلِ تلكَ الخوارق في صراعِهِم الإيمانيِّ .

---

(١)كالطود العظيم : الجبل العظيم أو:العالي . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤١/٣ . والقاموس المحيط /٣٧٨. ومختار الصحاح/٣٩٩.
(٢) الشعراء /٦٣ . (٣) البقرة / ٦٠.
(٤) القصص /٣٢ . (٥) الأنفال / ٩ .
(٦)رجز الشيطان : الرجز هو:القذر ،وهنا : كناية عن الشرك والآثام والضلال. انظر : المفردات في غريب القرآن / ١٨٨ . والقاموس المحيط /٦٥٧ . ومختار الصحاح /٢٣٤ .
(٧)الأنفال /١١، ١٢ .
(٨)الأحزاب / ٩ .

(المطلب الثالث)

(تأييده بأخيه وبأمور أخرى)

كَانَ مُوسى-عليهِ السلامُ-يَعلمُ عِظَمَ مَا هوَ مُقدمٌ عليهِ ، فهوَ سَيَدخلُ في صراعٍ إيمانيٍّ معَ جبابرةِ الأرضِ الذينَ طَغوا في البلادِ ، ولذلكَ سألَ اللهَ-عزَّ وجلَّ-خمسةَ أشياءَ تُعينهُ في صراعِهِ الإيمانيِّ ، وهذهِ الأشياءُ وقعَ ذِكرُهَا في سورةِ طهَ والقصصِ والشعراءِ ، وتفصيلُ ذلكَ كَما يَلِي :

أولاً : شرح الصدر :

وذلكَ قولُه-تعالى-: ((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)) (١) وقولُه، ((وَيَضِيقُ صَدْرِي ...)) (٢) .

فقدْ خَشيَ-عليهِ السلامُ-ضِيقَ الصدرِ إذا مَا كذَّبهُ فِرعونُ وملأهُ ، ولعلَّهُ ظنَّ أنَّ هَذا سَيَحِدُّ مِنْ تَبليغِ دعوتِهِ ، ومِنْ هُنا شَكَا إلى اللهِ ضِيقَ الصَّدْرِ (وَيَضِيقُ صَدْرِي ...) ، ثُمَّ إنهُ سألَهُ-تَعالى-وهوَ الرحمنُ شرحَ الصدرِ (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) والمرادُ : " أي وَسِّعْهُ ونَوِّرْهُ بِالإيمانِ والنبوةِ "(٣) .

ثانيا : تيسير الأمر :

وذلكَ قولُهُ-تعالى-: ((وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)) (٤) .

فقدْ عَلمَ-عليهِ السلامُ-أنَّ أمرَهُ عظيمٌ ، ذلكَ أنهُ سَيُواجِهُ جَباراً وطاغيةً يَزعمُ الألوهيةَ ، بَلْ ولَهُ مَلأٌ وجيشٌ ودَوْلَةٌ تحتَ تَصرفِهِ ، ولذلكَ أيْقَنَ بأنَّ هذا الأمرَ لنْ يتمَّ إلا بتيسيرِ اللهِ لهُ ، ذلكَ أنهُ غايةٌ في الصعوبةِ ومنْ هُنا سألَ اللهَ قائلاً : (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) وَالمعنى : " أيْ سَهِّلْ علَيَّ مَا أمرتَني بهِ مِنَ الرسالةِ إلى فرعونَ "(٥) .

ثالثا : حل عقدة اللسان :

وذلكَ قولهُ-تَعالى-: ((وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)) (٦) وقولُهُ : ((... وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ...)) (٧)، وقولُه : ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ...)) (٨) .

كانَ-عليهِ السلامُ-يُقدرُ نفسَه حقَّ قدرِهَا ، ولذلكَ لَمَّا خَشِيَ حبسةَ لسانِهِ عندَ الدعوةِ (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي)-حيثُ كانَ في لسانِه ثِقَلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الإنطلاقِ والإسترسالِ في الحديثِ ، وقيلَ في سببِ ذلكَ : رَتَّةٌ كَانت في لسانِهِ

---

(١) طه/ ٢٥ (٢) الشعراء/ ١٣ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٣، ط١ . (٤) طه/ ٢٦ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٣، ط١. (٦) طه/ ٢٧، ٢٨ .
(٧) الشعراء/ ١٣ . (٨) القصص/ ٣٤ .

منْ جمرةِ النارِ التي أدخلَها فاه وهوَ طفلٌ [١] ـ سألَ اللهَ أنْ يَحلُلَ عقدةً منْ لسانِهِ حتى يَفهَمُوا وَيَفْقَهُوا قَوْلَه ، ((وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)) ، بَلْ وزادَ على ذلكَ إذ سألَ اللهَ أنْ يُعضدَهُ بأخيهِ هارونَ الأفصحِ لِساناً ((وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ...)) .

رابعا : الإعانة بالأخ :

سألَ موسى-عليه السلام-ربَّه أنْ يُعينَهُ بأخيهِ هارونَ في صراعِهِ الإيمانيِّ ، فقالَ : ((وَاجْعَلْ لِّي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي)) [٢] ، بلْ وسألَه-تعالى-أنْ يَجْعَلَهُ نَبياً وَرسولاً ، فقالَ : ((... فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)) [٣] ، والمعنى : أيْ أرسل إليهِ جبريلَ بالوحيِ [٤] . وكانَ مرادُ مُوسى-عليه السلام-من الإعانةِ بهارونَ مَا يَلي :

أ) شَدُّ الأزرِ :
وذلكَ قولُه : ((اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي)) [٥] ، والمعنى : أي: ظَهري بمعنى تَتَقَوَّى بِهِ نَفْسِي [٦] .

ب) الإشراك في الأمر :
وذلكَ قولُه : ((وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)) [٧] ، أي : في النبوةِ مَعي وتبليغِ الرسالةِ [٨] .

ج) التعبد لله معا :
وذلكَ قولُه : ((كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً . وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً)) [٩] ، " قالَ مُجَاهِدٌ * : لا يكونُ العبدُ منَ الذاكرينَ اللهَ كثيراً حتى يَذكرَ اللهَ قائماً وقاعداً ومضطجعاً " [١٠] ، ومنِ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ اللهَ أمرَ موسى وأخاهُ أنْ يَذكراهُ كثيراً فقالَ لهُ : ((اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)) [١١] .

د) التعضيد بالكلام والتصديق :
وذلكَ قولُه : ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)) [١٢] ، وذلكَ لِلُّثْغَةِ التي كانت في لسانِهِ-عليه السلام- ، والمعنى المرادُ : أنَّ أخِي هارونَ أحسنُ مِني بَياناً عَنِ المرادِ ، فَأَرْسِلْهُ عوناً لِي يُبينُ لَهم عَنِّي مَا أُخاطبهمْ بهِ خشيةَ أنْ لا يُصدقوني بإرسالِي إليهم [١٣] .

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٩٣ط١ . والبداية والنهاية ١/٢٤٩ .
(٢) طه/٢٩، ٣٠ . (٣) الشعراء/١٣ .
(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣/٩٢ط١ . والكشاف ٣/١٠٧ . وتفسير النسفي ٣/١٧٩ .
(٥) طه / ٣١ . (٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٤ . ط١ .
(٧) طه/٣٢ . (٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٤ط١ . وزاد المسير ٥/٢٨٢ .
(٩) طه/٣٣، ٣٤ . (١٠) تفسير القرآن العظيم ٣/١٤٧ .
(١١) طه/٤٢ . (١٢) القصص/٣٤ .
(١٣) أنظر: جامع البيان ٢٠/٧٤ ط ٢ .

* مجاهد : هو: مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المكي ، المخزومي مولاهم. وقد اختلف في ولائه إختلافا كثيرا . وهو ثقة إمام في التفسير. حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وخلق، وحدث عنه عكرمة وقتادة وخلق. روى عنه "تفسيره" شبل بن عباد المكي . ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر ، وتوفي بمكة سنة ١٠١هـ عن ٨٣ سنة ، وقيل غير ذلك . انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٠٥-٣٠٨ رقم (٦١٧) . وتذكرة الحفاظ ١/٩٢ . وحلية الأولياء ٣/٢٧٩-٢٣١ رقم (٢٤٣) . وتهذيب التهذيب . لابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢ رقم (٦٨) ط:١ دار صادر بيروت .

وقدْ علل ـ عليهِ السلامُ ـ سُؤالَ أخيهِ بقولِهِ : ((إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا))[١] ، " أي : في إصطفائِك وإعطائِك إيانَا النبوةَ وَبعثِكَ لنَا إلى عَدوِّكَ فِرعونَ فلكَ الحَمدُ على ذلكَ "[٢] .

وقدْ أجابَ اللهُ ـ تعالى ـ سُؤالَ مُوسى هذا ، فقالَ : ((وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا))[٣] ، وقالَ : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا))[٤] .

وَهكذا يَتضحُ لنَا أهميةُ التَّعاونِ على تبليغِ دعوةِ اللهِ ، وعلى خوضِ الصراعِ الإيمانيِّ .

فالتعاونُ بينَ المؤمنينَ على خوضِ الصراعِ الإيمانيِّ لهُ فوائدُ جمةٌ ، مِنها : إظهارُ قُوةِ الصفِّ الإسلاميِّ الذي يَعجزُ الأعداءُ عن اختراقِهِ بسببِ اتحادِهِ وَتَعاوُنِهِ ، كَمَا قالَ اللهُ ـ تعالى ـ : ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ))[٥] .

وَمِنها إبعادُ شبحِ الهزيمةِ والفشلِ عنْ مُعسكرِ الإيمانِ وذلكَ بسببِ انهيارِ التعاونِ وبُروزِ التنازعِ ، كما قالَ ـ تَعالى ـ : ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...))[٦] .

وَمِنهَا تَقريبُ النصرِ وذلكَ بسببِ التعاونِ والإتحادِ والثباتِ والصبرِ ، كَما قالَ ـ تعالى ـ : ((... فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ))[٧] .

ومنهَا سترُ عوراتِ الصراعِ وذلكَ بسدِّ الثغراتِ ، وبالتخفيفِ منْ وطأةِ نقاطِ الضعفِ ، ذلكَ أنَّ المؤمنينَ يُكملُ بعضُهم بعضاً . كَما قالَ الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[٨] ، وَكما قالَ أيضاً : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[٩] .

وَلأهميةِ التعاونِ البالغةِ أمرَ اللهُ ـ تعالى ـ المؤمنينَ بالتزامِهِ ، فَقالَ : ((... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...))[١٠] ، وكذلكَ أمرَ بهِ الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَحذرَ مِنْ مَخالفَتِهِ بقولِهِ : (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...)[١١] .

بَلْ إنَّ الرَّسولَ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ حذَّرنَا مِنْ كُلِّ مَا يُؤدِّي إلى انهيارِ التعاونِ والتوافقِ فقالَ : (إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ[١٢] وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ ، كَائِنًا مَنْ كَانَ)[١٣] .

ثُمَّ إنَّ اللَّهَ ـ تَعالى ـ أعْطى مُوسَى كُلَّ مَا سألَهُ مِمَّا وَضحناهُ فِي النقاطِ الأربعةِ المَاضيةِ ، وذلكَ قولُه : ((قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى))[١٤] .

---

(١) طه /٣٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/١٤٧ .
(٣) مريم /٥٣ .
(٤) الفرقان /٣٥ .
(٥) الصف /٤ .
(٦) الأنفال /٤٦ .
(٧) الأنفال /٦٦ .
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (البر والصلة والآداب) باب : (تراحم المؤمنين وتعاطفهم ..) ٨/٢٠ .
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (البر والصلة .) باب (تراحم المؤمنين ..) ٨/٢٠ .
(١٠) المائدة /٢ .
(١١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الأقضية) باب : (النهي عن كثرة المسائل ..) ٥/١٣٠ .
(١٢) هنات : جمع هَنَة وهو : الشر والفساد . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٧٩ .
(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإمارة) باب : (حكم من فرق أمر المسلمين ...) ٦/٢٢ .
(١٤) طه /٣٦ .

خامسا : التأمين من بطش فرعون :

ذلكَ أنَّ مُوسى-عليه السلام-خَشِيَ أنْ يَبطشَ به فرعونُ قبلَ أنْ يُبلغَ دعوةَ ربِّهِ ، بحقِ قتلِهِ للقبطي ، لذلكَ شكَا موسى إلى ربِّه هذا الأمرَ قائلاً : ((وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ))(١) ، وفي آيةٍ أُخرى : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ))(٢) ، فَأمنهُ اللهُ وَأخاهُ مِنْ بَطْشِ فِرعونَ بقولهِ : ((قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ))(٣) بلْ وَوَعدَهُما الغلبةَ والنصرَ على فرعونَ ، وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ(٤) بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ))(٥) .

" وفي قولِه : (بِآيَاتِنَا) ثلاثةُ أقوالٍ . أحدُها : أنَّ المعنى : تُمْنَعَانِ منهم بآياتِنا وحُجَجِنا فلا يَصِلُونَ إليكُمَا . والثاني : أنه مُتعلقٌ بما بعدَه ، فالمعنى : بآياتِنَا أنتما ومنِ اتَّبعكما الغالبون ، أي : تَغْلِبُونَ بآياتِنَا . والثالث : أنَّ في الكلامِ تقديماً وتأخيراً ، تقديرُهُ : وَنجعلُ لكمَا سُلطاناً بآياتِنَا فلا يَصِلُونَ إليكُمَا "(٦) .

والمعنى في الأقوالِ الثلاثةِ متقاربٌ .

ثُمَّ إنَّ مُوسى-عليهِ السلامُ-كانَ يَعرفُ فرعونَ جيداً ، ذلكَ أنه رُبِّيَ في بيتِهِ ، فَعَرَفَ جَبَرُوتَهُ وَكِبْرِيَاءَهُ وَطُغيانَهُ ، حيثُ ادعاءُ الربوبيةِ ، وتقتيلُ الأطفالِ ، واستعبادُ الناسِ ، والظلمُ في الأرضِ والفسادُ وغيرُ ذلكَ . فَمِنْ هُنَا خَافَ مُوسَى أنْ يُعاجِلَهُ فِرعونُ بالقتلِ أوْ بالعذابِ قبلَ تَبليغِ الدعوةِ . كيْ لا وهوَ سَيُبْطِلُ أُلُوهيَّتَهُ ! ، ولذلكَ توجَّه وهارونَ إلى اللهِ شاكينَ ، وَذلكَ قولُهُ-تعالى-: ((قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ(٧) عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى))(٨) ، فَاستجابَ اللهُ لهُما وأَمنَهُما مِنْ هذا الخوفِ أيضاً ، بَلْ وَأيدَهُما بِمَعيتِهِ وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى))(٩) .

وَهكذا يَتَجلَّى لنا مِنْ خِلالِ هذا المطلبِ مَعْلَمٌ مُهِمٌ مِنْ مَعالِمِ الصراعِ الإيمانيِّ وهوَ مَعلمُ الإستعانةِ باللهِ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ لخوضِ ذلكَ الصراعِ .

والحكمةُ في ذلكَ ، أنَّ مجالَ الصراعِ الإيمانيِّ صعبٌ وشاقٌ للغايةِ ، كما أنهُ يَتطلبُ مِنَ المُجاهداتِ والتَّضحياتِ والدماءِ مَا لَا يَعلمهُ إلَّا اللهُ . والسببُ في ذَلكَ أنهُ يَتعلقُ بإصلاحِ النفوسِ وتزكيَتِها ، وهذا أمرٌ لا يَتمُّ إلا بهدايةِ اللهِ وتوفيقِهِ وتيسيرِهِ .

---

(١) الشعراء/١٤ .
(٢) القصص/٣٣ .
(٣) الشعراء/ ١٥ .
(٤) عضدك: من العضد وهو: ما بين المرفق إلى الكتف ، والمقصد : ننصرك ونعينك . انظر: المفردات في غريب القرآن/٣٣٧ . والقاموس المحيط/٣٨٢ . ومختار الصحاح/٤٣٨ .
(٥) القصص/٣٥ .
(٦) زاد المسير ٦/٢٢٢ . وانظر: جامع البيان ٢٠/٧٦ ط:٢ .
(٧) يفرط : يتقدم بتعجل . انظر : مفردات غريب القرآن /٣٧٧ . والقاموس المحيط /٨٧٩ . ومختار الصحاح/٤٩٩ .
(٨) طه/ ٤٥ .
(٩) طه/ ٤٦ .

ولأهميةِ هذا المعلمِ البالغةِ كانَ سنةً ثابتةً منْ سننِ الأنبياءِ، فهذا نُوحٌ عليهِ السلامُ يَدعُو قومَهُ ويَتَّحداهُم باعتمادهِ على اللهِ قائلاً :((... يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً(١) ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)) (٢) .

وَهذا هودٌ يَدعو قومَه إلى الإصلاحِ ويُبينُ لهُمْ اعتمادَهُ عَلى اللهِ قائلاً : ((... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٣))) (٤) .

وهذا مُوسى عليه السلامُ هنا يَسألُ اللهَ أموراً عديدةً تُعينهُ على خوضِ الصراعِ الإيمانيِّ كما فصَّلنا .

واللهُ سُبحانه وتَعالى أمرَنَا بسؤالِهِ وبالإستعانةِ بهِ في كلِّ ما يَعْتَرِضُنَا خاصةً في مجالِ الصراعِ الإيمانيِّ ، وذلكَ لعظيمِ حاجةِ الداعيةِ إلى اللهِ في هذا الميدانِ ، وفي ذلكَ يقولُ اللهُ تعالى : ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...))(٥) .

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى أمرَ نبيَّه محمداً صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أنْ يُرشدَ الناسَ إلى اللهِ وإلى سؤالِهِ ودعائِهِ فيما يُلِمُّ بهم منْ أمورٍ ، وذلكَ قولُه ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...))(٦) .

ولقدْ كَانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أكثرَ الناسِ سؤالاً ودعاءً للهِ في كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ومنْ ذلكَ قولُهُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، والْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)(٧) .

وقدْ كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يُعَلِّمُ أتباعَهُ وَيَأْمُرُهُم بالإستعانةِ باللهِ وسؤالِهِ ، ومنْ ذلكَ قولُهُ لِعَلِيٍّ رضي اللهُ عنهُ : (قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي ، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ ، والسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ)(٨) .

* * * * *

---

(١) غمة : كربة . انظر: المفردات في غريب القرآن /٣٦٥. والقاموس المحيط /١٤٧٦. ومختار الصحاح /٤٨٢ .

(٢) يونس /٧١ .

(٣) أنيب : أي : أرجع إلى الله بالتوبة والعمل الخالص له . انظر : مفردات غريب القرآن/٥٠٨ . والقاموس المحيط/١٧٩. ومختار الصحاح/٦٨٤ .

(٤) هود /٨٨ .

(٥) غافر / ٦٠.

(٦) البقرة /١٨٦.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب :(الذكر والدعاء ...) باب :(التعوذ من شر ما عمل ..) ٨/٨١، ٨٢ .

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب :(الذكر والدعاء ...) باب :(التعوذ من شر ما عمل...) ٨ /٨٣ .

(المطلب الرابع)

(إعداده بالأسلوب والمنهج)

عَلَّمَ اللهُ تعالى موسى عليه السلامُ أُسلوبَ الدعوةِ في صراعِهِ الإيمانيِّ معَ الفراعنةِ ، كما عَلَّمَهُ المَنهجَ الذي يَتَّبِعُهُ في ذلكَ .

والأُسلوبُ الذي اختارَهُ اللهُ لموسَى ، هو أُسلُوبُ الرفقِ واللينِ في الدعوةِ، وذلكَ قولُه : ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) (١) .

وقدْ ذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِيِّ(٢) وابنُ كَثِيرٍ (٣) في تَفْسِيرَيْهِمَا خمسةَ أقوالٍ للمفسرينَ في المرادِ بقولِهِ : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ...) كما يلي :

أ) أي قُولَا لهُ قُلْ : (لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ)، رُوى هذا عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَالَ إِلَيْهِ الطَبَرِيُّ(٤) .

ب) المرادُ بذلكَ قولُه : ((هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))(٥) ،رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وبهِ قالَ مُقاتلٌ* وَالزَّمَخْشَرِيُّ(٦) وَأَبُو حَيَّان ** (٧) .

---

(١) طه/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) انظر : زاد المسير ٥/٢٨٧-٢٨٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٣ .

(٤) انظر: جامع البيان ١٦/١٦٩ ط٢ .

(٥) النازعات/ ١٨ ، ١٩ .

(٦) انظر : الكشاف ٢/٥٣٨ .

(٧) انظر : البحر المحيط . أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ٦/١٥٣ . ط:١ . مطبعة السعادة .

* مقاتل : هو: مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البَلْخي المفسر . كان من أوعية العلم. بحرا في التفسير . قال في حقه الشافعي: " الناس عيال على ثلاثة : مقاتل بن سليمان في التفسير..". وقد كُذب وهُجر ورُمي بالتجسيم ، وهو متروك الحديث . من مصنفاته : " التفسير الكبير " و " نظائر القرآن " و " القراءات " ، قيل: مات سنة ١٥٠ هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٠، ٣٣١ رقم (٦٤٢). وتاريخ بغداد ١٣/١٦٠. وخلاصة تذهيب الكمال ٣/٥٣، ٥٤ رقم (٧١٨٤).

** أبو حيان : هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطيّ النفريّ. نحوي عصره ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومقرئه ، ومؤرخه ، وأديبه . من شيوخه : التقي ابن دقيق العيد ، ومن تلاميذه: ابن عقيل . من مصنفاته : " البحر المحيط في التفسير " و " عقد اللآلي في القراءات " . ولد بمطغشايين مدينة في حضرة غرناطة في آخر شوال ٦٥٤هـ، ومات بالقاهرة في صفر ٧٤٥هـ. انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٨٦-٢٩١ رقم (٦٠٨). والدرر الكامنة ٥/٧٠-٧٦ رقم ٤٦٩٣. وبغية الوعاة ١/٢٨٠-٢٨٥. وشذرات الذهب ٦/١٤٥-١٤٧. وغاية النهاية في طبقات القراء . لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري ٢/٢٨٥ ط١ (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) مطبعة الخانجي بمصر . وطبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٨٥. والأعلام للزركلي ٧/١٥٢ ط:٢.

جـ) المُرادُ بذلكَ الكنيةُ، أي : كَنِّياهُ ، وَاخْتُلِفَ في كُنْيَتِهِ .

د) أي قُولا لَهُ : إنَّ لكَ رَبّاً ، وَإنَّ لكَ معاداً ، وَإنَّ بينَ يَديكَ جنةً ونـاراً ، قَالَه الحسنُ(١) .

هـ) أنَّ القولَ اللينَ أنَّ مُوسى أتاهُ ، فقالَ لهُ : تُؤمنُ بِما جِئتُ بهِ وتعبدُ رَبَّ العالمينَ على أنَّ لكَ شَبابَكَ فلاتَهْرَمُ ، وتكونُ مَلِكاً لا يُنزعُ منكَ حتى تموتَ ، فإذا مِتَّ دخلتَ الجنةَ . قالَه السُدِّي* .

والرأيُ الراجحُ الذي تَتَجَلَّى أنوارُهُ منْ ثَنايَا تلكَ الآيةِ هوَ ما ذهبَ إليهِ القُرْطُبِيُّ ** إذ يقولُ : " القَوْلُ اللَيِّنُ هُوَ القَوْلُ الذي لا خُشُونَةَ فِيهِ ، يُقَالُ لأنَ الشَيءُ يَلِينُ لَيْناً ، وَشَيءٌ لَيِّنٌ وَلَيْنٌ مُخففٌ مِنهُ ، والجَمعُ أَلْيِنَاءُ"(٢) .

فرأيُ القرطبيِّ هذا عنوانٌ جامعٌ للآراءِ الخمسةِ ، إذْ ذكرَ القرطبي المَعنى الجامعَ الذي يُمثِّلُ أُسلوبَ الدعوةِ المرادِ للآيةِ ، بينَما الآراءُ الأُخرى المتقدمةُ هِيَ أمثلةٌ لِهَذَا الأُسلوبِ الجامعِ .

وأما المنهجُ الذي اختارَهُ اللهُ لِمُوسى-عليه السلام-فهوَ يُمثِّلُ التطبيقَ العَمَلِي لذلكَ الأُسلوبِ الآنفِ الذكرِ ، وهذا المنهجُ سَتَتَّضِحُ-لنا- معالمهمنْ خلالِ البابِ الأولِ من هذهِ الرسالةِ ، وذلكَ مِن خلالِ جَوْلاتِ الصراعِ الإيمانيِّ بينَ موسَى وفرعونَ وحزبِهِ .

والآياتُ التاليةُ تُوضحُ-لنا-طرفاً من هذهِ المعالمِ ، وسيأتِي شرحُها وتفصيلُها في المبحثِ الثانِي منْ هذا الفصلِ .

---

(١) الحسن : هو:الحسن البصري . سبقت ترجمته / ٢٢ .

(٢)الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٠٠ . ط:١ .

* السدي : هو:إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير أبو محمد الكوفي القرشي الأعور . صدوق يَهِم رمي بالتشيع، ووثقه أحمد ، وقال يحيى بن قطان : لا بأس به ، وقد احتج به مسلم وأصحاب السنن . من شيوخه : ابن عباس ، ومن تلاميذه:أبو عوانة والثوري . ومن آثاره:"تفسيره" . مات سنة ١٢٧هـ أو ١٢٩هـ .
انظر : طبقات المفسرين للداودي ١/١٠٩. وشذرات الذهب١/١٧٤. وتهذيب التهذيب ١/٣١٣ رقم (٥٧٢).

** القرطبي : هو:محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبدالله القرطبي . كان مفسرا ورعا زاهدا متقنا متبحرا . من شيوخه : ابن رواج، ومن تلاميذه : شهاب الدين أحمد . ومن مصنفاته : " أحكام القرآن والمبين لما تتضمنه من السنة وآي القرآن " و " شرح الأسماء الحسنى " . توفي ليلة الإثنين ٩ شوال ٦٧١هـ .
انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/٦٥،٦٦ رقم (٤٣٤) . وطبقات المفسرين للسيوطي /٢٨. رقم (٨٨) . وهدية العارفين ٢/١٢٩. وحلية الأولياء ٣/١١٢ .

قال تعالى: ((فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ))(١) ، وقال : ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى . إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى))(٢) ، وقال : ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))(٣) .

وهكذا يتضح لنا أنَّ الرفقَ واللينَ - لغةً - يُعتبرُ أحدُ معالمِ الصراعِ الإيمانيِّ المهمةِ ، ذلكَ أنَّ النفوسَ البشريةَ وطبائعها تميلُ وتأنسُ إلى الرفقِ واللينِ والرأفةِ والرحمةِ وهذا بخلاف الشدةِ والعنفِ والقسوةِ ، ولذلكَ حثَّ اللهُ تعالى نبيَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ على التزامِ الرحمةِ وحذرهُ منْ فظاظةِ القلبِ ، وذلكَ قولُه لهُ : ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا (٤) غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...))(٥) .

والمتتبعُ لقصصِ الأنبياءِ عليهم السلام في القرآن يَجدُ كثرةَ استخدامِهم لذلكَ الأسلوبِ بصورةٍ واضحةٍ ، لأنَّ ذلكَ يُسهلُ عليهمُ الدعوةَ ، ويُعينُهم على تأليفِ القلوبِ واستقطابِها إلى معسكرِ الإيمانِ .

فهذا نوحٌ - عليه السلام - يَدعو قومَه برفقٍ ولينٍ مرغباً لهمْ في اتباعِ الإيمانِ والإستغفارِ ، قائلاً :((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (٦) . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا))(٧)... الآيات .

وهذا إبراهيمُ عليه السلام يَدعو أباهُ إلى الإيمانِ باللهِ برفقٍ ولينٍ رغمَ تهديدِ أبيهِ لهُ بالرجمِ ، وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٨). قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٩)) (١٠) .

وهذا هودٌ عليه السلام يَدعو قومَه برفقٍ ولينٍ رغمَ اتهامِهم لهُ بالسفاهةِ والكذبِ ، وذلكَ قولُه : ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(١١) ... الآيات .

---

(١) الشعراء / ١٦ ، ١٧ .
(٢) طه / ٤٧ ، ٤٨ .
(٣) النازعات / ١٧-١٩ .
(٤) فظا : أي : كريه الخلق وسيئه ، وغليظ الجانب ، وخشن الكلام. انظر: المفردات في غريب القرآن / ٣٨٢ . والقاموس المحيط / ٩٠٠ . ومختار الصحاح / ٥٠٧ .
(٥) آل عمران / ١٥٩ .
(٦) مدرارا : أي : يرسل السماء عليكم بالمطر . انظر : المفردات في غريب القرآن / ١٦٦ . والقاموس المحيط / ٥٠٠ . ومختار الصحاح / ٢٠٢ .
(٧) نوح / ١٠ - ١٢ .
(٨) مليا : مدة طويلة ، أو: زمنا طويلا . انظر : المفردات في غريب القرآن / ٤٧٣ ، ٤٧٤ . والقاموس المحيط / ١٧٢١ .
(٩) حفيا : مكرما لي عالما بي . انظر : المفردات في غريب القرآن / ١٢٥ .
(١٠) مريم / ٤٦-٤٧ .
(١١) الأعراف / ٦٥ - ٦٧ .

ومنَ الجديرِ ذكرُه أنَّ ذلكَ الأُسلوبَ لا يُعتبرُ الأوحدَ في ميدانِ الصراعِ الإيمانيِّ ، بلْ إنَّ هناكَ أساليبَ أُخرى لا تَتَنَافَى مَعهُ . وذلكَ مثلُ إسلوبِ الإستِدْرَاجِ في الدعوةِ كما فعلَ إبراهيمُ - عليه السلام - مَعَ قومِهِ في عبادةِ الكواكبِ[1] ، وكذلكَ مَعَ النمرودِ في ادعائِهِ للربوبيةِ[2] ، ومثلُ أُسلوبِ الترهيبِ ، وأُسلوبِ الجهادِ بالسيفِ وغيرَ ذلكَ .

وَمنَ الجديرِ ذكرُهُ أيضاً أنَّ طبيعةَ الصراعِ الإيمَانيِّ هِيَ التي تُحددُ الأُسلوبَ المناسبَ ، بِالإضافةِ إلى حكمةِ الداعيةِ وحنكتِهِ ، فقدْ يَكونُ أُسلوبُ اللينِ هوَ المناسبُ في صراعٍ مَا وَقدْ يَكونُ غيرُهُ أنسبَ مِنهُ في صراعٍ آخرَ وهَكَذا .

* * *

---

(١) انظر : الأنعام /٧٦-٧٩ .

(٢) انظر : البقرة/٢٥٨ .

(المبحث الثاني)

(دعوة موسى للإيمان وموقف فرعون)

ويشتمل على مدخل وثلاثة مطالب :

مدخل المبحث :

بعدَ أنْ أعَدَّ اللهُ تعالى مُوسى للصراعِ الإيمانيِّ ، وَأيدهُ بِما يَلزمُهُ في ذلكَ ، أمرهُ أنْ يذهبَ إلى فرعونَ لِتبليغِ دعوتِهِ ، وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ . فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(١) .

والداعي لإرسالِ موسى لفرعونَ هوَ طغيانُهُ وَفسادُهُ ، الذي يَقولُ اللهُ فيهِ: ((وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ))(٢) ، وكانَ طُغيانُهُ وَفَسادُهُ يَتمثلُ في زَعمِهِ للألوهيةِ والربوبيةِ ، وتعبيدِهِ النَّاسَ لهُ ، وتقتيلِ الأطفالِ ، واستعبادِ بني إسرائيلَ ، وغيرِ ذلكَ مِمَّا سَيَأتي تفصيلُهُ فِي هذا البابِ .

ثُم إنَّ مُوسى عليه السلام انطلقَ مِنَ الطورِ مُلبياً نِداءَ رَبِّهِ بالذهابِ إلى فرعونَ ، حيثُ يُفيدُ سِياقُ الآياتِ(٣) أنهُ دخلَ مصرَ والتقى بهارونَ ، واتفقَا معاً على الذهابِ .

ويُقالُ إنهمَا لما وَصَلَا بابَ فِرعونَ سَخِرَ مِنهمَا الحجبةُ والبوابُونَ ، وقيلَ: إنهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمَا إلَّا بعدَ حينٍ طويلٍ ، وَحددهُ مُحمدُ بْنُ إسحاقَ * بسنتينِ ، وقيلَ: إنَّ موسى تَقدمَ إلى البابِ فَطرقَهُ بِعَصاهُ فَانْزَعَجَ فِرْعَوْنُ وَأمرَ بِإحضارِهِمَا وَهُنَا بَدأتْ دَعوتُهُمَا (٤) .

والقرآنُ لَمْ يَذكرْ شَيئاً مِنْ ذلكَ أوْ نحوَه ، بلْ اكتفى بذكرِ حدوثِ المقابلةِ منْ بدايَتِها ، وهذا هُوَ مَحَطُّ العظةِ والعبرةِ ، وكذلكَ التوراةُ اكتفَت بذكرِ حدوثِ المقابلةِ فقطْ . وهذه المقابلةُ تُمثلُ بَدءَ الصراعِ الإيمانيِّ بينَ معسكرِ الإيمانِ ومعسكرِ الكفرِ ، وهيَ تُمثلُ أُولَى جَوْلاتِ الصراعِ الإيمانيِّ مَعَ الفراعنةِ ، التي اسْتُخْدِمَ فِيها السلاحُ المَعنَوِيُّ والمَادِيُّ .

---

(١) الشعراء/١٥ ، ١٦ .

(٢) الفجر/١٠ ، ١٢ .

(٣) أنظر : الأعراف/١٠٣ وما بعدها . ويونس/٧٥ وما بعدها . وطه/٤٧ وما بعدها والشعراء/١٦ وما بعدها . والقصص/٣٦ وما بعدها .

(٤) انظر: البداية والنهاية ١/٢٥٢-٢٥٣ . والكامل في التاريخ ١/١٨٠ ، ١٨١ .

* محمد بن إسحق: هو: محمد بن إسحق بن يسار المطلبي بالولاء المدني . من أقدم مؤرخي العرب . له " السيرة النبوية " و " كتاب الخلفاء " و" كتاب المبتدأ " ، وكان قدريا . ومن حفاظ الحديث. توفي ببغداد سنة ١٥١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١/١٧٢-١٧٤ رقم (١٦٧) . وتاريخ بغداد ١/٢١٤-٢٢٤ . والأعلام للزركلي ٦/٢٥٢ ط ٣ .

ويقول صاحب الظلال في ذلك: "إنَّ مشهدَ اللقاءِ الأولِ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الإيمانِ والكفرِ .. مشهدُ اللقاءِ الأولِ بينَ الدعوةِ إلى (ربِّ العالمينَ) وبينَ الطاغوتِ الذي يَدعي وَيُزاولُ الربوبيةَ مِنْ دونِ ربِّ العالمينَ "(١).

(المطلب الأول)

(إثبات مصداقية الرسالة)

عَمَدَ موسى-عليه السلام-إلى إثباتِ مِصداقيةِ الرسالةِ أولاً، وذلكَ قولُهُ -تعالى-: ((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...))(٢)، وقولُهُ-سبحانه: ((... إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(٣)، وقولُهُ: ((... إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ...))(٤).

فَموسى-عليهِ السلامُ-خَاطبَهُ أولاً بقولِهِ: (يَا فِرْعَوْنُ) . وَفرعونُ هذا عَلَمٌ يُطلقُ على كلِّ منْ مَلَكَ مِصْرَ وَحَكَمَهَا في ذلكَ الزمنِ، كَما يُطلقُ قَيصرُ على حاكمِ الروم، وَكِسرى على حاكمِ الفُرس(٥).

وقدْ اختَلفوا في اسمِ فرعونَ موسى وفي كنيتِهِ، كَما اختَلفُوا في كونِ فرعونَ يوسفَ النبيِّ آمْ لا، بَلْ وقيلَ: إنَّ فِرعونَ مُوسى عندَ ولادتِهِ بخلافِ الذي بُعِثَ إليهِ(٦).

وهذهِ الأمورُ لا تُعنينَا في هذا المقامِ، بَلِ الذي يَعنينَا هُوَ جوهرُ الصراعِ الإيمانيِّ، ولذلكَ نَتَجَاوَزُهَا كَما تَجَاوَزَهَا القرآنُ الكريمُ الذي يَهتمُّ بالعظةِ والعبرةِ والدرسِ والمعلمِ ليسَ إلا .

ومخاطبةُ موسى لَهُ بقولِهِ: (يَا فِرْعَوْنُ) إنَّمَا هُوَ تَطبيقٌ عَمَليٌّ لأُسلوبِ الرفقِ واللينِ في الدعوةِ الذي أشرْنَا إليهِ قبلَ ذلكَ .

فَكأنهُ يُخَاطِبُهُ: يَا مَلِكُ مِصْرَ، وهذا لا شيءَ فيهِ، إذْ أنَّهُ اعْتِرَافٌ وإقْرارٌ بِوَاقعٍ موجودٍ، فهوَ ملكُ مصرَ حقيقةً، ولكنَّ الخلافَ يَكونُ في الإقرارِ بباطلٍ موجودٍ، كَأنْ يُخاطِبَهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ الكاذبَةِ .

وأمَّا قولُه: (إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَفي آيةٍ أُخرى: (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فَيَشْتَمِلُ عَلَى مَا يَلِي:

١) إعْلانُ رُبوبيةِ اللهِ-تعالى-الذي أرسلَ مُوسَى .
٢) إعْلانُ نُبوةِ مُوسى-عليه السلامُ-المُرْسَلِ مِنَ اللهِ .
٣) إعْلانُ الرسالةِ، التي انْبَثَقَتْ مِنَ الرُّبُوبيةِ والنبوةِ، وهيَ التي مِنْ أَجْلِهَا بُعِثَ مُوسى لِفِرْعَونَ، وَهِي التِي مِنْ أَجلِهَا يَقِفُ هَذَا المقامَ .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب٣/١٣٤٦، ط: ١٠دار الشروق .
(٢) الأعراف /١٠٤، ١٠٥. (٣)الشعراء٦/١٦. (٤)طه/٤٧ .
(٥)أنظر: جامع البيان ٢/٣٦ وما بعدها . ط:المحققة . والجامع لأحكام القرآن ١/٣٨١ وما بعدها ط:٣ .
(٦)أنظر: تاريخ الرسل والملوك ١/٣٨٦ وما بعدها . والبداية والنهاية ١/٢٥٠ . والكامل في التاريخ ١/١٦٩ .

ويقولُ صاحبُ الظلالِ في ذلكَ : " إنَّهُ مَشهدُ اللقاءِ الأولِ بينَ الحقِّ والباطلِ ، وبينَ الإيمانِ والكفرِ .. مشهدُ اللقاءِ الأولِ بينَ الدعوةِ إلى (ربِّ العالمينَ) وبينَ الطاغوتِ الذي يَدعي وَيُزاولُ الربوبيةَ مِنْ دونِ ربِّ العالمينَ "(١) .

(المطلب الأول)

(إثبات مصداقية الرسالة)

عَمَدَ موسى-عليه السلام-إلى إثباتِ مِصداقيةِ الرسالةِ أولاً ، وذلكَ قولُهُ -تعالى-: ((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...))(٢) ، وَقَوْلُهُ-سبحانه- : ((... إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(٣) ، وقولُهُ : ((... إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ...))(٤) .

فَموسى-عليهِ السلامُ-خَاطبَهُ أولاً بقولِهِ : (يَا فِرْعَوْنُ) . وَفرعونُ هذا عَلَمٌ يُطلقُ على كلِّ منْ مَلَكَ مِصْرَ وَحَكَمَهَا في ذلكَ الزمنِ ، كَما يُطلقُ قَيصرُ على حاكمِ الروم ، وَكِسرى علَى حاكمِ الفُرسِ(٥) .

وقدْ اختَلفوا في اسمِ فرعونَ موسى وفي كنيتِهِ ، كَما اختَلفُوا في كونِهِ فرعونَ يوسفَ النبيِّ أمْ لا ، بَلْ وقيلَ: إنَّ فِرعونَ مُوسى عندَ ولادتِهِ بخلافِ الذي بُعِثَ إليهِ(٦) .

وهذهِ الأمورُ لا تَعنينَا في هذا المقامِ ، بَلِ الذي يَعنينَا هُوَ جوهرُ الصراعِ الإيمانيِّ ، ولذلكَ نَتَجَاوَزُهَا كَما تَجَاوَزَهَا القرآنُ الكريمُ الذي يَهتمُّ بالعظةِ والعبرةِ والدرسِ والمعلمِ ليسَ إلا .

ومخاطبةُ موسى لَهُ بقولِهِ : (يَا فِرْعَوْنُ) إنَّمَا هُوَ تَطبيقٌ عَمَلِيٌّ لِأُسلوبِ الرفقِ واللينِ في الدعوةِ الذي أشرْنَا إليهِ قبلَ ذلكَ .

فَكأنهُ يُخَاطِبُهُ : يَا مَلِكُ مِصْرَ ، وهذا لا شيءَ فيهِ ، إذْ أنَّهُ اعْتِرَافٌ وإقْرارٌ بِوَاقعٍ موجودٍ ، فهوَ ملكُ مصرَ حقيقةً ، ولكنَّ الخلافَ يَكونُ في الإقرارِ بباطلٍ موجودٍ ، كَأنْ يُخاطِبَهُ بِأُلوهِيَّتِهِ الكاذبَةِ .

وأمَّا قولُه : (إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَفي آيةٍ أُخرى : (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، فَيَشْتَمِلُ عَلَى مَا يَلِي :

١) إعْلانُ رُبوبيةِ اللهِ-تعالى-الذي أرسلَ مُوسَى .
٢) إعْلانُ نُبوةِ مُوسى-عليه السلامُ-المُرْسَلِ مِنَ اللهِ .
٣) إعْلانُ الرسالةِ ، التي انْبَثَقَتْ مِنَ الرُّبُوبيةِ والنبوةِ ، وهيَ التي مِنْ أَجْلِهَا بُعِثَ مُوسى لِفِرْعَونَ ، وَهِيَ التِي مِنْ أَجلِهَا يَقِفُ هَذَا المقامَ .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب٣/١٣٤٦، ط: ١٠دار الشروق .
(٢) الأعراف /١٠٤، ١٠٥ . (٣)الشعراء ١/١٦ . (٤)طه /٤٧ .
(٥)أنظر : جامع البيان ٢٦/٢ وما بعدها . ط:المحققة . والجامع لأحكام القرآن ٣٨١/١ وما بعدها ط:٣ .
(٦)أنظر : تاريخ الرسل والملوك ٣٨٦/١ وما بعدها . والبداية والنهاية ٢٥٠/١ . والكامل في التاريخ ١٦٩/١ .

وهذهِ الآياتُ تَعنِي أَنَّ مُوسى قَال لِفرعونَ : أَرسَلَنِي إليكَ الذي هُوَ خالقُ كلّ شيءٍ وربُّهِ ومليكُهِ ، خالقُ السمواتِ والأرضِ والخلقِ وهوَ سيدُهُم ومالِكُهُم(١) .

وبعدَ أَنْ بيَّن موسى لفرعونَ تلكَ الأمورَ الثلاثةَ ، بَدَأَ يُبينُ لَهُ صِدقَهُ وَصِدقَ دَعوتِهِ ورسالَتِهِ ، وذلكَ لِيَنْفِي عنْ نفسِهِ الإفْتِرَاءَ على اللهِ الذي يَفتَرِيهِ الدَجَّالونَ الذينَ يقولُ اللهُ فِيهِم :((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...))(٢) .

فَقَالَ مُوسَى لفرعونَ كما قالَ-تعالَى-: ((حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ...)) (٣) ، وهُنا قراءتَان ، الأُولى(حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ) بِإِرسَالِ " الياء " مِنْ " عَلَى " وتركِ تَشديدِها ، بمعنَى أَنَا حقيقٌ بأنْ لا أقولَ على اللهِ إلا الحقَّ ، والثانيةُ (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَلَّا أَقُولَ) ، بمعنَى : وَاجِبٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أقولَ ، وحقٌ عَلَيَّ أنْ لا أقولَ ، والقراءتانِ مشهورتان وصحيحتان(٤) .

وبذلكَ قَرَّرَ مُوسى مِصداقيةَ دعوتِهِ بالحجةِ العقليةِ ، ثُمَّ أَثبتَهَا بالدليلِ البيِّنِ الظاهِرِ ، وذلكَ قولُهُ :((... قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...))(٥) .

والمرادُ منْ ذلكَ : أنني أيها القومُ قدْ جِئتُكم بِبرهانٍ وبحجةٍ قاطعةٍ منَ اللهِ ربِّكم تَشهدُ بصحةِ قَولِي وصدقِي فيما جِئتُكم بهِ وأنّي رسولٌ منْ ربِّ العَالمينَ(٦) .

وهكَذا تَتَجَلَّى-لنا - من خِلالِ هذا المطلبِ الأهميةُ البالغةُ لمصداقيةِ الدَّاعِي ، والسببُ في ذلكَ أَنَّ صِدقَ الداعيةِ وصِدقَ توجهِهِ يُؤثِّرُ على إِقْنَاعِ المَدْعُوِّينَ بهِ وَبدَعوَتِهِ .

كَما أنهُ يُفَوِّتُ علَى المُغرضينَ الكثيرَ منَ المطاعِنِ التي يَستَغِلُّونَهَا نتيجةَ اهْتِزَازِ المِصداقِيةِ . ومثالٌ على ذلكَ شخصيةُ النبيِّ يوسفَ - عليهِ السلامُ- الذي كانَ يَتمتعُ بمصداقيةٍ عاليةٍ دَفعتْ أَحَدَ صَاحِبَيِ السِجْنِ إِلَى أَنْ يَقُولَ لَهُ كَمَا قَالَ تعالى:((يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ ...))(٧) ، كَما دَفعت امرأةَ العزيزِ إلى أَنْ تقولَ عَنهُ - بَعدَ اتِّهامِهَا لهُ بالفَحشاءِ - كَما قَالَ-تَعالى-: ((الآنَ حَصْحَصَ (٨) الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ))(٩) ، وَدَفَعَت مَلِكَ مِصْرَ إلى أَنْ يُكرِمَهُ أَيَّمَا إِكرَامٍ نَتيجَةَ مِصدَاقِيتِهِ العالِيَةِ ، وذلكَ قولُهُ-تَعالى-: ((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ))(١٠) .

---

(١)انظر : لباب التأويل ١١٧/٢ . وتفسير القرآن العظيم٢٣٥/٢ .
(٢)الأنعام /٩٣ .
(٣)الأعراف /١٠٥ .
(٤)أنظر: جامع البيان١٣/٩ ط٢ . والنشر في القراءات العشر . لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزي ٢٧٠/٢ ط(لا يوجد) . دار الفكر. والكتاب تصحيح:علي محمد الضباع . وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى"منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات.لأحمد بن محمد البنا . تحقيق : د. شعبان محمد إسماعيل ٥٥/٢ ط: ١ (١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م). عالم الكتب - بيروت ، ومكتبة الكليات الأزهرية .
(٥)الأعراف /١٠٥ .
(٦)انظر: جامع البيان ١٤/٩ ط : ٢ . وتفسير القرآن العظيم ٢٣٥/٢. وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٢٣١/٢ ط:٢.مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
(٧)يوسف /٤٦ .
(٨)حصحص : بان وظهر ووضح . انظر:المفردات في غريب القرآن/١٢٠. والقاموس المحيط /٧٩٣ . ومختار الصحاح/١٤٠ .
(٩)يوسف /٥١ .
(١٠)يوسف/ ٥٤ .

وقدْ امتدحَ اللهُ - تعالى - أنبياءَهُ ورسلَهُ بالصدقِ فقالَ : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ...))(١) وقالَ : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا))(٢) وقالَ : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا))(٣) وقالَ في حقِّ إسحاقَ ويعقوبَ : ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا))(٤) ، وقالَ في حقِّ مُحمدٍ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - : ((... قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...))(٥) .

وقدْ امتدحَ اللهُ - تعالى - المؤمنينَ الصادقينَ وَوَعدَهم بِالأجرِ الحسنِ، وذلكَ قولُهُ : ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))(٦) وقولُهُ : ((لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ...))(٧) وقولُهُ : ((قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))(٨) ، وقولُهُ : ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ(٩) وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ(١٠) وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا))(١١) .

وَلأهميةِ المصداقيةِ البالغةِ أمرَنا اللهُ بِها بقولِهِ : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ))(١٢) .

والمصداقيةُ تتمثلُ في أمورٍ كثيرةٍ مِنهَا على سبيلِ المثالِ ما يَلي :

١) المِصداقِيةُ في القولِ : وَهيَ التي أشارَ إليْهَا النَبيُّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - بقولِهِ : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ(١٣) ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)(١٤) .

٢) المِصداقيةُ في العهدِ والوعدِ والخُصومةِ: لقولِ رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ ، حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)(١٥) .

٣) المِصداقيةُ في الأمانةِ : لقولِهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)(١٦) .

---

(١) مريم/٤١ . (٢) مريم/٥٦ . (٣) مريم/٥٤ .
(٤) مريم/٤٩، ٥٠ . (٥) الأحزاب /٢٢ . (٦) الزمر/٣٣ .
(٧) الأحزاب /٢٤ . (٨) المائدة/١١٩ .
(٩) القانتين: من قنت ،والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع . انظر : المفردات في غريب القرآن /٤١٣ . والقاموس المحيط/٢٠٢ . ومختار الصحاح/٥٥٢ .
(١٠) الخاشعين: من خشع ، والخشوع: الضراعة وأكثر استعماله فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر استعمالها فيما يوجد في القلب . انظر المفردات في غريب القرآن/١٤٨ . والقاموس المحيط/٩٢٠ . ومختار الصحاح/١٧٦ .
(١١) الأحزاب /٣٥ . (١٢) التوبة/١١٩ .
(١٣) الفجور: من فجر بمعنى : فسق ، والفاجر: المائل، والمراد هنا : الميل عن الصدق وأعمال الخير . أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٣/٣ . والقاموس المحيط/٥٨٤ . ومختار الصحاح/٤٩١ .
(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(البر والصلة والآداب) باب:(قبح الكذب ...) ٢٩/٨ . (١٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإيمان) باب:(بيان خصال المنافق) ٥٦/١ .
(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإيمان) باب:(بيان خصال المنافق) ٥٦/١ .

(المطلب الثاني)

(تبليغ الدعوة والحكم)

بعدَ أنْ قررَ مُوسَى - عليهِ السلامُ - مصداقيةَ رسالتِهِ - كما أسلفنا - عَمدَ إلى تبليغِ الدعوةِ والحكمِ ، وتفصيلُ ذلكَ كما يَلي :

أولاً : إطلاق بني إسرائيل :

كانَ بنو إسرائيل يَعيشونَ في ظِلِّ الفراعِنةِ حياةَ الذُلِّ والقَهْرِ والإستعبادِ ، حيث التقتيلُ والتذبيحُ والإستحياءُ والتسخيرُ في الأعمالِ الشاقةِ، فأرادَ اللهُ - تعالى - أنْ يرفعَ عَنهُمْ ذلكَ البلاءَ . ولذلكَ أمرَ مُوسى وأخاه أنْ يَطْلُبا مِنْ فِرعونَ أولاً أنْ يُخَلِّي عنْ بني إسرائيل وذلكَ قولُهُ لَهُمَا : ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ...)) (١) ، وقولُهُ أيضاً : ((فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٢) .

وقدْ امتثلَ كليمُ اللهِ لأمرِ ربِّه فقالَ لفرعونَ عندَ لقائِه ، كَمَا ذُكرَ في القرآنِ : ((حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ))(٣) ، والمعنى : " أي أطْلِقْهم منْ أسرِك وقهرِك وَدَعْهُم وعبادةَ رَبِّكَ وربِّهم فَإنَّهم مِنْ سلالةِ نبيٍ كريمٍ وهوَ يَعقوبُ بنُ إسحاقَ بنُ إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ" (٤) ، وفي آيةٍ أُخرى قَال لَهُم ((أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ...)) (٥) ، والمعنى : أي أَطلِقُوا بَني إسرائيلَ منْ تسخيركم وسلِّموهُم إليَّ ، وهوَ قولُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ* (٦) ، والى ذهبَ الطَّبَرِيُّ(٧) والزَّمَخْشَرِيُّ(٨) وَالرَّازِيُّ(٩) وَغَيْرُهُمْ .

"وإنمَا بَدأَ بهذا الطلبِ دونَ دعوةِ هذا الطاغيةِ وقومِهِ إلى الإيمانِ، لأنه أخفُّ وأسهلُ منْ ذلكَ ، لِمَا فيهِ منْ تبديلِ الإعتِقَادِ وهوَ عُسْرٌ شَاقٌّ علَى النفسِ "(١٠)

وبذلكَ يَتضحُ لنا أنَّ إعطاءَ الناسِ حريَّتَهم شيءٌ مهمٌ ولابدَّ منهُ، وذلكَ لِيَتَخَيَّرُوا الدِّينَ الأقومَ . وَحَتْمَاً سيكونُ اخْتِيارُهمْ للإسلامِ .

ولذلكَ كانَ منْ حكمةِ اللهِ أنْ تُتركَ حريةُ الإختيارِ للناسِ في إيمانِهم ودينِهم ، لِيَتَحَمَّلوا - بعدَ ذلكَ - عاقبةَ اختيارِهِمْ ، وفي ذلكَ يَقولُ اللهُ -تعالى-: ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١١)) (١٢) ، ويَقولُ : ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ

---

(١) طه / ٤٧ .
(٢) الشعراء/١٦، ١٧ .
(٣) الأعراف / ١٠٥ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٣٦ .
(٥) الدخان/١٨ .
(٦) انظر: زاد المسير ٧/٣٤٣ .
(٧) انظر: جامع البيان ٢٥/١١٨ ط: ٢ .
(٨) انظر: الكشاف ٣/٥٠٣ .
(٩) انظر: التفسير الكبير ٢٧/٢٤٥ .
(١٠) تفسير المراغي ١٦/١١٥ ط: ٣ .
(١١) النجدين: من نجد، والنجد: المكان الغليظ الرفيع وأيضا: الطريق الواضح، والمعنى هديناه لطريقي الحق والباطل في الإعتقاد ، والصدق والكذب في المقال، والجميل والقبيح في الفعال. انظر: المفردات في غريب القرآن/٤٨٢. والقاموس المحيط/٤١٠. ومختار الصحاح/٦٤٦ . (١٢) البلد / ١٠ .

* قتادة: هوقتادة بن دِعَامة بن قتادة بن عزيز السّدوسيّ. وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير. من شيوخه: عبدالله بن سرجس ، ومن تلاميذه: شعبة وأبو عوانة .وقد روى له الجماعة . ومن مصنفاته : " تفسيره " الذي رواه عنه شيبان بن عبدالرحمن التميمي . مات بالطاعون سنة ١١٨هـ ،وقيل: ١١٧هـ وله ٥٧ سنة . أنظر: طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٤٣، ٤٤ . وتهذيب التهذيب ١/٣١٢ رقم (٥٧٢) .وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٢٥٠ رقم (٥٨٣٣) .

السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا))[١] ، ويقولُ : ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...))[٢] ،ويقولُ : ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ))[٣] .

ولذلكَ كانَ منْ مطالبِ الدعاةِ إلى اللهِ إعطاءُ الحريةِ للناسِ كيْ يُقَارِنوا بينَ الأديانِ والدعواتِ والمناهجِ . وفي هذهِ الحالةِ سَيَكونُ اختيارُ العقلاءِ منهم للإسلامِ ، ولا عبرةَ لمنافقٍ معلومِ النفاقِ ، أوْ متكبرٍ أعماهُ الجُحودُ والتعصبُ ، أوْ جاهلٍ أرْدَاهُ جَهْلُهُ وَسَفَاهَتُهُ .

والحكمةُ في ذلكَ أنَّ الإسلامَ في زمنِ الحريةِ هو الغالبُ والمنتصرُ . وذلكَ عهدٌ منَ اللهِ ووعدٌ مِنهُ لا يَتخلفُ ، وفي ذلكَ يَقولُ : ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))[٤].

ولذلكَ كُلِّهِ لا نعجبُ مِن انْتِشارِ الإسلامِ في بلادٍ كثيرةٍ ، واعتناقِهِ مِن قبلِ شُعوبٍ كاملةٍ دونَ قوةٍ أوْ جهادٍ بالسيفِ . ومثالُ ذلكَ : أَنْدُونِيسْيَا وَغيرُها منْ بلادِ جنوبِ شرقِ آسيَا ، وكذلكَ نَيْجِيرْيَا وغيرُها منْ بلادِ وسطِ أَفْرِيقْيَا . ويُلاحظُ أيضاً - الآنَ - إنتشارُ الإسلامِ في أُورُوبَّا وَأَمْرِيكَا دونَ قوةٍ أوْ إكراهٍ .

والذي ذكرنَاهُ هوَ الدافعُ لِمُوسَى - عليهِ السلامُ - لطلبِ إطلاقِ حريةِ بَني إسرائيلَ ، وذلكَ لعلمهِ الجازمِ أنَّ اختيارَهم سَيكونُ للإسلامِ .

ثانياً : الدعوة للإيمان :

شَرَعَ كَليمُ اللهِ - هنا - في دعوةِ فرعونَ وقومِهِ للإيمانِ مُستخدماً الأُسلوبَ والمنهجَ الذي أَشَرنَا إليهِ في المبحثِ الأولِ منْ هذا الفصلِ ، وتفصيلُ ذلكَ كما يَلي :

أ) تأكيد إرساله وصدقه :

بعدَ أنْ أثبتَ لهمْ مصداقيةَ نبوتِهِ ورسالتِهِ ، عادَ هُنا إلى تأكيدِ ذلكَ مرةً أُخرى ، وَمرادُهُ منْ ذلكَ قطعُ سُبُلِ التكذيبِ والتشكيكِ عليهم . وذلكَ قولُهُ-تعالى-: ((أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ))[٥] ، أي : إني لَكم أيها القومُ رَسولٌ منَ اللهِ أرسلَني إليكُم ، وَأنا أمينٌ على وحيهِ ورسالتِهِ التي أَوْدَعَنِيهَا إِلَيْكم ، فلا يُدْرِكُكُمْ بَأْسُهُ على كُفرِكُمْ بِهِ[٦] .

ب) دعوته للهداية :

بَدأَ مُوسى - عليهِ السلامُ - دَعوتَهم إلى الهدايةِ بالإشارةِ لأمرينِ عظيمينِ، مستخدماً ألفاظاً مختصرةً من جوامعِ الكلمِ ، تَشملُ الدينَ كلَّهُ ، وذلكَ قولُهُ: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))[٧] ، فَموسى يَقولُ

---

(١) الإنسان/٣ .
(٢) البقرة /٢٥٦ .
(٣) الكهف/٢٩ .
(٤) التوبة / ٣٣ .
(٥) الدخان / ١٨ .
(٦) انظر: جامع البيان ١١٨/٢٥ ط٢.
(٧) النازعات / ١٨ ، ١٩ .

لفرعونَ : هلْ لكَ مَيْلٌ إلى أنْ تُسلِمَ فَتَطْهَرَ منَ الشركِ والعصيانِ والذنـــوبِ بالطاعةِ والإيمانِ(١) ، ثم أتْبعَ هذا القولَ بقولِه : وَهلْ لكَ إلى أنْ أُرشِـدَكَ إلى مَا يُرضِي رَبَّكَ عنكَ ، وذلكَ الدينُ القيمُ ، فَتَخشَى عِقَابَهُ بِأداءِ مَا ألْـزَمكَ مِنْ فَرائِضِهِ ، واجتنابِ مَا نَهاكَ منْ مَعاصِيهِ(٢) .

فَهيَ إذن دعوةٌ شَامِلةٌ إلى اتباعِ منهجِ اللهِ وهديهِ في كلِّ شيءٍ لتحصيلِ خشيـةِ اللهِ ، وذلكَ بعدَ تزكيـةِ النفسِ مِنَ الكفرِ والشركِ والمعاصي والذنوبِ .

جـ) تحذيره من الكفر والتعالي على الله :

بعدَ أنْ دعاهُ إلى التزكيةِ منَ الكفرِ والشركِ والمعاصِي ، وبعدَ أنْ أرشـدَهُ إلى طريقِ الدينِ القيمِ طريقِ اللهِ ، شَرَعَ هُنا في ذكرِ عاقبَةِ المتبعِ لذلـــكَ الطريقِ ، وعاقبةِ المخالفِ لهَا المتكبرِ على اللهِ ، واستخدمَ في ذلـــكَ أُسلوبينِ كما يلي :

١) أسلوب الترغيب :

إذْ رَغَّبَهُ أولاً ، وذلكَ بذكرِ عاقبةِ متبعِ طريقِ الهُدَى ، وذلكَ قولُهُ : ((... وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُـدَى))(٣) . وفي تفسيرِ هذهِ الآيـةِ قَالَ الزَّجَّاجُ : " أي من اتبعَ الهُدى سَلِمَ منْ سَخَطِ اللهِ عزَّ وجلَّ وعذابِهِ ... وليسَ بتحيةٍ ، والدليلُ على ذلكَ أنه ليسَ بِابتِدَاءِ لقـــاءٍ ولا خطـــابٍ "(٤) ، وقالَ أبو حَيَّانَ : " إنَّ هذا خبرٌ بسلامةِ المُهتديـــنَ مِنَ العذابِ ، وفيه تَنبيهٌ على أنَّ فرعونَ ليسَ مِمَّنِ اتَّبعَ الهُدَى "(٥) ،وقالَ الألُوسِـيُّ * : " أي السلامةُ مِنَ العذابِ في الدارينِ لِمن اتبعَ ذلـــكَ بتصديقِ آياتِ اللهِ تعالى الهادية إلى الحقِّ ... "(٦) .

٢) أسلوب الترهيـــب :

إذ عرجَ إليهِ موسى ثانياً ، وذلكَ بذكرِ عاقبةِ الكفرِ والتولِّي عـــنْ طريقِ الهُدَى ، وذلكَ قولُهُ : ((إِنَّا قَدْ أُوْحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى))(٧) . أي:أنه أُوْحِي إِلَيْنَا مِنَ اللهِ - تعالى - أنَّ الهلاكَ والدمارَ في الدنيَا ، والخُلودَ في النـارِ إنما هوَ لِمنْ كَذَّبَ بِآيـــاتِ اللهِ وأنبيائِهِ وَأعْرَضَ عَنْ قَبولِهَا وَالإيمانِ بهَا(٨) .

ثُمَّ إنَّ مُوسى ذَكَرَ لَهُمْ - في آيةٍ أُخرى - نوعاً منْ كُفرِهم ، وهوَ تعاليهم على اللهِ - تعالى - وذلكَ قولُه : ((وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ))(٩) ، وَالمعنى : " أنْ لَا تَطغُوا وتَبغُوا على ربِّكـــم ، فَتكفُروا بهِ وتَعْصُوهُ فَتُخَالِفُوا أمْرَهُ "(١٠) ، والمرادُ منْ ذلكَ : " أي: بإنكارِ ربوبيتِهِ ، ودعوى الربوبيةِ لأنفسِكم ، وتكذيبِ رسولِهِ وغصـــبِ عبـــادِهِ "(١١) .

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٩/١٩ ط:١ . وتفسير النسفي ٣٣٠/٤ .
(٢) انظر: جامع البيان ٣٩/٣٠ ط ٢ . (٣) طـــه / ٤٧ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/١١ ط١. وانظر : زاد المسير ٢٩٠/٥ .
(٥) بتصرف . النهر الماد من البحر المحيط. وهو على هامش البحر المحيط. أبو حيان ٢٤٤/٦ . (٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي. ١٩٨/١٦ ط : لا يوجد . المنيرية .
(٧) طـــه / ٤٨ . (٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/١١ ط:١ .
(٩) الدخان/١٩. (١٠) جامع البيان ١١٩/٢٥ ط:٢ .
(١١) محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمي . تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. ٥٣٥/١٤ ط:١ . دار إحياء الكتب العربية .
* الألوسي : هو: محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالي . وهو مؤرخ ، وعالم بالأدب والدين ، ومن الدعاة إلى الاصلاح. من مصنفاته : " روح المعاني " وهو تفسير كبير مملوء بالعلوم ، وفيه نزعة صوفية .ولد في رصافة ببغداد سنة ١٢٧٣هـ وتوفي فيها ١٣٤٢هـ.انظر: الأعلام للزركلي ١٧٢/٧، ١٧٣.

ثُم إنَّ موسى اختَتَمَ دعوتَهم للإيمانِ ، وتبليغَهم حكمَ اللهِ ، بذكرِ اعتزازِه باللهِ ، واستعاذتِه من شرهِم ، وأظهرَ لهمْ ثَباتَه وعِصْمَتَه باللهِ منْ أنْ يصِلَه سوءٌ منْ قِبَلِهم ، وذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ((وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ)) (١) ، والمعنى المرادُ : " أي اعتصمتُ بهِ منْ رجمِكم . يعني القتلَ ، فعصمَني ، فلا يَنالُني مِنكم مكروهٌ ، مع أنه لا يَعصمُ من افترى عليهِ . وقصد بهذهِ الجملةِ إظهارَ مزيدٍ منْ شجاعتِهِ وثباتِهِ في موقفٍ تَضْطَربُ فيهِ الأفئدةُ ، وَتَزِلُّ الأقدامُ ، خوفاً ورعباً . وما ذاكَ إلا لايوائِهِ إلى عصمةِ اللهِ وتأييدِهِ "(٢) .

ثمَّ أنهى كلامَه بقولِهِ كما ذُكرَ في القرآنِ : ((وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ)) (٣) ، أي : إنْ لَمْ تُصدقوني وَلَمْ تُؤمِنوا باللهِ لأجلِ برهاني وما آتيكُم بهِ منَ الحجةِ - واللام في (لي) لام الأجل - فَخَلُّوا سبيلي لا لِي ولا عَلَيَّ (٤) .

وموسى بذلكَ قطعَ عليهِم سبيلَ استخدامِهم لقوتِهم ضِدهُ ، إضافةً إلى تنبيههِم أنَّ ايمانَهم يعودُ عاقبتُه عليهِم ، وأنهُ لا يتأثرُ بإصرارِهم على الكفرِ ، بلْ يَعتزِلُهُم .

وبذلكَ يَتضحُ لنا - أنَّ مُوسى دَعَا فرعونَ إلى التزكيةِ والهدايةِ والتقوى، وَرغَّبهُ في اتباعِ ذلكَ ، كما حذَّرهُ منْ مخالفتِهِ .

وكلماتُ موسى في ذلكَ تُمثلُ العنوانَ الجامعَ الشاملَ المُجملَ لدينِ اللهِ ودعوتِهِ . وهذهِ هيَ سنةُ اللهِ في أنبيائِهِ ورسلِهِ ، وأتباعِهم، وهيَ دعوةُ الناسِ جميعاً إلى عبادةِ اللهِ ، مع توجيهِ الخطابِ إلى كبرائِهم بالدرجةِ الأُولى . ذلكَ أنَّ النَّاسَ غالباً ما يَكُونونَ عَلَى دينِ مُلوكِهم .

ولذلكَ وَجَّهَ موسى دعوتَه أولاً إلى فِرعونَ ، وكذلكَ فَعلَ الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - في دعوتِهِ لِبَنِي الأَصفرِ ، إذ ابتدرَ دعوتَهم بملِكِهم هِرَقْلَ ، فقد كتبَ إليهِ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ(٥)،وَ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))(٦)...)(٧) .

وكذلكَ أمرَ الرسولُ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - أتباعَه وذلكَ قولُهُ تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...)) (٨) . ومنَ الغريبِ في هذا المقامِ أنَّ كثيراً من حكامِ المسلمينَ إذا مَا دُعُوا إلى إقامةِ الدينِ والشريعةِ ، رَفضُوا وتَستَّروا خلفَ حججٍ واهيةٍ ، وحالُهم هذا أشبهُ بحالِ فرعونَ الذي سنرَى مَوقفَه - في المطلبِ التالي - من دعوةِ مُوسى .

---

(١) الدخان/٢٠ . (٢) محاسن التأويل١٤/٥٢٠٥ وما بعدها .
(٣) الدخان/٢١ . (٤) انظر:الجامع لأحكام القرآن١٦/١٣٥ ط:المصورة .
(٥) الأريسيين: قيل في معناها : هم الخدم والخول، وقيل : الأكارين كانوا عندهم من الفرس وقيل:غير ذلك. ويبدو أن المعنى: عليك إثم أتباعك. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٨ .
(٦) آل عمران /٦٤ . (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الجهاد والسير) باب:(كتاب النبي إلى هرقل ..) ٥/١٦٤ . (٨) يوسف / ١٠٨ .

(المطلب الثالث)

(موقف فرعون وملؤه من الدعوة)

بعدَ أنْ دَعَا مُوسى - عليه السلام - فرعونَ للإيمانِ وحذرَه منَ الكفرِ والعصيانِ ، كانَ موقفُ فرعونَ موقفَ المكذبِ والمشككِ والمعارضِ لدعوةِ موسى، وتفصيلُ ذلكَ كَما يَلِي :

أولاً : الطعن في شخص موسى :

بعدَ أنِ استمعَ فِرعونُ لِموسَى وهوَ يدعوهُ وَيُبلغهُ أوامرَ اللهِ ، شَرعَ الخبيثُ في الطعنِ في شخصِ موسى - عليه السلام - ظناً منهُ أنهُ إذا سَقطَ موسى كشخصٍ سَقطت دعوتُه تَبعاً لهُ ، وذلكَ قولُهُ-تعالى-: ((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) (١) .

فهاتانِ الآيتانِ الكريمتانِ تَدلانِ على خُبثِ فرعونَ ومكرِهِ ودهائِهِ ، ذلكَ أنهُ أرادَ أنْ يطعنَ في دعوةِ اللهِ - تعالى - منْ خلالِ الطعنِ في حاملِها ورمزِها موسى ، وقدْ استَخدمَ اللعينُ في ذلك أسلوباً ماكراً نُفصِّلُهُ فِيمَا يَلَي :

أ) الإمتنان بالنعم :

وذلكَ في قولِهِ-تعالى-: ((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)) (٢) ، فذكرهُ فرعونُ بأنهُ صاحبُ فضلٍ بالغٍ عليهِ ، إذْ أنه رَبَّاه في بيتِهِ وفي كَنَفِهِ ، بعدَ أنْ أنقذَهُ مِنْ قَتلِ الذبَّاحينَ في الوقتِ الذي كانَ يُقتلُ أمثالُه مِنْ أبناءِ بني إسرائيلَ ، وأضافَ إلى ذلك : أنهُ زادَ في إكرامِهِ إذ أنه لَبِثَ في نعيمِهِ وفضلِهِ سنينَ عديدةً منْ عُمُرِهِ .

ب) الإتهام بالقتل :

وذلك واضحٌ في قولِهِ-تعالى-: ((وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ...))(٣) ، فبعدَ أنْ ذكَّرهُ بنعمِهِ عليهِ ، شَرَعَ هنا في تذكيرِهِ بقتلِهِ القبطي ، وكأنهُ يقولُ له : يَا مُوسى هَلْ جَزاءُ إحسانِنَا إليك أنْ تَقتلَ أحدَنا ثُمَّ تَهربَ منْ فعلِكَ هذا !

وحتى أنَّ الألفاظَ التي ذَكَرَهَا - وهي المشتقةُ مِنْ " فَعَلَ " - تَدلُّ على خباثَةٍ ، إذ أنه لَمْ يذكر الحَادثةَ صراحةً ولكنْ أشارَ إليها بهذهِ الألفاظِ للاشمئزازِ والتهويلِ ، ويقولُ صاحب الظلالِ في ذلك : " وَيذكِّرهُ بحادثِ مَقْتَلِ القبطي في تهويلٍ وتجسيمٍ: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) .. فِعلتُك البشعةُ الشنيعةُ التي لا يليقُ الحديثُ عنها بالألفاظِ المفتوحةِ ..."(٤) .

---

(١) الشعراء ١٨/ ، ١٩ .
(٢) الشعراء / ١٨ .
(٣) الشعراء / ١٩ .
(٤) في ظلال القرآن ٢٥٩١/٥ .

جـ) الحكم بالكفـــــــر :

وذلكَ قولُه-تعالى-: ((... وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) (١) ، فبعدَ أنْ ذكَّرهُ بنعمِهِ عليهِ ، وقَرَّرهُ بقتلِهِ للقبطِي ، شَرَعَ هنا بالحكمِ عليهِ بالكفرِ وذلكَ في قولِهِ : (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) .

فكأنهُ ذكرَ مُقدِّمتينِ ونَتيجةً ، فالمُقدمةُ الأُولى هي الإنعامُ، والثانيةُ هي قتلُ القبطِي ، والنتيجةُ هي كُفرُ موسى .

وذكرَ أبو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ قَولينِ للمفسرينَ في قولِهِ : (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) " أحدُهما : مِنَ الكافرينَ لِنِعْمَتِي ، قالهُ ابنُ عباسٍ ، وسَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ* ، وَعَطَاءٌ** ، وَالضَّحَّاكُ*** ، وابْنُ زَيْدٍ****،والثاني: من الكافرينَ بإلٰهِكَ ، كنتَ معنا على ديننا الذي تَعِيبُ ، قالهُ الحَسَنُ والسُّدِّي . فعلى الأولِ : وأنتَ منَ الكافرينَ الآنَ ، وعلى الثاني : وكُنتَ" (٢) .

وقدْ رجَّحَ الطَّبَرِيُّ القَوْلَ الأولَ(٣) ، بينمَا جَوَّزَ الزَّمَخْشَرِيُّ القولَيْنِ(٤) ، وتَبِعَهُ في ذلك أبو حَيَّانَ (٥) ، وهذا الذي أميلُ إليهِ .

والكفرُ - الذي حكمَ بهِ فرعونُ على موسى - على أيٍّ منَ القولينِ يَسوءُ صاحبَه ، ويطعنُ في شخصِه ، بلْ ويُسقِطُهُ أمامَ الناسِ ، وهذا الذي أرادَ تَحقيقَهُ فرعونُ .

---

(١) الشعراء /١٩ . (٢) زاد المسير ٦/١١٩ .
(٣) انظر: جامع البيان ١٩/٦٦ ط٢ . (٤) انظر الكشاف ٣/١٠٨ .
(٥) انظر: البحر المحيط ٧/١٠ .

* سعيد بن جبير : هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي أبو عبدالله مولاهم . كان فقيها ورعا أحد أعلام التابعين . قرأ القرآن على ابن عباس ،وحدث عنه ، وعن : ابن عمر وابي هريرة ، وغيرهم . وعنه : الحكم والأعمش وخلق ، قتله الحجاج ظلما سنة ١٧٥ هـ عن ٥٩ سنة .
انظر : طبقات المفسرين للداودي ١/١٨١ ، ١٨٢ رقم (١٨١) . وتذكرة الحفاظ ١/٧٦ . وتهذيب التهذيب ٤/١١ . وحلية الأولياء ٤/٢٧٢-٣٠٩ رقم (٢٧٥) .

** عطاء : هو: عطاء بن أبي مسلم مولى المهلّب بن أبي صفرة أبو أيوب الخراساني . وثقه ابن معين وأبو حاتم ، وقيل: صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس . روى عن أبي الدرداء ومعاذ ، وعنه : عكرمة وغيره . من مصنفاته : " تنزيل القرآن " و " تفسيره " و " ناسخه ومنسوخه " . مات سنة ١٣٥ هـ عن ٨٥ سنة .
انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ١/٣٧٩ ، ٣٨٠ رقم (٣٢٩) . وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٢٣١ رقم (٤٨٦١) . وشذرات الذهب ١/١٩٢ .

*** الضحاك: هو: الضحاك بن مُزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر. وهو صدوق كثير الإرسال من الطبقة الخامسة خرج أحاديثه الأربعة . يروي " تفسيره " عنه : عبيد بن سليمان . روى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهم . وقد وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة . قال ابن حبان فر حقه : إنما اشتهر بالتفسير . مات سنة ١٠٥ هـ .
انظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/٥ رقم (٣١٤٦) .

**** ابن زيد : هو: محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ بن عمير بن جدعان القرشي التيمي المدني ، وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة . روى عن أبيه ، وأبي أمامة وابن المسيب وجماعة ، وعنه : الزهري ومالك وطائفة . عمر ومات عن مائة سنة .
انظر : تهذيب التهذيب ٩/١٧٣ ، ١٧٤ رقم (٢٥٧) . وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٤٠٥ رقم (٦٢٣٤) .

" وهكذا جمعَ فرعونُ كلَّ ما حَسِبَهُ رَدّاً قاتلاً لا يملكُ موسى - عليه السلامُ - مَعَهُ جواباً ، ولا يستطيعُ مُقاومةً . وبخاصةٍ حكايةَ القتلِ ، ومَا يمكنُ أنْ يَعقبُها منْ قصاصٍ، يَتَهَدَّدُهُ مِنْ وَرَاءِ الكلماتِ ! "(١) .

ولكنَّ كليمَ اللهِ الذي اصطفاهُ على البشرِ ما كان ليعجزَ عنِ الردِّ على مزاعمِ فرعونَ ، بلْ رَدَّ عليه بالحجةِ الدامغةِ فَدَحَضَهُ ، وانقَضَّ على افتراءاتِه فَهَزَمَهُ ، وقدْ استخدمَ في ذلكَ أُسلوباً حكيماً ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

بَدأَ موسى - عليه السلام - بدحضِ الشبهةِ الأقوى - قتل القبطي - لِيُسقِطَ بذلك حكمَ الكفرِ عنه ، وذلك بيّنٌ في قولِه-تعالى-: ((قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ))(٢) .

فهُنا يُقررُ موسى أنه فعلَ تلكَ الفعلةَ ويَعترفُ بِها ولا يَنكِرُها لأنَّ الأنبياءَ لا تعرفُ الكذبَ ، غيرَ أنه يُعللُ بقولِه : (فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)(٣). "وفي قولِه : (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) ثلاثةُ أقوالٍ : أحدُها منَ الجاهلينَ ، قاله : ابنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وقَتَادَةُ، والثاني : من الخاطِئِينَ ، والمعنى : أني قَتلتُ النفسَ خطأً ، قالهُ ابْنُ زَيْدٍ، والثالث : مِنَ النَّاسِينَ ، ومثله ((... أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ...))(٤) ، قالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ* "(٥) .

وإلى القولِ الأولِ ذهبَ الطَبَرِيُّ(٦) والقُرْطُبِيُّ(٧) وأَبُو السُّعُودِ**(٨)وغيرُهم ، وإلى تجويزِ الثلاثةِ ذهبَ الزَّمَخْشَرِيُّ(٩) . وقولُ حَبْرِ الأُمَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَرْجَحُهَا .

والمعنى على ذلك : " قالَ موسى لفرعونَ : فعلتُ تلكَ الفعلةَ التي فعلتُ : أي قتلتُ تلكَ النفسَ التي قتلتُ إِذنْ وأنَا من الضالينَ : يقولُ : وأنا من الجاهلينَ قبلَ أَنْ يَأتيَنِي مِنَ اللهِ وحيُ تحريمِ قتلِهِ عليَّ "(١٠) .

ثُمَّ يَستطردُ موسى قائلاً وَكما ذُكرَ في القرآنِ : ((فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ...)) (١١) " أَنْ تُصيبُوني بِمَضرةٍ و تُؤاخِذوني بِما لا أَستَحِقُّهُ بِجِنَايَتِي منَ العقابِ "(١٢) .

---

(١)في ظلال القرآن٥/٢٥٩١. (٢)، (٣) الشعراء/٢٠ .
(٤)البقرة /٢٨٢ . (٥)زاد المسير٦/١١٩. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور . جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. ج ٥ ص ٨٣ ، ط : لا يوجد ، بيروت .
(٦)انظر: جامع البيان١٩/٦٧ ط ٢. (٧)انظر: الجامع لأحكام القرآن١٣/٩٥ ط ١
(٨)انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد ابن محمد العمادي ٤/١٠٤ ط ١ . المكتبة الحسينية .
(٩)انظر : الكشاف ٣/١٠٩. (١٠)جامع البيان١٩/٦٧ ط:٢ .
(١١)الشعراء/٢١ . (١٢)إرشاد العقل السليم ٤/١٠٤ .
* أبو عبيدة : هو: مَعْمَر بن المثنَّى اللغويّ البصريّ مولاهم أبو عبيدة ،مولى بني تيم رهط ابي بكر الصديق . وهو شعوبي ، وقيل : كان يرى رأي الخوارج الأباضية ، وقال الجاحظ : لم يكن في الأرض خارجي أعلم بجميع العلوم منه . وهو محدث وثقه أبو داود ، وروى له البخاري تعليقا . وتصانيفه تقارب المائتين ، منها : " غريب القرآن " و " مجاز القرآن" و " أيام العرب" . ولد سنة ١١٢ هـ، ومات سنة ٢٠٩هـ ، وقيل: ٢٠٨هـ . انظر : طبقات المفسرين للداوودي ٢/٣٢٦-٣٢٨ رقم(٦٣٨). وبغية الوعاة ٢/٢٩٤. وتاريخ بغداد١٣/٢٥٢. وشذرات الذهب ٢/٢٤ .
** أبو السعود : هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي . وهو مفسر ، وشاعر، ومن علماء الترك المستعربين . دَرَّس ، ودَرَّس في بلاد متعددة . من مصنفاته : تفسيره المسمى: " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" . ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، وتوفي سنة ٩٨٢هـ . انظر : شذرات الذهب ٨/٣٩٨- ٤٠٠. والأعلام للزركلي ٧/٥٩ ط:٣ .

ثُم أضافَ إلى ذلك قائلاً كما ذُكِرَ في القرآنِ: ((... فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)) (١) ، أي : إنَّ اللهَ - تعالى - اصْطَفانِي مِنْ خلقِهِ ، ووهبَني نبوةً وهي الحكمُ فزالَ عنِي الجهلُ ، (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٢) اي:وجعلَني منْ جملةِ رُسلِهِ ، مُبلغاً عنهُ رِسالَته (٣) .

وبذلك أسقطَ موسى - عليه السلام - ذلكَ المَطعنَ الذي استَغلَّه فرعونُ بهذهِ الحججِ ، ومِنْ ثَمَّ تَرتبَ على ذلك سقوطُ حُكْمِ فرعونَ الجائرِ على موسى بالكفرِ .

ثُمَّ إنَّ موسى لَمْ يُمهلْ فِرعونَ ، بَلْ انْقضَّ عليهِ في الحالِ قائلاً كما ذكرَ القرآنُ: ((... فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)) (٤) ، وبذلك نَقَلَ فرعونَ نَقْلَةً هائلةً منَ النقيضِ إلى النقيضِ ، منْ تكفيرِ موسى ، إلى نبوةِ موسى ورسالتِه .

وبعدَ أنْ دَحَضَ - عليه السلام - الشبهةَ القويةَ ، وأسقطَ الحكمَ الجائرَ عَرَّجَ على الشبهةِ الأُخرى - وهي الأضعف - لِيَدْحَضَهَا ، وذلك في قوله تعالى ((وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٥) .

وهذهِ الكلماتُ منْ مُوسى جَاءت على سبيلِ الإنكارِ ، كما ذهبَ الحَسَنُ والمُبَرِّدُ* والزَّجَّاجُ وَالأَزْهَرِيُّ** ومُقَاتِلٌ والثَّعْلَبِيُّ***(٦) ، وتَبِعهم في ذلك القُرْطُبِيُّ(٧) و الزَّمَخْشَرِيُّ(٨) والنَّسَفِيُّ(٩) وغيرُهم .

إذ أنَّ موسى أنكرَ على فرعونَ امتنانَه عليهِ بالتربيةِ ، ومِمَّا يُؤيدُ هذا الرأيَ تلكَ الحياةُ السيئةُ التي كان يَعيشُها بَنوا إسرائيل، والتي وُلِدَ فيها موسى وتَرَعْرَعَ . فأي امتنانٍ على موسى! وقَوْمُهُ بِجُملتِهم عبيدٌ أذلاء لدى فرعونَ ! وأيُّ امتنانٍ على موسى وقومُهُ لا يَملكونَ منْ أمرِهم شيئاً ! وأيُّ امتنانٍ على موسى وأبناءُ قومِه يُذَبَّحونَ صِغَارًا عندَ الولادةِ! أيُّ جريمةٍ تلك التي يَفعلُها فرعونُ وحزبُه ثُمَّ يَأْتِي هنا لِيَمْتَنَّ على موسَى!!! وأيُّ امتنانٍ على موسى وقدْ أُلْقِيَ بهِ في البحرِ خشيةَ الذبحِ مُتعرضاً - وهو الطفلُ الرضيعُ - للغرقِ ولحيتانِ البحرِ ! وأيُّ امتنانٍ على موسى الذي أُدْخِلَ

---

(١)و(٢)الشعراء/٢١ . (٣)انظر: جامع البيان١٩/٦٧وما بعدها. ط٢ .
(٤)الشعراء/٢١. (٥)الشعراء/٢٢ .
(٦)انظر: زاد المسير٦/١٢١. وجامع البيان ١٩/٦٨.ط ٢ .
(٧)انظر : الجامع لاحكام القرآن١٣/٩١ ط:١ . (٨)انظر الكشاف ٢/١٠٩ .
(٩)انظر: تفسير النسفي٣/١٨٠ .

* المبرد: هو: محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد. كان إمام العربية ببغداد في زمنه ،وأحد أئمة الأدب والأخبار. من مصنفاته: "الكامل" و " المقتضب" و "إعراب القرآن" و " طبقات النحاة البصريين" ، ولد سنة ٢١٠هـ،ومات سنة ٢٨٦هـ،وقيل: ٢٨٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٨/١٥ط:٣. وتاريخ بغداد٣/٣٨٠.

** الأزهري: هو: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور . أحد الأئمة في اللغة والأدب. كان فقيها عالما بالعربية. من مصنفاته: " تهذيب اللغة" و " غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء" و " تفسير القرآن". ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢هـ،ومات بها سنة ٣٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي٦/٢٠٢ط:٣.

*** الثعلبي : هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحق النيسابوري الثعلبي. كان أوحد زمانه في علم القرآن. وكان مفسرا. من شيوخه: بن خزيمة ، ومن تلاميذه: أبو الحسن الواحدي . من مصنفاته : " التفسير " و " العرائس في قصص الأنبياء" عليهم السلام " و " ربيع المذكرين " . توفي في المحرم سنة ٤٢٧هـ. أنظر: طبقات المفسرين للداودي١/٦٥رقم(٥٩). وطبقات المفسرين للسيوطي /٥. والبداية والنهاية ١٢/٤٠. وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٠. وشذرات الذهب ٣/٢٣٠ .

بيتَ فرعونَ وهو لقيطٌ لا يُعرفُ لهُ أبٌ أو أمٌ أو أسرةٌ !!

إذنْ بِماذا وعلى مَنْ يَمتنُّ فرعونُ ! ويقولُ الزَّمَخْشَرِيُّ عن دحضِ موسى لتهمةِ التربيةِ: " ثُمَّ كَرَّ على امتنانِه عليه بالتربيةِ فأَبْطَلَه مِنْ أَصْلِه واستأصَلَه من سَنْخِهِ[1] وأبى أنْ يُسمي نعمتَه إلا نقمةً ، حيثُ بيَّن أن حقيقةَ إنعامِه عليهِ تعبيدُ بني إسرائيلَ لأنَّ تعبيدَهم وقصدَهم بذبحِ أبنائِهم هو السببُ في حصولِهِ عندَهُ وتربيتِهِ ، فكأنه امتنَّ عليهِ بتعبيدِ قومِهِ إذا حققت ،..."[2] .

ويصورُ صاحبُ الظلالِ هذا المشهدَ قائلاً : " ثُمَّ يُجيبُهُ تَهكُّماً بِتَهكمٍ ولكن بالحقِّ ... فما كانت تَربيتي في بيتِكَ وليداً إلا منْ جَرَّاءِ استعبادِكَ لبني إسرائيلَ ، وقتلِكَ أبناءَهم ، مِمَّا اضْطَرَّ أُمِّي أنْ تُلقِيَنِي في التابوتِ فَتقذفَ بالتابوتِ في الماءِ ، فتلتقطوني ، فَأُرَبَّى في بيتِكَ ، لا في بيتِ أبويّ . فهل هذا هو ما تَمُنُّهُ عَلَيَّ ، وهل هذا هو فضلُك العظيمُ؟! "[3] .

وهنا يَنهزمُ فرعونُ ، وهنا يُسقطُ في يديهِ ، فَلا يستطيعُ رداً ولا يَجدُ إجابةً ، بَلْ يَستسلمُ لِما قَررهُ موسى ، غيرَ أنَّ اللعينَ لا ينسحبُ مِنَ المعركةِ بسهولةٍ ، فبعدَ أنْ هُزِمَ في هذا الميدانِ ، انْتَقَلَ إلى مَيدانٍ آخرَ يُحاجِجُ ويصارِعُ فيهِ وهو ميدانُ ربوبيةِ اللهِ-عز وجل-.

وهكذا يَتضحُ-لنا-منْ خلالِ هذا المطلبِ أنَّ الطواغيتَ يَعْمَدُونَ إلى الطعنِ في دعوةِ اللهِ وإسْقَاطِهَا منْ خلالِ الطعنِ في حملتِها ودعاتِها .

فموسى - هنا - يَدعُو فرعونَ إلى اللهِ ، وفرعونُ أخذَ يَطعنُ في شخصِ موسى بدلاً منْ أنْ يَردَّ عليهِ في نفسِ المجالِ .

إذنْ تِلكَ الحملاتُ المسعورةُ المُضَلِّلَةُ الكاذِبَةُ مِنَ الدعايةِ التي يَشُنُّهَا إعْلَامُ الطَّواغِيتِ وأبواقُه ضدَّ الدعاةِ ، إنَّما القَصدُ الحقيقيُّ والهدفُ مِنْ وَرائِها هو محاربةُ دعوةِ اللهِ ، مِنْ خلالِ الطعنِ في حملتِها ورُموزِهَا .

فَهنا فرعونُ يَتَّهِمُ موسى بالكفرِ ، ومثلُ هذا الإتهامِ يُعْتَبَرُ سُنَّةً ثابتةً للطواغيتِ . فمنذُ القدمِ وحتى الآنَ وإلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عَلَيْهَا ، والأنبياءُ والرسلُ وأتباعُهم يَتعرضونَ لِمثلِ تلكَ التهمِ والمطاعنِ .

فهذا نوحٌ يَتهمُهُ قومُهُ بالجنونِ قائلينَ كما ذكرَ القرآنُ: ((إنْ هُوَ إلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا[4] بِهِ حَتَّى حِينٍ))[5] ، وهذا هودٌ يَتهمُهُ قومُهُ بالسفاهَةِ والكَذِبِ قائلينَ كما ذُكرَ في القرآنِ : ((... إنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[6] ، وهذا صالحٌ يَتهمُهُ قومُهُ بالسحرِ : ((قَالُوا إنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ))[7] ، وهذا إبراهيمُ يَتَّهِمُهُ قومُهُ باللعبِ ، وذلك قولُه-تعالى-: ((قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ))[8] ، وهذا شعيبٌ يَتهمُهُ قومُه بالسحرِ وذلكَ قولُه-تعالى-: ((قَالُوا إنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ))[9] ، وهذا مُحَمَّدٌ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يَتهمُهُ قومُهُ بالشعرِ

---

(١) سنخه : أصله ، أو: منبته . انظر: القاموس المحيط/٣٢٣ . (٢) الكشاف٢/١٠٩ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩١ . (٤) فتربصوا : من ربص ، والتربص: الإنتظار، ويكون بالخير وبالشر. والمراد : انتظروا به شرا . انظر: مفردات غريب القرآن ١٨٥ . والقاموس المحيط/٨٠٠: ومختار الصحاح/٢٢٩ . (٥) المؤمنون/٢٥ .
(٦) الأعراف/٦٦ . (٧) الشعراء/١٥٣ . (٨) الأنبياء/٥٥ .
(٩) الشعراء/١٨٥ .

وبالجنون وذلك قولُه -تعالى-: ((وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)) (١) .

وهكذا يَتضحُ لنا أنَّ الطعنَ في أشخاصِ حملةِ الدعوات من الرسلِ وأتباعِهم هو سنةٌ ثابتةٌ لا تتغيرُ ولا تتبدلُ ، ولذلك سَجَّلَهَا القرآنُ الكريمُ على الطواغيتِ في حقِّ الرسلِ جميعاً ، وذلك قولُه -تعالى-: ((كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)) (٢) .

وبذلك يَزولُ العجبُ والإستغرابُ عن الدعاةِ إذا ما تَعَرَّضُوا لسيلٍ مِنَ الإتهاماتِ والطعونِ التي لا تَتوقفُ ولا تَنتَهي . ومثالُ ذلك : الإتهامُ بالكَذِبِ ، والإتهامُ بالعَمَالَةِ للأجنبيِّ ، وبمُحَاوَلَةِ أَكْلِ أموالِ النَّاسِ أو السيطرةِ على الحكمِ للرئاسةِ ، أو استغلالِ الدينِ للمنافعِ الشخصيةِ ، ومَا إلى ذلك .

كَما ويَتضحُ لنا من خلالِ هذا المطلبِ ، أنَّ على الداعيةِ أنْ يدحض تُهمةَ خصمِه بالحجةِ الدامغةِ والدليلِ الساطعِ ، كما فعلَ موسى بمَطَاعِنَ فرعونَ .
وهذا هو الأسلوبُ الأمثلُ في الردِّ على تُرَّهَاتِ وأكاذيبِ وافتراءاتِ الطواغيتِ وإمعاتِهم . وهذا الأُسلوبُ وَرَدَ ذكرُهُ كثيراً في قصصِ الأنبياءِ مَعَ أقوامِهم في القرآنِ الكريمِ .

ومن ذلك دَحْضُ إبراهيمَ - عليه السلام - لاتهامِ قومِه ، وذلك قولُه -تعالى-: ((قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)) (٣) .

ومنْ ذلك دَحْضُ هودٍ - عليه السلام - اتهامَ قومِه ،وذلك في قولِه -تعالى-: ((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ . أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ....)) (٤) الآيةَ .

ومن ذلك دَحْضُ مُحمدٍ - صلى الله عليه وسلم - اتهامَ قومِه ، وذلك قولُه: -تعالى-: ((قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) (٥) .

ومنِ الجديرِ ذِكرُهُ أنَّ سيرةَ الداعيةِ الخلقيةِ والعِلْمِيةِ مِنَ الأمورِ التي تَعينُ الداعيةَ على دحضِ حجةِ خَصمِه .

---

(١) الصافات / ٣٦ .
(٢) الأنبياء / ٥٦ .
(٣) الذاريات / ٥٢ .
(٤) الأعراف / ٦٧-٦٩ .
(٥) يونس / ١٦ .

ثانياً : الطعن في رسالة موسى :

هنا بَدأَ فِرعونُ بالطعنِ في رسالةِ موسى - عليه السلام - منْ خلالِ الطعنِ في ربوبيةِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - ، وهذا المشهدُ وردَ ذكرُهُ في سورةِ " طَهَ " في الآيةِ التاسِعةِ والأربعينَ وما بعدَها ، وذلكَ قولُه-تعالى-: ((قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)) .... الآيات .

كما وَرَدَ ذكرُهُ أيضاً في سورةِ " الشعراءِ " في الآيةِ الثالثةِ والعشرينَ وما بعدَها وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)) ... الآيات .

وبالتأملِ والمقارنةِ يَظهرُ الفرقُ بينَ السؤالين ، فالأولُ : سؤالٌ عنْ ربِّهما ، والثاني : سؤالٌ عن ربِّ العالمينَ .

وبالنظرِ إلى سِياقِ الآياتِ قبلَ السؤالينِ وبعدَهما ، يَتضحُ-لنا-أنَّ فرعونَ سَألَ موسى وهارونَ عنْ ربِّهما أولاً ، فَأجابَهُ موسى على ذلك ، ثُمَّ سَألهُ عنْ رَبِّ العالمينَ ثانياً ، فَأجابَهُ موسى على ذلك ، وبيانُ الأمرِ كما يَلي :

في الآيةِ السابعةِ والأربعينَ منْ سورةِ " طَهَ " كانَ قَولُهُمَا لفرعونَ كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((... إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ...)) ولذلك كان سُؤالُه لهما في الآيةِ التاسعةِ والأربعينَ مِنْ نفسِ السورةِ قولُه كما ذُكِرَ في القرآنِ: ((قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)) ، وتَرتبَ جَوابُ موسى حسبَ السؤالِ في الآيةِ الخمسينَ منْ نفسِ السورةِ ، وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) .

وَأما في سورةِ " الشُعَرَاءِ " فكانَ قَولُهما لفرعونَ في الآيةِ السادسةِ عَشْرةَ : ((... إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ، ولذلكَ سَألَهما عن ادعائِهِمَا نفسِهِ في الآيةِ الثالثةِ والعشرينَ منْ نفسِ السورةِ ، وذلكَ قولُه تَعالى ((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)) وَترتبَ جَوابُ موسى حسبَ السؤالِ في الآيةِ الرابعةِ والعشرينَ منْ نفسِ السورةِ وذلكَ قولُهُ : ((قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)) .

ومما يُعضدُ ما ذهبْنَا إليهِ جَمْعُ الفَخْرِ الرَّازِيِّ بَينَ الآيتينِ حيثُ يقولُ : " إنهُ-سبحانه-حكى عنهُ في هذهِ السورةِ [طه] أنهُ قالَ : ((فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)) (١) وقال في سورةِ الشعراءِ : ((وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ))(٢) ، فالسؤالُ هُهُنَا [في سورةِ طه] بِمَنْ وَهُوَ عَنِ الكَيفيةِ ، وفي سورةِ الشعراءِ بِمَا وهوَ عنِ المَاهيةِ ، وهُما سؤالانِ مختلفانِ وَالواقعةُ واحدةٌ ، والأقْرَبُ أن يقالَ : سؤالُ منْ كانَ مُقَدَّماً على سؤالِ ما لأنهُ كَان يقولُ إني أنا اللهُ والربُّ فَقالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا ، فَلما أقامَ موسى الدلالةَ على الوجودِ وعَرَفَ أنه لا يُمكنُهُ أنْ يُقاومَه في هذا المقامِ لظهورهِ وجلائهِ عَدَلَ إلى المقامِ الثانِي وهوَ طَلَبُ المَاهيةِ... لأنَّ العلمَ بماهيةِ اللهِ - تعالى - غيرُ حاصلٍ للبشرِ"(٣) .

وبعدمَا تَقررَ مَا سَبقَ يَتضحُ-لنا-أنَّ فرعونَ بَدأَ يَطعنُ في رسالةِ موسى ودعوتِهِ مُباشَرةً بَعدَ فَشلِهِ في الطعنِ فيها من خلالِ شخصِ موسى - كما أسلفنا - .

---

(١) طه/٤٩ . (٢) الشعراء/٢٣ . (٣) التفسير الكبير ٢٢/٦٦ .

وفي هذهِ الجولةِ اتَّجهَ فرعونُ إلى الطعنِ والتكذيبِ بربوبيةِ اللهِ ، واستخدمَ في ذلك أُسلوبَ التشكيكِ والإثارةِ والتخويفِ والتهديدِ ، وفيما يلي بيانُ ذلك :

أ) السؤال عن رب موسى وهارون :

وذلك قولُه كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)) (١) .

ففي هذهِ الآيةِ الكريمةِ خَاطَبَهُمَا فرعونُ معاً ، غيرَ أنهُ وَجَّه النِّداءَ إلى موسى وحده ، لأنهُ الأصلُ في النبوةِ وهارونُ وزيرُه وتابعُه ، أو لأنه أرادَ أنْ يَستثنِيَ هارونَ الأفصحَ لساناً لِيظهرَ عجزُ موسى من خِلالِ الرتةِ التي في لسانِه ، ويدلُّ على ذلك ما وَرَدَ في هذه الآية : ((أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)) (٢) (٣) .

وأما المَعنى المرادُ للآيةِ الآنفةِ : " أي قَالَ فرعونُ لَهما : فَمنْ رَبُّكُمَا ؟ فأضافَ الربَّ إليهما ولَمْ يُضِفْهُ إلى نفسِهِ لِعدمِ تصديقِهِ لَهما ولِجَحدِهِ للربوبيةِ.." (٤) ، ولإعتقادِهِ " أنه لا يَنتسبُ إلى ربٍّ ، فَإذا كانَ لموسى وهارونَ رَبٌّ غيرُ فرعونَ فَليقُولا لَه منْ هو ؟ ولهذا لَمْ يَقُلْ فرعونُ : مَن رَبِّي هذا ؟ بَلْ قَالَ مَنْ رَبُّكُمَا "(٥) .

وبعدَ أنْ وَجَّهَ فِرعونُ هذا السؤالَ لكليمِ اللهِ ، لَمْ يَتوقفْ موسى عَنِ الإجابةِ عليهِ ، ولمْ يَعجزْ ، بَلْ رَدَّ عليهِ رَدّاً رَائعاً مُعجزاً ، أَعْجَزَ فرعونَ وجَعلَهُ يَتحولُ إلى سؤالٍ آخرَ وذلك قولُه كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) (٦) .

فهنا لَمْ يُجبْهُ موسى - عليه السلام - عن كيفيةٍ أَوْ ماهيةٍ ، لأَنَّ ذلك محالٌ عِلمهُ على الخلقِ ، ولكنهُ أجابَ عنْ صفاتِ اللهِ-عز وجل-المبدعةِ المنشئةِ المدبرةِ لكلِّ الخلقِ ، حيث ذكرَ لَهُ صفةَ خلقِهِ لكلِّ شيءٍ ، وصفةَ هدايتِهِ لهذا الخلقِ .

وفي قولِه : (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) ثلاثةُ أقوالٍ .. أحدُها : أعطى كل شيءٍ صورتَه التي خُلِقَ عليها ، فصورةُ الإنسانِ ليست كالحيوانِ ، والبعيرُ ليس كالفرسِ وهكذا . رُوِيَ هذا عنِ ابنِ عَبَّاسٍ . والثاني : أعطى كُلَّ ذكرٍ زوجتَه ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضاً . والثالث : أَعْطَى كُلَّ شيءٍ ما يُصلِحُه ، وَرُوِيَ هذا عَنْ قَتَادَةَ (٧) .

وفي قولِه : (ثُمَّ هَدَى) ثلاثةُ أقوالٍ أيضاً . أحدُها : هَدَى كَيْفَ يَأتِي الذَّكرُ الأُنْثَى . رُوِيَ هذا عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . والثاني : هُدِيَ للمنكحِ والمطعمِ والمسكنِ ، ورُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ أيضاً . والثالث : هَدَى كُلَّ شيءٍ مَعِيشَتَهُ ، قَالَه مُجَاهِدٌ (٨) .

---

(١) طه / ٤٩ . (٢) الزخرف/٥٢ .
(٣) انظر: الكشاف ٥٣٩/٣ . والتفسير الكبير ٦٦/٢٢ .
(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير . محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ٣٦٨/٣ . ط٢ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
(٥) التفسير القرآني للقرآن. عبدالكريم الخطيب . ٧٩٧/١٦ . ط: لا يوجد. دار الفكر العربي . (٦) طه / ٥٠ .
(٧) (٨) انظر: زاد المسير ٢٩١/٥. وجامع البيان ١٧١/١٦ وما بعدها ط٢. وتفسير القرآن العظيم ١٥٥/٣. والجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/١١. ط ١ .

والراجحُ : هوَ ما ذَهبَ إليه القُرْطُبِيُّ حيثُ يقولُ : " والآيةُ بعمومِها تتناولُ جَميعَ الأقوالِ "(١) . والأقوالُ السالفةُ أغلبُها متشابهة ولَعلَّها مِنْ بابِ التنويعِ .

وَوجهُ احْتجاجِ موسى على فرعونَ من هذا ، هو أنه قدْ ثَبتَ وجودُ خَلْقٍ وهدايةٍ ، فلابدَّ إذنْ مِنْ خالقٍ وهادٍ (٢) .

وبذلك دَحَضَ موسى - عليه السلام - شُبهةَ فِرعونَ بالحجةِ الدَّامغةِ التي لَمْ يَستطعْ لها رداً ، والتي ألجأتْهُ إلى سؤالٍ آخرَ يَسْتَتِرُ خَلفَهُ ، وهذا ما تُوضحُهُ لنا النقطةُ التاليةُ .

ب) السؤال عن القرون الأولى :

وذلك في قولِهِ - تعالى - : ((قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى))(٣)

فقدْ انْتَقلَ هُنا فِرعونُ انتقالةً هائلةً مِن النقيضِ إلى النقيضِ ، فبعدَ أن كانَ يَسألُ عن الرب صار يسأل عن المربوب ،وبعد أن كان يسأل عن حي لا يموت صار يسأل عن أموات اندثروا في ظلمات الأرض .

والمُفسرونَ " اختلفُوا فيما سَألَعنهُ مِنْ حَالِ القرونِ الأُولى على ثلاثةِ أقوالٍ . أحدُها : أنهُ سَألَهُ عنْ أخبارِها وأحاديثِها ... وهذا مذهبُ مُقاتلٍ . والثاني: أنَّ مرادَه مِنَ السؤالِ عَنهَا : لِمَ عُبِدَتْ الأصْنامُ ، وَلِمَ لَمْ يُعبدِ اللهُ إنْ كَان الحقُّ ما وَصفتَ ؟! . والثالثُ : أنَّ مُرادَه مَا لَهَا لا تُبعثُ ولا تُحاسبُ ولا تُجازَى ؟! ..."(٤) .

وإلى الرأي الثاني ذَهبَ الطَّبَرِيُّ(٥) وابْنُ كَثِيرٍ(٦) ، وإلى الأولِ ذَهبَ الرَّازِيُّ (٧) والألُوسِيُّ(٨) ومَالَ إليهِ أيضاً القُرْطُبِيُّ(٩) وأبُو حَيَّانَ(١٠).

والراجحُ أنَّ الأقوالَ الثلاثةَ مُرادةٌ منْ سُؤالِهِ ، إذْ أنَّ فِرعونَ لَمْ يُخصِّصْ في سؤالِهِ شَيئاً مُعيناً ، بَلْ ذَكرَ السؤالَ على العمومِ ، وهذا العمومُ يَحتَمِلُ كُلَّ ما يَتعلقُ بالأممِ السالفَةِ منْ حيث أخبارُها ودينُها ومآلُها .

والدليلُ على ذلك قولُهُ-تعالى-: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)) (١١) الآيات .

فقدْ ذَكرَ الوَاحِدِيُّ * عَنْ قَتَادَةَ فِي سببِ نُزولِ هذهِ الآيةِ : " أنَّ اليَهودَ سَألوا نبيَّ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - عَنْ ذي القرنين، فأنزلَ اللهُ-تعالى-هذه الآيةَ "(١٢) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١٠/٢٠٥ ط١ . (٢) انظر: زاد المسير ٢٩١/٥ .
(٣) طه /٥١ . (٤) زاد المسير ٢٩٢/٥ .
(٥) انظر: جامع البيان ١٧٣/١٦ ط٢ . (٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٥٥/٣ .
(٧) انظر: التفسير الكبير ٦٧/٢٢ ط١ . (٨) انظر: روح المعاني ٢٠٣/١٦ .
(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/١١ ط١ . (١٠) انظر: النهر الماد من البحر المحيط ٦٧/٦
(١١) الكهف /٨٣ . (١٢) أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري . ص ١٧٢ . ط ١ . دار الكتب العلمية .

* الواحدي : هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه الإمام أبو الحسن الواحدي النيسابوري . كان أوحد عصره في التفسير، وكان عالما باللغة لازم أبا إسحق الثعلبي. من مصنفاته : التفاسير الثلاثة : " البسيط "و " الوسيط " و " الوجيز "، و " أسباب النزول " . مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٣٨٧/١ - ٣٩٠ رقم (٣٣٩). والبداية والنهاية ١١٤/١٢. وبغية الوعاة ١٤٥/٢ . وطبقات المفسرين للسيوطي / ٢٣ . وطبقات الشافعية للسبكي ٢٤٠/٥ .

والشاهدُ أنَّ اليهودَ سألوا النبيَّ - عليه السلام - سؤالاً عاماً عنْ ذي القرنين ، كما سألَ فرعونُ سؤالاً عاماً عن القرونِ الأولى ، فكانت إجابةُ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - شيئاً من أخبار ذي القرنين وعن دينهِ ومآلهِ وختمَ ذلك بقولهِ : ((قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً)) (١) .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُ صاحبِ الظلالِ في ذلك : " ((قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى)) (٢) .. ما شأنُ القرونِ الأولى التي مَضَت منَ الناس ؟ أينَ ذهبَت ؟ ومن كان ربُّها ؟ وما يكونُ شأنُها وقدْ هَلَكَتْ لا تعرفُ إلهَها هذا ؟ "(٣) .

وبعدَ أنْ طَرحَ فرعونُ سؤالَه هذا - الذي التجأ إليهِ بعدَ افتضاحِ أمرهِ عندَ سؤالِه عَنْ ربِّهما - أجابَه موسى بما يُعجزُهُ تماماً ، وذلك قولُه كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ : ((قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)) (٤) .

ويَقصدُ موسى بذلكَ : أنَّ عَملَ القرونِ الأولى عندَ اللهِ ، مَضبوطٌ عليهم ، وسَيجزيهم بعملِهم ، وهذا في كتابِ اللهِ وهو اللوحُ المحفوظُ ، لا يشذُّ عنِ اللهِ شيءٌ ولا يفوتُهُ صَغيرٌ ولا كَبيرٌ ، ولا يَنسى شَيئاً ، بَلْ إنَّ عِلمَهُ بكلِّ شيءٍ محيطٌ"(٥) .

وبهذهِ الإجابةِ فَوَّضَ موسى عِلْمَ القُرونِ الأولى إلى اللهِ ، وَلَمْ يَنْسَ أو يُقدسَ اللهَ ويُنزهَه عنْ كلِّ نقصٍ .

وإجابةُ موسى - عليه السلام - هذه تُوحي لِفرعونَ: أنَّ سُؤالكَ عَنِ القرونِ الأولى ليسَ مِما نحن بصددهِ ، بلْ هو منْ علمِ الغيبِ الذي استأثرَ اللهُ بهِ لا تعلمه أنتَ ولا أنا (٦) . وبهذهِ الإجابةِ انتصرَ موسى على فرعونَ وظهرَ عليهِ مرةً أخرى .

ويأتي سِياقُ الآياتِ بعدَ هذهِ الإجابةِ مباشرةً بقولِهِ : ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى . كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى . مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)) (٧) .

فهذهِ الآياتُ الثلاثُ اختلفَ في نسبتِها المُفسرونَ ؛ أهِيَ قولٌ مُستأنفٌ مِنْ موسى ؟ أوْ كلامٌ منَ اللهِ جاءَ معترضاً في هذا المقامِ ؟ وتفصيلُ ذلك كما يلي :

١) ذَهبَ الطَّبَرِيُّ(٨) إلى أنَّ هذه الآياتِ الثلاثَ كلَّها منْ كلامِ اللهِ ، وليسَت من حديثِ موسى لفرعونَ ، وتَبعَه في ذلك الرَّازِيُّ(٩) وَأَبُو حَيَّانَ(١٠) .
واستدلَّ الرَّازِيُّ بوجودِ ضميرٍ محذوفٍ مُقدرٍ فيقول : " ويكونُ التقديرُ: هو الذي (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) فيكون (الذي) خبرَ مبدإٍ محذوفٍ ويكونُ الإنتقالُ من الغيبةِ إلى الخطابِ التفاتاً"(١١) .

---

(١) الكهف /٩٨ . (٢) طه /٥١ . (٣) في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٨ .
(٤) طه /٥٢ . (٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٥ .
(٦) انظر: فتح القدير ٣/٢٦٩ . (٧) طه /٥٣ - ٥٥ .
(٨) انظر: جامع البيان ١٦/١٧٤ ط٢ . (٩) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٧٠ .
(١٠) انظر: النهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٤٩ . (١١) التفسير الكبير ٢٢/٧٠ .

واستدلَّ أبو حيّانَ على ذلك بقولِهِ : " ذهبنا إلى أنَّ هذا منْ كلامِ اللهِ - تعالى - لقولِهِ - تعالى - : (فَأَخْرَجْنَا بِهِ) وقولِهِ : (كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) وقولِهِ : (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ) فيكونُ قولُهُ : (فَأَخْرَجْنَا و (أَرَيْنَاهُ) التفاتاً من ضميرِ الغائبِ في (جَعَلَ) ،و(سَلَكَ) إلى ضميرِ المتكلمِ المعظمِ نفسَه ، ولا يكونُ الإلتفاتُ من قائلين "(١) .

٢) ذهبَ القُرْطُبِيُّ(٢) إلى أنَّ قولَ موسى تمَّ بقولِهِ : (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ثُمَّ قَالَ اللهُ -تعالى- : (فَأَخْرَجْنَا بِهِ ...) الآيات ، وتبعَهُ في ذلك أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الجَوْزِيِّ (٣) وَالْخَازِنُ (٤) .

وهؤلاءِ لَمْ يذكروا أدلةً ، ولكن يفهم من كلامِهم أنَّ قولَه - تعالى - (فَأَخْرَجْنَا ..) هو الفاصلُ بينَ كلامِ موسى وكلامِ اللهِ - تعالى - .

٣) ذهبَ ابْنُ كَثِيرٍ(٥) إلى أنَّ هذهِ الآياتِ الثلاثةَ كُلَّها منْ كلامِ موسى وليستْ معترضةً ، وتبعَهُ في ذلك صاحبُ الظلالِ(٦) الذي استدلَّ بثلاثةِ أدلةٍ ، أولُها : أنَّ هذهِ الآياتِ أشبهُ بحالِ مصرَ التي يتربعُ على عرشِها فرعونُ ، فهي تذكيرٌ قريبٌ لهُ . وثانيها : أنَّ السياقَ وإنْ كانَ قولاً مُباشراً من اللهِ إلا أنه حكايةٌ لقولِ موسى . وثالثُها : قولُه-تعالى-بعدَ ذلك: ((وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى)) (٧) أي : آياتِنا الكونيةِ التي وَجَّههُ إليها موسى فيما حَوْلَهُ ، بالإضافةِ لآيتي اليَدِّ والعَصَا .

وبالتفكرِ والتدبرِ في الآياتِ والآراءِ والأدلةِ يَبدُو لنا أنَّ الترجيحَ صعبٌ للغايةِ ، ولذلك أَعْرَضَ عنهُ الزَّمَخْشَرِيُّ(٨) ، بَلْ فَسَّرَ الآياتِ دونَ أنْ يُشيرَ إليها بأنها مُستأنفةٌ مِنْ موسى لفرعونَ ، أوْ مُعترضةٌ منَ اللهِ - عز وجل - .

والذي يَعنينَا في هذا المقامِ مِنَ البحثِ ، أنهُ لوْ كانت تلك الآياتُ مستأنفةً منْ موسى لفرعونَ ، لكانَ ذلكَ اسْتِطْرَاداً من موسى في الحديثِ عنْ آياتِ اللهِ وآلائِهِ المبثوثةِ فيهذا الكونِ ، مُشَكِّلاً بذلكَ عودةً وتكملةً لإجابَتِه على السؤالِ الأولِ الذي صَرَفَهُ عنهُ فِرعونُ بالسؤالِ الثاني ، ومَقْصِدُ موسى مِنْ ذلكَ تسخيرُ أسئلةِ فِرعونَ للتعريفِ باللهِ ، والدعوةِ إليهِ ، زيادةً على دحضِ شُبَهِ فِرعونَ .

وَأما معنى تلكَ الآياتِ فهو واضحٌ ولا يحتاجُ إلى تفسيرٍ ، فهي تَحملُ تَفسيرَها في طَيَّاتِها .

ج) السؤال عن رب العالمين :

وذلكَ في قولِ اللهِ - تَعالى - : ((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ))(٩) .

فهُنا يَستفهمُ فِرعونُ اسْتِفهَاماً عَنْ مجهولٍ منَ الأشياءِ ، فيقولُ : وأيُّ شيءٍ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟(١٠) .

---

(١) النهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٤٩ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١١ .
(٣) انظر: زاد المسير ٥/٢٩٣ . (٤) انظر: لباب التأويل ٣/٢٤٠ .
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٥ وما بعدها . (٦) انظر: في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٨ وما بعدها . (٧) طه/٥٦ . (٨) انظر : الكشاف ٢/٥٤٠ وما بعدها .
(٩) الشعراء/٢٣ . (١٠) انظر: جامع البيان ١٩/٦٨ ط ٢ . والجامع لاحكام القرآن ١٣/٩٨ ط ١ .

وسؤالُ فِرعونَ هذا يَحتملُ أمرين ، الأولُ : أنه سَألَ موسى : مَنْ هُوَ ربُّ العَالَمِينَ منَ الأشياءِ المشاهدةِ والمعروفةِ . والثاني : أنه سَألَهُ عنْ ماهيَّةِ ربِّ العالمينَ (١) .

وإلى الرأيِ الثاني ذَهبَ القُرْطُبيُّ حيثُ يَقولُ : " ... وَقَدْ سَألَ فِرعونُ عن الجنسِ ولا جنسَ للهِ - تعالى - لأن الأجناسَ محدثةٌ ، فَعَلِمَ موسى جَهْلَهُ فَأضربَ عن سؤالِه وأعلمَه بعظيمِ قدرةِ اللهِ التي تُبينُ للسامعِ أنه لا مشاركةَ لفرعونَ فيها "(٢) .

وذهبَ إليه أيضاً أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الجَوْزِيِّ حيثُ يَقولُ : " سَألَهُ عنْ ماهيةِ من لا مهيةَ لهُ ، فَأجابَه بِما يَدلُّ عليهِ من مصنوعاتِه "(٣) .

وذهبَ إليهِ أيضاً أَبُو حَيَّان حيثُ يقولُ : " ولمَّا سَألَه فرعونُ، وكان السؤالُ بـ (ما) التي هي سؤالٌ عن الماهيةِ ، ولَمْ يُمكن الجوابُ بالماهيةِ أَجابَ بالصفاتِ التي تُبينُ للسامعِ أنه لا مشاركةَ لفرعونَ فيها ، وهي : ربوبيةُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما "(٤) .

وقد رَجَّحَ الزَّمَخْشَرِيُّ الرأيَ الأولَ معللاً ذلك بأنهُ أَليقُ بحالِ فرعونَ لادعائِه الإلهيةَ وانكارِه الربوبيةَ للهِ ، ومستدلاً بأجوبةِ موسى بعدَ ذلك التي انصَبَّت على إثباتِ الربوبيةِ للهِ - تعالى - (٥) .

وقد خَطَّأَ ابْنُ كثيرٍ مذهبَ الرأيِ الثاني حيثُ قَالَ : " وَمَنْ زَعمَ منْ أَهلِ المنطقِ وغيرِهم أَنَّ هذا سؤالٌ عن الماهيةِ فقدْ غَلطَ فانهُ لمْ يَكنْ مُقراً بالصانعِ بلْ كانَ جاحداً لهُ بالكليةِ فيما يظهرُ وإنْ كانتِ الحججُ والبراهينُ قد قَامت عليهِ "(٦) .

ويبدو أَنَّ الراجحَ هو الرأيُ الأول الذي ذَهبَ إليهِ الزمخشريُّ وابنُ كثيرٍ للأدلةِ التي ذَكَراها ، ولأنَّ موسى - عليه السلام - لَمْ يذكرْ في أجوبتِهِ شيئاً عَنِ الماهيةِ ، بَلْ ولَمْ يُشرْ إليها من قريبٍ أو بعيدٍ ، فكانَ بإمكانِه أَنْ يجيبَ بمثلِ قولِهِ : ((... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (٧) وبمثلِ سورةِ الصَّمَدِ التي في القرآنِ .

ثُمَّ إِنَّ مُوسى - عليهِ السلامُ - بعدَ أَنْ طَرَحَ فرعونُ سُؤالَهُ ذاكَ ، أَجابَهُ إِجَابةً رَائِعةً تَدلُّ على قوةِ حجتِهِ ، وسعةِ علمِهِ ، وامتلاكِهِ زمامَ المُناظرةِ وذلكَ قولُهُ كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ))(٨) ، " أي : خَالِقُ جَميعِ ذلكَ ومَالِكُهُ والمُتصرفُ فيهِ وَإِلَهُهُ لا شريكَ لهُ ، هو الذي خَلقَ الأشياءَ كُلَّها ، العَالَمَ العُلوي وما فيه من الكواكبِ الثوابتِ والسياراتِ النيراتِ ، والعَالَمَ السُفلي وما فيهِ منْ بحارٍ وقفارٍ وجبالٍ وأشجارٍ وحيواناتٍ ونباتٍ وثمارٍ ، وما بينَ ذلك من الهواءِ والطيرِ ومن يحتوي عليه الجوُّ ، الجميعُ عبيدٌ له خَاضِعونَ ذَليلونَ (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أي : كانت لكم قلوبٌ موقِنةٌ وأبصارٌ نَافذةٌ "(٩) .

---

(١) انظر : الكشاف ٢/١٠٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٩٨ . ط:١ .
(٣) زاد المسير ٦/١٢٢ .
(٤) البحر المحيط ٧/١٢ .
(٥) انظر : الكشاف ٢/١٠٩ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٢ .
(٧) الشورى /١١ .
(٨) الشعراء /٢٤ .
(٩) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٢ ومابعدها .

ومنَ الجديرِ ذِكرُهُ أنَّ صاحبَ[١] " سَيْكولوجيَّةِ القصةِ في القرآنِ " يَعتبرُ أنَّ هذه الآيةَ فيها إشارةٌ إلى ما كانَ شائِعاً منْ مُعتقداتٍ فرعونيةٍ أثبتَها التاريخُ ، فقدْ كانَ للسماءِ آلهةٌ ، وللأرضِ إلهٌ ، وللفضاءِ الذي بينهما إلهٌ[٢] .

وبعدَ أنْ استمعَ فرعونُ إلى إجابةِ موسى المبهرةِ ، التي أثبتَ فيها ربوبيةَ اللهِ - تعالى - لكلِّ الخلقِ ، أُسْقِطَ في يديهِ وأيقنَ أنْ زعمَه لربوبيةِ الناسِ قدْ سَقطَ ، وأنَّ ادعاءَه للألوهيةِ قد انْكَشفَ زيفُهُ ، ولذلك نَظَرَ مُستغرباً " والتَفتَ .. إلى منْ حَولهُ ، يُعجبُهمْ مِنْ هذا القولِ ، أو لعلَّه يَصرفُهُم عنْ التأثرِ بهِ ، على طريقةِ الجباريينَ الذين يَخشونَ تَسربَ كلماتِ الحقِّ البسيطةِ الصريحةِ إلى القلوبِ "[٣] ، وذلك قولُه كما جاءَ في القرآنِ : ((قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ)) [٤] .

فهنا يُخاطبُ فِرعونُ ملأَهُ وقادتَهُ وحاشيتَهُ قائِلاً لهم : (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) ! ومرادُه من ذلك : " أيْ ألَا تَصْغُونَ إلى هذهِ المقالةِ اغراءً بهِ ، وتعجباً ، إذ كانت عقيدتُهم أنَّ فرعونَ ربُّهم ومعبودُهم "[٥] .

وبذلك يَتضحُ لنا أنَّ الطواغيتَ إذا عَجزُوا عَنْ دَفعِ الحقِّ الدافقِ بحججِهم الواهيةِ لَجأُوا إلى إثارةِ أتباعِهم على الرسلِ ، لاسيما إذا وَجَدوا مِنهم اسْتِئناساً لكلامِ الرسلِ .

ولذلك لا نعجبُ من تلك الجماهيرِ المضللةِ التي تَحملُ في نفسِها كُرهاً أو حقداً على الدعاةِ . ذلك أنَّ هذا الكرهَ والحقدَ راجعٌ إلى تلك الإثارةِ المُفتعلةِ من قبلِ الطواغيتِ وأذنابِهم الذين استَغلُّوا سَذاجةَ الجماهيرِ وجَهلَهَا في الكيدِ للدعاةِ .

فإذا مَا زَالتْ هذهِ السذاجةُ ، وهذا الجهلُ بالعلمِ الدينِي ، فإنَّ تلكَ الجماهير سُرعانَ ما تَنقلبُ على طواغيتِها ، وتَتبعُ دِينَ اللهِ وَدُعاتِهِ .

ثُمَّ إنَّ موسى - عليهِ السلامُ - لَمْ يَتوقفْ لإثارةِ فرعونَ المُفتعلةِ ، واستغرابِهِ ، ولمْ يَلتفتْ إلى مقالتِه ، بلْ أردفَ إجابتَه إجابةً أُخرى لَعلهم يَهتدون ، وذلك قولُه كما وَرَدَ في القرآنِ : ((قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ))[٦] .

وهذهِ الإجابةُ دليلٌ آخرَ على ربوبيةِ اللهِ ، فكأنه يَقولُ لهم : إن كانت عُقولُكم وأفئدتُكم ضيقةً لا تَتسع لآفاقِ السمواتِ ، وسِعَةِ الأرضِ الرَّحبةِ ، وما بينهما ، اللواتي يَخضعنَ للهِ ، فهذا دليلٌ آخرَ منْ أنفسِكم ومن آبائِكم الذين هَلكُوا منْ قَبلِكم .

---

(١) هو التهامي نقرة ، كاتب معاصر .
(٢) انظر سيكولوجية القصة في القرآن/٢٢٥ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٢ .
(٤) الشعراء ٢٦/٢٥ .
(٥) البحر المحيط ٧/١٣ .
(٦) الشعراء ٢٦/٢٦ .

" وهذه أشدُّ مساساً بفرعونَ ودعواه وأوضاعه ، فهو يجبهه بأنَّ ربَّ العالمينَ هو ربُّهُ ، فما هو إلا واحد من عبيده . لا إلهٌ كما يَدعي بينَ قومِه ! وهوَ ربُّ قومِه فليس فرعونُ ربَّهم كما يزعمُ عَليهم ! وهوَ ربُّ آبائِهم الأولينَ . فالوراثةُ التي تَقومُ عليها ألوهيةُ فرعونَ دَعوَى بَاطلةٌ . فما كان من قبل إلا الله ربّاً للعالمينَ "(١) .

وهنا يَفقدُ فرعونُ صَوابَه ، بعدَ أنْ أعجزَهُ مَنطقُ موسى ، وبعد أنْ أعيتهُ حُجتُه . ولكنهُ لا يستسلمُ فيُؤمن ، بَلْ يَبدأُ بالتهكمِ على موسى، ويبدأُ بقذفه بالتهم جزافاً دونما دليلٍ أو حجةٍ أو برهانٍ ، وهذا هو منطقُ العاجزِ ! وذلك قولُه كما بَينَه القرآنُ : ((قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)) (٢) .

فَاتَّهمَه بالجنونِ لأنه يَزعمُ أنَّ في الوجودِ إلهاً غيرَه ، وكان فرعونُ يُنكرُ إلهيةَ غيرِه (٣) . ووجَّه الخطابَ لملإه " ليفتنَهم بذلك ويصرفَهم عنْ قبولِ الحقِّ وسمَّاهُ رسولاً بطريقِ الإستهزاءِ ، وأضافهُ إلى مُخاطبيهِ تَرفعاً مِنْ أنْ يكونَ مُرسلاً منْ نفسِهِ "(٤) .

وبذلك يَتضحُ لنا أنَّ الطواغيتَ إذا مَا عجَزُوا في ميدانِ الحجةِ والمناظرةِ ، انتَقلُوا إلى الإستهزاءِ بالدعاةِ إضافةً إلى اتهامِهم بالباطلِ دونَ دليلٍ(٥) .

فإذا عَلمنَا هذا زَالَ عنا العجبُ من ذلك الاستهزاءِ بالدعاةِ الذي يَنشرهُ الخَرَّاصونَ ، ويَبثونَهُ منْ خلالِ وسائلِ إعلامِهم المختلفةِ . حيث الإستهزاءُ بأشخاصِ الدعاةِ ، وبأفكارِهم وأعمالِهم وحتى بتمسكِهم بشعائرِ دينِهم .

وإذا كانَ الدعاةُ - الآن - يَتعرضُون للإستهزاءِ فقدْ تَعرضَ له مَنْ هم خيرٌ منهم . فرسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - استُهزئَ بهِ : ((وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ...)) (٦) ، وكذلك الرسلُ جميعاً : ((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) (٧) .

غيرَ أنَّ كليمَ اللهِ - هنا - لا يُؤثرُ عليهِ ذلك الإتهامُ وذلك القذفُ ولا يَثْنيهِ ، بَلْ يَستمرُّ في إلقاءِ الحججِ على مسامعِهم كالصواعقِ المرسلةِ ، ويمضي في تبليغِ دعوتِهِ لا يَخشى في ذلك لومةَ لائمٍ ، وعَسى أنْ يَجدَ فيهم رشداً ، وذلك قولُه كمَا جَلَّاه - سُبحانُه وتعالى - في القرآنِ : ((قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)) (٨) .

أي إنَّ ربي هو ملكُ مشرقِ الشمسِ ومغربِها ، وما بينَهما من شيءٍ، وهذا بخلافِ ملكِك الذي لا يَتعدى بلداً واحداً ، فلا يجوزُ أمرُك في غيرِه ،بَلْ ويموتُ من لا تحبُّ أنْ يموتَ ، وهذا تَفقهونَهُ إنْ كانت لكم عقولٌ تَعقلونَ بِها (٩) .

وبهذا القولِ أعجزَهم - عليهِ السلامُ - بلْ واتَّهمَهمْ في عقولِهم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) وذلك رداً على إتهامِهم له بالجنونِ .

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٢ . (٢) الشعراء /٢٧ .
(٣) انظر: تفسير النسفي ٣/١٨١ . (٤) تفسير أبي السعود ٤/١٠٥ .
(٥) لقد فصل الحديث في: (إتهام الدعاة بالباطل) راجع /٦٨، ٦٩ .
(٦) الأنبياء /٣٦ . (٧) يس /٣٠ .
(٨) الشعراء /٢٨ . (٩) انظر: جامع البيان ١٩/٧٠ ط:٢ .

وسببُ اتّهامِهِ لهـــم بذلكَ ، أنهُ أثبتَ لهم بالحجةِ الواضحةِ القاطعـةِ أنّ فرعونَ لا يَملكُ ولا يَستطيعُ أنْ يُصرِّفَ شيئاً في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ ومـا بينَهما ، وكذلك في مشرقِ الشمسِ ومغربِها وما بينَهما ، إضافةً إلى عجزِهِ التامِّ عن إعادة الأولين ، أوْ عَنْ دفعِ الموتِ عن نفسِهِ فضلاً عنْ عبيدِهِ .

فإذا كانَ فرعونُ المدعي للإلهيةِ عاجزاً عن كل ذلك ، فعبيدُه الذيـن رَضُوا بالعبوديةِ لهُ أعجزُ من بابِ أولى ، ولذلك دَخَلُوا جميعاً تحتَ قـولِ موسى لهم : (إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) .

وهنا يُصابُ فرعونُ بالذهولِ . وهنا يَنفدُ صبرُهُ على موسى . وهنـا يَلجأُ إلى أسلوبِ التخويفِ والتهديدِ بالسجْنِ . وهذا هو منطقُ الجبانِ الـذي أعيتهُ الحُجةُ وأعجزتْهُ ، وذلك قولُه كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ))(١) .

إذن ، " هذهِ هي الحجةُ وهذا هو الدليلُ : التهديدُ بأنْ يَسلكَهُ فـي عدادِ المسجونينَ . فليس السجنُ عليه ببعيدٍ . وما هو بالإجراءِ الجديـدِ ! وهذا هو دليلُ العجزِ ، وعلامةُ الشعورِ بضعفِ الباطلِ أمامَ الحقِّ الدافعِ . وتلـكَ سمةُ الطغاةِ وطريقُهم في القديمِ والجديدِ ! "(٢) .

وهكذا يَتضحُ لنا أنّ الطواغيتَ إذَا عَجزُوا تَماماً في المناظـرةِ ، وتَفرَّقت بهم سُبلُ الحججِ والبراهينِ ، لَجأُوا إلى القوةِ وعَمَدُوا إليْها فجعلوهَا حلاً أخيراً يُثبتُ بَاطِلَهُمْ ويُزهقُ الحقَّ الذي جَاءَهم منَ اللهِ - سُبحانـه - ويَضمنُ لهم البقاءَ على ما هم عليـه .

وبذلكَ يَتضحُ لنا أنّ ما يَتعرضُ لهُ الدعاةُ إلى الحقِّ منْ تهديدٍ بالسجـنِ ، أو القتلِ ، أو النفيِ ، أو الحرمانِ من الدراسةِ والوظيفةِ ليسَ بالشيءِ الجديـدِ ، إنّما هو قديمٌ بقدمِ الدعوةِ . فهذا إبراهيمُ - عليهِ السلامُ - يُهدَّدُ بالرجـمِ ، عقبَ دعوتِهِ أباه إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِهِ ، ويَتجلّى ذلك في قولِ اللهِ - عـزَّ وجلَّ - : ((قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً)) (٣) ، وهذا مُوسى يُهددُ بالسجنِ كما صَرحَ بهِ القرآنُ فـي قولِهِ - تعالى - : ((قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)) (٤) ، وهذا محمدٌ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - يُتآمرُ عليهِ بالسجنِ أو القتلِ أو النفيِ ، وذلكَ ما سَجلَه القرآنُ الكريمُ في قولِهِ - عـزَّ وجلَّ - : ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُـوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) (٥) .

ومنَ الجديرِ ذِكرُه أنّ العلاجَ المُهمَّ في مثلِ ذلك الموقفِ هو الثباتُ علـى الحقِّ والمُضيُّ في تبليغِ دعوةِ اللهِ قدماً ، والإستعانةُ باللهِ على مكـرِ الطواغيتِ . ذلك أنّ موتاً في طاعةِ اللهِ خيرٌ من حياةٍ في معصيتِهِ وهو خيـرُ النّاصرينَ .

---

(١) الشعراء / ٢٩ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٣ .
(٣) مريم/٤٦ .
(٤) الشعراء / ٢٩ .
(٥) الأنفال / ٣٠ .

ثُمَّ إنَّ موسى - عليه السلام - لَمْ يَخشَ شَيئاً من تهديدِ فرعونَ ذلك، لأنه يَعلمُ ويُيقنُ أنَّ الأمرَ بيدِ اللهِ من قبلُ ومنْ بعدُ ، ثُمَّ إنهُ يَثقُ بوعدِ اللهِ لهُ ولأخيهِ بالأمانِ من بطشِ فرعونَ ، ولذلك استمرَّ في صراعِهِ الإيمانيِّ .

ولكنَّ موسى - عليهِ السلامُ - انتقلَ هذهِ المرةِ إلى استخدامِ السلاحِ الماديِّ وهو المعجزةُ . وذلك بعدَ أن هَزمَ فرعونَ في المناظرةِ التي تُمثلُ السلاحَ المعنويَّ . وهذا ما سيتضحُ لنا في النقطةِ التاليةِ .

وهكذا يَتضحُ لنا من خلالِ هذا المطلبِ أنَّ على الداعيةِ المسلمِ أنْ يَستخدمَ الدليلَ المعجزَ الذي يَقهرُ بهِ حُجةَ خصمِهِ ، بَلْ ويَتنقلُ منْ دليلٍ لآخرَ مُعضداً دعوَاه ، حتى يُفحمَ خَصمَهُ ويَجعلَ حُجتَهُ هَباءً منثوراً . وذلكَ كما فَعلَ موسى - هنا - إذ كانَ يُلقي الحججَ القويةَ على شُبَهِ فرعونَ بما يُظهرُ بطلانَها وزيفَها .

وهذا الأسلوبُ قد استُعملَ في القرآنِ كثيراً لاسيما في قصصِ الأنبياءِ مع أقوامِهم ، وذلك لفاعليتِهِ العظيمَةِ في إظهارِ الحقِّ وإزهاقِ الباطلِ .

ومثالُ ذلك : مُحاجةُ إبراهيمَ - عليه السلام - للنمرودِ في ربوبيةِ اللهِ - عز وجل - إذ يُجليها لنا القرآنُ الكريمُ بإسلوبِهِ المُحكمِ المعجزِ وذلكَ في قولِهِ - تعالى - : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ (١) الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (٢).

ومنْ ذلك ما سَجلهُ القرآنُ في مُحاجةِ أولئكَ المنكرينَ للبعثِ بعدَ الموتِ ، وذلك في قولِهِ - سُبحانه - : ((أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ))(٣) .

ومن ذلكَ - أيضاً - ما سَجَّلهُ القرآنُ في اثباتِ خلقِ اللهِ لكلِّ شيءٍ بالأدلةِ القاهرةِ التي تُثبتُ عَجزَ الإنسانِ عن ذلكَ . وذلك قولُهُ تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ(٤) . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)) (٥) وقولُه : ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)) (٦) ... الآيات (٧) .

كما يَتضحُ لنا أنَّ الطواغيتَ من أمثالِ فرعونَ ، يُثيرونَ الشُبهَ ويَركِّزونَها نَحوَ باعثِ النبيِّ ومشرعِ الرسالةِ ، وهو اللهُ - عزَّ وجلَّ - .

---

(١) فبهت: أي : دَهِشَ وتَحيَّر . انظر: مفردات غريب القرآن/٦٣، ومختار الصحاح /٦٦ . (٢) البقرة /٢٥٨ . (٣) يس / ٧٧ - ٨٠ .
(٤) تمنون: من منى ، والمَنِيُّ : الماء الذي قدر به الحيوانات ويكون منه الولد . انظر: المفردات في غريب القرآن / ٤٧٥ . (٥) الواقعة /٥٨، ٥٩ .
(٦) الواقعة /٦٣، ٦٤ . (٧) سبقت تفصيلات اخرى عن هذا / ٧٤ .

ولعلّ الدافعَ لهم في ذلك أنّ اللهَ - سُبحانه - لا يُدْرَكُ بالحواسِ ولا يُعلمُ عنه شيءٌ إلا بأخبارِ الرسلِ . وهذا هو محطُّ الشبهةِ ، فكأنهم يقولونَ للناسِ : كَيفَ تُؤْمنونَ وتُصدقونَ بما لا تَرونهُ ولا تُدركونهُ .

وهذا الأسلوبُ هو نفسُه المستخدمُ منْ قِبَلِ أمثالِ فرعونَ على مرِّ الأزمانِ . ولذلك لا نَعجبُ من استخدامِ الملاحدةِ كالشيوعيينَ وأمثالِهم لها في أيامِنا هذهِ .

ومن الجديرِ ذكرُه أنّ الإجابةَ على تلك الشُّبهِ إنما تكونُ بالتوجيهِ نحوَ مخلوقاتِ اللهِ ، من سماواتٍ وأرضٍ وما بَينَهما ، ومن مشرقٍ ومغربٍ وما بينَهما ، ومن بحارٍ وأنهارٍ وجبالٍ وأشجارٍ وإنسانٍ وحيوانٍ وغيرِ ذلكَ . وهذا كما وَضَّحَ لنا من خلالِ إجابةِ موسى لفرعونَ ، ومن خلالِ الأمثلةِ المتقدمةِ .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أيضاً أنّ قوةَ الداعيةِ العلميةِ هي المُعوَّلُ عَلَيْها أولاً في ردِّ تلكَ التهمِ .

ثالثاً : الطعنُ في معجزةِ موسى :

بعدَ أنْ هُزمَ فرعونُ تماماً في جولةِ المناظرةِ ، لَجَأَ إلى التهديدِ والوعيدِ بالسجنِ لموسى إذا اتَّخَذَ إلهاً غيرَه .

وأمامَ هذا التهديدِ والوعيدِ رَأى موسى أنّ الحجةَ العقليةَ والمنطقَ السليمَ لا يَنفعُ مَعَهم ، لذلك لَجَأَ إلى سِلاحٍ آخرَ ، وهو سلاحُ المعجزةِ ، إذ عَرَضَ عليهِ دَليلاً مَادياً يُثبتُ صِدقَ دَعواه وصدقَ توجهِهِ ، وذلك قولُه-تعالى : ((قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ)) (١) .

"أي : أتَفْعَلُ بي ذلك ولو جِئتُكَ بشيءٍ مبينٍ ، أي : موضحٍ لصدقِ دعوَاي ، يُريدُ به المعجزةَ فإنها جَامعةٌ بينَ الدلالةِ على وجودِ الصانعِ وحكمتِهِ وبينَ الدلالةِ على صدقِ دعوى من ظَهَرَت على يديهِ ، والتعبيرُ عنها بالشيءِ للتهويلِ ..." (٢) .

وفي عرضِ موسى - عليه السلام - هذا إحراجٌ لفرعونَ ، الذي وَجَدَ نَفْسَهُ مُضْطَرّاً ودونَ تردّدٍ إلى أنْ يَطلبَ من موسى أن يأتيَ بدليلِهِ : وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (٣) .

" أي فَأْتِ بالشيءِ المبينِ لحقيقةِ قولِك ، إنْ كنتَ صادقاً ومحقاً فيما تَقولُ وتَصفُ وتُخبرُ ، لأنه لا يَأتي بالمعجزةِ إلا الصادقُ في دَعواه لأنها تصديقٌ منَ اللهِ له بالنبوةِ" (٤) .

وَوَرَدَ في سورةِ الأعرافِ قولُه : ((قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (٥) ، أي : إنْ كنتَ جئتَ بحجةٍ وعلامةٍ من عندِ مَنْ أرسلكَ فَأْتِني بِها وأحضرهَا عندي لِتصحَّ دعواكَ ويَثبُتَ صِدْقُكَ (٦) .

---

(١) الشعراء ٣٠/٢٦ .
(٢) تفسير أبي السعود ١٠٥/٤ .
(٣) الشعراء ٣١/٢٦ .
(٤) انظر : جامع البيان ٧٠/١٩ ط ٢ . والكشاف ١١٠/٣ .
(٥) الأعراف /١٠٦ .
(٦) انظر : الكشاف ١٠١/٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٩٢/١٤ ط ١ . وتفسير النسفي ٦٨/٢ .

وهنا ألقى موسى بالآيةِ الكُبرَى ، وبالدلالةِ القاهرةِ التي تَظهرُ ولا يُظهرُ عليهَا : وذلك قولُه-تعالى-: ((فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)) (١) .

" أي : ظاهرٌ أمرُه لا يُشكُّ في كونِه ثُعباناً ، فهو إشارةٌ إلى أنَّ الصيرورةَ حقيقيةٌ لا تخييليةٌ ، وإيثارُ الجملةِ الإسميةِ للدلالةِ على كمالِ سرعةِ الإنقلابِ وثباتِ وصفِ الثعبانيةِ فيها كأنها في الأصلِ كذلك "(٢) .

والثعبانُ هو الحيةُ الضخمةُ الذكرُ ، ووصفُه بالمبينِ ليُميزَ بينَ تمويهاتِ السحرةِ ومعجزاتِ الأنبياءِ ، ولإبانَتِه لقولِ موسى عن قولِ المُدعي الكاذبِ، ولأنه أبَان عن حيةٍ لا يُشتبهُ فيها (٣) .

ومنَ الجديرِ ذكرُهُ أنه وَرَدَ في كُتبِ التفسيرِ بالمأثورِ رواياتٌ عجيبةٌ وغريبةٌ في وصفِ ذلك الثعبانِ ، وما هِي إلا إسرائيلياتٌ ، ومثالُ ذلكَ ما وَرَدَ في كتابِ : جَامِعِ البَيَانِ(٤) والدُّرِّ المَنْثُورِ(٥).

ومن العجيبِ أنْ يَتأثرَ بعضُ المفسرينَ بتلكَ الإسرائيلياتِ ، فَيَخْلِطُوا تفاسيرَهم بِها ، بَلْ ويُفسروا أحياناً بالإسرائيلياتِ دونَ ذكرِ الروايةِ أو الإشارةِ إليها .

فابْنُ كَثِيرٍ مثلاً ، يصفُ الثعبانَ بأنهُ ذو قوائمَ (٦) ، و الزَّمَخْشَرِيُّ يَستأنسُ بروايةٍ إسرائيليةٍ تُثبتُ أنَّ الحيةَ ارتَفعتْ في السماءِ قدرَ ميلٍ، بل وتَكلمتْ مع موسَى (٧) .

ومن المعلومِ أنه لمْ يَرِدْ في القرآنِ ولا في حديثٍ صحيحٍ ولا حتى في اللغةِ العربيةِ أن الثعبانَ له قوائمُ وأنه يَتكلمُ !

غيرَ أنه يُفهمُ من سننِ اللهِ - تعالى - في معجزاتِ أنبيائِه ، أن المعجزةَ تَكونُ خارقةً وخارجةً عن العادةِ ؛ فمعجزةُ عيسى بن مريمَ - عليه السلام - كانت في علاجِه للأمراضِ التي عَجَزَ عنها الطبُّ الذي اشتَهَرَ في عصرِه ، فضلاً عن إحيائِه للموتَى .

ومعجزةُ محمدٍ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - كانت في القرآنِ ، الذي أُنْزِلَ في عصرٍ اشْتُهِرَ بالفصاحةِ والبلاغةِ والبيانِ ، فَتَحدَّاهمُ اللهُ بأنْ يَأتوا بمثلِ سورةٍ واحدةٍ منْ سُوَرِ القرآنِ فَعَجَزُوا تَماماً .

وهنا معجزةُ موسى - عليهِ السلامُ - جَاءت في عصرٍ اشْتُهِرَ بالسحرِ، فلا بدَّ أنْ تكونَ قاهرةً لِمُوافَقَاتِهَا ، وبناءً على ذلك يَكونُ الثعبانُ هائلاً ومرعباً ومخيفاً على غيرِ ما اعتادهُ الناسُ ، ولكنْ لا نَستطيعُ أنْ نُفصلَ الحديثَ في وصفِه دونَ بينةٍ .

---

(١) الشعراء/ ٣٢ . والأعراف/ ١٠٧ . (٢) روح المعاني ٩/ ٢١ .
(٣) انظر: التفسير الكبير ١٤/ ١٩٦ . ولباب التأويل ٢/ ٢١٨، ٢١٩ .
(٤) انظر: الطبري ١٢/ ١٥ وما بعدها. (٥) انظر: السيوطي ٣/ ١٠٦ .
(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٣٣ . (٧) انظر: الكشاف ٣/ ١١١ .

ثُمَّ إنَّ مُوسَى بعدَ أنْ ألْقَى بالمعجزةِ الأُولى التي أرهَبَت فِرعونَ وَمَلأَهُ، عَمَدَ إلى المعجزةِ الثانيةِ - التي أيَّدَهُ اللهُ بها - قاطعاً بذلكَ دَهشتهمْ وتعجبهمْ منَ الأولى : وذلكَ قولُه-تعالى-: ((وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)) (١) .

أي : أخرجَ يَدهُ مِنْ دِرْعِهِ أو جيبِهِ بعدَ ما أدخَلَها فيهِ ، فإذا هيَ بيضاءُ تَتَلألأُ كأنَّها قطعةٌ مِنَ القمرِ ، وذلك منْ غيرِ برصٍ ولا مرضٍ ، وذلكَ واضحٌ في قولِهِ - تعالى - : ((اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ...)) (٢) (٣) .

وفي قولِهِ : (بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ) دليلٌ على أنَّ بياضَها كانَ بياضاً نورانياً عجيباً خارجاً عن عادةِ الناسِ ، تَجتمعُ النَّظارةُ على النظرِ إليهِ كما تَجتمعُ للعجائبِ (٤) .

ومما يُؤيدُ هذا أنَّ موسى كانَ آدمَ لقولِ رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - : (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلاً آدَمَ(٥) طُوَالاً جَعْدَاً كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ...)(٦) (٧) .

" لقدْ ألقى موسى بكلِّ ما مَعَه دُفعةً واحدةً ، حتى يضربَ فرعونَ الضربةَ القاضيةَ ، التي لا تَدعُ لهُ فرصةً يَلتقطُ فيها أنفاسَهُ .. وواحدةٌ منْ هاتينِ الضربتينِ تكفي لكي يَستسلمَ لها كُلُّ جبارٍ عنيدٍ .. ولكنَّ فِرعونَ كانَ أكثرَ من جبارٍ عنيدٍ .." (٨) .

وهكذا يَتبينُ لنا عِظمُ ما جاءَهم بهِ موسى - عليهِ السلامُ - من معجزاتٍ واضحةٍ قاهرةٍ . فالعَصا تَنقلبُ إلى ثُعبانٍ عظيمٍ ، واليَدُ تَنقلبُ إلى اللونِ الأبيضِ النورانيِّ .

وقدْ زُوِّدَ موسى بهذهِ المعجزاتِ ليقطعَ عليهم كلَّ سبيلِ كذبٍ ، وحالُهُ كحالِ الأنبياءِ من قبلِهِ الذين أُرسلوا بالمعجزاتِ .

ومن الجديرِ ذكرُه أن تلكَ المعجزاتِ خاصةٌ بالأنبياءِ في زمانِهم، غيرَ أنَّ معجزةَ القرآنِ مع أنها خاصةٌ بالنبيِّ محمدٍ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - إلا أنَّ التَحدي قائمٌ بِها إلى يومِ القيامةِ . وبذلك يَستطيعُ الدعاةُ المسلمونَ أنْ يَتحدوا بمعجزةِ القرآنِ كلَّ متكبرٍ وكافرٍ .

إذنْ هُمْ يَملكونَ معجزةً يَستطيعونَ بِها أنْ يَتحدَّوا الكفرةَ ، مَعَ العلمِ أن القرآنَ مع فصاحتِهِ وبيانِهِ وبلاغتِهِ فيهِ من الآياتِ التشريعيةِ والعلميةِ وغيرِها مما يُسلمُ العقلُ بصدقِهِ وَحُسنِهِ .

ولكن ذلكَ التحدي القائمَ إلى يومِ القيامةِ لَنْ يَستطيعَ الكفارُ منازلتَهُ، ومن حَاولَ ذلك فستكونُ الهزيمةُ قرينتَه ، لقولِهِ-تعالى-: ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

---

(١) الشعراء/٣٣ والأعراف/١٠٨ . (٢) القصص/٣٢ .
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم/٢٣٦/٢ ، وأيضا ٣٣٣/٣ .
(٤) انظر: الكشاف ١٠٢/٢ وأيضا ١١١/٣ . والبحر المحيط/١٤/٧ .
(٥) آدم: هو الأسمر من الناس. انظر: القاموس المحيط/١٣٨٩ .ومختار الصحاح/١٠ .
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب(بدء الخلق)باب(إذا قال أحدكم..) ٨٤/٤ .
(٧) لقد سبق ذكر معاني مفردات الحديث/ ٤٥ .
(٨) التفسير القرآني للقرآن ٤٥٠/٩ .

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)) (١) .

وبعدَ أنْ ألقى موسى بمعجزتِهِ ، كان على فرعونَ أنْ يتخذَ موقفاً معيناً بِصددِ ذلك . وهذا ما سَنعمدُ إلى تفصيلِهِ في نقاطٍ حتى تتضحَ لنا معالمُ الصراعِ الإيماني دونَ لبسٍ .

أ) فرعون يتهم موسى بالسحر :

وذلكَ في قولِهِ - تعالى - : ((قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)) (٢) .

" وفي قَوْلَةِ فرعونَ هذهِ يَبدو إقْرارُهُ بعظمةِ المعجزةِ وإن كانَ يُسمّيها سحراً ، فهو يَصفُ صَاحبَها بأنه ساحرٌ (عَلِيمٌ) . ويَبدو ذُعْرُهُ منْ تَأثيرِ القومِ بها فهو يُغريهُم بهِ : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) . ويَبدو تَضَعْضُعُهُ (٣) وَتَهَاويهِ وتَوَاضُعُهُ للقومِ الذينَ يَجعلُ نفسَه لهم إلهاً ، فيطلبُ أمرَهم ومشورتَهم : (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) ومتى كان فرعونُ يَطلبُ أمرَ أتباعِهِ وهمْ له يَسجُدون!" (٤) .

وبذلك هُزِمَ فرعونُ أمامَ هذهِ المعجزةِ المادية ومن قبلُ هُزِمَ أمامَ المناظرةِ المعنويةِ ، ويَدلُّ على ذلك فُقدانُهُ المبادرةَ باتهامِهِ الكاذبِ موسى - عليهِ السلامُ - بالسحرِ : (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) ، ثُمَّ اغْرَاءُهُ وتحريضُه ملأَه عليهِ : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ) ، وهذا يَدلُّ على ضَعْفِهِ وهو الحاكمُ والمالكُ ، ثم سقوطِهِ من عرشِ الإلهيةِ الكاذبةِ إلى منزلةِ العبدِ الضعيفِ الذي يَطلبُ العَوْنَ والمَشورةَ : (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) وهذا يدلُّ على سقوطِ رداءِ الملكِ والتكبرِ والتجبرِ عنْ عاتِقِهِ .

وهكذا يَتضحُ لنا أنَّ الطواغيتَ قَلَّمَا يُؤمنونَ ، وقَلَّمَا يَنفكونَ عنْ باطِلِهم الذي يَعَضُّونَ عليهِ بالنواجِذِ .

ففرعون - هنا - يُصرُّ على باطِلِهِ مع ما رآهُ من تلكَ المعجزاتِ الباهرةِ ، ومع ما سَمِعَهُ قبلُ ذلكَ من تلك الحججِ والبراهينِ القاهرةِ التي تُدلُّ على صدقِ موسى .

وَيَتضحُ لنا أيضاً أنَّ الطواغيتَ لا يَنفكُّونَ عن الطعنِ في الدعاةِ واتهامِهِم بالتهمِ المختلفةِ مَهْمَا رَأَوْا من آياتٍ تُدلُّ على صدقِهم . وذلكَ طَالَمَا تَمَسَّكُوا بباطِلِهِم .

فموسى هنا يُطعنُ فيهِ بالسحرِ ، ويُتهمُ بالتآمرِ على إخراجِ الناسِ من بلدِهم ومن قَبْلُ طُعِنَ فيه بالكفرِ ، واتُّهِمَ بالجنونِ .

وبذلك لا نَعجبُ منْ تَقَلُّبِ الطواغيتِ في اتهاماتِهم التي يُلْصِقُونَها بالدعاةِ حسبَ ما يَقْتَضِيهِ الواقعُ والحالُ الذي يُقدّرونَهُ (٥) .

---

(١) الإسراء/٨٨ . (٢) الشعراء/٣٤، ٣٥ .
(٣) تضعضعه : أي ضعفه وخضوعه وذله . انظر : القاموس المحيط/٩٥٨ ، ومختار الصحاح/٣٨١ . (٤) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٤ .
(٥) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . انظر / ٥٨، ٦٩ .

ب) الملأ يتبنون التهمة ويرددونها :

وَأمّا موقفُ ملإِ فِرعونَ فينقلُهُ لنا القرآنُ الكريمُ في قولِهِ - تعالى - : ((قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)) (١) .

أي : قَالَ الأشرافُ مِنهمْ وهُم أصحابُ مشورتِهِ على سبيلِ التشاورِ: إنّ موسى مبالغٌ في علمِ السحرِ ماهرٌ بهِ ، فبمَ تُشيرونَ في أمرِهِ ، وقولُهُم هذا تصديقٌ لِفرعونَ وتقريرٌ لكلامِهِ (٢) .

وبالنظرِ إلى قولِ الملإِ هذا ، نجدُ أنهم لَمْ يُجيبوا فِرعونَ مباشرةً إذ سألَهم (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) ، بَلْ أخذوا يُرددونَ مَقالتَهُ نَفْسَهَا ، إذْ لمْ يَهتدُوا إلى حلٍّ سريعٍ ، وذلك لِمَا استولى علَيهم من فرطِ الدهشِ والتحيُّرِ والذهولِ لعظيمِ وقعِ المعجزةِ على أنفسِهم ولما رأوهُ من حالِ إلههِم فرعونَ - على حدِّ اعتقادِهم - الذي دَبَّ في قلبِهِ الخوفُ والتحيرُ والإرتباكُ .

ومما يُعززُ ما ذَهَبْنَا إليهِ أنَّ الزَّمخشريَّ(٣) والرَّازيَّ(٤) والْكَلْبِيَّ * (٥) وغيرَهم ذهبُوا إلى أنهُ لا خلافَ في عَزْوِ هذا الكلامِ مرةً إلى فرعونَ وأُخرى إلى مَلإِهِ ، فقدْ قَالهُ هُوَ وقالُوهُ هُمْ ، فَحَكَى قولَه ثُمَّ قَوْلَهُمْ هَهُنَا .

جـ) الملأ يقترحون مقابلة موسى بالسحر :

وذلك في قولِهِ - تعالى - : ((قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ))(٦) وقولِهِ في سورةٍ أخرى : ((قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)) (٧) .

أي: أَخِّرْ مُوسى وهارونَ وأَنْظِرهُمَا وابْعثْ في بلادِك وأمصارِها من يَحشرُ السحرةَ ، فيجمعُ إليكَ كُلَّ ساحرٍ وكلَّ سَحَّارٍ (٨) .

ومنْ هذهِ الآياتِ يَبدُو أنَّ الملأَ قَدْ تَشَاوَرُوا فيمَا بَينَهم ، واستَقرَّ رَأيُهم على مقابلةِ موسى وأخيهِ بالسحرِ ، وَعَرَضُوا ذلكَ على فرعونَ ، وَمِمَّا

---

(١) الأعراف /١٠٩ ، ١١٠ .
(٢) انظر: تفسير أبي السعود ٢/١٨٨ .
(٣) انظر: الكشاف ٢/١٠٢ .
(٤) انظر: التفسير الكبير ١٤/١٩٧ .
(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل . محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ٢/٤١ ط: دار الكتاب العربي .
(٦) الشعراء ٣٦/، ٣٧ .
(٧) الأعراف /١١١، ١١٢ .
(٨) انظر : جامع البيان ١٣/٢٠ وما بعدها وأيضا ١٩/٧١ ط ٢ .

* الكلبي : هو: محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ الكلبيّ ، يكنى: أبا القاسم . كان فقيها حافظا حفظة في التفسير ، مشاركا في فنون العربية والأصول والقراءات والحديث والأدب ، قائما على التدريس . من شيوخه أبو جعفر بن الزبير . ومن مصنفاته : " وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم " و " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية " و " المختصر البارع في قراءة نافع " . كان من أهل غرناطة ، وتوفي شهيدا يوم الكائنة سنة ٧٤١ هـ .
انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٨١ - ٨٣ رقم (٤٤٧) . والدرر الكامنة ٢/٤٤٦ رقم (٣٤٦١) . والأعلام للزركلي ٦/٢٢١ ط:٣ .

يُعززُ هذا قَولُ البَيْضَاوِيِّ* في تفسيرِهِ : " كَأنهُ اتَّفقتْ عليهِ آراؤُهم فَأشَاروا بهِ منازلةً إلى فِرعونَ والإرجاءُ: التأخيرُ ..."(١) .

ويبدو أن هاتينِ الآيتينِ اللتينِ وَقَعَتَا مرةً في سورةِ الشُعـــــراءِ، وأُخرى في الأعرافِ، قد كُررتَا على فرعونَ منْ ملإه ، فمرةً دَعَوْهُ إلـــى أنْ يجمعَ كُلَّ سحارٍ عليمٍ ، ثُمَّ دَعَوْهُ ثانيةً أنْ يضيفَ إليهم كُلَّ سَاحرٍ عليـــمٍ، ومرادُهم أنْ يَجمعَ أكبرَ عددٍ منَ السحرةِ ظناً منهُم أنَّ الغلبةَ تَرجعُ للكثرةِ .

وإنما اختارُوا لَهُ الإرجاءَ وهوَ التأخيرُ ، حتى لا يَعجلَ بحكمٍ علـــى موسى فتصيرُ عجلةً فرعونَ حجةً عليهِ ، ومقصودُهم معارضته بالسحرِ ليكـــونَ أقوى في إبطالِ دعوةِ موسى (٢) .

وأما ما ذهبَ إليهِ قَتَادَةُ(٣) مِنْ أنَّ معنى (أَرْجِئْـهُ) : إحْبِسْـــهُ، وتَبِعهُ في ذلك النَّسَفِيُّ(٤) وغيرُه فهوَ ضعيفٌ لِمَا يَلِي :

١) إنَّ هذا المعنى لمْ يَرِدْ في اللغةِ العربيةِ ، وما كان له أن يحبسَـــه بعد ما شاهد من حالِ العصا (٥) .

٢) إنَّ اللهَ - تعالى - لَمْ يذكرْ في القرآنِ من خلالِ قصةِ موسى أنَـــهُ محبِسَ ، فلو وَقعَ هذا لذُكِرَ من بابِ أولى ، فإذا ذُكِرَ تكذيبُهـــم لموسى واتهامهم لـــه بالسحرِ ألا يُذكر سجنُه إن حَدثَ ، وهذا عـــلاوة على أن ذِكْرَ سجنهِ يُعتبرُ درساً مهماً يستفيدُ منه الناسُ كما في قصـــةِ يوســفَ - عليهِ السلامُ - .

٣) إنَّ اللهَ - تَعالى - أمَّنَ موسى وأخَاه من بطشِ فرعونَ ، بل وَوَعَدَهُمَـــا الغلبـــةَ والنصرَ ، وذلك في قولِهِ - تَعالـى - : ((...سَنَشُدُّ عَضُـــدَكَ بِأخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَـــنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُـونَ)) (٦) .

٤) إنَّ فِرْعَوْنَ هَدَّدَ مُوسى إذا اتَّخَذَ إلـهاً غَيرَهُ أنْ يُعاقِبَهُ بالسجنِ ، وذلـكَ واضحٌ في قولِهِ - تعالَى - : ((...لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَـهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِـــنَ الْمَسْجُونِيـنَ)) (٧)، فَلَمَّا أَراهُ الشيءَ المُبينَ انتَفى عنهُ السجـــنُ ووعدَه موسى يومَ الزينـــةِ .

" والتعبيرُ بالحشرِ هُنَا ، يُشيرُ إلى أنَّ الأمرَ عَظيمٌ ، وأنه لابدَّ لـهُ منْ حشرِ الناسِ إليهِ ، وبعثِهم سِراعاً من كلِّ أُفقٍ ، لِيلقوا موسى ، ويقفوا في وجهِ هذا الخطرِ الذي دَهمَهُم (٨) بـــــهِ "(٩) .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل . القاضي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ٣٤٩/١ ط : العثمانية ١٣١٤ هـ .
(٢) انظر: التفسير الكبير ١٩٨/١٤ ، ط١ . (٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٦/٢ والـدر المنثـور ١٠٦/٣ .
(٤) انظر : تفسير النسفي ٦٩/٢ . (٥) انظر: التفسير الكبير ١٩٨/١٤ ط١ . ولباب التأويل ١١٩/٢ . (٦) القصـــص / ٣٥.
(٧) الشعـراء/ ٢٩ . (٨) دهمهم: غشيهم . انظر : القاموس المحيـط/١٤٣٣ . ومختـار الصحـاح /٢١٣ . (٩) التفسير القرآني للقـرآن ٤٥٢/٩ .

* البيضاوي : هو : عبدالله بن عمر بن محمد بن علي بن الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي الشيرازي أبو سعيد . كان إماما علامة ،عارفا بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، وكان صالحا متعبدا زاهدا شافعيا . مـــن مصنفاته : تفسيره " أنوار التنزيل " ، و " مختصر الكشاف " و " المنهاج في الأصول " . توفي سنة ٦٨٥هـ ،وقيل : ٦٩١هـ . أنظر : طبقات المفسرين للداودي ٢٤٢/١،٢٤٣ رقم (٢٣٠). والبداية والنهاية ٣٠٩/١٣. وبغية الوعاة ٥٠/٢رقم (١٤٠٦) . وهدية العارفين ٤٦٢/١،٤٦٣ . والأعلام للزركلي ١١٠/٤ ط ٣ .

كما أنَّ هذا التعبيرَ يُفيدُ أنَّ السحرةَ كانُوا كُثْرَاً في ذلك الزمنِ، وإلا لما احتاجَ جمعُهم لحاشرينَ(١) .

وبذلك يَتضحُ لنا أنَّ الملأَ الذين بَاعُوا أنفسَهم للطاغيةِ سرعانَ مَا يَعتنقونَ تَخرصاتِ طاغيتِهم . فهم يُمثلونَ بطانَةَ سوءٍ لهُ تُعينهُ في منكرِهِ وطغيانِهِ ، وهم لا يَزيدونَ على إمعاتٍ لا رأيَ لها في شيءٍ، بل إن كانَ لها رأيٌ فهو معَ الباطلِ .

فالملأُ هُنا اعتَنقُوا كَذِبَ فرعونَ على موسى ، وأخذوا يُرددونه ، ثُمَّ إنهم أشَاروا على فرعونَ بِمنازلةِ موسى بما زَعَمُوا فيهِ منَ السحرِ والتآمرِ .

وموقفُ الملإِ هذا هو موقفٌ مكرورٌ على مرِّ الأزمانِ والدعواتِ وَإنِ اختَلفَت الصورُ . ومثالُ ذلكَ موقفُ الملإِ من نوحٍ - عليهِ السلامُ - كما يَنقلهُ القرآنُ في قولِهِ - تعالَى - : ((فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ...)) (٢) ، وكذلكَ مع شعيبٍ - عليهِ السلامُ - كما قال - تَعالى - : ((وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبَاً إِنَّكُمْ إِذَاً لَخَاسِرُونَ)) (٣)(٤) .

د) إستقرارهم على اتهامه بالسحر :

وذلكَ في قولِهِ-تعالى-: ((فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ)) (٥) ، وفي آيةٍ أخرى : ((فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)) (٦) .

أي لَمَّا جَاءَهُم الحقُّ مِنْ عندِ اللهِ وعرفوه بتظاهرِ المعجزاتِ الباهرةِ المزيحةِ للشكِّ، قَالوا من فرطِ تمردِهم : إنَّ هذا ظاهرٌ أنه سحرٌ أوْ فائقٌ في فنِّه واضحٌ فيما بينَ إخوانِهِ ، فكأنهم أقسموا على ذلكَ (٧) .

ثُمَّ إنهم وَصَفُوا آياتِ اللهِ المتمثلةَ باليدِ والعصَا بالسحرِ المُفتَرى لأنهم يَرونَ الشيءَ على حالةٍ ثُمَّ يَرونَهُ على حالةٍ أُخرى ، ثُمَّ يَعودُ إلى الحالةِ الأُولَى وهكذا ، وَجَعلوا مِنْ عدمِ سَمَاعِهِم لهذا في زمانِ آبائِهم - على حَدِّ زعمِهم - دليلاً على كذبِهِ (٨) .

ومن هذهِ الآياتِ الكريمةِ يَتبينُ لنا أنَّ فِرعونَ وملأَه استقرَّ رأيُهم على اتهامِهِ بالسحرِ ، بل وأجمعوا على معارضتِهِ بذلكَ ، ومما يُعضدُ هذا ما ذهبَ إليهِ أبو السعود من أنَّ سياقَ النظمِ الكريمِ - هنا في سورةِ يونس - يُفيدُ أنَّ المرادَ بالحقِّ هو العصَا واليدُ البيضاءُ(٩) .

---

(١) انظر: التفسير الكبير ١٤/١٩٩. (٢) المؤمنون/٢٤ . (٣) الأعراف /٩٠.
(٤) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . انظر/٦٨، ٦٩، ٨٣ .
(٥) يونس/٧٦ . (٦) القصص /٣٦. (٧) انظر البحر المحيط ٧/١١٩.
(٨) انظر: أنوار التنزيل ١/٥٤٦. وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٢٦ .
(٩) انظر : تفسير أبي السعود ٢/٥٤٦ .

هـ) رَدُّ موسى عليهم واستهزاء فرعون :

هنا يَتدخلُ كَليمُ اللهِ مُدافعاً ومُنافحاً[١] عن الحقِّ الذي وَصَفُوهُ بالسحرِ ، واستقرَّ رأيُهم على ذلك ، وذلك قولُه : ((قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ))[٢] ، وفي آيةٍ أُخرى : ((وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))[٣] .

أي:كيفَ تَصفونَ الحقَّ بالسحرِ ، وأنتم تَعلمونَ أنَّ السحرةَ لا تفوزُ في أمورِ الجدِّ العمليةِ ، من دعوةِ دينٍ وتأسيسِ ملكٍ ، لأنَّ السحرَ شعوذةٌ وتخييلٌ سُرعانَ ما يَفتضحُ ويَزولُ[٤] .

ثُمَّ إنَّ موسى - عليهِ السلامُ - لمَّا اتَّهموهُ بالسحرِ ، ودلَّلُوا على ذلك بعدمِ سماعِ مثلِهِ في الزمانِ السابقِ ، قالَ لهمْ : رَبِّي أعلمُ بمنْ أهلَّه بالرسالةِ ، وبَعثَه بالهُدى ، وَوَعدهُ حسنَ العُقبى ، ويَعني بذلك نفسَهُ ، ثُمَّ نَبَّهَ على العلةِ الموجبةِ لعدمِ الفلاحِ وهي الظُلم ، إذ كَفروا باللهِ ومعجزاتِهِ وَزَعَمُوا الإلَهيَّةَ[٥] .

وَرَدُّ موسى هذا مؤدبٌ ومهذبٌ ، يُلمحُ فيهِ ولا يُصرحُ ، وهو مليءٌ بالثقةِ والطمأنينةِ إلى عاقبةِ الصراعِ الإيمانيِّ ، غيرَ أنَّ رَدَّ فرعونَ على هذا الأدبِ وهذه الثقةِ كان ادعاءً وتَطاولاً على ربوبيةِ اللهِ ، ولعباً ومُداورةً وتَهكماً وسُخريةً[٦] ، وذلكَ متمثلٌ في قولِهِ-تعالى-: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[٧] .

أي قالَ فرعونُ لأشرافِ قومِهِ وسادتِهم مُستهزءاً . مَا عَلِمتُ لكمْ مِنْ إلهٍ غَيْري فَتعبدونَهُ، فَاصنَع لِي يا هامانُ - وكان وزيرَه - الآجُرَّ[٨] وابْنِ لي قَصراً عالياً ، - والصرحُ كلُّ بناءٍ متسعٍ مرتفعٍ - لعلي أَنظرُ إلى معبودِ موسى ، وإني لأظنهُ من الكاذبين في ادعائِهِ[٩].

والأمرُ - هنا - لا يَدلُّ على بناءِ الصرحِ ، وقد اختُلفَ في ذلك[١٠]، إلا أنَّ الذين ذهبوا إلى بنائِهِ لَمْ يستدلوا بآيةٍ أو بحديثٍ صحيحٍ .

وذهبَ البعضُ إلى أن المقصودَ بالصرحِ - هنا - هو الهرمُ[١١]، وهذا فيهِ نظرٌ كبيرٌ ، ذلك أنه ظَنٌّ لا يَرتقِي إلى اليقينِ لفقدانِهِ الدليلَ مِنَ القرآنِ والسنةِ والخبرِ المتواترِ منذُ ذلكَ الزمانِ ، بالإضافةِ إلى وجودِ أكثرِ من هرمٍ في مصرَ مما يَدلُّ على أن المقصودَ من بنائِها هدفٌ آخر .

---

(١)منافحا : مكافحا ومخاصما . انظر: القاموس المحيط/٣١٣ .
(٢)يونس /٧٧ . (٣)القصص / ٣٧ .
(٤)انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١١/٤٦٦ط٢. (٥)انظر:البحر المحيط ٧/١٩ .
(٦)انظر: في ظلال القرآن ٥/٢٦٩٤ . (٧)القصص /٣٨ .
(٨)الآجرّ: كلمة معربة ،والمراد: نوع من الحجارة يبني به أهل فارس . انظر: القاموس المحيط/٤٢٦ . ومختار الصحاح /٧ .
(٩)انظر :جامع البيان ٢٠/٧٧وما بعدها ط٢.وزاد المسير ٦/٢٢٣. والدر المنثور ٥/١٢٩.
(١٠)البحر المحيط٧/١٢٠. (١١)انظر: التفسير الحديث محمد عزت دروزة ٣/١٨٥ ط١٣٨١ هـ . دار إحياء الكتب العربية .

و) الملأ يعللون اتهامهم :

بعدَ أنْ وَجَّهَ موسى - عليهِ السلامُ - لفرعونَ وملإهِ ذلكَ الردَّ المقنعَ الذي أسقطَ اتّهامَهم له بالسحرِ ، بَلْ وَتحدَّى كَذبَهُمْ وَعِنَادَهم ، مما دَفَعَ فرعونَ إلى الإنتقالِ من الحجةِ إلى الإستهزاءِ ، بَادرَ الملأُ - هنا - إلى الردِّ على موسى لِمَا رَأَوْهُ مِنْ تَضَعْضُعِ حُججِ فرعونَ ولجوئهِ للإستهزاءِ وفرضِ الرأيِ مِنْ علٍ ، كما ذكرَ القرآنُ في قولهِ - تعالى - : ((قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)) (١) .

أي: أَجِئتَنَا يا موسى لِتَصْرِفَنَا وتَلوينَا عن دينِ آبائِنا الذي وَجَدناهُم عليهِ ، لتكونَ لكَ ولهارونَ العظمةُ بِمصرَ ، فنحنُ غيرُ مُقرينَ بإرسالِكما إلَيْنَا (٢) .

إذنْ هذه هي الأسبابُ التي من أَجْلِها كَفروا بموسى وبدعوتِهِ ، وهي نفسُ الأسبابِ التي من أجلِها يُحاربُ الدُّعاةُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ؛ إنه الإنحطاط(٣) الأعمى في مستنقعات الكفر والشرك الموروث عن الآباء ، انه التكبر والطغيان لجبابرة الأرض على دعوة الله ، وذلك من أجل دنيا فانية ، ومن أجل سلطان خادع كاذب .

ذلك أنَّ هؤلاءَ الملإِ وأمثالَهم عَلِمُوا أنَّ اتِّباعَ الحقِّ الذي جَاءهم مِنَ اللهِ سَيفقِدُهم مَنَاصِبَهم الزائِفة ، وسَيُسَوِّيهم ببقيةِ الناسِ ، فَتسقط بذلك الحواجزُ التي وَضَعَهَا الظلمةُ ، فلا يَبقى هناك سادةٌ وعبيدٌ ، ولا كبراءُ وأشرافٌ وسوقةٌ ، ولا ظلمةٌ ومظلومون .

ز) فرعون يعضد ملأه ، ويعرض على موسى منازلة السحرة :

ثم إن فرعونَ أعجبتهُ مقولةُ ملإِهِ لموسى ، بل وذهبَ إلى أبعدِ منْ ذلكَ حيثُ أخذَ يُعضدُ مَقالةَ ملإِهِ ، وقد وَرَدَ ذلك في قولِهِ - تعالى - : ((قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)) (٤) .

أي : أجئتنا لِتُوهمَ الناسَ أنكَ جئتَ بآيةٍ وعلامةٍ تُوجبُ اتِّباعكَ والإيمانَ بكَ ، حتى تَغلبَ علينا وعلى أرضِنا (٥) .

وقولُ فرعونَ هذا يَنُمُّ عن خوفٍ في قلبِهِ ، لعلمِهِ وإيقانِهِ بأنَّ مُوسى على الحقِّ ، وأنَّ مثلَه لا يُخذلُ ولا يَقلُّ نَاصِرُه وأنه غالبُه على ملكِهِ لا محالةَ ، ثم إنَّ قولَه (بِسِحْرِكَ) يَدلُّ على تَعللٍ وتحيرٍ ، وإلا فإنَّ فرعونَ يُيقنُ بأنَّ أيَّ ساحرٍ أعجزُ منْ أنْ يُخرجَ مثلَه من ملكِهِ (٦) .

وفي قولِ فرعونَ هذا شبهةٌ عجيبةٌ ألقَاهَا على مسامعِ ملإِهِ ، لِيثيرَ بغضَهم على موسى ، إذ الإخراجُ من الديارِ مما يشقُّ على الأنفسِ ولذلك جَعلَه اللهُ مساوياً للقتلِ : ((... أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ...)) (٧) (٨) .

---

(١) يونس/٧٨ . (٢) انظر : جامع البيان ١٥/١٧٥ وما بعدها . ط: المحققة.
(٣) الإنحطاط: النزول. انظر: القاموس المحيط/٨٥٤. ومختار الصحاح/١٤٣ .
(٤) طه/٥٧ . (٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١١ ط ١ .
(٦) انظر: الكشاف ٢/٥٤١. (٧) النساء/٦٦. (٨) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٧٧ ط١.
والنهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٤٩ .

ثُمَّ إنَّ فرعونَ اللعينَ بعدَ أنْ عَضَّدَ مقولةَ ملإِهِ ، وبعدَ أنْ ثبَّتَ تهمةَ السحرِ على موسى بدعواهُ الكاذبةِ ، أضافَ إليها عَرْضاً جديداً ذكرهُ القرآنُ في قولِهِ - تعالَى - : ((فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى)) (١) .

أي :فَلَنُقابلنَّ مَا جِئتَ بهِ من السحرِ بمثلِهِ ، فاضْرِبْ يا مُوسى بَيْنَنَا وبينَكَ أجلاً وميقاتاً لا يَتجاوزُهُ كُلٌّ مِنَّا ، وهو وسطٌ في مسافتِهِ بينَ الفريقينِ(٢) .

ويُلاحظُ من الآيةِ الكريمةِ أنَّ فرعونَ فَوَّضَ تعيينَ الموعدِ إلى موسى، وذلك للإحترازِ من نسبتِهِ إلى ضعفِ القلبِ وضيقِ الحالِ ، ولإظهارِ الجَلادةِ وكمالِ القدرةِ على الإتيانِ بمثلِ ما أتَى بهِ مُوسى طَالَ الأمدُ(٣) أوْ قَصُر(٤) .

ح) موسى يقبل العرض ويعين الموعد :

بَادرَ مُوسى - عليهِ السلامُ - إلى قَبولِ عَرضِ فرعونَ ، بَلْ وَعَيَّنَ لهُ الموعدَ كاملاً ، إذ عينَ له اليومَ ، والوقتَ منه معاً ، ومما دَفعَ موسى إلى ذلك ثقتُه العاليةُ باللهِ - عز وجل - الذي وَعَدَهُ الغلبةَ والنصرَ على فرعونَ بالإضافةِ إلى حُبِّهِ البالغِ لإظهارِ دينِ اللهِ الذي يَحملُهُ : وذلك قولُه كما ذُكِرَ في القرآنِ : ((قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)) (٥) .

أي : قالَ موسى لفرعونَ : مَوعدُكم للإجتماعِ يومُ الزينةِ ،- وهو يومُ عيدِهم أو سوقِهم - وأنْ يُساقَ الناسُ إليهِ من كل فجٍ(٦) وناحيةٍ(٧) .

وقالَ المفسرون : أرادَ بالناسِ : أهلَ مصرَ ، وبالضحى : ضُحى اليومِ، وهو حينَ تُشرقُ الشمسُ(٨) .

وفي قولِهِ (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) دلالةٌ على أنَّ هناكَ من يَتخلفُ عن وقتِ الضحى كأنْ يَأتي وقتَ الظهيرةِ أو بعدَ ذلكَ ، وكأنَّ عيدَهم كان يستغرق معظمَ اليومِ ، فأرادَ موسى اجتماعَهم جميعاً في ساعةٍ واحدةٍ .

وكان اختيارُه - عليهِ السلامُ - ليومِ الزينةِ ، ولوقتِ الضحى منهُ اختياراً موفقاً يَدلُّ على عظيمِ حكمتِهِ ، وهو الذي قَالَ اللهُ فيهِ:((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) (٩) .

والحكمةُ من هذا الإختيارِ نُفصلها فيما يلي :

١) تَعليقُ الإختيارِ بيومِ الزينةِ لأنه يومُ عيدِهم وتفرغِهم منْ أعمالِهم، واجتماعِهم جميعاً لمشاهدةِ ظهورِ الحقِّ(١٠) .

---

(١)طه/٥٨ . (٢)انظر: زاد المسير٥/٢٩٤ . وتفسير غريب القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق أحمد صقر، ص ٢٧٩ ط:لا يوجد دار الكتب العلمية . (٣)الأمد: الغاية . انظر: القاموس المحيط /٣٣٩ . ومختار الصحاح/٢٤ . (٤)انظر: فتح القدير٣/٣٧١ .وروح المعاني ١٦/٢١٧ . وتفسير المراغي١٦/١٢٢ ط٣. (٥)طه/٥٩ (٦)فج :هو: الطريق الواسع بين جبلين ، وهو :مفرد فجاج . انظر: القاموس المحيط/٢٥٧ . ومختار الصحاح/٤٩١ (٧)انظر: جامع البيان١٦/١٧٧ط٢. (٨)انظر :زادالمسير٥/٢٩٥ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٤ ط١ . (٩)القصص/١٤ . (١٠)انظر:تفسير القرآن العظيم٣/١٥٦ .

٢) تَعليقُ الإختيارِ بالضحى ليتكاملَ ضوءُ الشمسِ واجتماعُ الناسِ، فيكونُ أبلغَ في الحجةِ وأبعدَ عن الريبةِ، وهذا بخلافِ الصباحِ الباكرِ حيثُ يتأخرُ البعضُ عنْ مغادرةِ البيوتِ، وكذلك الظهيرةِ فقد يَعوقُهم الحرُّ والجوعُ، وكذلك المساءُ فقد يَمنعُهم الظلامُ من التجمعِ ووضوحِ الرؤيةِ(١) .

٣) إظهارُ الحقِّ وَزَهْقُ الباطلِ على رؤوسِ الأشهادِ في المجمعِ العامِ، ليكثرَ المحدثُ بذلكَ في كلِّ بدوٍ وحضرٍ، ويَشيعَ في جميعِ أهلِ الوبرِ(٢) والمدرِ(٣)(٤) .

٤) تشجيعُ الراغبينَ في اتِّباعِ الحقِّ، وتثبيطُ ودحرُ المتبعينَ للباطلِ(٥) .

وبذلك استقرَّ رأيُهم على تكذيبِ موسى واتهامِه بالسحرِ، وعلى منازلتِه بواسطةِ السحرةِ، وقد كان موقفُهم هذا موقفاً كُفرياً قبيحاً لأنه جاءَ عناداً واستكباراً وزيغاناً عن الحقِّ بعد أن رأوهُ وعرفوهُ وأيقنوهُ .

ومن أجلِ ذلك سَجَّلَ القرآنُ الكريمُ عليهم هذا الموقفَ الكفريَّ في معظمِ السُّورِ التي وَرَدَت فيها قصةُ موسى - عليهِ السلامُ - مطولةً أو قصيرةً أو مختصرةً، وتَوضيحُ هذا كما يَلي :

١) في سورةِ الأعْرَافِ قالَ - تعالى - : ((قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)) (٦) .

٢) في سورةِ يُونُسَ قالَ - تعالى - : ((فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ)) (٧) .

٣) في سورةِ الإسْرَاءِ قَالَ - تعالى - : ((... فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)) (٨) .

٤) في سورةِ طَهَ قالَ - تعالى - : ((قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)) (٩) .

٥) في سورةِ الشعَرَاءِ قَالَ - تعالى - : ((قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)) (١٠) .

٦) في سورةِ النَّمْلِ قَالَ - تعالى -: ((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)) (١١) .

٧) في سورةِ القَصَصِ قَالَ - تعالى -: ((فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)) (١٢) .

٨) في سورةِ غَافِرٍ قَالَ - تعالى - : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) (١٣) .

٩) في سورةِ الزُّخْرُفِ قَالَ - تعالى -: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ)) (١٤) .

١٠) في سورةِ النَّازِعَاتِ قَالَ - تعالى - : ((فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى . فَكَذَّبَ وَعَصَى)) (١٥) .

---

(١) انظر: زاد المسير ٥/٢٩٥ . (٢) الوبر: هو صوف الإبل والأرانب ونحوها، والمراد منه هنا: البادية . انظر: القاموس المحيط/٦٣٠ ومختار الصحاح/٧٠٧ . (٣) المدر: المدن والحضر . انظر: القاموس المحيط/٦٠٩ ومختار الصحاح/٦١٩ (٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٤ ط: ١ وتفسير الكبير ٢٢/٧٣ . (٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٤ ط١ . (٦) آية ١٠٩ . (٧) آية ٧٦ (٨) آية ١٠١/ . (٩) آية /٥٧ . (١٠) آية /٣٤ . (١١) آية /١٣ . (١٢) آية /٣٦ . (١٣) آية /٢٣، ٢٤ . (١٤) آية /٤٦، ٤٧ . (١٥) آية /٢٠ ، ٢١ .

(الفصـــل الثانـــي)

بين موسى وفرعـــون وسحرتـــه

(المبحـــث الأول)

لقـــاء السحـــرة وهزيمـة فرعـــون

المطلب الأول : جمـع السحـرة وتحريضهـــم .
المطلب الثاني: منـازلـة موسـى للسحـــرة .
المطلب الثالث: هزيمة السحـرة وإيمانهـــم .

(المبحث الثانـي)

موقـف فرعـــون بعـــد هزيمتـــه

المطلب الأول : موقفـــه مـــن السحـــرة .
المطلب الثاني : موقفـــه مـــن قوم موسـى.
المطلب الثالث : موقفـــه مـــن موســـى.

(المبحث الأول)

(لقاء السحرة وهزيمة فرعون)

(المطلب الأول)

(جمع السحرة وتحريضهم)

بعدَ هزيمةِ فرعونَ في الجولةِ الأولى ، وبعدَ تَواعُدِهِ مع موسى على لقاءِ السحرةِ يومَ الزينةِ ، عَمَدَ - هنا - إلى جمعِ السحرةِ وتحريضِهم على مصارعةِ موسى ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

أولا : جمع السحرة والناس :

عَمَدَ فرعونُ إلى جمعِ السحرةِ وتهيئتِهم ليومِ الزينةِ لإظهارِ باطلِه ولتحقيقِ ذلك اتَّخذَ عدةَ أمورٍ ، كما يَلي :

أ) إصدار الأمر بجمع السحرة :

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)) (١) .

أي : قالَ فرعونُ لقومِهِ : ائْتوني بكلِّ مَنْ يَسحرُ من السحرةِ ، وهو عليمٌ بالسحرِ (٢) . وَأَمْرُ فرعونَ هذا يَدلُّ على أنه أَخَذَ بمشورةِ ملإِهِ حينَ قالوا لَه كما ذَكَرَ القُرآنُ : ((قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ)) (٣) . ففرعون أصدرَ أمرَهُ لأُولي الإختصاصِ في دولتِهِ لجمعِ السحرةِ ، ولعلهم الشُرَطُ .

وبذلك يَتبينُ لنا أنَّ السلطانَ الطاغيةَ لا يَترددُ في استخدامِ سلطانِهِ لمنازلةِ الحقِّ ، كما أنه قد لا يَمتنعُ عن الأخذِ بمشورةِ أتباعِهِ من رجالاتِ دولتِهِ طَالما كان ذلك لمصلحتِهِ ، ولتثبيتِ أركانِ دولتِهِ ، ولزيادةِ عُمرِ ملكِهِ ، ولقهرِ أعدائِهِ .

ب) جمع السحرة وتهيئتهم للموعد :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)) (٤) .

أي : جَمعَ الحَاشرون - الذين أرسلَهم فرعونُ في مدائنِ ملكِه - السحرةَ وهَيَّأوهم لساعةِ الضحى من يومِ الزينةِ المتفقِ على موعدِهِ بينَ موسى وفرعونَ (٥) .

ويَتضحُ لنا - هنا - أنَّ الطاغيةَ المتسلطَ لا يَرعوي (٦) عن تسخيرِ طوائفِ الناسِ المختلفةِ ضدَّ دعوةِ اللهِ . فهنا سَخَّرَ طائفةَ السحرةِ من رعيتِهِ لِدَحْضِ الحقِّ ، كما أنه سَخَّرَ طائفةَ الشرطةِ لجمعِ أولئك السحرةِ ، ومن قبلُ - كما سبق - سَخرَ ملأَه وأَشارَهم ضدَّ موسى ودعوتِهِ (٧) .

---

(١) يونس /٧٩ .
(٢) انظر : جامع البيان ١٤٧/١١ ط٢ .
(٣) الشعراء/٣٦ ، ٣٧ .
(٤) الشعراء / ٣٨ .
(٥) انظر : جامع البيان ٧٢/١٩ ط٢ . والكشاف ١١٢/٣ .
(٦) لا يرعوي : لا يكف . انظر : مختار الصحاح/٢٤٨ .
(٧) راجع : إثارة الطواغيت لأتباعهم ضد دعوة الله /٧٥ .

كما يَتضحُ - لنا - أنَّ تلكَ الطوائفَ المختلفةَ التي رَضِيت بالعبوديةِ لغيرِ اللهِ ، غالباً ما تكونُ على دينِ ملوكِها ، فإنْ أحسنَ الملوكُ أحسَنوا ، وإن أساءُوا أساءُوا مثلَهم . فهنا جَعَلَ الشُرطَةُ والسحرةُ أنفسَهم إمَّعاتٍ لفرعونَ ، لا رأيَ لهم ، فحيثُما وجَّههم توجهوا ، فهم كالحيواناتِ بل أضلُّ سَبيلاً .

ولا علاجَ لهذا المرضِ الخبيثِ إلا باتباعِ الحقِّ الذي جاءَهم من اللهِ والخروجِ على فرعونَ ودينِه (١) .

ج) تحريض الناس على الموعد :

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ)) (٢) .

أي : أخذَ أعوانُ فِرعونَ يَحُثونَ الناسَ ويُحرضُونَهم على الإجتماعِ لموعدِ يومِ الزينةِ ، وفي قولِه : (هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) استبطاءٌ لهم في الإجتماعِ ، والمرادُ منهُ : استعجالُهم واستحثاثُهم على الحضورِ، ومُرادُهم من قولِه : (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ) أي : تَرَجَّوا اتباعَهم في دينِهم إنْ غَلَبوا موسَى ، وليسَ غرضُهم اتباعَ السحرِ ، وإنَّما غَرضُهم الكليُّ عدمُ اتباعِ موسَى ، فَساقوا الكلامَ سِياقَ الكِنايَةِ لأنه إذَا اتَّبَعُوهم لَمْ يَتَّبِعوا موسَى (٣) .

ومعنى الآياتِ : " هَلْ لكلٍ في التجمعِ وعدمِ التخلفِ عن الموعدِ، ليُترقبَ فوزُ السحرةِ وغلبتُهم على موسى الإسرائيليِّ "(٤) .

ومن الجديرِ ذكرُه أنَّ أعوانَ فرعونَ لمْ يَقولوا : لعلَّنا نَتبعُ الحقَّ سواءً أكانَ من السحرةِ أمْ من موسى ، مما يُدللُ على أن الرعيةَ على دينِ ملكِهم على أي حالٍ(٥) ، كما يُدللُ على مَدى ظلمِهم الفاحشِ، وبعدِهم الكاملِ عن العدلِ في الحكمِ بينَ الناسِ.

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ فرعونَ وقعَ في خطةِ موسى الذكيةِ إذ قالَ له كما ذكرَ القرآنُ : ((... وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)) (٦) . ذلك أنَّ موسى أرادَ أن يُفتضحَ أمرُ فرعونَ على رؤوسِ الأشهادِ. وهذا الذي لَمْ يفتطنْ إليهِ فرعونُ الذي أرادَ أنْ يظهرَ أمامَ رعيتِهِ وهو الإلهُ المنتصرُ الظافرُ القاهرُ الأوحدُ على هذهِ الأرضِ.

كما يَتضحُ - لنا - أنَّ فِرعونَ وَقعَ تحتَ سيطرةِ الشيطانِ تماماً ، إذْ أيقنَ بنصرِهِ وبهزيمَةِ موسى . ولذلك عَمَدَ اللعينُ إلى جمعِ الناسِ كَيْ يُشاهدوا هزيمةَ موسى وظهورَ فرعونَ . وذلك مع علمِهِ - الذي أنساهُ إياهُ الشيطانُ - أنَّ موسى على الحقِّ كما وَرَدَ في القرآنِ : ((قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)) (٧) .

---

(١) وردت تفصيلات اخرى عن ذلك، راجع /٨٥ ، ٨٦ .
(٢) الشعراء /٣٩ ، ٤٠ . (٣) انظر: الكشاف ٣/١١٢ . وتفسير النسفي ٤/١٨٢ ، والبحر المحيط ٧/١٥ . (٤) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٤ .
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٣٤ . (٦) طه / ٥٩ .
(٧) الإسراء /١٠٢ .

وهذا كلُّه يُدللُ - لنا - أنَّ أولئكَ الذينَ يَعتدُونَ على سلطانِ اللهِ في الأرضِ، المتمثلِ في حاكميتِهِ ، إنَّما هم يَتخبطُون في جهلِهم وغبائِهم، فضلاً عن وقوعِهم في حبائِلِ الشيطانِ . وهذا رغمَ زعمِهم الكاذبِ الإنتسابَ للعلمِ والحِكمةِ والحِنكةِ والإدارةِ وغيرِ ذلكَ . ولذلك لا نَعجبُ من قَوْلِ اللهِ فِيهم : ((إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)) (١) .

د) حضور فرعون وسحرته للموعد :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)) (٢)

أي : أدبرَ فرعونُ مُعرضاً عما جَاءَهُ من الحقِّ ، ثُمَّ إنه جمعَ مَكرَهُ، أي : ما يُكادُ بهِ من السحرةِ وأدواتِهم ، ثم أتى لموعدِ يومِ الزينةِ (٣) .

" وهذهِ الآيةُ الكريمةُ بكلماتِها القليلةِ المعجزةِ تَحكي قصةً طويلةً، تَضُمُّ أحداثاً كثيرةً ، مما كانَ من فرعونَ في جمعِ السحرةِ ، وَحَشْدِهم، وتَخَيُّرِهم ، واختبارِ وسائِلِهم ، وتَخيُّرِ المناسبِ القويِّ مِنْهَا ... كلُّ هذا جمعتهُ كلمةٌ واحدةٌ هي : (كَيْدَهُ) ، فالكيدُ هنا : هو السحرُ ، والسحرةُ ، وأدواتُه "(٤) .

وهكذا يَظهرُ لنا أنَّ أولئكَ الظلمةَ من أمثالِ فرعونَ - الذين يُنازعونَ اللهَ في ألوهيتِهِ وسلطانِهِ - لا يَدخرونَ وُسعاً أوْ جُهداً في محاربةِ الحقِّ . كما أنهم لا يَتركونَ سبيلَ مكرٍ أوْ خديعةٍ أوْ كيدٍ إلا وَولَجُوهُ، لِيُشبِتُوا بَاطِلَهم ويُسقطوا الحقَّ الذي فيه هُداهُم . بَلْ إنهم لا يَنامونَ عن التآمرِ على دعوةِ اللهِ والكيدِ لهَا .

وهكذا اجْتمعَ الناسُ لميقاتِ يومِ الزينةِ ، وَجَلَسَ فرعونُ على سريرِ ملكِهِ ، واصطفَّ لَهُ الأكابرُ من رجالِ دولتِهِ ، ووقفت الرَّعايا يَمنةً ويَسرةً وأقبلَ موسى مُتوكئاً على عصاهُ ، ومعه أخوه هارونُ ، بينما وقفتِ السحرةُ بينَ يَدي فرعونَ صفوفاً وهو يُحرضُهم ويرغِبُهم ويوعِدُهم (٥) - كما سيتضحُ لنا في النقطةِ التاليةِ - .

ومنَ الجديرِ ذكرُه أن المفسرينَ قد اختلَفوا في عددِ السحرةِ اختلافاً كبيراً ، فمنهم من عدَّهم بالعشراتِ ، ومنهم بالمئاتِ ، ومنهم بالألوفِ، ومنهم بعشراتِ الألوفِ (٦) .

ولكن هذهِ الآراءَ جميعاً يَنقُصها الدليلُ . إذ أنَّ تحديدَ عددِهم بالأرقامِ دونَ دليلٍ من كتابٍ أو سنةٍ إنما هو تخبطٌ وظنٌّ .

ولكنْ يَبدو أنَّ عددَهم كانَ كبيراً نسبياً ، بدليلِ أنَّ السحرَ كان غالباً في ذلكالزمنِ ومُشتهراً ، وعليه سيكونُ السحرةُ كُثُراً . ثم إنَّ فرعونَ جَمَعَ أكبرَ عددٍ منهم لقولِهِ تعالى : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)) (٧)، غيرَ أنهُ لا يُمكنُ تحديدُ عددِهم دونَ برهانٍ .

---

(١) الفرقان / ٤٤ . (٢) طه / ٦٠ .
(٣) انظر : جامع البيان ١٧٨/١٦ ط٢ . وغريب القرآن ص ٢٨٠ . وروح المعاني ٢٢٠/١٦ .
(٤) التفسير القرآني للقرآن ٨٠٣/١٦ . (٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٣ .
(٦) انظر: جامع البيان ١٨٤/١٦ وما بعدها ط ٢ . وتفسير القرآن العظيم ١٨٥/٣ . وزاد المسير ٢٤١/٣ . والدر المنثور ١٠٦/٣ . (٧) يونس / ٧٩ .

ثانيا : إغراء السحرة وتشجيعهم :

وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) طلب السحرة الأجر :

وذلك قوله - تعالى - : ((فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)) (١) ، وفي آية أخرى : ((وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)) (٢) .

هنا يجيءُ مَشهدُ السحرةِ بحضرةِ فرعونَ قبلَ منازلةِ موسى ، يَطمئنُّون على الأجرِ والمكافأةِ إنْ كانوا هُمُ الغَالِبينَ(٣) .

والمعنى المرادُ للآياتِ : أي عندمَا جاءَ السحرةُ لفرعونَ يومَ الزينةِ سألوهُ الأجرَ والعطاءَ الجزيلَ إذا ما غَلَبُوا مُوسَى (٤) .

" ولا يَملكُ فِرعونُ في هذا الموقفِ إلا أنْ يستجيبَ لهم ، ويترضَّى مشاعِرَهُم ، حتى يَبذُلوا كلَّ ما يَملِكون من حولٍ وحيلةٍ .. إنهمْ الآنَ لا يعملونَ إلا بأجرٍ ، وقد كانوا من قبل هذا الموقفِ عبيداً مسخرينَ "(٥) .

وهذه الآياتُ تدلُ على أن الناسَ كانوا يعلَمون عجزَ فرعونَ وذِلَّتَه ومهانَتَه ، وإلا لَمَا احتاجَ السحرةُ في دفعِ موسى . كما أنها تَدلُ على عجزِ السحرةِ على قلبِ الأعيانِ ، وإلا لمَا طَلَبوا الأجرَ من فرعونَ(٦) .

وهنا يَظهرُ بوضوحٍ مُرادُ السحرةِ وَهَدفُهم من هذا الصراعِ ، ألا وهو الأَجرُ الماديُّ المعروف ، أي : بعضٌ من حطامِ الدنيا الفاني . وهم بذلك لا يُصارعونَ من أجلِ دينٍ أوْ عقيدةٍ أوْ هدفٍ سامٍ يَقتنعونَ بهِ ويَسعونَ لنصرتِهِ . وغَابَ عن أولئك السحرةِ أنهم يُبارِزونَ أَخْطَرَ قضيةٍ على وجهِ الأرضِ ، بل وفي الوجود كلِّه ، وهي المتمثلةُ في قولِهِ -تعالى-: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) (٧) .

ومن هذا المشهدِ يَتضحُ - لنا - أَنَّ كثيراً من تلك التَّجَمُّعَاتِ المستترةِ وراءَ أسماءٍ مختلفةٍ ، والمُنْضَوِيَةِ تحتَ سلطانِ الطواغيتِ ، إنما هي حُشالاتٌ مأجورةٌ تَهدفُ من وراءِ تأييدِها ودعايتِها لهذا الطاغيةِ أو ذاكَ إلى تحقيقِ أَطماعٍ ونزواتٍ معينةٍ ، وليسَ بالضرورةِ اقتناعُها بهِ . فحالُها أشبهُ بحالِ السحرةِ - هنَا - .

ب) فرعون يعدهم ويغريهم :

وذلك قوله - تعالى - :((قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)) (٨)

وفي آيةٍ أُخرى : (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)) (٩) .

أي : نعم لكم الأجرُ وإنكم لمن أهلِ المنزلةِ الرفيعةِ لدينا زيادةً

---

(١) الشعراء/٤١ . (٢) الأعراف /١١٣ . (٣) انظر:في ظلال القرآن ٢٥٩٤/٥ .
(٤) انظر: جامع البيان ٧٢/١٩ط٢ . وتفسير القرآن العظيم ٢٣٧/٢ .
(٥) التفسير القرآني للقرآن ٤٥٣/٩ . (٦) انظر: التفسير الكبير ٢٠١/١٢ ط١ .والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٥٠١/١ ط٢ دار المعرفة . (٧) الذاريات/٥٦ . (٨) الشعراء/٤٢ . (٩) الأعراف / ١١٤ .

على الأجرِ ، فَإنّي لا أقتصرُ على الثوابِ والعطاءِ بل أزيدُكم عليهِ بأنْ أجعلَكم من المقربينَ بالمنزلةِ[١] .

فَأكّدَ فرعونُ - ههنا - للسحرةِ أنهم مأجورونَ على حرفتِهم وَوَعَدَهُمْ مع الأجرِ القُربي منهُ ، زيادةً في الإغراءِ ، وتشجيعاً على بذلِ غايةِ الجهدِ . إذن هي صفقاتٌ متبادلةٌ : هم يُقرون سلطانَه باسم الدينِ ! وهو يُعطيهم المالَ ويَجعلُهمْ مِنَ المقربينَ ! [٢] .

ونَستخلصُ من ذلك أنّ الطغاةَ من أمثالِ فرعونَ لا يَبخلونَ بالمالِ أو بشيءٍ من الجاهِ على المأجورينَ مقابلَ تحقيقِ أطماعِهم المتمثلةِ في استمرارِ تَربعهِم على عرشِ الباطلِ . وإذا كان الطغاةُ يفعلونَ ذلك فعلى الدعاةِ إلى الحقِّ - من بابِ أولى - أنْ يُنفقوا كُلَّ نفسٍ ونفيسٍ في سبيلِ دعوتِهم .

ثالثا : خطبة فرعون في الجمع :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)) [٣] .

أي : جَمعَ فرعونُ السحرةَ والناسَ والجندَ والملأَ يومَ الزينةِ ، ثُمَّ قَامَ فِيهم خَطيباً في المقامِ الذي اجتَمعُوا فيهِ معهُ ، ونَادَى فيهِم قائلاً : (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) أي : لا ربَّ فَوقي ، وكانت لهم أصنامٌ يَعبدونَها [٤] .

ويقولُ صاحبُ الظلالِ عن سياقِ الآياتِ - هنا - في سورةِ النازعاتِ : " ويُسارعُ السياقُ هنا إلى عرضِ قَوْلةِ الطاغيةِ الكافرةِ ، مُجملاً مشاهدَ سعيهِ وحشرِهِ للسحرةِ وتفصيلاتِها . فقد أَدْبَرَ يَسْعَى في الكيدِ والمحاولةِ ، فحشرَ السحرةَ والجماهيرَ ، ثم انْطَلقت منه الكلمةُ الوَقِحَةُ المتطاولةُ المليئةُ بالغرورِ والجهالةِ : (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) ..." [٥] .

ونَفهمُ من ذلكَ أنّ الطاغيةَ لا يتأخرُ عن استغلالِ منابرِ دولتِهِ وملكِهِ ليحدثَ على رؤوسِ الأشهادِ عن ملكِهِ وسلطانهِ الكاذبِ . بل إنه ليتوجَ ذلك كلَّه بالتكبرِ على اللهِ وعلى الخلقِ ، وقد يَزعمُ أنه هو الإلهُ الأعلى - كما فعل فرعونُ - ولا يزالُ دائباً على التأكيدِ - من خلالِ وسائلِهِ الإعلاميةِ المختلفةِ - أنهُ الحاكمُ والمسيطرُ والمقدمُ والمؤخرُ ... الخ في دولتِه .

وندركُ من ذلك أيضاً مقدارَ جهلِ الناسِ وحمقِهم ومذلتِهم على كثرتِهم . إذ لو كانوا شُرفاءَ وكُرماءَ وأعِزّاءَ وعُلماءَ لَمَا كان لطاغيةٍ مثلِ فرعونَ أنْ يقفَ مثلَ هذا الموقفِ وأنْ يقولَ مثلَ تلك المقالةِ ، وهو أعجزُ من أنْ يدفعَ عن نفسِهِ الموتَ فضلاً عن غيرِهِ ! ولذلكَ لا نعجبُ من قولِ اللهِ - تعالى - فيهم : ((فَاسْتَخَفَّ[٦] قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)) [٧] .

---

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٥٨/٧ ط٣ . ومراجع بيد لكشف معنى قرآن مجيد . محمد نووي الجاوي ٢٩٣/١ ط: لا يوجد . دار إحياء الكتب العربية . (٢) انظر: في ظلال القرآن ١٣٤٩/٣ .
(٣) النازعات/٢٣، ٢٤ . (٤) انظر: الكشاف ٢١٤/٤ . وتفسير النسفي ٢٣٠/٤ . والتفسير الكبير ٤٢/٣١ ط١ . (٥) في ظلال القرآن ٣٨١٥/٦ . (٦) فاستخف : "أي حملهم أن يخفوا معه أو وجدهم خفافا في أبدانهم وعزائمهم، وقيل: معناه وجدهم طائشين" . المفردات في غريب القرآن/١٥٢ . وانظر: القاموس المحيط/١٠٤٢ . (٧) الزخرف / ٥٤ .

(المطلب الثاني)

(منازلة موسى للسحرة)

هنا يقفُ الفريقانِ كلاهُما ، كلٌّ مقابلَ الآخرِ . موسى وأخوه هارون من جهةٍ ، والسحرةُ جميعاً من الجهةِ المقابلةِ . وكلاهُما يَنتظرُ بدءَ الصراعِ . بينما فرعونُ يَجلسُ على كرسيِّ ملكِهِ وسلطانِهِ ، وعن يمينِهِ وشمالِهِ أركانُ دولتِهِ وملإِهِ . والناسُ مُحتشدونَ لذلك المشهدِ العجيبِ ، وينتظرونَ على آخر من الجمرِ نتيجةَ ذلك الصراعِ .

وَسَنَعْمَدُ إلى تفصيلِ وقائعِ وأحداثِ ذلك الصراعِ ، حتى تَتضحَ المعالمُ بصورةٍ جليةٍ .

أولا : موسى يخيف السحرة ويربكهم :

إستَهلَّ موسى - عليهِ السلامُ - صِراعَه بإيقاعِ الخوفِ في قلوبِ السحرةِ ، والإرتباكِ في صفوفِهم ، وتفصيلُ ذلك كما يَلي :

١) إتهام السحرة وتحذيرهم :

وذلكَ قولُه - تعالى - : ((قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)) (١) .

أي : قالَ موسى للسحرةِ : وَيْلٌ لكُم لا تَختَلِقُوا على اللهِ كذباً بما تَتَقولونهُ وبما تُخيلونهُ للناسِ بأعمالِكم إيجادَ أشياءٍ لا حقائقَ لهَا وإنها مخلوقةٌ وليست مخلوقةً ، فَيَستأصلكم بهلاكٍ فَيبيدُكم ، وقد خَسِرَ وهَلَكَ وَخَابَ من الرحمةِ والثوابِ من ادعى على اللهِ ما لمْ يَأذنْ بهِ (٢) .

وبذلك يَتضحُ لنا أنَّ على الداعيةِ أن يستغلَّ كلَّ مناسبةٍ وكلَّ مَقامٍ في تبليغِ دعوتِهِ وفي إقامَةِ الحجةِ على أعدائِه . فموسى - عليهِ السلامُ - لمْ يُنْسِهِ وعدُ اللهِ له بالنصرِ أنْ يَستغلَّ هذهِ المناسبةَ للدعوةِ إلى اللهِ ، فهدفُ موسى ليسَ هو الظهورُ والغلبةُ ، إنَّما هدفُهُ ظهورُ الحقِّ وإعلاءُ رايتِهِ ، وسَحْقُ الباطلِ وإسقاطُ رايتِهِ .

وموقفُ موسى - هذا - أشبهُ بموقفِ يوسفَ - عليه السلام - عندمَا سألهُ صاحِبَا السجنِ عن تفسيرِ رؤياهُما . فَقَبْلَ أن يفسرَ لهما رؤياهُما عَمَدَ إلى دعوتِهما إلى اللهِ ، وبعدَ ذلكَ فسرَ لهما رؤياهُمَا (٣) .

ويَتضحُ لنا أيضاً أنَّ على الداعيةِ أن لا يدخرَ وُسعاً في إيجادِ حيلةٍ أو طريقةٍ مشروعةٍ يُلقِي من خلالِها الرعبَ في قلوبِ أعدائِهِ ، والإرتباكَ في صفوفِهم ، وذلك كما فعلَ موسى - عليه السلام - هنا ، وكما فَعلَ الرسول محمد

---

(١) طه / ٦١ .
(٢) انظر : جامع البيان ١٧٨/١٦ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١١ ط ١ . وتفسير القرآن العظيم ١٥٧/٣ .
(٣) أنظر : سورة يوسف ، الآيات ٣٦ - ٤١ .

- صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - في غزوةِ الخَنْدَقِ ، إذْ أَمَرَ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ* الثَّقَفِيَّ أَنْ يَسعى بالوقيعةِ بينَ اليهودِ وقريشٍ ، فَفَعَلَ نُعيم بنُ مسعودٍ ما أُمِرَ بهِ واستَغلَّ في ذلكَ عدمَ معرفةِ اليهودِ والقرشيينَ بإسلامِهِ . وقد نَجَحَ في الإيقاعِ بينَهُم ، وكان لنجاحِه - هذا - الأَثَرُ الأكبرُ في هزيمةِ الأحزابِ وانتصارِ الإسلامِ(١) .

وموسى - هنا - أَرادَ أَنْ يخيفَهم من اللهِ مستخدماً عدةَ ألفاظٍ مثيرةٍ في ذلك وهي : (وَيْلَكُمْ) وَ (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) ، ثُمَّ إنهُ أَرادَ أَنْ يُوقعَ الإرتباكَ في صفوفِهم بقولِه : (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ، ويَعني بذلك : أَنَّ مَاجِئتم بهِ لا يزيدُ على الكذبِ على اللهِ - وهم يعلمونَ ذلك - ، فَذكَّرهم بما يعلمونَه ويُجمعونَ على حقيقتِه . فهو يُشككهُم في سحرِهِم ، ويُبينُ لهم عَاقبةَ صنيعِهم بقولِهِ : (وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) ، ويعنى بذلك : أَنَّ عاقبةَ كذبِكم وافترائِكم هي الخيبةُ والخسرانُ . فهو يقنعهم ببعدِ النصرِ عنهم .

ولكنْ ما هِيَ نتيجةُ هذا التدبيرِ من موسى ، هذا ما تُوضحهُ لنا النقطةُ التاليةُ .

ب) إرتباكهم وإصرارهم على باطلهم :

وفيما يلي بيان ذلك :

١) التنازع في الأمر : وذلكَ قولُه - تعالى - : ((فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى)) (٢) .

أي تشاورَ السحرةُ في أمرِهم وتَجاذبوهُ فيما بينَهم ، والتنازعُ يَقتضي الإختلافَ ، وإسرارهم المناجاةَ كان خيفةً من فرعونَ أنْ يتبينَ فيهم ضعفاً(٣) .

وقد اختلفَ المفسرون في ذلك الكلامِ الذي جَرى بينَهم إلى عدةِ أقوالٍ . أحدها : إنْ كانَ هذا ساحراً فَسَنغلِبُه ، وإن كَانَ من السماءِ فله أمرُه . قاله: قَتَادَةُ . والثاني : إنَّ هذا ليسَ بقولِ ساحرٍ ولكنه كلامُ الربِّ الأعلى ، غيرَ أن خوفَهم من فرعونَ دفعهم إلى القولِ : (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) . قاله: الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ . والثالث : أنهم (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ..) الآيات . قاله: السُّدِّيّ . والرابع : إنْ غَلَبَنَا اتبعناهُ ، والدليلُ ما ظَهَرَ من عاقبةِ أمرِهِم . قاله: الكَلْبِيُّ(٤) . والخامس : أَنَّ نجواهُم كانت في تلفيقِ وتزويرِ تهمةِ السحرِ لموسى وهارونَ . قاله: الزَّمَخْشَرِيُّ(٥) .

---

(١) انظر : السيرة النبوية . لمحمد بن عبد الملك بن هشام المعافري . تقديم وتعليق : طه عبد الرءوف سعد . ٣/١٣٧ وما بعدها . ط١ . دار الجيل بيروت . (٢) ط ٢/٦٢ .
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٥ ط١ . والنهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٥٠ .
(٤) انظر : جامع البيان ١٦/١٧٩ وما بعدها ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٥ وما بعدها ط١ . وزاد المسير ٥/٢٩٧ . (٥) انظر : الكشاف ٢/٥٤٣ .

* نعيم بن مسعود : هو: نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الغطفاني الأشجعي ، أبو سلمة . صحابي جليل أسلم في وقعة الخندق ، وهو الذي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق ، وخذل بعضهم عن بعض . روى عن النبي ، وروى عنه ابنه سلمة . مات زمن خلافة عثمان ، وقيل : قتل يوم الجمل قبل قدوم علي البصرة . انظر : أسد الغابة ٥/٣٤٨ رقم (٥٢٧٤) . والإصابة في تمييز الصحابة ٦/٤٦١ رقم (٨٧٨٥) . وخلاصة تذهيب الكمال ٣/٩٨ رقم (٧٥٤٦) .

والذي يتبينُ لي : أنَّ النجوى التي أسَرُّوها قد تَشتملُ على أغلبِ أقوالِ المفسرينَ التي ذكرناها ، وغيرها ، وذلك نسبةً لعددِ السحرةِ الكبيرِ - كما تقرر -[١] . فكلُّ ساحرٍ أو جماعةٍ منهم تبنوا رأياً معيناً في ذلك ، وأخذوا يُنازعون فيهِ ، ثُمَّ إنهم استقرُّوا على رأيٍ واحدٍ يتمثلُ في اتهامِه بالسحرِ : (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ...)[٢] الآية .

ولعلَّ كثرتَهم هيَ الدافعةُ لهم لِتبني هذا الرأيِ ، فكأنهم قالوا : سَنَغلبهُ حتماً بِتجمعِنا وتعاونِنا في ذلك . ولذلك قالُوا بعد ذلكَ كما ذَكَرَ القرآنُ : ((... بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ))[٣] ، أي: كلامُ المستيقنِ بالنصرِ ، ولذلك لمَّا فُوجِئوا بالهزيمةِ خَرُّوا - دونَ ترددٍ - سجداً للهِ ربِّ العالمينَ ، معلنينَ إيمانَهم ، غيرَ خائفينَ عاقبةَ ذلكَ .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ الماجورينَ - كأمثالِ السحرةِ - الذينَ باعوا أنفسَهم للطاغيةِ وللشيطانِ ، لا يملكونَ الشجاعةَ لقولِ رأيِهم المخالفِ الذي يَقتنعونَ بهِ أمامَ طاغيتِهم ، وذلك لِذُلِّهم وخوفِهم منهُ . وهم لذلك يَعمدونَ إلى الظلامِ والمناجاةِ ، غيرَ أنهم سُرعانَ ما يَنقلبونَ على وجوهِهم فيرجعونَ إلى تَبني رأيِ طاغيتِهم - كحالِ السحرةِ هنا - وليتَهم يَنتظرونَ ظُهورَ نتيجةِ الصراعِ حتى يَحكُموا في الأمرِ[٤] .

٢) الطعن في موسى :

وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى))[٥] .

أي : قال السحرةُ : إنَّ موسى وهارونَ ما هما إلا ساحران عالمان بالسحرِ ، يُريدان - في هذا اليومِ - أنْ يَغلباكم وقومَكم ويَستوليا على الناسِ باتباعِ العامةِ لهما ، ثم يُقاتلوا فرعونَ وجنودَه فيغلبوهُ ويُخرجاكُمْ من مصرَ ، ويَستبدا بصناعةِ السحرِ ، مما يُؤدي إلى ذَهابِ طريقتِكم التي فيها معاشُكم وأرزاقُكم[٦] .

وبذلك يَظهرُ - لنا - أن السحرةَ طَعنوا في نبوةِ موسى وأخيهِ ، وفي صدقِ توجههما ، إذ اتَّهموهما بالسحرِ - وأكدوا ذلك بأنَّ التوكيدَ وبلام القسمِ ، وبالجملةِ الخبريةِ - وبنيتِهما في إخراجِهم من مصرَ ، وزادوا على ذلك : بأنهما سَيتربعانِ على عرشِ السحرِ ويستأثرانِ بالمرابحِ والمنافعِ والمراكزِ دونَهم .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ أتباعَ الطاغيةِ الماجورينَ غالباً ما يُرددونَ نفسَ مقالةِ طاغيتِهم ، فالسحرةُ - هنا - طَعنوا موسى وأخاه بنفسِ مطاعنِ فرعونَ لهُما . وزادوا على ذلك مطعناً جديداً[٧] .

---

(١) انظر/ ٩٤ .
(٢) طه/ ٦٣ .
(٣) الشعراء/ ٤٤ .
(٤) لقد سبقت الإشارة لهذا . راجع/ ٩٣ .
(٥) طه/ ٦٣ .
(٦) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧ .
(٧) وردت تفصيلات عن ذلك ، راجع/ ٩٣ .

وكذلك يتضحُ - لنا - مدى الظلمِ الفاحشِ الذي يَتصفُ به أولئك السحرةُ . فمقتضى المنافسة الشريفةِ تُوجبُ عليهم أن لا يَحكموا على موسى وأخيهِ حتى تَنتهي المباراةُ(١) .

٣) التعاون على مصارعته : وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى)) (٢) .

أي قالَ السحرةُ بعضُهم لبعضٍ: أحكِموا واعزموا سِحرَكم ، فلا تَدعوا شيئاً منه الا جئتُم بهِ ، ثم ائتُوا جَمعاً مُصطفينَ ، ليكونَ ذلكَ أشدَّ لهيبتِكم في صدورِ المشاهدينَ وأوقعَ للرهبةِ في قلوبِهم ، وقد أفلحَ وفازَ من غلبَ (٣) .

ولعل قولَهم : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أرادوا منهُ تَمكينَ الناسِ جميعاً من رؤيةِ ذلك الصراعِ حتى تَظهرَ المباراةُ جلياً ، ومن ثَمَّ يَتجلى نصرهُم على موسى بوضوحٍ .

ويتضحُ - لنا - من ذلك ، أن أهلَ الباطلِ يُجمعونَ على باطلِهم ويَتعاونونَ عليهِ ، بل ويُصارعونَ من أجلِهِ صُفوفاً متراصةً . وإذا كانَ ذلك كذلك ، فأهلُ الحقِّ أولى بذلك منهمْ في مجالِ حقِّهم . ولذلك لا نَستغربُ من قولِهِ-تعالى-: ((... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً...)) (٤) ، ومن قولِهِ - تعالى - : ((... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...)) (٥) ومن قولِهِ - سبحانه -: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ(٦))) (٧) (٨) .

كما ويتضحُ - لنا - أن أولئكَ الأتباعَ المأجورينَ- أمثال السحرة - لا يَهدفونَ إلى نصرِ دينٍ أو مبدإٍ سامٍ خَيِّرٍ ، أو إلى رفعِ ظلمٍ ، أو حكمٍ بالعدلِ ، بل يَهدفونَ إلى الغلبةِ والنصرِ والظهورِ والعلوِّ في الأرضِ ليس إلا .
وذلك من أجلِ مناصبَ زائلةٍ ، أو أموالٍ فانيةٍ . ولذلك حَذَّرنا اللهُ من ذلكَ بقولِهِ : ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (٩) (١٠) .

وهكذا تَنزلُ كلمةُ موسى الصادقةُ المنبثقةُ عن عقيدةٍ ، كالصاعقةِ على معسكرِ السحرةِ وصفوفِهم ، فتزعزعُ اعتقادَهم في أنفسِهم وفي قدرتِهم وفي دينِهم . مما أوقعَ الإرتباكَ في صفوفِهم ، وَهُمُ الكَثْرُ والمُدربونَ، فَتَحَوَّجَهُمْ ذلك إلى التناجي سِراً ، وإلى تجسيمِ الخطرِ ، واستثارةِ الهممِ . كما أوقعَ الخوفَ والرعبَ في قلوبِهم ، مما اضطَرهم للدعوةِ إلى التجمعِ والترابطِ والثباتِ أمامَ شخصينِ اثنينِ(١١) .

---

(١) لقد سبقت الإشارة إلى ذلك . راجع/٩٣ . (٢) طه /٦٤ .
(٣) انظر: الجامع لاحكام القرآن ١١/٢٢١ . ولباب التأويل ٣/٢٤١ . وروح المعاني ١٦/٢٢٥ . (٤) التوبة/٣٦ . (٥) المائدة/٢ . (٦) مرصوص : " أي: محكم كأنما بني بالرصاص " . المفردات في غريب القرآن/١٩٦ . وانظر: القاموس المحيط/٨٠١ . ومختار الصحاح/٢٤٥ . (٧) الصف/٤ . (٨) ورد الحديث مفصلا عن ذلك. راجع/٤٨، ٤٩ .
(٩) القصص/٨٣ . (١٠) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع/٨٨ .
(١١) انظر: في ظلال القرآن ٤/٢٣٤١ .

ثانيا : موسى يدعوهم للإلقاء أولا :

وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) السحرة يخيرونه في الإلقاء :

وذلك قوله : ((قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى))(١) ، وفي سورة أخرى : ((قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ))(٢) .

فهنا خَيَّر السحرةُ موسى في الإلقاءِ أولاً ، غيرَ أنَّ قولَهم : (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) يدلُّ على رغبتِهم في الإلقاءِ أولاً قبلَه ، وذلك من تغييرِ النظمِ إلى ما هو أبلغُ ، ومن تأكيدِ ضميرِهم المتصلِ بالمنفصلِ وتعريفِ الخبرِ ، أو تعريفِ الخبرِ وإقحامِ الفصلِ(٣) .

وقد اختلفَ المفسرون في سببِ تخييرِهم لموسى إلى أقوالٍ نُفصلُها فيما يلي :

١) ذَهبَ كثيرٌ من المفسرينَ إلى أن السببَ هو مراعاةُ حُسنِ الأدبِ معهُ ، وخفضُ الجناحِ لهُ ، مع إنصافِهِ(٤) .
٢) ذهبَ بعضُ المفسرينَ إلى أنَّ السببَ هو إظهارُ الجلادةِ(٥) .
٣) ذَهبَ آخرونَ إلى أنَّ السببَ هو إظهارُ الثقةِ بأنفسِهم ، والإعتدادِ بسحرِهم ، وعدمِ المُبالاةِ بهِ مع إرهابِهِ(٦) .

والذي أميلُ إليهِ : أنَّ ظاهرَ تخييرِهم يَدلُّ على حُسنِ الأدبِ منهُم ، وأما مقصودُهم من ذلك فلا أرى أنهُ الأدبُ الحسنُ بذاتِهِ وذلك للأسبابِ الآتيةِ :

١) إنهم لو اتَّصفُوا بحسنِ الأدبِ معهُ ، لما اتَّهموهُ وطعنُوه قَبْلَ ذلك بقولِهم كما ذَكرَ القرآنُ : ((... إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ...)) (٧) ... الآية . إذ كيفَ يَسمحُ لهم أدبُهم أنْ يتَّهموه بذلك قبلَ ظهورِ نتيجةِ الصراعِ التي تُمكنُهم من الحكمِ على موسى .
٢) إنَّ مقامَهم بحضرةِ ملكِهم الذي يَدعي الألوهيةَ والربوبيةَ فيهِم ، وما طَلَبُوهُ منه ، وما وَعَدَهم إياه يَقتضي احتقارَهُ وعَدَمَ التأدبِ معهُ (٨) .

وعلى ذلك فالراجحُ هو ما ذَهبَ إليهِ أصحابُ الرأيِ الثَّانِي والثالثِ ، ذلك أنني لا أرى فروقاً ذاتَ شأنٍ بينَ الرأيينِ . والأسبابُ التي دَفَعَتْني لِهذا الترجيحِ ما يلي :

١) وُقوعُ الخَوفِ في قُلوبِهِم ، والإرتباكِ في صفوفِهِم - على ما تَقرَّرَ قبلَ ذلكَ -(٩) دَفَعَهُم إلى إظهارِ الجلادةِ والثقةِ بالنفسِ . وهذا هو موقفُ الضعيفِ دائماً .

---

(١) طه/٦٥ . (٢) الأعراف/١١٥ . (٣) انظر: الكشاف ٢/١٠٣ . وأنوار التنزيل ١/٤٢٩ . وتفسير أبي السعود ٢/١٨٨ . (٤) انظر: الكشاف ٢/١٠٣، ٥٤٣ . والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٥٩ط١١٦٤ط١ . والتفسير الكبير ١٤/٣٠٢، ٢٢/٨١ . والأساس في التفسير . سعيد حوى ٤/١٩٧٨ ط١ . دار السلام . (٥) انظر : أنوار التنزيل ١/٤٢٩ . وتفسير أبي السعود ٢/١٨٨ . (٦) انظر: تفسير المنار . محمد رشيد رضا ٩/٦٣ ط: ٢ . (٧) طه/٦٣ . (٨) انظر : تفسير المنار ٩/٦٣ .
(٩) انظر : ٩٧/ وما بعدها .

٢) إستِحْيَاؤُهُمْ من عددِهِم الكبيرِ أمامَ شخصينِ دَفَعَهُمْ إلى ذلك ، وإلا فَرَغْبَتُهُمْ في الإلقاءِ أولاً واضحةٌ مِنْ نظمِ الآياتِ - كما بَيَّنا - .

وهكذا يتضحُ لنا هنا - أنَّ أهلَ الباطلِ - قُبَيْلَ الصراعِ الإيمانيِّ - قدْ يَتحدثونَ بِأحاديثَ ، وقد يَفعلونَ أفاعيلَ معينةٍ ، يُفهم منها أنهم الأقوياءُ وأنهم الغالبونَ وهم في حقيقةِ الأمرِ غيرُ ذلك . ومرادُهم من ذلكَ إيقاعُ الخوفِ والرعبِ - الذي يُعتبرُ المَقدمةَ الأُولى للنصرِ - في قلبِ خصمِهِمْ .

ب) موسى يدعوهم للإلقاء :

وذلك قولُه : ((قَالَ بَلْ أَلْقُوا ...)) (١) . ، وفي آيةٍ أخرى : ((قَالَ أَلْقُوا ...)) (٢) ، وفي آيةٍ أخرى : ((قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ))(٣) .

فهنا دَعاهم موسى إلى الالقاءِ أولاً ، وفي دعوتِهِ لهم حِكَمٌ كَثيرةٌ نُفصلها فيما يلي :

١) الإزدراءُ(٤) بِشأنِهم ، وقلةُ المبالاةِ بِهم ، وثقةٌ بما كان بصددِهِ من التأييدِ الإلهيِّ ، والإعتمادُ على أنَّ المعجزةَ لن يَغلبَها سِحرٌ أبداً (٥) .

٢) قَطْعُ الطريقِ على أصحابِ الضلالِ المشككينَ . فلو بَدأَ موسى الجولةَ ، وَضَرَبَ السحرةَ ضَرْبَتَهُ ، وأَوقَعَ بهم الهزيمةَ من قبلِ أنْ يعطوا ما عندَهم أولاً ، لكان في نصرِهِ هذا الذي أَحْرَزَهُ مقالُ لقائلٍ أن يقولَ : إنهم لو أَظْهَرُوا السحرَ الذي في أيديهِم أولاً ، لَشلُّوا حركةَ موسى وضربوهُ الضربةَ القاضيةَ(٦) .

٣) إظهارُ بطلانِ سحرِهِم بعدَ اندهاشِ الناسِ بهِمْ(٧) .

٤) إبرازُ ما مَعَهم ، واستفراغُ جهدِهم ، واستنفادُ قَصَارى وسعِهِم ثم يُظهرُ اللهُ سلطانَه فيقذفُ بالحقِّ على الباطلِ فَيَدْمَغه (٨) .

فإن قيل:كيفَ جازَ لموسى أن يأمرَهم بالإلقاءِ ، مع أن فِعْلَ السحرِ كُفرٌ ، أجيب بأن مضمونَ أمرِهِ : إنْ كُنتم مُحقِّين فَألقُوا ، أو أَلْقُوا على ما يصحُّ لا على ما يفسدُ ومستحيل ، أو لإظهارِ المعجزةِ بصورةٍ جليةٍ(٩) .

وأمرُ موسى هذا شبيهٌ بقولِهِ-تعالى-: ((... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (١٠) ، وبقولِهِ : ((... فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (١١) .

وهكذا يَتضحُ - لنَا - أن على أهلِ الحقِّ أن لا يَتركوا سبيلَ حكمةٍ إلا وأخذوا بهِ في صراعِهم الإيمانِي . وهذا لا يَعني المُهادنةَ أو الإستسلامَ أوْ غَضَّ الطرفِ عن الباطلِ ، بل قد يكونُ مِنَ الحكمةِ تغييرُ المنكرِ باليدِ وبالسيفِ

---

(١) طه/٦٦ . (٢) الأعراف/١١٦ . (٣) الشعراء/٤٣ ويونس/٨٠ .
(٤) الإزدراء :من ازدراه ، أي:حقره ، والمزدرى : المحتقر . انظر: القاموس المحيط/١٦٦٦ ، ومختار الصحاح/٢٧١ . (٥) أنظر: تفسير النسفي٢/٦٩ ، ومحاسن التأويل ٧/٢٨٣٤ . والأساس في التفسير ٤/١٩٧٨ . (٦) انظر:التفسير القرآني للقرآن ٩/٤٥٤ . (٧) انظر: الأساس في التفسير ٤/١٩٧٨ . (٨) انظر: روح المعاني ١٦/٢٢٦ .
(٩) انظر: زاد المسير ٣/٢٤٢ . (١٠) البقرة/١١١ . (١١) البقرة /٢٣ .

وغيـــر ذلك (١) .

وكذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ على أهلِ الحقِّ أن يستَدرجوا أهلَ الباطـــلِ - كما فَعلَ موسى هنا - حتى يَظهرَ كُلُّ باطلِهم ، ثم يَقذفُوا بالحقِّ عليـــه فَيُزهقونَه بإذنِ اللهِ . وهذا من الحكمةِ التي قَالَ اللهُ في شأنِها: ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّـــرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) (٢) .

ثالثا : الإلقاء من السحرة وموسى :

بَادرَ السحرةُ إلى الإلقاءِ أولاً ، بعدَ أنْ دعاهُم موسى لذلكَ ، ثُـــمَّ عقَّبَ عليهم موسى فألقَى ما معه من الحقِّ ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

أ) إلقاء السحرة وتأثيره :

وتفصيل ذلك كما يلي :

١) الإلقاء مع القسم : وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ)) (٣).

أي: فألقى السحرةُ حِبالُهم وعصيُّهم من أيديهم وأقسموا بقـــوةِ فرعونَ وشدةِ سلطانِه ومنعةِ ملكِه أنهم هم الغالبون والظاهرونَ علـــى موسى (٤) .

وقد قالوا ذلك وأقسَموا عليه لِفَرْطِ اعتقادِهم في أنفسِهم وإتيانِهـــم بأقصى ما يمكنُ أن يُؤتى به من السحـــرِ (٥) .

وقَسمُهم هذا يُعتبرُ من أيمانِ الجاهليةِ ، التي قد يقعُ فيها بعـــضُ المسلمين جهلاً أو عناداً واستكباراً . ثم إن قسمَهم هذا أرادوا بهِ التَّقَـــرُّبَ إلى فرعونَ زلفى(٦) ، وإلا فإنهم يعلمونَ تماماً أن فرعونَ لا يقدمولايؤخرشيئا بدليلِ عجزِه عن مقابلةِ موسى إلا بهم .

وإذا كانَ أولئك المأجورونَ يَعتزُّون بقوةِ فرعونَ - العاجزِ عن دفـــعِ الضرِّ عن نفسِه فضلاً عن أتباعِه - وبشدةِ سلطانِه المحدودِ ، وبمنعةِ مملكتِـــهِ المحصورةِ بمصرَ ، فعلى الدعاةِ أن يَعتزوا باللهِ-جلَّ جلالُه-. فهو صاحبُ القـــوةِ المتينُ ، الذي لا يُعجزهُ شيءٌ أبداً ، كما قالَ : ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الـــرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) (٧) ، وهو صاحبُ المُلكِ كلِّه كما قَالَ : ((قُلِ اللَّهُـــمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ...)) (٨)،كما أنه صاحبُ السلطانِ كلِه كما قَالَ :((... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ...)) (٩) .

والذين يَعتزونَ باللهِ هم أصحابُ العزةِ الحقيقيةِ ، وأما الذين يَعتـــزونَ بالباطلِ فلا عِزةَ لهم وإنْ زَعموهَا كما قَالَ-تعالى-: ((... وَلِلَّهِ الْعِـــزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) (١٠) .

---

(١)لقد سبق الحديث عن مثل هذا . راجع /٩٧ ، ٩٨ .
(٢)البقرة /٢٦٩ . (٣)الشعـــراء/٤٤ .
(٤)انظر: جامع البيـان ١٩/٧٢ ط٢ . (٥)انظر : تفسير أبي السعود ٤/١٠٦ .
(٦)زلفـى : قربة ومنزلة . انظر: القاموس المحيط/ ١٠٥٥، ومختـــار الصحاح /٢٧٣ . (٧)الذاريات /٥٨ . (٨)آل عمـــران/٢٦ .
(٩)البقـــرة /٢٥٥ . (١٠) المنافقـــون/٨ .

٢) تأثير السحر على الناس: وذلك قولُه ـ تعالى ـ : ((... فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ))(١).

أي : فلما ألقى السحرةُ حِبالَهم وعِصيَّهم صَرَفُوا أعينَ الناسِ عَنْ حقيقةِ إدراكِها ، بأنْ خَيَّلوا إليْهَا ما الحقيقةُ بخلافِهِ ، وذلك بما يُتخيلُ مِنَ التمويهِ الذي جَرى مجرَى الشعوذةِ وخفةِ اليدِ ، وأرهَبوهم إرهاباً شديداً كأنهم طَلبوا رَهْبَتَهم ، وهم بذلك قد جَاءُوا بسحرٍ عظيمٍ في فنهِ وبابِه عندهم ، وليس بعظيمٍ على الحقيقةِ(٢) .

ويقولُ صاحبُ الظلالِ في ذلك : " وحَسْبُنا أنْ يقررَ القرآنُ أنه سحرٌ عظيمٌ ، لندركَ أيَّ سحرٍ كان . وحسبُنا أنهم سَحَرُوا (أَعْيُنَ النَّاسِ) وأثاروا الرهبةَ في قلوبِهم (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) لنتصورَ أيَّ سحرٍ كان . ولفظُ (المُسْترهِب) ذاتُه لفظٌ مصورٌ . فهم استَجاشُوا(٣) إحساسَ الرهبةِ في الناسِ وقَسَرُوهم عليهِ قَسْراً "(٤) .

وهكذا يَتضحُ ـ لنا ـ أن أهلَ الباطلِ لا يَدَّخرون وُسعاً لنصرةِ باطلِهم ، فالسحرةُ ـ هنا ـ قد بَذلُوا جهداً عظيماً لنصرةِ فرعونَ(٥) .

٣) تأثير السحر على موسى: وذلك قولُه ـ تعالى ـ: ((... فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى . فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى))(٦) .

"والتعبيرُ [هنا] يَشي بعظمةِ ذلك السحرِ وضَخامتِه حتى ليوجسَ في نفسِه خيفةً موسى ، ومعه ربُّه يَسمعُ ويَرى وهو لا يُوجسُ في نفسِهِ خيفةً إلا لأمرٍ جللٍ يُنسيه لحظةً أنهُ الأقوى ، حتى يَذكرُه رَبُّه بأن معه القوةَ الكُبرى ... فمعك الحقُّ ومعهم الباطلُ . معك العقيدةُ ومعهم الحرفةُ . معك الإيمانُ بصدقِ مَا أنت عليه ومعهم الأَجرُ على المباراةِ ومغانمُ الحياةِ . أنت متصلٌ بالقوةِ الكبرى وهم يَخدمون مخلوقاً بشرياً فانياً مهما يكن طاغيةً جباراً "(٧) .

وهذه الآياتُ تدلُّ على أنهم بَلَغوا في سحرِهم المبلغَ الذي صار يُخيلُ إلى موسى أنها تَسعى كسعيِ ما يكونُ حياً من الحياتِ لا أنها كانت حيةً في الحقيقةِ(٨) .

وأما ما ذهبَ إليه القُرْطُبِيُّ(٩) ، وابْنُ كَثِيرٍ(١٠) وصاحبُ* "تفسير المرَاغِي"(١١) وصاحبُ** " التفسير الواضح"(١٢) ، وغيرُهم من أنَّ السحرةَ استخدموا الزئبقَ في سحرِهم ، بحيثُ لَطَخوا أو أَودَعوا أو حَشوا العِصِيَّ

---

(١) الأعراف /١١٦ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٥٩ ط٣ . وأنوار التنزيل ١/٤٣٩ . وتفسير الجلالين . لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/١٣٤ ط : لا يوجد. مطبعة محمد علي صبيح . (٣) إستجاشوا : طلبوا . انظر : القاموس المحيط /٧٥٨ . ومختار الصحاح/١١٨ . (٤) في ظلال القرآن ٣/١٣٤٩ . (٥) لقد سبق الحديث عن ذلك . راجع /٩٤ . . (٦) طه/٦٦-٦٨ . (٧) في ظلال القرآن٤/٢٣٤٢ .
(٨) انظر: التفسير الكبير٢٢/٨٤. (٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن١١/٢٢٢، ٧/٢٦٠ط٣
(١٠) انظر:تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٨ . (١١) انظر:تفسير المراغي ١٦/١٣٨ ط٣.
(١٢) انظر: التفسير الواضح.لمحمد محمود حجازي٩/١١ط٦، مطبعة الإستقلال الكبرى.
* صاحب " تفسير المراغي " : هو أحمد مصطفى المراغي ، باحث ومفسر معاصر .
** صاحب " التفسير الواضح " : هو محمد محمود حجازي. كاتب ومفسر معاصر .

والحبالَ بالزئبق ، بحيث إذا أصابَها حَرُّ الشمسِ اضطربَت وتحرَّكت وارتَهشَت [١] واهتَزَّت ومَادَت ففيه نظرٌ ، وذلك لما يلي :

١) إنَّ العصيَّ والحبالَ صَماءُ فكيفَ تُحْشَى بالزئبقِ ؟ ، ثُمَّ إنَّ العصيَّ صلبةٌ ، فمهما أُودعت من الزئبقِ فكيف ستَتَحَرَّك ؟

٢) إنَّ العصيَّ والحبالَ - على فرضِ تحرُّكِها بالزئبقِ - لَنْ تكونَ حركتُها كبيرةً أو ضخمةً ، وكذلك لن يتغيرَ حجمُها بشكلٍ ملحوظٍ ، وكذلك لن تظهرَ بصورةِ الثعبانِ الحقيقيِّ - أي كأن لها جوارحَ - .
فإذا أَضفنَا إلى ذلك بُعْدَ الناسِ نسبياً من مكانِ الإلقاءِ ، مما يتيحُ لهم فرصةَ التأملِ الكاملِ ، وذلك مع ما في جمعِهم من العقلاءِ والأذكياءِ ، لما تَصَوَّرنا أنهم تَخَيَّلُوا أَنَّ العصيَّ والحبالَ أصبحتْ ثعابينَ وحياتٍ تَسعى على الأرضِ . وهي لم تَتغيرْ بشكلٍ مؤثرٍ من جراءِ الزئبقِ .

٣) إنَّ سِحرَهم بطريقةِ الزئبقِ لا يَقعُ على أعينِ الناسِ ، لأنهم صَنَعُوا السحرَ بالعصيِّ والحبالِ بواسطةِ الزئبقِ . فأين ذلك من قولِه -تعالى-: ((وَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ)) [٢] . مما يدلُّ على وقوعِ السحرِ على الأعينِ نفسِها .

٤) إنَّ سحرَهم بتلك الطريقةِ يكونُ مثيراً للضحكِ ليسَ إلَّا . لا أنْ يكونَ مخيفاً ومرهباً ، فأينَ ذلك من قولِه-تعالى-: ((وَاسْتَرْهَبُوهُمْ))[٣] .

٥) ثُمَّ إنَّ سِحرَهُمْ بتلك الطريقةِ يكونُ بسيطاً . عصيٌّ وحبالٌ ملقاةٌ على الأرضِ مضطربةٌ . فأينَ هذا من قولِه-تعالى-: ((وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)) [٤] .

٦) قولُه-تعالى-: (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) يدلُّ على عدمِ سعيِها . فاذا كانت لا تَسعى فمن أين جاءت الرهبةُ للناسِ والخيفةُ لموسى والعظمةُ لذلك السحرِ .

٧) ثم من أينَ عَلِمَ أولئك المفسرون أن اضطرابَها كان بسببِ الزئبقِ، ولمْ يُذكرْ ذلك في القرآنِ ولا في السنةِ .

والذي أميلُ إليهِ أنهم سَحروا أعينَ الناسِ بضربٍ معينٍ من ضروبِ السحرِ، فأضحى النَّاسُ يَرون العصيَّ والحبالَ كأنها حياتٌ وثعابينٌ تسعى . ولعلَّهم استعانوا في ذلك بالجنِّ .

أما السببُ الذي من أجلِهِ أوجسَ في نفسِهِ خيفةً موسى ، فقد اختَلَفَ المفسرون فيهِ إلى أقوالٍ :

١) إنَّ ذلكَ الخوفَ هو ما طُبِعَ عليهِ الآدميُّ من ضعفِ القلبِ[٥] . ويبدو أن هذا منتفٍ عن موسى لأنه مطمئنٌ لنصرِ اللهِ .

٢) إن موسى خافَ من أن يُفتنَ بعضُ القومِ بسحرِهم وأن يَنْصَرِفوا قبلَ إلقائِه فَيَدُوموا على إعتقادِ الباطلِ[٦] . وهذا منافٍ لما اعْتَادهُ

---

(١) وارتهشت: وارتعشت. انظر: القاموس المحيط/٧٦٨ . (٢) (٣) (٤) الأعراف /١١٦.
(٥) (٦) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٨٤. وزاد المسير ٥/٣٠٦ . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٨ .

الناسُ في مثلِ هذه الحالاتِ . وموسى أعلمُ الناسِ بذلك .

٣) إنَّ موسى خافَ من تأخرِ الوحيِ له من اللهِ بالإلقاءِ[١] . ويبدو أن هذا مخالفٌ لسياقِ الآياتِ .

٤) إنَّ موسى خافَ من أن يكونَ قد أعدَّ فرعونُ أقواماً آخرينَ لمنازلتهِ[٢] . وهذا فيه نظرٌ لأنَّ موسى يَعلمُ أنَّ فرعونَ جاءَ بكلِّ ما في جعبتهِ ، ثم إنه يَعلمُ أن المنازلةَ ثانيةً بعدَ الهزيمةِ تُعتبرُ من بابِ الضَّعْفِ .

٥) إنَّ موسى لمَّا رَأى سِحْرَهم من جنسِ ما أراهم في العصا ، خافَ أنْ يَلتبسَ على الناسِ أمرُهُ ، وأن تَدخلَ عليهم شبهةٌ فيما يرونَه فيظنونَ أنهم قد ساووا موسى[٣] . وهذا الذي أميلُ إليهِ .
فلعلَّ موسى لما رأى الناسَ قد تأثروا بالسحرِ - (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) - ، وأظهروا إعجاباً كبيراً بسحرِهم وأخذوا يَهتفونَ بتمجيدِ فرعونَ ونَصْرِه ، خافَ موسى على دعوةِ اللهِ - (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[٤] - لِمَا رَأى مِنْ حَالِ عامةِ الناسِ .
ويعضدُ هذا أن الناسَ دائماً - حتى في عصرِنا الحاضرِ - يَعجبونَ من الاعيب السحرةِ . فكيف في ذلك الزمنِ المُوغل في القدمِ ، مع علوِّ فنِّ السحرِ وضَخامتهِ عنه الآنَ ، ومع سذاجةِ الناسِ عنهم الآن .

وفي ذلك يقول صاحبُ* "التفسير القرآني للقرآنِ" : " ولقدْ وقعَ في نفسِ موسى ، من هذا الصخبِ واللجبِ الذي أثارهُ فرعونُ وقومُه حينَ ألقى السحرةُ بعصيِّهم - لقد وقعَ في نفسِ موسى شيءٌ من الرهبةِ والخوفِ .. حتى ليكاد الأمرُ يُفلتُ من يدهِ"[٥] .

وهذه الآياتُ الكريمة تدلنا على أن أهلَ الباطلِ يَبذلونَ في سبيلِ باطلِهم أقصَى جهدِهم ، حتى أنهم لَيَصِلُونَ بأهلِ الحقِّ إلى درجةِ الخوفِ منهم .
وأهلُ الحق أولى بذلك منهم في سبيلِ حقهِم لقولهِ-تعالى-: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...))[٦] وقولهِ : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ...))[٧][٨] .

كما تدلنا هذه الآياتُ على أن نصرَ اللهِ لا يتخلفُ عن أهلِ الحق الذين يَبذلون جهدَهم في سبيلِ نصرتهِ . فعندما تَضيقُ الأرضُ بما رَحُبت بأهلِ الحقِّ، وعندما يَقعونَ في الحرجِ الشديدِ ، وعندما يظنونَ أنهم كُذبوا يَأتيهم نَصرُ اللهِ ، لقولهِ تعالى-: ((حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ...))[٩] ، ولقولهِ - هنا - في حقِّ موسى : ((قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى))[١٠] .

---

(١) (٢) (٣) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٨٤ . وزاد المسير ٥/٣٠٦ . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٨ . (٤) طه/٦٧ . (٥) التفسير القرآني للقرآن ١٦/٨٠٤ .
(٦) العنكبوت / ٦٩ . (٧) التوبة/١٦ . (٨) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك ، راجع/٩٤، ١٠٤ . (٩) يوسف/١١٠ . (١٠) طه/٦٨ .
* صاحب التفسير القرآني للقرآن : هو: عبدالكريم الخطيب ، باحث ومفسر معاصر .

ب) إلقـاء موسى وتأثيره :

عَمَدَ موسى - عليه السلام - بعد إلقائهم - إلى إلقاءِ ما معه من الحقِ ، وذلك لِيُظْهِرَ الحقَّ ويُزْهِقَ الباطلَ ، وفيما يلي بيانُ ذلك :

١) أمر الله لموسى بالإلقاء : وذلك قولُه - تعالى - :((وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)) (١). وفي آيةٍ أخرى :((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ...)) (٢) .

أي : وألقِ يا موسى عصاكَ تَبتلعْ حبالَهم وعصيَّهم التي سَحَروها حتى خُيِّلَ إليكَ أنها تَسعى ، وإنما صَنيعُهم هذا ما هو إلا كيدُ من ساحرٍ ولا يَظفرُ الساحرُ بسحرهِ بما طَلبَ أين كانَ(٣).

ويُلقي الزَّمَخْشَرِيُّ الضوءَ على قولِه : (مَا فِي يَمِينِكَ) بدل عصاك بقوله " جَائزٌ أن يكونَ تصغيراً لها [العصا] : أي لا تُبالِ بكثرةِ حبالِهم وعصيِّهم وألقِ العُويدَ الفردَ الصغيرَ الجرمِ الذي في يمينِك فإنه بقدرهِ اللهِ يَتَلَقفُها على وحدتهِ وكثرتِها وصغرِه وعظمِها ، وجائزٌ أنْ يكونَ تعظيماً لها : أي لا تَحْتَفِل بهذهِ الأجرامِ(٤) الكبيرةِ الكثيرةِ فإن في يمينِك شيئاً أعظمَ منها كلِّها ..."(٥) .

ويقول أبو حَيَّانَ في ذلك : " لَمْ يأتِ بالتركيبِ وألقِ عصَاكَ لما في لفظِ اليمينِ من معنى اليُمنِ والبركةِ ..."(٦) .

وهكذا يَتبينُ - لنا - أن اللهَ-تعالى-يُطمئنُ رسلَه بالنصرِ في ساعاتِ الحرجِ ، إضافةً إلى إطلاعِهم على حقيقةِ أمرِ عدوِّهم .
وبذلك يتضحُ-لنا-أن صَنيعَ السحرةِ لا يزيدُ على الباطلِ . فهو تَخييلٌ وكَيدٌ لا يصلُ إلى حقيقةٍ مفيدةٍ لصانعِه تصلُ بهِ إلى مُبتَغاهُ .

٢) موسى يقرر للسحرة الحقيقة : وذلك قولُه - تعالى - :((فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)) (٧) .

أي : الذي جئتُم بهِ السحرُ إن اللهَ سَيَمْحَقُهُ أو يُظهرُ بُطلانَه بإظهارِ المعجزةِ على الشعوذةِ ، واللهُ لا يُثبتُهُ ولا يُديمهُ ولكن يُسلطُ عليه الدمارَ ، واللهُ يُبينُ الحقَّ ويُوضحهُ ويُثبتُهُ بأوامرِهِ وقضاياه وحججهِ وبراهينِهِ ولو كَرِهَ المجرمونَ من آل فرعونَ(٨) .

وإظهارُ الإسمِ الجليلِ في المقامينِ الأخيرين كان لإلقاءِ الروعةِ وتربيةِ المهابةِ(٩) .

ويقول صاحبُ *"تفسير المنار" في قولِه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) : " وهو قاعدةٌ عامةٌ مبينةٌ لسنةِ اللهِ في تنازعِ الحقِ والباطلِ

(١) طه/٦٩ . (٢) الأعراف/١١٧ . (٣) انظر: جامع البيان١٦/١٨٦ ط٢ .
(٤) الأجرام: جمع جِرم، وهو: الجسد . انظر: القاموس المحيط/١٤٠٥ . ومختار الصحاح/١٠٠ .
(٥) الكشاف٢/٥٤٥ . وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٤ ط١ . والتفسير الكبير ٢٢/٨٥ .
(٦) النهر الماد من البحر المحيط٦/٢٠٦ . (٧) يونس/٨١، ٨٢ . (٨) انظر: الكشاف٢/٢٤٨ . والجامع لأحكام القرآن٨/٣٦٩ ط٣ . (٩) انظر: تفسير أبي السعود٢/٣٤٥ .

* صاحب : " تفسير المنار " : هو: محمد رشيد رضا . كاتب وباحث ومفسر معاصر .

والصلاحِ والفسادِ ، ويَدخلُ فيها سِحرُهم فإنه باطلٌ وفسادٌ ، أي لا يَجعلُ عملَ المفسدين صالحاً ، والسحرُ من عملِ فرعونَ وقومِهِ المفسدينَ " (١) .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ موسى - عليهِ السلامُ - قررَ للسحرِ حقيقةَ الأمرِ . وسنفصلُ ما قرره فيما يلي :

١- أظهرَ لهم الثباتَ التامَّ على الحقِ ، وقررَ لهم أن ما جاءوا بهِ لا يزيدُ على السحرِ ، وبذلك رَدَّ اتهامَهم له بالسحرِ إلى نحورِهم .
٢- أظهرَ لهم يقينَه التامَّ بنصرِ اللهِ ، وقررَ لهم أنَّ اللهَ سَيُبطلُ سِحرَهم ، وبذلك أعلَنَ لهم هزيمتَهم .
٣- أظهرَ لهم فسادَهم وفسادَ سحرِهم ، وقررَ لهم أن اللهَ يُثبتُ الحقَّ ويُحِقُّهُ بكلماتِهِ ولو كَرِهَ المجرمونَ من أمثالِهم وأمثالِ من جاءوا بِهم .

وهكذا يَنبغي أن يكونَ موقفُ الداعي إلى الحقِ ، من أهلِ الباطلِ في كلِّ جولةٍ من جَولاتِ الصراعِ الإيمانيِّ ، إذا وجدَ مناسبةً لذلك .

٣) إلقاءُ موسى لعصاه : وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)) (٢) ، وفي آيةٍ أخرى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)) (٣) .

أي: فألقى موسى عصَاه التي في يمينِه فإذا هي حيةٌ تأكلُ وتَلتهمُ وتَلقمُ وتَبتلعُ كلَّ ما يَلقونه ويوهمونَ أنه حقٌ وهو باطلٌ ، قالَ ابن عَبَّاسٍ : فَجَعَلت لا تمرُّ بشيءٍ من حبالِهم ولا من خشبهم إلا التَقَمَتْه ، فعرفت السحرةُ أن هذا شيءٌ من السماءِ ليس بسحرٍ (٤) .

ويَصفُ صاحبُ الظلالِ هذا المشهدَ وصفاً جميلاً رائعاً ، إذ يقول : " وَوَقعت المُفاجأةُ المُذهلةُ التي لمْ يكنْ يَتوقعها كبارُ السحرةِ ، فلقدْ بَذَلوا غايةَ الجهدِ في فنِّهم الذي عاشُوا به وأتقَنوه ، وجَاءوا بأقصى ما يَملكُ السحرةُ أنْ يصنعوا . وهم جمعٌ كثيرٌ . محشودٌ من كل مكانٍ . وموسى وحدَه ، وليسَ معه إلا عصاه . ثُمَّ إذا هي تَلقفُ ما يَأفكونَ ، واللقفُ أسرعُ حركةً للأكلِ . وعَهْدُهُمْ بالسحرِ أنْ يكونَ تخييلياً ، ولكن هذه العصا تَلقفُ حِبَالَهم وعِصيَّهم حقاً . فَلَا تَبْقِي لَهَا أثراً..." (٥) .

وهكذا ألقى موسى بالحقِّ الذي بيمينِه على الباطلِ المُلقى على الأرضِ ، فهزمَه وقهرَه بإذنِ اللهِ .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ الباطلَ الذي يَظهرُ أمامَ الناسِ بأنه هو الأقوى والغالبُ ، سُرعانَ ما يَظهرُ على حقيقتِه إذا ما واجهه الحقُّ .

وتبعاً لذلك ، فعلى أهلِ الحقِّ أنْ لا يَخشوا الباطلَ مهما عَلَا وعَظُمَ ، ومهما انتَفَخَ وانتَفَشَ(٦) ، ذلك أنه إذا ما جُوبه بالحقِّ الذي جاءَ من اللهِ سرعانَ ما يَنهزمُ ويَتلاشى كأنه لم يكنْ شيئاً .

* * *

(١) انظر: تفسير المنار ١١/٤٦٨ط٤ . (٢) الشعراء/٤٥ . (٣) الأعراف/١١٧ .
(٤) انظر: تفسير غريب القرآن ص١٧٠ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٣٧، ٣/٣٣٤ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٥ . (٦) انتفش : من النَّفْش وهو : تشعيث الشيء حتى ينتشر ، ويقال: تنفشت الهرة : إذا ازبأرَّت ، والطائر : إذا نفش ريشه كأنه يخاف أو يُرْعَدُ . انظر: القاموس المحيط/٧٨٤ . ومختار الصحاح/٦٧٣ .

(المطلب الثالث)

(هزيمة السحرة وإيمانهم)

أولا : تقرير هزيمة فرعون وقومه :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ)) (١) .

أي : حَصَلَ الحقُّ وثَبتَ لظهورِ أمرِه ، وظَهرَ بُطلانُ ما كانوا مُستمرينَ على عملِه من السحرِ والمعارضةِ ، وغُلِبَ فِرعونُ وقومُه ، في مجلسِهم ذلك ، وصَاروا جميعاً أذلاءَ مبهوتينَ مقهورينَ(٢) .

ويفسرُ أبو السُّعُودِ* قولَه - تعالى - : (وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) بقولِه : " أيْ صَارُوا أذلاءَ مبهوتينَ أو رَجَعوا إلى المدينةِ أذلاءَ مقهورينَ والأولُ هو الظاهرُ لقولِه -تعالى-: ((وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ)) (٣) (٤) .

ويصورُ صاحبُ " التفسيرِ القرآني للقرآنِ " وقوعَ الحقِّ على الباطلِ بقولِه : " وفي التعبيرِ عن ظهورِ الحقِّ بأنه واقعٌ ، إشارةٌ إلى عُلوِّ متنزلِه ، وأنه جاءَ من السماءِ ، فوقعَ على الأرضِ ، كما يَقعُ ضوءُ الشمسِ على معالمِ الكونِ الأرضي ، فَيُبدد الظلامَ ، ويَنسخُ مَعالِمَهُ ... أو كما تَقعُ الصواعقُ بالرجومِ فَتُهلِكُ القومَ الظالمينَ ..." (٥) .

وهكذا تَتَجلى - لنا هنا - النتيجةُ الأولى لهذهِ الجولةِ من الصراعِ الإيماني ، والتي تَمثلت في إنتصارِ موسى المؤزرِ على فرعونَ وقومِهِ .

وهكذا وَصَلَتِ الجولةُ الثانيةُ للصراعِ الإيمانيِّ إلى مرحلتِها الأخيرةِ وهي مرحلةظهورِ نتائجِ هذه الجولةِ التي حَشَرَ فرعونُ السحرةَ لهَا من الأقاليمِ المتباعدةِ كلِّها ، إضافةً إلى جمعِهِ الناسَ والجندَ والملأَ في ذلك اليومِ العظيمِ.

وهذه النتائجُ نجملُها فيما يلي :

أ) إنتصارُ موسى وظهورُه على فرعونَ وقومِهِ للمرةِ الثانيةِ .
ب) إنتفاءُ تهمةِ السحرِ عن موسَى وأن ما جاءَ بهِ هو الحقُّ ليسَ إلا .
ج) ظُهورُ بُطلانِ ما ألقاهُ السحرةُ من السحرِ بعدَ إزهاقِهِ .
د) إنقلابُ فِرعونَ وقومِهِ صاغرينَ أذلاءَ مبهوتينَ مقهورينَ .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ الحقَّ لابدَّ أنْ يَنتصرَ في النهايةِ ، مهما استُضعِفَ ، ومهما طُعِنَ فيهِ ، وهذا مصداقٌ لقولِه-تعالى-: ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)) (٦) ، وقولِه - تعالى -: ((... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) (٧).

---

(١) الاعراف/١١٨ ، ١١٩ . (٢) انظر: الكشاف٢/١٠٣ . وتفسير النسفي ٢/٧٠ . وأنوار التنزيل١/٤٤٠ . (٣) الأعراف/١٢٠ . (٤) تفسير أبي السعود ٢/١٨٩ .
(٥) التفسير القرآني للقرآن٩/٤٥٦ . (٦) الصافات /١٧١ - ١٧٣ . (٧) المائدة/٥٦ .
* أبو السعود : هو:محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. وهو :مفسر ،وشاعر، ومن علماء الترك المستعربين . دَرَسَ ، ودَرَّسَ في بلاد متعددة . وهو صاحب التفسير الذي سماه : " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " . ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ وتوفي سنة ٩٨٢ هـ .
انظر : الأعلام للزركلي ٧/٥٩ ط: ٣ . وشذرات الذهب ٨/٣٩٨ - ٤٠٠ .

كما يَتضحُ - لنا أيضا - أنَّ الباطلَ مهما عَظُمَ وانتَفخَ ، ومهما أُعِدَّ له من أسبابِ النجاحِ المختلفةِ ، فإنه لابدَّ في نهايةِ الأمرِ من هزيمتِهِ المحققةِ وزوالِهِ أمامَ الحقِّ الدافقِ . وذلك مصداقاً لقولِهِ - تعالى - : ((لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)) (١) .

كما ويَتضحُ - لنا - أن تلكَ العزةَ المصطنعةَ لأهلِ الباطلِ بباطِلِهم سرعانَ ما تزولُ ، فيَصيروا إلى حقيقتِهم من الذلةِ والصغارِ والهوانِ .

ولَكِنْ هَلْ هذهِ هي النتائجُ الوحيدةُ لهذهِ الجولةِ ، أَمْ أنَّ هناكَ مفاجئاتٍ يُخبئُها القدرُ لفرعونَ . هذا ما ستوضحهُ - لنا - النقطةُ التاليةُ .

ثانيا : إيمان السحرة :

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)) (٢) ، وفي آيةٍ أخرى : ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)) (٣) ، وفي آياتٍ أخرى: ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ))(٤) .

أي : لما تَبينَ وتَأكدَ للسحرةِ أن ما جاءَ به موسى هو الحقُّ من عندِ اللهِ لا لبسَ فيهِ ، خَرُّوا لوجوهِهِم سُجداً للهِ ، مُذعنينَ(٥) له بالطاعةِ ، مقرينَ بالحقِّ الذي جاءَ به موسى ، معترفينَ بباطلِ سحرِهِم ، معلنينَ إيمانهم بربِّ العالمينَ ربِّ كلِّ شيءٍ ، وربِّ موسى وهارون(٦) .

ويُفهمُ من قولِهِ - تعالى - : (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ) أنهم أُلقوا من غيرِ محضِ إرادتِهم ، أي : كَأنَّ شيئاً أَلقاهُم . وهذا ما جَوَّزَهُ البَيْضَاوِيُّ إذ يَقولُ: "... أَوْ أَنَّ اللهَ أَلْهَمَهُم ذلك وحَمَلَهُم عليهِ حتى يَنكسرَ فرعونُ بالذينَ أَرادَ بهم كَسْرَ موسى ويَنقلبَ الأمرُ عليهِ "(٧) ، وفاتَ البَيْضَاوِيَّ أنَّ اللهَ - تعالى - لا يُجبرُ الناسَ على الإيمانِ ، إنما يُخيرُهم في ذلكَ ، لِيتحَمَّلوا عَاقبةَ اختيارِهِم بعدَ ذلكَ ، كما قالَ - سُبحانه - : ((...فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...)) (٨) .

ومما يُعضدُ ما ذهبنَا إليهِ قولُ الفَخْرِ الرَّازِي في ذلك : " فَليسَ المرادُ منه أنهم أُجْبِروا على السجودِ وإلا لمَا كانوا مَحمودين "(٩) .

والحقيقةُ أنَّ التعبيرَ بالإلقاءِ جاءَ لمقصدٍ مرادٍ في القرآنِ أشارَ إليه غالبُ المفسرينَ ، وهذه طائفةٌ من أقوالِهم :

---

(١) الأنفال /٨ . (٢) الأعراف/١٢٠ - ١٢٢ . (٣) طه/٧٠ .
(٤) الشعراء/٤٦-٤٨ . (٥) مذعنين: من أذعن بمعنى : أقر وخضع وذل وأسرع في الطاعة والإنقياد . انظر : القاموس المحيط/١٥٤٧ . ومختار الصحاح /٢٢٢ .
(٦) انظر: جامع البيان١٩/٧٣ ط٢ . (٧) أنوار التنزيل ١/٤٤٠ . (٨) الكهف/٢٩ .
(٩) التفسير الكبير٢٢/٨٧ .

يقول الزَّمَخْشَرِيُّ : " وَخروا سجداً كأنما ألقاهم مُلْقٍ لشدةِ خرورِهِ ، وإنما عَبَّرَ عن الخرورِ بالإلقاءِ لأنه ذُكِرَ مع الإلقاءاتِ فسلكَ به طريقَ المشاكلةِ ، إضافةً إلى أنهم حينَ رَأوا ما رَأوا لم يَتَمَالكوا أن رَمَوا بأنفسِهم ساجدين كأنهم أُخِذوا فَطُرِحوا طَرحاً "(١).

ويقولُ البَيْضَاوِيُّ: " ... إنَّ الحقَّ بَهَرَهم واضْطَرَّهم إلى السجودِ بحيث لم يبق لهم تمالكٌ .. أو مبالغة من سرعةِ خرورِهم وشدتِهِ "(٢) .

ويقول أَبُو حَيَّانَ : " ولمْ يأتِ فسجَدوا كأنه جَاءهم أمرٌ وأزعَجَهم وأَخَذهم فَصَنَعَ بهم ذلك وهو عبارةٌ عن سرعةِ ما تأثروا لذلك الخارقِ العظيمِ فلم يَتَمَالكوا أن وَقَعوا سَاجدينَ "(٣) .

وفي هذا الإلقاءِ لطيفةٌ أشارَ إليها الزَّمَخْشَرِيُّ بقولِه : " سُبحان الله ما أعجبَ أمرَهم ، قد أَلقَوْا حِبَالَهم وَعصيَّهم للكفرِ والجحودِ ، ثم أَلْقَوْا رؤوسَهم بعدَ ساعةٍ للشكرِ والسجودِ ، فما أعظم الفرقَ بين الإلقائين"(٤) .

وكان مرادُ السحرةِ من قولِهم : (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) بعد قولِهم: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) عزلُ فرعونَ - اللعين - إذ انهُ كان يَزعمُ الربوبيةَ بقولِهِ كما ذَكَرَ القرآنُ ((... أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى))(٥) ، بالإضافةِ إلى أنهما هما اللذانِ يَدعوان إلى رَبِّ العالمينَ وهما اللذان أُجْرِي على أيديهِمَا ما جَرَى .

فأرادَ السحرةُ بذلك أن يُوضحوا حقيقةَ إيمانِهم حتى لا يشتبهَ الأمرُ على الناسِ . وبذلك يَقطعونَ على فرعونَ استغلالَ ذلك الإلتباسِ على حينِ غفلةٍ .

ومن الجديرِ ذكرُه أنه قَدَّمَ إسمَ موسى على فرعونَ في آيتي الأعرافِ والشعراءِ لكونِ موسى هو المَنسُوب إليهِ عصا المعجزةِ ، بينما قدَّمَ هارونَ على موسى في آيةِ طه مراعاةً لفواصلِ الآي وعنايةً بتوافقِ رؤوسِهما(٦) .

والمهمُ في الأمرِ أن السحرةَ لما كانوا كاملينَ في علمِ السحرِ وفنونِهِ وطرقِهِ ووجوهِهِ ، وواقفينَ على نهاياتِ حقيقتِهِ ، وبالغينَ أعلى ذروةٍ فيه ، خرُّوا ساجدينَ للهِ ، معلنينَ إيمانهم ، لأنهم أيقَنوا وجَزَمُوا أن صُنْعَ موسى ليس بالسحرِ والحِيَلِ ، وأنه عينُ الحقِّ ، ولا يقدرُ عليه إلا ربُّ العالمينَ .

والدليلُ على علمِهم الكاملِ بالسحرِ : أنهم لو كانوا يَجهَلون منه أشياءً لقالوا : لعلَّ موسى أسحرُ منا وأعلمُ بالسحرِ . فاعترَفوا بغلبتِهِ دونَ الإيمانِ بدينِهِ (٧) .

ومن الأسبابِ التي دَفعت السحرةَ للتصديقِ بموسى وبما جاءَ به ما يلي :

١- إيقانُهم التامُّ بأنَّ ما جَاءَ بهِ ليسَ من أيِّ بابٍ منْ أبوابِ السحرِ .

---

(١) انظر: الكشاف ٢/١٠٣، ٣/١١٣ بتصرف. (٢) انظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٠.
(٣) البحر المحيط ٦/٢٦١. (٤) الكشاف ٢/٥٤٥. (٥) النازعات / ٢٤ .
(٦) أنظر البحر المحيط ٦/٢٦١. وفتح القدير ٣/٣٧٥. (٧) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٤ ط : ١ . والتفسير الكبير ١٤/٢٠٥ . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٨ .

٢- التوافقُ التامُّ بينَ زعمِ موسى بالنصرِ عليهم في أولِ اللقاءِ، وبينَ نصرهِ حقيقةً في آخرِ اللقاءِ .

٣- وقوعُ مالم ترهُ أعينُهم أو تسمعُه آذانُهم أو يَخطرُ على قلوبِهم.

٤- وجوهُ الإعجازِ الكثيرةُ في آيةِ العصَا بعد إلقائِها (١) .

٥- إبتلاعُ ثعبانِ موسى لكلِّ ما ألقاهُ السحرةُ من عصيٍّ وحبالٍ، وانعدامُ تلك الأجرامِ داخلَ العصَا ، وعدم رجوعِها للواقعِ، وهذا مخالفٌ لكلِّ قوانينِ السحرِ .

ويقولُ صاحبُ الظلالِ في ذلك : " والعَالِمُ في فَنِّه هو أكثرُ النَّاسِ استعداداً للتسليمِ بالحقيقةِ فيه حينَ تَتَكَشَّفُ لهُ ، لأنه أقربُ إدراكاً لهذهِ الحقيقةِ ، ممن لا يَعرفونَ في هذا الفنِّ إلا القشور... ومن هنا تَحَوَّلَ السحرةُ من التحدِّي السافرِ إلى التسليمِ المطلقِ ، الذي يَجدُون برهانَه في أنفسِهم على يقينٍ "(٢) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن على المسلمِ أن لا ييأسَ أبداً من إيمانِ الناسِ حتى ولو كانوا من أمثالِ السحرةِ أتباعِ الطاغوتِ ؛ فمن كانَ يتوقع إيمانَهم !

ويتضحُ - لنا - أيضاً أن القلوبَ التي صدأت(٣) ورَانَت (٤) بسببِ الكفرِ والمعاصِي سُرعانَ ما يَنجلِي ذلك عنها ، وتُشرقُ بالإيمانِ إذا ما لامَسَها ومَازَجَها .

ويتضحُ - لنا - أيضاً أنَّ المؤمنينَ باللهِ عن اقتناعٍ ويقينٍ صادقٍ، لا يخشونَ ولا يخافونَ بسببِ ذلكَ لومةَ لائمٍ . كحالِ السحرةِ هنا ، فهم أعلمُ الناسِ ببطشِ فرعونَ ، ومع ذلك أعلَنوا إيمانَهم باللهِ وكفرَهم بفرعونَ ، دونَ أنْ يُقيموا له وزناً ، وهو أمامهُم ، ومتربعٌ على عرشِه ، وفي سلطانِه ، وبين ملإِهِ وجنودِهِ .

ويتضحُ - لنا - أيضاً أنَّ على المسلمِ أنْ يُقيمَ الحجةَ الكاملةَ على الضالينَ ، حتى يَصِلَ بهم إلى الإقتناعِ التامِّ بما يَدعوهُم إليه من حقٍ، وذلك حتى يُؤمنوا عن علمٍ ويقينٍ راسخٍ ، أو يكفروا عن تكبرٍ وجحودٍ وعنادٍ .

والمهمُّ في الأمرِ أن السحرةَ أسلَموا ، وأعلَنوا إيمانَهم باللهِ ربِّ العالمينَ ، خَالِعينَ عن أنفسِهم ثيابَ الذلِّ والعبوديةِ لفرعونَ اللعين، مُشكِّلينَ بذلكَ تحدياً سافراً له يُهددُ سُلطانَهُ وحُكْمَهُ .

ولكن هل هذه هي النتائجُ الوحيدةُ لهذهِ الجولةِ ، أم هناك نتائجُ أخرى . هذا ما تُوضحُهُ لنا النقطةُ التاليةُ :

---

(١) سبق تفصيل الحديث عن ذلك. راجع/٤٣، ٤٤ . (٢) في ظلال القرآن ٣/١٣٥٠ .
(٣) صدأت : " هو أن يركبها الرَّين بمباشرة المعاصي والآثام، فيذهب بجلائها ، كما يَعْلُو الصَّدَأُ وجه المِرآة والسيف ونحوهما " . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٥ . وانظر: القاموس المحيط/١٤٩٦. ومختار الصحاح/٣٥٧ .
(٤) رانت : غلب عليها . انظر : القاموس المحيط/١٥٥١. ومختار الصحاح/٢٦٦.

ثالثا : إيمان ذرية من قوم موسى :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)) (١) .

أي : فما آمنَ لموسى في مبتدإ أمرهِ وأولهِ إلا طائفةٌ من ذراري بني إسرائيلَ وهمْ الأولادُ من أولادِ قومِهِ ، ذلك أنه دَعَا الآباءَ فلمْ يُجيبوهُ خوفاً من فرعونَ ، وأجابتهُ طائفةٌ منْ أبنائِهم مع خوفِهم من فرعونَ ومَلإِهِ أَنْ يعذبهم . وإنَّ فرعونَ لغالبٌ في الأرضِ قاهرٌ فيها ، وإنه لمنَ المسرفينَ في الظلمِ والفسادِ (٢) .

وقد ذهبَ ابن كَثِيرٍ إلى أن الضميرَ في (قَوْمِهِ) عائدٌ على فرعونَ، واستدلَّ على ذلك بسياقِ الآيةِ ، وبأن بني إسرائيل جميعاً آمنوا بموسى وخرجُوا معه من مصرَ (٣) .

ويبدو أن هذا فيه نظرلما يلي :

١- إنَّ الضميرَ في (قَوْمِهِ) عائدٌ إلى موسى باعتبارهِ أقرب مذكورٍ . وأما فرعونُ فلم يُذكرْ قبلَها ، ولا حتى في الآياتِ الثلاثِ السابقةِ لهذهِ الآيةِ .

٢- إنَّ موسى في الآيةِ التاليةِ يُخاطبُ الذريةَ بـ (يَا قَوْمِ) مما يدلُّ على أنهم من قومِهِ ، إذ لو كانوا من الفراعنةِ - كما ذهب ابن كَثِيرٍ- لما كانَ لهُ أن يخاطبَهم بـ (يَا قَوْمِ) .

وأما ما استَدلَّ به ابن كَثِيرٍ فليسَ بقويٍّ ، إذ إنَّ سِياقَ الآيةِ يَدلُّ على ما ذهبنَا إليه - كما تقرر - ، وأما أنَّ شعبَ بني إسرائيلَ كلَّهم آمنوا ، فقد كانَ ذلك قُبَيْل غرقِ الفراعنةِ والخروج من مصرَ . أما هنا فسياقُ الآياتِ يَدلُّ على وقوعِ الحدثِ بعدَ هزيمةِ فرعونَ وسحرتِهِ .

ومما يعززُ ما ذهبنَا إليه أَنَّ أكثرَ المفسرينَ ذهبوا إلى أن الضميرَ في (قَوْمِهِ) عائدٌ إلى موسى وليسَ لفرعونَ (٤) .

وهكذا يتضحُ - لنا - أن وضوحَ الحقِّ أمامَ الناسِ يَدفعُهم للإيمانِ بِهِ .

كما ويتضحُ - لنا - أيضاً أَنَّ الشبابَ أسرعُ إيماناً من الكبارِ ، وذلك لشجاعتِهم وحماسِهم وصدقِهم .

ومن هنا كانَ امتداحُ اللهِ للشبابِ المؤمنِ بقولِهِ : ((...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)) (٥) .

ثم إن موسى رَأى أَنْ يطمئنَ هذا الشبابَ المؤمنَ - الخائفَ من فرعونَ - ويُثبتَهم على الحقِّ ، وذلك بتوجيههِم إلى الإعتمادِ على اللهِ .

---

(١) يونس /٨٣ .
(٢) انظر: الكشاف ٢/٢٤٩ . وأنوار التنزيل ١/٥٤٧ . وتفسير النسفي ٢/١٧٣ .
(٣) أنظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٤٢٧، ٤٢٨ . والبداية والنهاية ١/٢٦٨ .
(٤) أنظر: جامع البيان ١١/١٤٩ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٨/٢٧٠ ط٢ . والتسهيل لعلوم التنزيل ٢/٩٧ . وتفسير أبي السعود ٢/٣٤٦ .
(٥) الكهف /١٣ .

وذلك قولُه - تعالى - :((وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ))(١) .

أي : قالَ لهم موسى : يا قوم إن كنتُم صدقتُم باللهِ ، فعليهِ اعتَمِدوا إن كنتُم مستسلِمينَ لقضائِهِ ومخلصينَ له - وقد كَرَرَ الشرطَ للتأكيدِ ، وبيَّنَ أنَّ كمالَ الإيمانِ بتفويضِ الأمر للهِ -(٢) .

وهذا ما يستطيعُ أن يقدمَه موسى لقومِه في هذهِ الظروفِ . الإعتمادُ على اللهِ والتوكلُ عليهِ . وبذلك أخلصَ لهم النصيحةَ ، وقَدَّمَ لهم الكثيرَ ، ووَجَّهَهُم إلى ركنٍ شديدٍ .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أهميةُ التوكلِ على اللهِ ، خاصةً في مواجهةِ الفتنِ والمصائبِ والملماتِ(٣) . ولذلك وَرَدَ ذكرُ التوكلِ كثيراً في القرآنِ .

ومن ذلك قولُه - تعالى - : ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)) (٤) .

والتوكلُ على اللهِ سنةٌ ثابتةٌ للأنبياءِ ، فعن ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - قالَ : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ قَالُوا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخشوهم فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"(٥) .

ثم إنَّ هذا الشبابَ المتحفزَ(٦) سرعانَ ما استجابَ إلى نداءِ نبيهِ ، فأخذَ بنصيحتِهِ ، وتَوَجَّهَ إلى اللهِ مُتوكلاً وداعياً .

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) (٧) .

أي قالَ المؤمنون : أَسْلَمْنَا أُمورَنَا إلى اللهِ ، واعتمدنَا عليهِ ، ربنا لا تنصرهُم علينا فيكون ذلك فتنةً لنا عن الدينِ ، أو لا تمتحِنا بعذابِهِ لنا . وخلِّصنَا من فرعونَ وقومِهِ (٨) .

يقول الزَّمَخْشَرِيُّ في ذلكَ : " إنَّما قالوا ذلك لأنَّ القومَ كانوا مخلصينَ ، لا جرمَ أنَّ اللهَ -سبحانه- قَبِلَ توكلَّهم وأجابَ دعاءَهم ونجَّاهم ..."(٩) .

وهذا مصداقُ لقولِه - تعالى - : ((... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)) (١٠) .

وبذلك يتضحُ - لنا - أنَّ هذا الشبابَ المتقدَ إيماناً استجابَ لما دَعَاه إليهِ قائِدُهُ ونَبِيُّهُ - عليهِ السلامُ - مما أَهَّلَهُمْ وجَعَلَهُ

---

(١) يونس/٨٤ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٧٠ط٢.وأنوار التنزيل ١/٥٤٧.
(٣) الملمات:جمع ملمة، وهي : النازلة من نوازل الدنيا . انظر: القاموس المحيط /١٤٩٦. ومختار الصحاح /٦٠٥ . (٤) آل عمران /١٧٣ ، ١٧٤ .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب:(تفسير سورة آل عمران)باب:(إن الناس قد جمعوا ..) ٥/١٧٢ . (٦) المتحفز: المندفع، أو: المستعد المجتهد. انظر: القاموس المحيط/٦٥٤. ومختار الصحاح/١٤٤. (٧) يونس/٨٥، ٨٦ .
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٧٠ط٢. (٩) الكشاف ٢/٢٤٩. (١٠) الطلاق /٣ .

الصفوةَ المؤمنةَ والطليعةَ المتبعةَ لدعوةِ موسى .

" وَعَقِبَ هذا التميزِ ، وفي فترةِ الإنتظارِ بعدَ الجولةِ الأولى ، وإيمانِ من آمنَ بموسى ، أوحَى اللهُ إليهِ وإلى هارونَ أنْ يَتخذا لبني إسرائيلَ بيوتاً خاصةً بهم ، وذلك لفرزِهم وتنظيمِهم استعداداً للرحيلِ مِنْ مصرَ في الوقتِ المختارِ ؛ وكَلَّفهُم بتطهيرِ بيوتِهم ، وتزكيةِ نفوسِهم والاستبشارِ بنصرِ اللهِ "(١) .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ، وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)) (٢) .

أي يقولُ اللهُ - تعالى ذكرُه - : وَأوحينَا إلى موسى وأخيهِ أنِ اتَّخِذَا لقومِكما بمصرَ بيوتاً ، واجعَلوها مساجدَ لصلاتِكم ، وأدُّوا صَلاتَكم المفروضة بواجباتِها في أوقاتِها (٣) ، وبَشِّر يا موسى المؤمنينَ(٤) .

والسببُ في ذلك أن مساجدَ بني إسرائيل تَعرَّضَتْ للتخريبِ من قبلِ الفراعنةِ ، بعد بعثِ موسى بالرسالةِ . فَأُمروا أن يَتعبَّدوا في بيوتٍ مخصوصةٍ(٥) .

وهذا أشبهُ بحالِ الصحابةِ - رضوانُ اللهِ عليهم - في مطلعِ الدعوةِ الإسلاميةِ عندما كانوا في مكةَ المكرمة . إذ كانوا يُخفونَ إيمانَهم ، ويَتعبدون سِراً ، ويَختلونَ برسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - في دارِ الأرقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ*(٦) .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أيضاً أهميةُ أماكنِ العبادةِ ،حتى في زمنِ المحنِ والفتنِ والملماتِ . ذلك أن لها فوائدَ جمةً كثيرةً ، كتعليمِ المؤمنينَ دينَهم وتوحيدِ صفوفِهم وتعاونِهم على نصرةِ حقِّهم ومعرفةِ أخبارِ أعدائِهم وغير ذلك .

ويتضحُ - لنا - أيضاً أهميةُ الصلاةِ ، التي تُمثلُ عمودَ الدينِ . كما ويتضحُ - لنا - أنه في حالةِ طغيانِ الحاكمِ الجائرِ الذي يُعطلُ مساجدَ اللهِ من وظائفِها ومهامِّها ، فعلى الدعاةِ أن يَتخذوا من بيوتِهم مساجدَ يَختلونَ فيها ويأوونَ إليها لِيُكملوا ذلك النقصَ الذي تَسَبَّبَهُ الطاغيةُ .

وبعد هذه النتائج المخيفةِ لفرعونَ ، والمهددةِ لملكِه وسلطانِه ،ماذا سيكونُ موقفُهُ من تلكِ الطامةِ(٧) الكُبرى التي أَلَمَّت به وهددتهُ في ملكِه ؟ هل يُسلمُ للأمرِ الواقعِ فيسلم ، أو يَتراخى عنه ،أو يلجأُ إلى ركنٍ شديدٍ!؟ هذا ما سيُوضِّحُهُ - لنا - المبحثُ التالي .

..*.*.*.*.*

(١)في ظلال القرآن٣/١٨١٦ . (٢)يونس/٨٧ . (٣)انظر: جامع البيان١١/١٥٣ط ٢.
(٤)انظر: الكشاف٢/٢٤٩ . (٥)انظر : الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٧١ ط ٣ .
(٦)انظر: السيرة النوبية لابن هشام١/٢٣٣ ومابعدها . والبداية والنهاية ٣/٣٠.٣١٤.
(٧)الطامة : أي:الداهية تغلب ما سواها .انظر: القاموس المحيط/١٤٦٣ . ومختار الصحاح /٣٩٨ .

* الأرقم بن أبي الأرقم : هو:الأرقم بن أبي الأرقم- عبد مناف - بن أسد ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي . من السابقين في الإسلام، وقيل : كان ثاني عشر . كان الرسول وصحبه يستخفون في داره على الصفا بمكة، حتى كملوا أربعين رجلا . وكان من المهاجرين الأوائل . شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها . روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . توفي سنة ٥٣هـ عن ٨٣ سنة ، وقيل : ٥٥ هـ عن بضع وثمانين سنة ودفن بالبقيع . أنظر: أسد الغابة ١/٧٤، ٧٥ رقم (٧٠) . وصفة الصفوة ١/٤٤٢ رقم(٢٦) ط:٣ .

(المبحث الثاني)

(موقف فرعون بعد هزيمته)

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

(المطلب الأول)

(موقفه من السحرة)

أولا : إتهامهم والطعن فيهم :

وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ...)) (١) ، وفي آيةٍ أخرى : ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ...)) (٢) .

أي قالَ فرعونُ للسحرةِ الذين آمنوا مُنْكِراً عليهم إيمانَهم : آمنتُم وصدقتُم بموسى ونبوتهِ وبما جاءَ بهِ ، دونَ إذنٍ مني لكم بذلك ، إنَّ موسى لرئيسُكم في السحرِ ، وهو الذي عَلَّمَكموه ، وإنَّ غلبَتَه لكم كانت عن خديعةٍ بينَكم ، أردتُم منها أنْ تَجتَمعوا أنتُم وهم وتكونَ لكم دولةٌ وصولةٌ (٣) ، وتُخرِجوا منها الأكابرَ والرؤساءَ ، وتكونَ الدولةُ والتصرفُ لكم (٤) .

ففرعون اتَّهمَ السحرةَ بالتآمر مع موسى على ملكِ مصرَ ، كما اتَّهمهم بالإيمانِ بدون إذنهِ ؛ ومرادُه من ذلك تخويفُ الجماهيرِ المحتشدةِ من إتباعِ السحرةِ في إيمانِهم ، إضافةً إلى تحريضِهم على السحرةِ وذلك بقولِهِ كما ذُكِرَ في القرآنِ :(لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا) ، ومعلومٌ أنَّ الإخراجَ من الديارِ شاقٌ وعسيرٌ على النفس ، ولذلك قَرَنَهُ اللهُ بالكفرِ في قولِهِ : ((... أَوِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ...)) (٥) .

ولو أننا نَظرنا وتَأملنا في اتهامِ فرعونَ لأولئكَ المؤمنينَ لوجدنا بطلانَ اتهامَه بهذهِ الأدلةِ :

١- إنهم لَمْ يَجتَمعوا بموسى قبلَ ذلك اليومِ ، فكيفَ يكونُ رئيسَهم ومعلمَهم السحرَ (٦) .

٢- إنهم عَلِمُوا السحرَ ومَارسوهُ قبلَ ولادةِ موسى وقبلَ قدومِهِ من مَدْيَنَ (٧) .

٣- إنهم يَعلمونَ أنَّ موسى الفردَ أضعفُ وأعجزُ من أن يسيطرَ على مصرَ معَهُم .

---

(١) طه/٧١ ، والشعراء/٤٩ . (٢) الأعراف/١٢٣ . (٣) صولة : أي: سطوة واستطالة ووثبة . انظر: القاموس المحيط/١٣٢٣ . ومختار الصحاح/٣٧٣ .
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٢٣٨، ٣/١٥٨، ٣٣٥ . وجامع البيان ١٩/٧٢ ط٢ .
(٥) النساء/٦٦ . (٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٣٥ . (٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٤ ط١ .

٤- إنَّ سياقَ الآياتِ قبل ذلك ، حيثُ المحاورةُ بين السحرةِ وفرعونَ، وبين السحرةِ وموسى يُبينُ بُطلانَ زعمِ فرعونَ .

وفي قولِ فرعونَ - كما ذكر القرآنُ الكريمُ - :(قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) دليلٌ واضحٌ على مناقضتِه لنفسِه في زَعْمِ الإلَهيةِ ، اذ لو كان إلهاً لَمَا كان له أَنْ يَأذنَ لهم بالإيمانِ بإلهٍ غيرِه(١) .

ومن الموافقاتِ في هذا المقامِ : أَنَّ اتهامَ السحرةِ بالتآمرِ على أهلِ مصرَ من قبلِ فرعونَ ، هي نفسُ التهمةِ التي اتُّهِم بِها موسى من قِبَلِ فرعونَ وملإِه وسحرتِه قبلَ ذلك .

وبذلكَ يَتبينُ لنا أَنَّ الطاغوتَ لا يترددُ في اتهامِ المؤمنين ، حِفاظاً على سلطانِه ومنصبِه . بل ويَتفننُ في اختراعِ الإتهاماتِ(٢) .

كما ونلاحظُ أَنَّ اتهامَ فرعونَ للمؤمنينَ هو نفسُ اتهامِ الطواغيتِ لهم على مرِّ الأزمانِ والعصورِ . إتهامٌ بالتآمرِ ضد الدولةِ الشرعيةِ ! واتهامٌ بالتآمرِ لتخريبِ المجتمعِ وإثارةِ القلاقلِ والاضطراباتِ ، وتهديدِ الأمنِ وإخراجِ الناسِ من الديارِ وغير ذلك(٣) .

التُّهمُ نفسُها ، والصراعُ نفسُه ، مع اختلافٍ في الأشخاصِ والأزمانِ والعصورِ .

كما نلاحظُ أَنَّ الطاغيةَ يُريدُ أَنْ يكونَ هو الأولُ والأخيرُ ، والآمرُ والناهي ، ويريدُ أَنْ يُحصي على الناسِ أنفاسَهم ، فلا يُؤمنوا إلا بعدَ إذنِه: (آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) .

كما نلاحظُ أن الطاغوتَ لا عهدَ له ولا أمانَ ، فاصدقاؤُه بالأمسِ - كالسحرةِ هنا - اذا ما رأوا رشداً ، وغَيَّروا رأيَهم فيه اليومَ ، سُرعانَ ما يَنقلبُ عليهم ولا يَترددُ في البطشِ بهم ، فالطواغيتُ لا يَعيشونَ إلا ساعتهم ، ولا مبدأَ شريف لهم .

كما يتبينُ لنا أن الطاغوتَ جبانٌ بنفسِه وضعيفٌ ، بحيثُ إذا حَاصَرَهُ ما يُخيفهُ لجأَ إلى الجماهيرِ مثيراً لها ، لِتقفَ معه -(لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا) - ، ولكن بعد أن يحققَ مآربَه يَنقلبُ عليها ويَسلبُها حريتَها(٤) .

كما ويتبينُ لنا غباءُ أولئك الطواغيتِ وجهلُهُم إذ يَتهمونَ المؤمنينَ بتهمٍ زائفةٍ ، واضحةِ البطلانِ ، لا يُشكُّ في افترائِها وكَذِبِها . ولعلَّ هذا من فرطِ تكبرِهم ، وسرعةِ بطشِهم(٥) .

ثانيا : تهديدهم بالتنكيل والتقتيل :

وذلك قولُه - تعالى - : ((... فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) (٦) ، وفي آياتٍ أخرى :((.. فَسَوْفَ

(١) انظر: التفسير الكبير ١٤/٢٠٨ . (٢) لقد ورد الحديث مفصلا عن ذلك. راجع/٦٨، ٦٩، ٨٣.
(٣) ورد الحديث مفصلا عن ذلك . راجع/٦٨ . (٤) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع/٦٨. (٥) سبقت الإشارة لهذا . راجع/٩٠ . (٦) الشعراء/٤٩.

تَعْلَمُونَ . لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) (١) ، وفي آية أخرى : ((...فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)) (٢).

أي قالَ فرعونُ - كما وردَ في القرآنِ - : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أي : عاقبة ما فعلتُم ، وهو تهديدٌ ووعيدٌ أجملَهُ للتهويلِ ، ثم فصَّلَهُ بقولِهِ : لأُقطعنَّ أيديَكم وأرجلَكم من كلِّ شقٍ طرفاً ، ثُمَّ لأعلقنَّكم وأيديَكم ممدودة على جذوعِ النخلِ كهيئةِ الصليبِ ، أو حتى يَتقاطرَ صليبُكم - دهنُكم - تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالِكم ، وإني فاعلٌ ذلك بكم جميعاً ، ولَتعلمنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً لكم وأدومُ ، أنا أو موسى(٣) .

ويُقال : إنَّ التقطيعَ من خلافٍ لا يُميتُ فوراً ، وهذا بعكسِ التقطيعِ من جهةٍ واحدةٍ إذ أنه يُميتُ فوراً . والسببُ في ذلك : أن التقطيعَ من خلافٍ يُبقي المرءَ بنصفِ نصفِهِ العلوي ، ونصفِ نصفِهِ السفلي المخالِفِ له ، وبهذا الخلافُ تَتِمُّ الحركةُ الدمويةُ ويَظلُّ القلبُ عاملاً بشريانٍ واحدٍ من شرياني الحياةِ.

ولهذا أتْبَعَ فرعونُ الصلبَ التقطيعَ ، ليظلَّ المصلوبُ زماناً يعاني آلامَ وسكراتِ (٤) الموتِ (٥) .

وفي قولِهِ - كما ذكرَ القرآنُ - : (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) إظهارٌ لاقتدارِهِ وقهرِهِ ، وما ألِفَهُ من تعذيبِ الناسِ بأنواعِ العذابِ ، بالإضافةِ إلى توضيعِ موسى واستضعافِهِ ، والهزءِ بهِ ، لأنه لم يكن قط من التعذيبِ في شيءٍ(٦) .

وهكذا يتبينُ - لنا - أن فرعونَ جَمَعَ عليهم ثلاثةَ أنواعٍ من العقابِ ، العذابُ : وذلك بالتقطيعِ . والتمثيلُ : وذلك بقطعِ الخلافِ . والصلبُ مع تركِهم يُعانون النزيفَ والألمَ حتى الموتِ .

إذن هما تهمتان اتَّهمَ بهما فرعونُ السحرةَ ، وهما : التآمرُ مع موسى على سلطانِهِ وملكِهِ ، والإيمانُ بموسى دونَ إذنِهِ . ورتَّبَ اللعينُ عليهما الحُكْمَيْنَ ، وهما : القطعُ والصلبُ ، فكأنَّ كلَّ حكمٍ مقابلُ كل تهمةٍ .

ولو نَظَرنا إلى التعبيرِ في الآياتِ لوجدناهُ يَدلُّ على قمةِ التجبرِ والطغيانِ وعُلُوِّهُ تماماً من أدنى عدلٍ .

فهو المُدعي عليهم بالتهمةِ التي اختَلقَها ، وهو القاضي الذي أصدرَ الحكمَ عليهم ، وهو المُنفذُ لما حَكَمَ عليهم .

ويقولُ صاحبُ الظلالِ في ذلك : " إنَّها الحماقةُ التي يَرتكبُها كلُّ طاغيةٍ ، حيثما يَحسُّ بالخطرِ على عرشِهِ أو شخصِهِ ، يَرتكبُها في عنفٍ وغلظةٍ وبشاعةٍ ، بلا تَحَرُّجٍ من قلبٍ أو ضميرٍ ... وإنها لكلمةُ فرعونَ الطاغيةِ المتجبرِ الذي

---

(١) الأعراف/١٢٣، ١٢٤ . (٢) طه/٧١ .
(٣) انظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٠ . ومراح لبيد ١/٢٩٤ . وتفسير أبي السعود ٢/٢٩٤ .
(٤) سكرات الموت: دهمه وغشيته وشدته . انظر: القاموس المحيط/٥٢٤ . ومختار الصحاح/٣٠٦ .
(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٩/٤٥٩ . (٦) انظر: الكشاف ٢/٥٤٦ . والتفسير الكبير ٢٢/٨٧ ط ١ .

يملـــك تنفيـذَ ما يَقـــول "(١) .

وكان فرعونُ يهدفُ من وراء هذا الحكم البشع إلى ارهاب الناس حتى لا يَقتدُوا بالسحرة . ذلك أن الحكمَ بالقطع والصلب سينتشر خبرهُ في أنحـــاء مملكته ، مما سَيُدخلُ الرعبَ والذُعرَ(٢) في قلوب الناس ، مما يَجعلُهـــم يُقلعونَ عن مجردِ التفكيرِ في ذلكَ .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ الطاغيةَ فرعونَ بعد ما هُزِمَ وأعلَنَ السحـــرةُ إيمانَهم ، لَجَأَ إلى أُسلوبِ القوةِ والفتـكِ ، آوياً بذلك إلى ركنٍ شديدٍ متمثلٍ في سلطانهِ . إذن المعركةُ مع أمثالِ فرعونَ لا تَتَمثلُ - في منطقِهم - في البحثِ عن الحقِّ واعتناقـه ، بقدر ما تَتمثلُ في تأييدِ الطاغيةِ ونصرتـهِ فيما هو عليه من باطلٍ بِغضِّ النظرِ تماماً عَما يُخالفُ ذلكَ .

ويَتضحُ لنا أيضاً أنَّ الطاغيةَ لا يَرعوي عن استخدامِ أشدِّ أنـــواعِ العذابِ والفتكِ وأبغضِها في مقابل الحفاظِ على جاههِ وملكِهِ(٣) .

كما ويتضحُ - لنا - أنَّ الطاغيةَ يَعتزُ بقوتهِ وسلطانهِ ويَتبجـــحُ(٤) في استخدامهِ . بل ويذهبُ إلى أبعدِ من ذلكَ إذ يَفتخرُ بذلك ويُعلنُهُ أمامَ رعيتهِ إرهاباً لها وتخويفاً كقولِ فرعونَ - هنا - كما نقلَهُ القرآنُ: (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى) .

ثالثـا : موقف السحرة من ذلك :

أ) عدم الخوف من تهديده :

وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)) (٥) ، وفي آيةٍ أخرى : ((قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ))(٦) ، وفي آيـــةٍ أخـــرى : ((قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَـــا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)) (٧) .

أي : قالَ السحرةُ لفرعونَ الطاغيةِ بعدمَا تَهددهم وتَوعدهم : لا ضـــررَ علينا في وقوعِ ما وَعدتَنا بهِ من التقطيعِ والتصليبِ ، بل لنا فيه المنفعـــةُ التامةُ باحتسابهِ والصبرِ عليه ، وإنا إلى اللهِ ربنَا راجعونَ بالموتِ لا محالةَ فلا نُبالي بوعيدِك ، أو إنا منقلبونَ إلى ربِّنَا وثوابِه إنْ فعلتَ بنا ذلـــك ، كأنهم استَطَابوهُ شغفاً(٨) إلى لقاءِ اللهِ ، ومصيرُنا ومصيرُك إلى ربِّنـــــا فيحكم بينَنا (٩) .

فالسحرةُ - هنا - أكَّدوا لفرعونَ عدمَ رجوعِهم إلى دينِه ، بالإضافةِ إلى تحقيرِهم لتهديدِه: (قَالُوا لَا ضَيْرَ) ، وفي قولِهم توهينٌ له واستصغارٌ .

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٧ . (٢) الذعر: الخوف والفزع . انظر: القاموس المحيط/٥٠٧، ومختار الصحاح/٢٢٢ . (٣) لقد سبقت الإشارة لهذا . راجع/ ٩٢ .
(٤) يتبجح: أي: يفرح في ذلك. انظر: القاموس المحيط/٢٧١ . ومختار الصحاح/٤١ .
(٥) الشعراء/٥٠ . (٦) الأعراف/١٢٥ . (٧) طـــه/٧٢ .
(٨) شغفا: أي : حبا بلغ شغاف قلوبهم. انظر: القاموس المحيط/١٠٦٦ . ومختار الصحاح /٣٤٠ . (٩) انظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٠ . والبحر المحيط ٧/١٦ .

" وفي قولِه -تعالى-: (وَالَّذِي فَطَرَنَا) وجهان ذكرَهُما الفَـرَّاءُ* والزَّجَّاجُ . أحدهما : أنَّ المعنى : لَنْ نؤثرَكَ على ما جَاءَنا مِنَ البيناتِ ، وعلى الذي فَطَرَنَا . والثاني : أنه قَسَمٌ ، تَقديرُهُ : وَحَقِّ الذِي فَطَرَنَـا "(١) .

ومن خلالِ موقفِ السحرةِ هذا ، يَتبينُ - لنا - أن قوةَ الإيمانِ تَصنعُ الأعاجيبَ إذا مَا خَالطت القلوبَ عن صدقٍ وحقٍ ويقينٍ . فالإيمانُ باللهِ قَلَبَ السحرةَ من النقيضِ إلى النقيضِ . فصاروا مؤمنينَ بعد أن كانوا كافرينَ، وصاروا لا يَخشونَ فرعونَ وعذابَه بعدَ أن كانوا له يَسجدون ، وصاروا يخاطبونَه مخاطبةَ الندِّ للندِّ بعد أن كانوا يَعبدونه ، بل وصاروا يحقرونَ له عذابَه ويُثبتون له انحصارَ ملكِهِ وسلطانِهِ في هذهِ الدنيا بعدَ أن كانوا يَرهبونه ولا يَجرءُونَ على مخاطبتِهِ إلا بإذنِهِ .

وكذلك يَتبينُ - لنا - أنَّ الإنقلابَ والعودةَ إلى اللهِ تُهونُ على المؤمنِ كُلَّ المصائبِ ، حتى ولو كانت تَتمثلُ في أشدِّ العذابِ وأبغضِهِ .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أنَّ من سننِ اللهِ - تعالى - أن يَبتلي الرسلَ والنبيينَ وأتباعَهم بالتشريدِ والتعذيبِ والتقتيلِ . فلما أضحى السحرةُ أتباعاً لموسى النبيِّ ، تَعرَّضوا لذلكَ كغيرِهم . وفي ذلك يقولُ اللهُ - تعالى - : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...)) (٢) .

ب) ذكر سبب نقمته منهم :

وذلكَ قولُه -تعالى-: ((وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)) (٣) .

أي قالَ السحرةُ لفرعونَ : وما تَعيبُ وتُنكرُ مِنَّا إلا الإيمانَ بآياتِ اللهِ ، وهو خيرُ الأعمالِ وأصلُ المناقبِ والمفاخرِ كلِّها ، ثُمَّ إنهم فَزِعُوا إلى اللهِ العزيزِ من ذلك الابتلاءِ قائلينَ : رَبَّنا هَبْ لنَا صبراً واسعاً وأكْثِرهُ علينا حتى يَفيضَ ويغمرنا كما يُفرغُ الماءُ إفراغاً ، وَتَوفنَا ثَابتينَ على الإسلامِ (٤) .

فالسحرةُ - هنا - ذكَروا لفرعونَ سببَ نقمتِهِ مِنهم ، ولَمْ يُجادلُوه في ادعائِهِ عليهِم بالتآمرِ على ملكِه ، لأنهم أعلمُ الناسِ بهِ وبدينِهِ ، ولأنَّ اتهامَه واضحةٌ فيه معالمُ الكذبِ والبهتانِ . غيرَ أنهم اكتَفوا بذكرِ سببِ انكارِهِ عليهم ، ونقمتِهِ منهم وهو : الإيمانُ باللهِ - تَعالى - .

وهذا السببُ هو نفسُه وبعينِهِ الذي من أجلِهِ عُورضَ الرسلُ وأتباعُهم ، وتَعَرَّضُوا في سبيلِهِ للأذى والتقتيلِ .

---

(١) زاد المسير ٥/٣٠٧ . وانظر : جامع البيان ١٦/١٨٩ ط٢ . (٢) العنكبوت /٢ ، ٣ .
(٣) الأعراف /١٢٦ . (٤) انظر: الكشاف ٢/١٠٤ . وأنوار التنزيل ١/٤٤٠ . وفتح القدير ٢/٢٣٥ .
* الفراء : هو: يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي مولى بني أسد أبو زكريا المعروف بالفراء . كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، وكان فقيها متكلما ، وعالما بأيام العرب وأخبارها ، يميل للإعتزال . من شيوخه الكسائي . ومن مصنفاته : "معاني القرآن" و "اللغات" و "غريب الحديث" . توفي بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٦٦، ٣٦٧ رقم (٦٨١) . والبداية والنهاية ١٠/٢٦١ . والأعلام للزركلي ٨/١٤٦ ط٣ . وغاية النهاية ٢/٣٧١ . وتهذيب التهذيب ١١/٢١٢ . وتاريخ بغداد ١٤/١٤٩-١٥٥ . واللباب ٢/١٩٨ .

ومثالُ ذلك أصحابُ الأخدودِ ، قالَ - تعالى - :((وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (١) وكذلك أصحابُ لوطٍ ، قالَ - تعالى - : ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)) (٢) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ مُعارضةَ الطواغيتِ لأهلِ الحقِّ ، إنما هو نابعٌ من إيمانِ أهلِ الحقِّ بحقِّهم ودينِهم .

كما يَتضحُ - لنا - أنَّ أولئكَ الطواغيت جُبناءُ ، بحيثُ يَلجأونَ إلى الحيلةِ والمكرِ في صراعِهم مع المؤمنينَ . فيذكرونَ ما لا حصرَ له من الإفتراءاتِ والأكاذيبِ ، والحقيقةُ الكامنةُ وراءَ نقمتِهم إنما ترجعُ إلى سببٍ واحدٍ يَتمثلُ في الإيمانِ باللهِ .

كما يتضح - لنا - أنَّ المؤمنينَ يَهرَعونَ (٣) إلى اللهِ ، وَيَلتَجِئُون إلى حِمَاه ، طالبينَ منه العونَ على الإبتلاءِ ، ومُتضرعينَ (٤) إليهِ بأن يُحْسِنَ خاتمتَهم ، وأن يَتوفاهم مسلمينَ .

ج) ذكر سبب إيمانهم :

هنا عَمَدَ السحرةُ إلى توضيحِ سببِ إيمانِهم لِفرعونَ ، وقد ذَكَروا أَسباباً ثلاثةً لذلكَ ، نُفصلها فيما يَلي :

١- الطمع في مغفرة الذنوب :

وذلك قولُه : ((إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) (٥) وفي آيةٍ أخرى : ((إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ)) (٦) .

أي قالَ السحرةُ مُخاطبينَ فِرعونَ : إنَّا أقررنَا بتوحيدِ ربِّنا ، وَصَدَّقنا بوعدِهِ ووعيدِهِ وبالحقِّ الذي جَاءَ بهِ مُوسى ، لِيعفو لنَا عن ذنوبِنا فَيسترَها بما فيها من السحرِ الذي تَعلمناهُ ، وأكرهتَنا على عَمَلِهِ ، وإنا نَطمعُ في ذلك لأنَّا أولُ من آمنَ من رعيتِك ، أو من أهلِ هذا المشهدِ ، واللهُ خيرٌ منك جزاءً لمن أطَاعَه ، وأبقَى عذاباً لمنْ عَصَاه وخَالفَ أمرَهُ (٧) .

وفي قولِهم - كما ذَكَرَ القرآنُ - : (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) تعارضٌ مع قولِهم قبلَ ذلكَ : ((..أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا..)) (٨) ، مِمَّا يَدُلُّ على حبِّهم وعدمِ كراهيتِهم لذلكَ .

وقد ذَكَرَ العلماءُ عدةَ أقوالٍ لإزالةِ هذا الإشكالِ ، نُفصلُها فيما يَلي :

١) إنَّ الفراعنةَ كانوا يُكرِهونَ الناسَ على تَعلمِ السحرِ .
٢) إنَّ السحرةَ اقتَنَعوا بعدمِ منازلةِ موسى لِمَا عَلِمُوه أنَّ ما معه ليسَ بالسحرِ ، غيرَ أنَّ فرعونَ أكرهَهم على ذلك .

---

(١) البروج/٨ . (٢) النمل/٥٦ . (٣) يهرعون : يمشون بسرعة واضطراب . انظر : القاموس المحيط/١٠٠١ . ومختار الصحاح/٦٩٤ .
(٤) متضرعين : مبتهلين وخاضعين وذليلين . انظر: القاموس المحيط/٩٥٨ . ومختار الصحاح /٣٨٠ . (٥) طه/٧٣ . (٦) الشعراء/٥١ . (٧) انظر: جامع البيان ١٦/١٨٩، ١٩/٧٤ ط ٢ . والكشاف ٣/١١٣ . (٨) الشعراء /٤١ .

٣) إنَّ السحرةَ أُكرِهوا في الحضورِ والحشرِ من الأقاليمِ ، وكان ذلك بسببِ السحرِ .

٤) إنَّ دعوةَ السلطانِ بحدِّ ذاتِها تُمثلُ إكراهاً[١] .

والذي أميلُ إليهِ هو الرأيُ الثالثُ والرابعُ . إذ أنَّ دعوةَ السلطانِ بواسطةِ حكومتِهِ ورجالِ دولتِهِ من شُرَطٍ وغيرِهم تُمثلُ إكراهاً ، بدليلِ عدمِ قدرةِ السحرةِ على مخالفةِ أمرِ سلطانِهم .

ثُمَّ إنَّ حَشْرَ السحرةِ من الأقاليمِ يُسببُ لهم إكراهاً واضحاً يَتمثلُ في مفارقتِهم للأهلِ والوطنِ والمصالحِ ، إضافةً إلى مشقةِ السفرِ ، وما يَتبعُه من الإلتزامِ بأوامرِ ونواهي الحاشرينَ . وكلُّ ذلك إلى جانبِ خوفِهم الشديدِ مما سَيتعرضونَ له في حالةِ هزيمتِهم .

أما الرأيُ الأولُ فلا دليلَ عليه يُثبتُه ، فهو لا يزيدُ على احتمالٍ وأما الثاني فإن سياقَ الآياتِ القرآنيةِ التي تُمثلُ الحوارَ الذي دَارَ بينَ فرعونَ والسحرةِ ، وكذلك الذي دَارَ بينَ موسى والسحرةِ ، يبين ضعفه .

ويتضحُ لنا - هُنَا - أنَّ الإيمانَ إذَا ما خَالطَ بشاشةَ[٢] القلوبِ فإنه يَصنعُ الأعاجيبَ . فالسحرةُ الذين كانوا يَتَّخِذون من السحرِ صَنعةً للإرتزاقِ والمعاشِ ، ها هم - الآن - بإيمانِهم الجديدِ يَتندَّمون على ذلك ، بل ويتندَّمون على كلِّ ذنبٍ وكل خطيئةٍ اقترَفوها - قبل إيمانِهم - مع العلمِ أنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما قبلَه[٣] .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أنَّ الإقلاعَ عن الذنوبِ والمعاصِي ، والتوبةِ منها إذا وَقعت ، شيءٌ مُهِمٌ في حياةِ الدعاةِ . إذ بقدرِ حُدوثِ ذلك يكونُ نصرُهم .

ولذلك كان من دعاءِ المؤمنينَ كما ذَكَرَ القرآنُ : ((... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا[٤] كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ...))[٥] .

٢- الخوف من جهنم :

وذلك قولُه تعالى : ((إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى))[٦] .

أي قالَ السحرةُ لفرعونَ : إنهُ من يأتِ ربَّه من خلقِه وهو كافرٌ به ، فإنَّ له جهنمَ مأوى وسكناً جزاءً وفاقاً ، ويُعذبُ فيها عذاباً شديداً لا تخرجُ نفسُهُ بسببِهِ ولا تستقرُّ في مقرِّها فتطمئن ، بل تُجددُ جُلودُهم ، ويستمرُّ عذابُهم على هذا الحالِ[٧] .

---

(١) انظر: جامع البيان ١٦/١٨٩ط٢ . والتفسير الكبير ٢٢/٨٩ . وزاد المسير ٥/٣٠٨ . وروح المعاني ١٦/٢٣٣ . (٢) بشاشة : طَلاقَة . انظر: القاموس المحيط/٧٥٥ . ومختار الصحاح/٥٣ .
(٣) سبقت تفاصيل أخرى عن ذلك. راجع /١١٢ . (٤) إصرا : من الإصر وهو: الأمور التي تثبط وتقيد عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات ، وقيل: إصرا : بمعنى : ثقلاً . انظر: المفردات في غريب القرآن/١٩ . والقاموس المحيط/٤٢٨ ومختار الصحاح/١٨ . (٥) البقرة /٢٨٦ . (٦) طه /٧٤ .
(٧) انظر: جامع البيان ١٦/١٩٠ط٢ . والبحر المحيط ٦/٢٦٢ .

وهكذا الإيمانُ الصادقُ القويُّ ، يَجعلُ القلوبَ الغُلفَ التي لا تَفقهُ شيئاً ، تَرتجفُ وتتصدع وتتفطرُ من خشيةِ اللهِ وعذابِهِ . فالسحرةُ الذين لَمْ يَخشوا تحذيرَ موسى إذ قَالَ لهم كَما وَرَدَ في القرآنِ : ((... وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ...)) (١) ، عَادوا - هنا - يُحَذِّرونَ من عذابِ اللهِ الرهيبِ .

ولعلَّ السحرةَ بقولِهم هذا يُشيرونَ على فِرعونَ من طرفٍ خفيٍ إلى الإيمانِ باللهِ وبما جاءَ بهِ مُوسى ، والإقلاعِ عن الكفرِ ، وذلك بتحذيرِه من عذابِ الخلودِ في النارِ .

ومنَ الجديرِ ذكرُه أن التذكيرَ بعذابِ اللهِ سواءً أكانَ ذلك في جهنمَ ، أو في عَرَصَاتِ(٢) يومِ القيامةِ ، أو في البرزخِ ، من الأمورِ المهمةِ في حياةِ الدعاةِ .

ذلك أنَّ تَذَكُّرَ الموتِ ودخولِ القبرِ وما إلى ذلك ، وتَذكرَ الآخرةِ بما فيها من عذابٍ ونيرانٍ وما إلى ذلك يَجعلُ الداعيةَ للحقِّ خائفاً منَ اللهِ ، وخائفاً من معصيتِهِ ، ومقبلاً على طاعتِهِ ، وعلى نشرِ دعوتِهِ . وكل ذلك في سبيلِ النجاةِ من عذابِ اللهِ .

وإثارةُ الجماهيرِ بهذا البابِ يَجعلُها تُقلعُ عن المعاصِي ، وتُقبلُ على طاعةِ اللهِ ، وتندفعُ لنصرةِ الحقِّ . ولذلك لا نَعجبُ من ذكرِ عذابِ النارِ في آياتٍ كثيرةٍ في القرآنِ(٣) .

٣- الطمع في الجنة :

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)) (٤) .

أي : ومن يَلقَ ربَّه يومَ المعادِ مُؤمنَ القلبِ ، عاملاً للصالحاتِ التي أُمِرَ بها ، فأولئك لهم الجنةُ ذاتُ الدرجاتِ العالياتِ والغرفِ الآمناتِ والمساكنِ الطيباتِ . وهذه الدرجاتُ تتمثلُ في جناتِ عدنٍ - والعَدْنُ الإقامةُ - التي تَجري من تحتِ غرفِها وسُررِها أنهارُ الخمرِ والعسلِ واللبنِ والماءِ ، وهم مَاكثونَ دَائِمونَ فيها أبداً . وكلُّ ذلك جزاءُ من تَطهرَ من الكفرِ والمعاصِي(٥) .

وهكذا أَلقى السحرةُ الذينَ آمنوا السببَ الأخيرَ لإيمانِهم على مسامعِ فرعونَ ، والذي يَتمثلُ في طمعِهم في دخولِ الجنةِ ، والتنعمِ والتمتعِ في جناتِ عدنٍ التي تَخْتَرِقُها الأنهارُ .

فالجنةُ ونعيمُها تُعتبرُ من أعظمِ المرغباتِ في عملِ الصالحاتِ ، وهي أيضاً من أعظمِ المحقراتِ للدنيا ونعيمِها الزائلِ .

ولذلك لا نَعجبُ من ذكرِ الجنةِ ، وأوصافِها ، ومنازلِها ، وأنهارِها - وغير ذلك من الدرجاتِ - في القرآنِ كثيراً . ذلك أنها هي عاقبةُ الدنيا ،

---

(١) طه/٦١ . (٢) عرصات : جمع عرصة ، وهي : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . انظر : القاموس المحيط/٨٠٣ . ومختار الصحاح/٤٢٤ .
(٣) لقد سبق الحديث مفصلا عن ذلك . راجع/٤١ .
(٤) طه/٧٥ ، ٧٦ .
(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٧ط١ . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩ .

وهي ثوابُ الصالحينَ ، وهي المأوى والمستقرُّ والمآلُ .

ومن هنا كانت الجنةُ مهمةً في حياةِ أهل الحقِّ ، لأن تذكرَها بصورةٍ مستمرةٍ يُرغبُ في عملِ الصالحاتِ والزيادةِ منها دونَ ملل[١] .

ومن الجدير ذكرُه أن الآياتِ الثلاثِ من سورةِ طه ، - التي استَدللنا بها هنا - وهي من قولِه - تعالى - : ((إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً ...)) الآية [٢] ، إلى قولِه : ((... خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)) [٣] ، قد اختلفَ المفسرون في نسبتِها إلى أقوالٍ نفصلُها فيما يَلي:

١) ذَهبَ قومٌ إلى أنَّ الآياتَ الثلاث من قولِ السحرةِ .
٢) ذهبَ فريقٌ إلى أنَّ الآياتِ الثلاث من قولِ اللهِ - معترض - .
٣) ذَهبَ آخرون إلى أنَّ الآيةَ الأُولى والثانيةَ من قولِ السحرةِ، والثالثةَ من قولِ اللهِ[٤] .

والذي أميلُ إليهِ هو الرأيُ الأولُ للآتي :

إن " الظاهرَ من السياقِ أن هذا من تمامِ ما وَعَظَ بهِ السحرةُ لفرعونَ يُحذرونهُ من نقمةِ اللهِ وعذابهِ الدائمِ السَّرْمَدِيِّ[٥] ويُرغبونهُ في ثوابهِ الأبَدِي المخلدِ "[٦] ، ثم إنه لا يُوجدُ في السياقِ تَعبيرٌ أو قرائنُ معينةٌ تَنفي ذلك.

وإن اعترضَ معترضٌ وقالَ : كيفَ عَلِمَ السحرةُ بهذهِ التفصيلاتِ وهم لم يؤمنو قبلَ ذلك ؟ (قلت): لَعَلَّهُمْ عَلِمُوا بتلك التفصيلاتِ من موسى ، أو ممن آمنَ بموسَى وأخفَى إيمانَهُ أو من قومِ موسى بني إسرائيلَ ، إذ أنهم كانوا على بقيةٍ من دينِ إبراهيمَ ويعقوبَ ويوسفَ - عليهم السلامُ -، بالإضافةِ لموسى الذي بينَ أظهرِهم .

وبَقِيَ أنْ نقولَ في الأخيرِ : هَلْ نَفَّذَ فرعونُ حُكْمَهُ على السحرةِ بالتقطيعِ والصلبِ، أم لم يَفعلْ ذلك ؟ هذا ما اختَلفَ فيه المُفسرون إلى قولينِ نفصلُهما فيما يَلي :

١) ذَهَبَ فَريقٌ إلى أنهُ فَعَلَ فيهم ذلكَ . واستَدلوا على ذلك بقولهِ - تعالى - : ((... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) [٧]. وهذا قولُ ابن عباسٍ، وقتادةَ ، والسديِّ، ومجاهدٍ وغيرهم[٨] .
٢) ذَهَبَ فريقٌ آخر إلى أنه حِيلَ بينَه وبينَ ذلك ، فلم يَقْدِرْ عليهم. واستَدلّوا على ذلك بقولهِ - تعالى - : ((.. أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)) [٩] . وهذا قولُ أبي حَيَّانَ وغيرهِ[١٠] .

وإنني أميلُ إلى الرأي الأولِ ، للأدلةِ الآتيةِ :

١) إنَّ اللهَ - تعالى - لم يَذكُرْ - لنا - في القرآنِ أنه نَجَّاهم وذلك على عادةِ القرآنِ في ذكرِ نجاةِ المؤمنينَ ، وذلك مثلُ قولهِ - تعالى - في حقِّ نوحٍ وقومِه : ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ..)) [١١]، وكذلكَ قولُه في

---

(١) لقدور الحديث مفصلا عن ذلك. راجع/ ٤١ . (٢) (٣) طه /٧٤ - ٧٦ .
(٤) انظر: جامع البيان ١٦/١٩٠ وما بعدها ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٨ ط١ . والتفسير الكبير ٢٢/٨٩ وما بعدها . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩ وما بعدها . وفتح القدير ٣/٢٧٧ . (٥) السرمدي: الدائم، ومن الليالي : الطويل. انظر: القاموس المحيط/٣٦٧. ومختار الصحاح/٢٩٦. والمفردات في غريب القرآن/٢٣١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩ . (٧) الأعراف/١٠٣ . (٨) انظر: جامع البيان ٩/٥ ٢ ط٢ . والدر المنثور ٣/١٠٧ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٣٨ . وروح المعاني ٩/٢٨ .
(٩) القصص/٣٥ . (١٠) انظر: البحر المحيط ٦/٢٦٢ . وروح المعاني ٩/٢٨ . (١١) الأعراف/٦٤ .

حقِّ هودٍ وقومِه عادٍ : ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ[1] الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...)) [2] ، وكذلكَ قولُه في حقِّ لوطٍ وقومِه : ((كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا[3] إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)) [4] ، وغير ذلك كثيرٌ .

٢) لا يُوجدُ مبررٌ واحدٌ لفرعونَ لإبقائِهم . ذلك أن إبقاءَهم دونَ تنفيذِ الحكمِ فيهمْ سَيهددُ ملكَه وسلطانَه . وذلك لأنه سَيَظهرُ - أمامَ قومِه - بمظهرِ الضعيفِ الذي تَراجعَ عن تنفيذِ ما قَطَعَهُ على نفسِه . بالإضافةِ إلى أنَّ تَرْكَهم أحياءً سيُشجعُ الآخرينَ على الإقتداءِ بهم .

وإذا أَضَفْنَا إلى ذلك حِرْصَ فرعونَ الشديدِ على سلطانِه وملكِه ، لدرجةِ أنه كان يَقتلُ ويُذَبِّحُ الأطفالَ في مهدِهم من أجلِ ذلكَ ، لعلمنا أنه لَنْ يتأخرَ عن تقتيلِ أمثالِ السحرةِ في سبيلِ ذلك .

٣) إذا كانَ السحرةُ قد نَجوا من بطشِ فرعونَ ، فأينَ هم من قولِه - تعالى - : ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ...)) [5] وهمْ لَيسُوا مِنْ بني إسرائيلَ .

٤) قولُه - تعالى -: ((وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)) [6] . فَلِمَ لَمْ يُضفْ إسمَ السحرةِ في هذه الآيةِ ، مع العلمِ أنهم أَولى بالتقتيلِ من بَني إسرائيلَ ، لأنهم أَولُ من آمنَ ، وأولُ من تحدَّى فرعونَ - كما أسلفنا -[7] ؟!

٥) إذا كانَ السحرةُ قد نَجوا من بطشِ فرعونَ ، فلابد أنهم - إذن - خَرجُوا مع موسى من مصرَ يومَ أُغرقَ فِرعونُ ،وإذا خَرجُوا مع موسى ، فأين هم يومَ قتالِ الجبارينَ : ((قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ...)) [8] الآيات .

إذْ لَوْ كانوا حَضَروا ذلك الموقف لاتَّخذوا موقفاً مشابهاً لموقفِ الرجلينِ المؤمنينِ ، ولسجَّلَ لهم القرآنُ هذا المأثر . وما كانَ لهم أن يَقفوا ذلك الموقف الجبانِ الذي وقفهُ بنو إسرائيل . بدليلِ موقفِهم الشجاعِ من فرعونَ يومَ هَددهُم بالتقطيعِ والتصليبِ [9] .

وأما الرأيُ الثاني فإنني لَمْ أعثرْ له - في المراجعِ التي رجعتُ إليها - إلا على دليلٍ واحدٍ ، وهو قولُه-تعالى-: ((... أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)) [10] .

ويَبدو أن هذا الدليل ليسَ بقطعيٍ ، بل فيه نظرٌ . فلو تَأملنَا الآيةَ من أَولِها ، وهي قولُه-تعالى-: ((سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)) [11] ، لوجدنا الآتي :

---

(١) دابر: يقال الدابر: للمتأخر وللتابع، إما باعتبار المكان أو باعتبار الزمان أو باعتبار المرتبة . انظر: المفردات في غريب القرآن/١٦٤ ،والقاموس المحيط /٤٩٨. ومختار الصحاح/١٩٧. (٢) الأعراف /٧٢. (٣) حاصبا : الحاصب وهو: الريح الشديد الذي يثير الحصباء أو يحمل التراب. انظر: القاموس المحيط/٩٥. ومختار الصحاح/١٣٩ . (٤) القمر/٣٣، ٣٤ . (٥) الأعراف/١٣٨. (٦) الأعراف /١٢٧ .
(٧) راجع /١٧٠ وما بعدها. (٨) المائدة /٢٣. (٩) راجع/ ١١٩ وما بعدها .
(١٠) (١١) القصص / ٣٥ .

١) إنَّ اللهَ عَصَمَ موسى وأخاه بسلطانِ المعجزةِ، بالإضافةِ إلى الآياتِ - على قول[١] - ، وهذه الآياتُ تتمثلُ في المعجزةِ وغيرِها من آياتِ الجرادِ والقملِ والدمِ وغيرِ ذلك ، وكلُّها خاصةٌ بموسى .

٢) إذا كانت (بِآيَاتِنَا) متعلقةً بما بعدَها - وهو على قول[٢] - فمعنى ذلك : أنتم ومن اتبعكم الغالبون بهذه الآيات .ويتضح - لنا - بذلك الآتي:

أ) إن العصمة لموسى وأخيه متعلقة بما قبلها وهي (سلطانا) .

ب) إن الغلب متعلق بالآيات ، والآيات متعلقة بموسى وأخيه ومن اتبعهم .والغلب على هذه الحالة لا يعني بالضرورة النجاةَ من العدوِّ . فقد يَغلبُ المرءُ بالحجةِ والدليلِ والبرهانِ خَصْمَهُ . ثم يَعْمَدُ الخَصمُ إلى قَتلِ ذلك الغالب بقوتِه . فلا يُعتبرُ - هنا - المَقتولُ مغلوباً ، بل يُعتبرُ هو الغالبُ ، ومن أَجْلِ غَلَبَتِهِ قُتِلَ. فَقَتْلُهُ كَانَ ظُلماً .

وأما الغلبُ من جهةِ القتلِ فيكونُ بالنزالِ بالسلاحِ بينَ فئتين. فالغالبُ هو المنتصرُ ، وهو الذي أَوْقَعَ القتلَ والجرحَ والتشريدَ في الفريقِ الآخرِ، وهذا الذي لم يَحدثْ بينَ السحرةِ وفرعونَ . فهم لم يَتَنَازلوا بالسلاحِ بل هَزَمَ السحرةُ فرعونَ بالحجةِ والدليلِ . فَعَمَدَ الأخيرُ إلى قتلِهم ظُلماً . فهم الغالبونَ بالحجةِ وهو المغلوبُ القاتلُ .

٣) إنَّ الغَلَبَ في الآيةِ قد لا يكونُ بالنجاةِ من بطشِ فرعونَ ، بدليلِ أن بني إسرائيلَ تَعرضُوا للتقتيلِ بعدَ اتِّباعِهم لِموسى ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ))[٣] .

ثُمَّ إنَّ بَنِي إسرائيلَ لما ضَجروا من ذلك وذكَرُوه لِموسى ، لم يقلْ لهم موسى كما وَرَدَ في القرآنِ: ((... بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ))[٤] ، وإنما قَالَ لهم كما ذَكَرَ القرآنُ :((... اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ...))[٥] .

وبعدَ هذا الترجيحِ ، بَقِي لنا أن نتساءلَ عن الحكمةِ في إخفاءِ ذكرِ قتلِهم في القرآنِ !

يقولُ بعضُ الكتابِ المعاصرينَ* في ذلك - مشيرينَ إلى الأهميةِ الأولى للحَدَثِ - : " فليسَ المهمُ إذنْ هو أن يَهلكَ المؤمنون أو أن يُسْلَمُوا ، وإنما المهمُ هو أن يَثبتوا على إيمانِهم ، ويُوطدوا النفسَ على احتمالِ كلِّ بلاءٍ ، وملاقاةِ كل شدةٍ . ثم لا عَلَيهم أَنْ يُسلموا أو يَعطبوا[٦] ، ما دامَ قد سَلِمَ لهم إيمانُهم ، وظَلَّ بمكانِهِ المكينِ من قلوبِهم "[٧] .

ولعلَّ ذلكَ أُخْفِيَ لأنه مفهومٌ من سياقِ الآياتِ ، ولأضفاءِ الجلال والمهابة على الموقفِ ، ولإثارةِ الإشتياق بحيث يَجعلُ المرءَ يتساءلُ هل فُعِل أَمْ لا .

والراجحُ نَعَمْ . ومتى وكيف . فَيَبقى الأمرُ بذلك متعلقاً بالأذهانِ .

ومثلُ ذلكَ يَحدثُ في الرواياتِ القصصيةِ الحديثةِ ، حيث تُذكرُ الحادثةُ، ثُمَّ تُقطعُ نَتيجتُها ونهايتُها . ويُتركُ للقارئِ أو السامعِ أو المشاهدِ الوصولُ إلى ذلك بنفسِه .

---

(١) راجع/٥٠ . (٢) راجع / ٥٠ . (٣) الأعراف /١٢٧.
(٤) القصص/٣٥. (٥) الأعراف/١٢٨. (٦) يعطبوا : يهلكوا . انظر : القاموس المحيط /١٤٩. ومختار الصحاح/٤٣٩ . (٧) التفسير القرآني للقرآن ٨١٢/١٦ .

* المقصود : عبدالكريم الخطيب ، كاتب ومفسر معاصر .

(المطلب الثاني)

(موقفه من قوم موسى)

بعد أن هُزِمَ فرعونُ في الجولةِ الثانيةِ - لقاء السحرة - وبعدَ أن أعْلَنَ السحرةُ إيمانَهم اتَّخذَ منهم فرعونُ موقفاً رهيباً - على ما فصلنا في المطلب الماضي-.

وفرعونُ لم يَكتفِ بذلكَ ، بل جَاءَ هنا لِيَتخذَ موقفاً سيئاً قبيحاً آخرَ . ولكن هذه المرة مع بني إسرائيلَ قومِ موسى . وفيما يلي بيانُ ذلك .

أولا : الحكم بالتقتيل والإستحياء :

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)) (١) ، وفي آيةٍ أخرى : ((فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)) (٢) .

أي قالَ الأشرافُ من قومِ فرعونَ الذين خَافُوا على امتيازاتِهم ، وعلى أنفسِهم من الدوائرِ حاثينَ ومحرضينَ فرعونَ على موسى وقومِه : أَتَتْرُكُ موسى وقومَه لِيُفسِدوا في الأرضِ بالدعاءِ إلى مخالفتِك ، وتركِ عبادتِك وآلهتِك - وكانَ قد صنعَ لهم أصناماً صغاراً يَعبُدونها ، وقالَ لهم : أنَا ربُّكم وربُّها ، ولذلك وَرَدَ في القرآنِ : ((...أنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)) (٣) - فقالَ لهم فرعونُ : سَنقتلُ مواليدَهم الذكورَ ، ونتركُ الإناثَ ، وإنا قَادرون على ذلك(٤) .

ثُم إنَّ فرعونَ وملأَه استقرُّوا على هذا الحكمِ الظالمِ الجائرِ ، وأخَذوا يأمرونَ أعوانَهم بتنفيذِه في كلِّ أنحاءِ مصرَ،وذلك كيداً بموسى وبدينِه .

وقد سَجَّلَ القرآنُ الكريمُ عليهم هذا الموقف الذي يَنُمُّ عن قساوةِ قلبٍ لم يشهدْ لها التاريخُ مثيلاً .

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)) (٥).

وقدْ ذَهَبَ المفسرونَ إلى أنَّ هذا القتل بخلافِ القتلِ الأولِ قبلَ ولادةِ موسى، ذلك أن فرعونَ كان قد أوقفَ ذلك القتل خشيةَ فناءِ بني إسرائيلَ وانقلابِ

---

(١) الأعراف /١٢٧. (٢) غافر / ٢٥ . (٣) النازعات/٢٤ .
(٤) انظر : خلاصة التفاسير في أوضح التعابير. أحمد مغنية . ص ٢١١ط:لا يوجد المكتبة الحديثة . وتفسير الجلالين/١٣٥ . (٥) غافر/٢٥ .

سخرتِهم إلى قومِهِ . غيرَ أنهُ أعادَ عليهم - هنا - ذلكَ التقتيلَ والإستحياءَ ثانيةً خشيةَ أن يَتقوى موسى بهؤلاءِ الأبناءِ عليهِ(١) .

ويَتضحُ - لنا - من الآياتِ الكريمةِ أن الملأَ حَرضوهُ على موسى وقومِهِ معاً ، بينما فرعونُ لَمْ يُجبْهم إلا في قومِ موسى ، مما يُدللُ - لنا - على عجزِهِ عن البطشِ بموسى لسببٍ أو لآخرٍ ، - وهذا ما سَنفصلهُ في المطلبِ التالي من هذا المبحثِ إن شاءَ اللهُ - ويُعضدُ ما ذهبنا إليه قَوْلُ الفَخْرِ الرَّازِي : "وَاعْلَمْ أنه على جميعِ الوجوهِ والإحتمالاتِ فالقومُ أرادوا بذكرِ هذا الكلامِ حَمْلَ فِرعونَ على أخذِ مُوسى - عليهِ السلامُ - وحبسِهِ ، وإنزالِ أنواعِ العذابِ بهِ ، فعندَ هذا لَمْ يَذكرْ فِرعونُ حقيقةَ الحالِ وهو كونُهُ خائفاً من موسى - عليه السلام - . ولكنه قالَ كما ذَكَرَ القرآن : ((..سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ))(٢)"(٣) .

وكذلك قولُ ابْن الجَوْزِيِّ : "وَإنما عَدَلَ عنْ قَتْلِ مُوسَى إلى قتلِ الأبناءِ لعلمِهِ أنه لا يَقدرُ عليهِ " (٤) .

وقد اختلفَ المفسرون في المرادِ بالإفسادِ المذكورِ في قولِهِ :(لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) إلى عدةِ أقوالٍ نفصلُها فيما يَلي :

١- أي بإيقاعِ الفُرقةِ بينَ المصريينَ وتشتيتَ شملِهم (٥) .
٢- أرادوا بذلك إيمانَ سِتِّمائَةِ ألفِ نفسٍ موافقة للسحرةِ على ما رُوِيَ، فَخافوا أن يَغلبوا على المُلْكِ(٦) .
٣- الإستعلاءُ في مصرَ ، وتغييرُ دينِ أهلِها (٧) .
٤- قَتلُ أبناءِ القبطِ ، واستحياءُ إناثِهم كما فُعِلَ بهم (٨) .

والذي أميلُ إليه أن قوله : (لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) من الكلامِ الجامعِ فالفسادُ - على حد قولِهم واعتقادِهم - يَشملُ كُلَّ مَا ذَكرهُ المفسرونَ ، وغيرَ من المعانِي المقصودةِ التي تَدورُ في فلكِ الفسادِ .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُ صاحبِ الظلالِ في ذلك : " فالإفساد في الأرضِ - من وجهةِ نظرِهم - هو الدعوةُ إلى ربوبيةِ اللهِ وحدِه ، بقلبِ نظامِ الحكمِ ، وتغييرِ الأوضاعِ القائمةِ على ربوبيةِ البشرِ للبشرِ ، وإنشاءِ وضعٍ آخرَ مخالفٍ تماماً لهذهِ الأوضاعِ ، الربوبيةُ فيهِ للهِ لا للبشرِ"(٩) .
وفي قولِهم لَهُ كَما ذُكِرَ في القرآنِ : (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) دليلٌ واضحٌ لا ريبَ فيه ، بأنَّ فِرعونَ كانَ له آلهةٌ يعبُدها من دونِ اللهِ ، زيادةً على ادعائِهِ - هو الآخر - الألوهيةَ .

وقد ذهبَ المفسرون إلى أنَّ فرعونَ كان يَعبدُ الأصنامَ ، فكان يَعبدُ ويُعبدَ ، وقيل : كَان يَعبدُ البقرَ ، وقيل : كان يَعبدُ تَيْساً(١٠) ، وقيل:

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٦ط٢. والكشاف ٣/٤٢٢. والتفسير الكبير ٢٧/٥٤. وتفسير النسفي ٤/٧٥، ٢/٧١. وزاد المسير ٦/٢١٥. وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٣٩.
(٢) الأعراف/١٢٧. (٣) التفسير الكبير ١٤/٢١١. (٤) زاد المسير ٣/٢٤٥.
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٢ط٣. (٦) انظر: الكشاف ٢/١٠٥. (٧) انظر: تفسير النسفي ٢/٧١. وتفسير الجلالين/١٣٥. والمنتخب في تفسير القرآن الكريم. وزارة الأوقاف بمصر. ص ٢٣٦. ط: لا يوجد. طبعة الإعلانات الشرقية. (٨) انظر : زاد المسير ٣/٢٤٣. (٩) في ظلال القرآن ٣/١٣٥٤. (١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٢ط٣. وزاد المسير ٣/٢٤٤. والدر المنثور ٣/١٠٧.

كان المصريونَ يعبدونَ آلهةً كثيرةً . فكانوا يعبدونَ الظلامَ ، والشمسَ والقمرَ والنجومَ والأشخاصَ البشريةَ والحيواناتِ ، حتى الهوامَّ وأدنى حشراتِ الأرضِ . وقيل: إن من آلهتِهم (أُوسِيرس) وكانوا يَعتقدونَ أن رُوحَهُ موجودةٌ في الثورِ المسمى (أَبِيس) ، فكانوا يعبدونَه أيضاً (١) .

وهكذا يتضحُ - لنا - من الآياتِ الكريمةِ أخلاقُ أولئك الملأ ، الذينَ يُمثلون بِطَانةَ السوءِ لفرعونَ التي تَحثهُ على المنكرِ . والدافعُ لهم في ذلك هو خوفُهم على مناصِبهم وامتيازاتِهم من الإهتزازِ والزوالِ. وقد يكون دافعُهم - إلى جانب ذلك - التقربُ إلى السلطانِ زُلْفَى ، حيث يُظهرونَ له بذلك حرصَهم الشديد على بقاءِ ملكِه وسلطانِه .

ثم إنَّ مثلَ تلك البِطَانةِ (٢) لا تَتورعُ عن الكذبِ ، وقلبِ الحقائقِ جهاراً نهاراً . فالملأُ - هنا - يَتهمونَ موسى وقومَه بالإفسادِ في الأرضِ . وهم يَعلمونَ أنَّ أعظمَ الناسِ إفساداً في الأرضِ ذلك الذي يُذَبِّحُ الأطفالَ عند ولادتِهم دونما ذنبٍ اقترفوهُ . وفي ذلك يَقولُ اللهُ - تعالى - : ((وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ)) (٣).
فهذا هو الفسادُ الحقيقي ، لا ما يُصورهُ الملأُ لطاغيتِهم اللعينِ .

ومن الجديرِ ذكرُه أنَّ تلكَ التهمَ التي كان يُطعنُ بها الأنبياءُ ، هي نفسُ التهمِ التي يُطعنُ بها أتباعُهم إلى قيامِ الساعةِ ، مع اختلافٍ بسيطٍ في المسمياتِ أحياناً (٤) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - خطرُ الدورِ الذي تَقومُ به بِطانةُ السوءِ . ذلك أنها إذا كانت شريرةً ، فهي تزيدُ الطاغيةَ ظلماً على ظلمِه ، وإذا كانت خيرةً فهي تُعينُ على الخيرِ ، أو تَكبحُ عن الظلمِ .

ومن هنا كان دورُ البِطانةِ خطيراً في الإسلامِ . فيجب على الخلفاءِ ، والولاةِ ، والأمراءِ أن يُحيطوا أنفسَهم بأهلِ الخيرِ من العلماءِ الأتقياءِ . وفي ذلك يقولُ المولى - عز وجل - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً (٥) وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)) (٦) ، ويقولُ الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - : (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ ، وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ) (٧) ، ويقولُ أيضاً : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ) (٨) . قال النووي : رواه أبو داود بإسناد جيد على شرطِ مسلم (٩) .

---

(١) أنظر: محاسن التأويل ٧/٢٨٣٨ . (٢) البطانة : من بَطَنَ ، وتستعار البطانة لمن يختص بالإطلاع على باطن الأمر وبطانة الرجل: صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله . انظر: المفردات في غريب القرآن/٥١ . والقاموس المحيط/١٥٢٤ . والنهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٣٦ . (٣) البقرة/٢٠٥ . (٤) لقد سبق التفصيل عن هذا ١/٦٨ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١١٧ .
(٥) خبالا : فسادا . انظر: المفردات في غريب القرآن/١٤٢ . والقاموس المحيط/١٢٨٠ ، ١٢٨١ . ومختار الصحاح/١٦٩ . (٦) آل عمران: ١١٨ . (٧) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : (الأحكام) باب: (بطانة الإمام..) ٨/١٢١ . (٨) أخرجه الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي في سننه المسمى "سنن أبي داود" . كتاب: (الخراج والإمارة والفيء) باب: (في اتخاذ الوزير) ٣/١٣١ رقم (٢٩٣٢) . ط: (لايوجد) . دار إحياء التراث العربي . لبنان .
(٩) انظر: رياض الصالحين . زكريا بن يحيى بن شرف النووي الدمشقي . حققه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق/٣٠٥ ، ٣٠٦ . ط: ٣ . دار المأمون للتراث .

ثُمَّ إنَّ فرعونَ - بعد ذلك التحريض - استجابَ لملإهِ ، وأخذتهُ العزةُ بالإثمِ فَحَكَمَ على بني إسرائيلَ بأبشعِ الأحكامِ التي تَستحي من فعلِها الوحوشُ .

فهو يَحكمُ بتقتيلِ أبنائِهم ، وتركِ بناتِهم ، ثم يَعتزُ بذلك قائلاً كما ذَكَرَ القرآنُ : (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) . وموقفُ فرعونَ - هذا - يُمثلُ جُبنَه في مواجهةِ ما جَاءَ به موسى بالطرقِ المعهودةِ . فَيَعمَدُ إلى السلطانِ للقتلِ والفتكِ ، وهذه علامةٌ من علاماتِ الطواغيتِ . وفي ذلك يَقولُ بعضُ الباحثينَ المعاصرينَ* : " وإذ يُخذلُ فرعونُ في معركةِ المنطقِ والعقلِ ، وإذ تُفحمهُ الآياتُ التي طَلَعَ بها عليهِ مُوسى ، فإنهُ يَلجأُ إلى منطقِ القوةِ ، ويَعمدُ إلى سلاحِ البغيِ والعدوانِ ، فَيُسلطهُ على خصمِه ويَضربُ به في غيرِ مبالاةٍ .. وانظرْ كيفَ يُعمي البغيُ أهلَه عن مواقعِ الحقِّ ، وكيف يُزيِّنُ لهم الضلالَ فيرونَه هدىً "(١)(٢) .

ثانيا : موقف موسى من الحكم :

عَمَدَ موسى - عليه السلام - إلى قومِه - بعدَ أن نَمَا إلى علمِهِ حُكْمُ فرعونَ الجائرِ - محرضاً على الصبرِ والثباتِ أمامَ ذلك البلاءِ . وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (٣) .

أي قالَ موسى لقومِهِ : استَعينوا باللهِ واصبِرُوا على المحنةِ ، واعلَموا أنَّ أرضَ مصرَ ، أو جنسَ الأرضِ للهِ ، يُملكُها من يشاءُ من عبادِهِ ، وفي هذا وعدٌ لكم بالنصرِ ، واعلموا أن العاقبةَ المحمودةَ في الدنيا والآخرةِ للمتقينَ من عبادِهِ (٤) .

وفي قولِهِ : (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ): " وعدٌ لهم بالنصرِ وتذكيرٌ لِمَا وَعَدَهم من إهلاكِ القبطِ وتوريثِهم ديارَهم "(٥) .

فهنا موسى أَمَرَهُم بالإستعانةِ باللهِ والصبرِ على المحنِ ، كما وَبَّشَرَهم بوراثةِ الأرضِ وبالعاقبةِ الطيبةِ .

فهذا غايةُ ما يستطيعُ موسى أن يُقدمَه لقومِهِ . وهو توجيهُهُم إلى الطريقِ السليمِ حتى يَأذنَ اللهُ - عز وجل - بهلاكِ فرعونَ .

والإستعانةُ باللهِ - التي وَجَّههم إليها موسى - هي رأسُ الأمرِ كُلِّه . فاللهُ هو المقدمُ والمؤخرُ والمسيطرُ والمهيمنُ والقادرُ ، وهو الذي لا تَطرفُ عينٌ ، ولا تَهبُّ ريحٌ في الوجودِ إلا منْ بعد إذنِهِ . فماذا عَسَى فرعونُ أن يصنعَ وناصيتُه (٦) بيدِ اللهِ !

(١) التفسير القرآني للقرآن /٤٦١ . (٢) سبقت تفصيلات أخرى عن ذلك /٩٢، ١١٩ .
(٣) الأعراف /١٢٨ . (٤) انظر: فتح القدير ٢/١٣٦ .
(٥) أنوار التنزيل ١/٤٤١ . (٦) ناصيته :من نَصَا ، والناصية قصاص الشعر،وناصيته بيد الله : أي متمكن منها . انظر: المفردات في غريب القرآن /٤٩٦ . والقاموس المحيط /١٧٢٥ . ومختار الصحاح/٦٦٤ .

* المقصود : عبدالكريم الخطيب ، باحث ومفسر معاصر .

فالإستعانةُ باللهِ هي من كلِّ طاغيةٍ ، ومن كلِّ متكبرٍ ومتجبرٍ ، ومن كلِّ ظلمٍ وشرٍ . ولأهميةِ الإستعانةِ باللهِ البالغةِ قُرِنَتْ بالعبادةِ في سورةِ الفاتحةِ ، وذلك قولُه : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) (١) ، وكانت صفةً مشهورةً للنبيينَ ، فهذا يعقوبُ - عليهِ السلامُ - يَستعينُ باللهِ قائلاً كما ذَكَرَ القرآنُ : ((... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) (٢) ، وهذا رسولُ اللهِ محمدٌ - صَلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يستعينُ باللهِ على قومِهِ قائلاً كما ذَكَرَ القرآنُ : ((قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَانُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) (٣) .

وكانَ رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يَأمرُ أتباعَه بالإستعانةِ باللهِ مِنْ كلِّ سوءٍ ، ومن ذلك قولُه لابنِ عباسٍ : ((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصحف)) (٤) ، وقولُه : ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ إِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ...)) (٥) الحديث .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أنَّ أصحابَ الدعواتِ هم أحوجُ الناسِ إلى ذلك ، وذلك لِمَا يَتعرضونَ لهُ مِنَ الأذى الكثيرِ ، وَقدْ أَشارَ صَاحبُ الظلالِ إلى ذلك قائلاً: " إنهُ ليسَ لأصحابِ الدعوةِ إلى ربِّ العالمينَ إلا ملاذٌ واحدٌ ، وهو الملاذُ الحصينُ الأمينُ ، وإلا وليٌّ واحدٌ وهو الوليُّ القويُّ المتينُ "(٦) (٧) .

ثُم إنه وَجهَهم - عليه السلامُ - إلى الصبرِ ، والصبرُ والتحملُ سلاحُ الأنبياءِ وأتباعِهم من أصحابِ دعوةِ اللهِ ، والبلاءُ مُوكلٌ بهم والتشريدُ والعذابُ والسجنُ ، وهذه حكمةٌ أزليةٌ (٨) المقصودُ منها تمحيصُ المؤمنينَ لِيُعْرَفَ أصحابُ العقيدةِ الثابتةِ من المتقلبينَ الذين لا يُنصرُ بهم مبدأٌ ولا تنهضُ على أكتافِهم دعوةٌ (٩) .

وذلك مصداقٌ لقولِه - تعالى - : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)) (١٠) .

ولأهميةِ الصبرِ البالغةِ وَرَدَ ذكرُه مراراً وتكراراً في القرآنِ ، وذلك تحريضاً للمؤمنينَ على إلتزامِهِ ، ومنْ ذلكَ قولُه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) الفاتحة/٥ . (٢) يوسف/١٨ . (٣) الأنبياء/١١٢ . (٤) أخرجه أبو عيسى محمد ابن عيسى بن سورة الترمذي وقال: حديث حسن صحيح في سننه المسمى "الجامع الصحيح" تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ٤/٦٦٧ رقم (٢٥١٦) ط: لا يوجد، دار إحياء التراث العربي.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (القدر) باب (في الأمر بالقوة ..) ٨/٥٦ . (٦) في ظلال القرآن ٣/١٣٥٥ . (٧) سبق التفصيل عن الإستعانة بالله/٤٩، ٥٠ . (٨) أزلية: قديمة. انظر: القاموس المحيط/١٢٤١ . ومختار الصحاح/١٥ . (٩) انظر: أهداف القصة في القرآن/٦٣ .
(١٠) العنكبوت / ٢ ، ٣ .

اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (١)، وقولُه : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ...)) (٢) ، وقوله : ((... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (٣) .

وقد بَيَّنَ - لنا - رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - أهميةَ الصبرِ البالغةِ عند اللهِ بقولِهِ : (... وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ) (٤) .

ومن الجدير ذكرُهُ أَنَّ الدعاةَ أَوْلَى الناسِ بالصبرِ ، وذلك لبعدِ السفرِ ووعورةِ الطريقِ ،ومشقةِ السيرِ . وقد أشارَ صاحبُ الظلالِ إلى ذلك قائلاً: " وعليهم [الدعاة] أَنْ يَصبروا حتى يأذنَ الوليُّ بالنصرةِ في الوقتِ الذي يُقدرهُ بحكمتِهِ وعلمِهِ . وألا يَعجلُوا ، فهم لا يَطلعونَ الغيبَ ، ولا يَعلمونَ الخيرَ "(٥) .

ثُم إنَّ موسى - عليه السلام - بَشَّرهم بوراثةِ الأرضِ . والأرضُ هي ملكُ للهِ-تعالى-يُورثُها من يشاءُ من عبادِهِ ، واقتَضت حكمتُهُ - تعالى - أَنْ يَرِثَ الأَرضَ عبادُهُ الصالحونَ ، وفي ذلك يقولُ- سبحانُه - : ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) (٦).

ولَكِنْ يَبدو من تبشيرِ موسى لقومِهِ العجابُ . ذلك أن بني إسرائيل في وادٍ سحيقٍ (٧) من الذُلِّ والمهانَةِ والإستضعافِ ، في ذاتِ الوقتِ الذي يَتربعُ فيهِ فرعونُ على عرشِ مصرَ ، وهو القاهرُ فوقَهم ،وهم المقهورونَ تحتَهُ . فمن أينَ النصرُ ووراثةُ الأرضِ؟

لَكِنْ سُرعانَ مايَتبددُ ذلك العجب ويزولُ ، إِذَا ما أَسنَدنا الأمرَ للهِ. وفي ذلك يقولُ اللهُ - عز وجل - : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٨) .

ومن الجدير ذكرُه أن تبشيرَ موسى لقومه بوراثةِ الأرضِ شبيهٌ بتبشيرِ الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - لأصحابِهِ عندما كانوا في مكةَ المكرمة مستضعفينَ في مطلعِ الدعوةِ الإسلاميةِ وفي ذلك يقولُ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ* - رَضِيَ اللهُ عنه - : " شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُوا لَنَا ؟ فَقَالَ: (قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ

---

(١) البقرة/١٥٣. (٢) محمد/٣١. (٣) الزمر /١٠. (٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب(الزكاة)باب(فضل التعفف والصبر)٣/١٠٢. (٥) في ظلال القرآن٣/١٣٥٥.
(٦) الأنبياء/١٠٥. (٧) سحيق: بعيد. انظر: القاموس المحيط/١١٥٣. ومختار الصحاح/ ٢٨٩. (٨) آل عمران/٢٦.

* خباب بن الأرت: هو: خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب التميمي، وقيل: الخزاعي ، والأول أكثر. يكنى: أبا عبدالله ، وقيل: أبا محمد وقيل: أبا يحيى. من الصحابة السابقين في الإسلام إذ كان سادس ستة في الإسلام. وكان ممن يعذب في الله . شهد بدرا وأحدا وكل المشاهد مع النبي- صلى الله عليه وسلم -. روى عن النبي ، وروى عنه : ابنه عبدالله ، ومسروق والشعبي وغيرهم . مات بالكوفة وكان أول من قبر فيها سنة ٣٧هـ عن ٧٣ سنة ، وصلى عليه علي بن أبي طالب . انظر: أسد الغابة ٢/١١٤ - ١١٧ رقم (١٤٠٧). وصفوة الصفوة ١/٤٢٧ - ٤٢٩ رقم (٢١) ط : ٣ .

مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمُوت لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)(١) .

فإذا عَلِمنا ذلك عَرَفنَا أنه مَهمَا أظلمت الأرضُ بظلامِ الكفرِ والشركِ، ومهما اكفَهرَّت بالمعاصِي ، ومهما اتَّسعت رقعةُ الباطلِ ، ومهما ارتَفعَتْ رايتُه ، فإنَّ ذلك لا يَزيدُ على غمامٍ صيفٍ سُرعانَ ما يَتبددُ ويزولُ .

ثُم إنَّ موسى - عليه السلام - بشَّرهم بالعاقبةِ الطيبةِ ، وهيَ المُرتجى الأخير ، سواءٌ أكانت في الدنيا أم في الآخرةِ أم فيهما معاً .

وهذه البُشرى قد بُشِّرَ بها محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - وأتباعُه على مرِّ الأيامِ والسنين والقرونِ ، وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عَلَيها .
تَتمثلُ تلك البُشرى في الظهورِ والنصرِ ، أو الشهادةِ والجنةِ . وفي ذلك يقولُ اللهُ - تعالى - : ((قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ))(٢)(٣) .

وبَقِيَ أنْ نقولَ - هنا - إذا كانَ موسى قد بَشَّرَ قومَه بني إسرائيلَ بالنصرِ وبالخاتمةِ الطيبةِ ، فما هو موقفُهم من ذلك . هذا ما ستُوضحُهُ - لنا - النقطةُ التاليةُ إن شاءَ اللهُ .

ثالثا : موقف بني إسرائيل من الحكم :

مِنَ الطبيعي أن يتألمَ قومُ موسى من ذلك الحكمِ القاسِي ، ولكن ليسَ من من الطبيعي ، وليسَ من العدلِ في شيءٍ أنْ يوجهوا لومَهم وغضبَهم إلى موسى الذي بشَّرهم بالخيرِ .

ولكن يبدو أن القومَ - مع ذلك التبشير - أَبوا إلا أن يُوقعوا اللومَ على موسى ، مُظهرينَ بذلك ما انطَوت عليه سَريرتُهم(٤) من فسادٍ ، وذلك قولُه-تعالى-: ((قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ))(٥) .

أي قَالَ بنو إسرائيل لموسى : أُوذينا بقتلِ أبنائِنا قبل أنْ تأتيَنا بالرسالةِ ، وأُعيدَ علينا ذلك بعدَ ما جئتَنا بالرسالةِ - وذلك اشتكاءً من فرعونَ واستبطاءً للنصرِ - . فصَرَّحَ لهم موسى بما رَمَزَ إليهِ من البشارةِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(الإكراه) باب :(من اختار الضرب . .) ٨/٥٦.
(٢) الحسنيين : جمع حسنى وهي: تأنيث أحسن،والمراد هنا :النصر والغنيمة أوالشهادة . انظر: المفردات في غريب القرآن/١١٩. وتفسير غريب القرآن /١٨٨. وتفسير الجلالين/٢٥٦ . (٣)التوبة/٥٢. (٤)سريرتهم : من السِّرِّ وهو: ما يكتم، والسريرة تطلق على: جوف كل شيء ولبه . انظر: القاموس المحيط/٥٢٠. ومختار الصحاح/٢٩٥. (٥)الأعراف /١٢٩.

وَكَشَفَ عنه - لَمَّا رَأى أَنهم لَمْ يَتسلُّوا بذلك - قائلاً : عَسَى رَبُّكم أنْ يُهلكَ فرعونَ ويستخلفَكم بعدَه في أرضِ مصرَ ، فيرَى ما تعملونَ من شكرٍ وكفرانٍ ، وطاعةٍ وعصيانٍ ، ليجازيكم على حسبِ ما تُقدمونه (١) .

فموسى - عليه السلام - يَترفعُ - هنا - عن خلطِ بني إسرائيل ، إذ أنهم رَبَطُوا بَينَهُ وبينَ ابتلاءِ اللهِ لهم بفرعونَ .

ويُسارعُ موسى - عليهِ السلامُ - في المقابلِ إلى ذكرِ موقفِه من ذلكَ مرةً ثانيةً . ولكنه - هنا - فَصَّلَ لهم ما أَجملَهُ ورَمزَ إليهِ هناك .

وهذا يُنبئُنَا عن موقفِ يهودَ من أنبيائِهم . فإذا رأوا منهم خيراً أَكلُوه . وإذا تَخَيَّلوا خِلافَهُ - لفسادِ سريرتِهم - أَنْكَرُوا على أنبيائِهم وتَعَرَّضُوا لَهُمْ .

وإذا كانَ حالُ يهودَ مع أنبيائِهم هَكذا ، فكيفَ سيكونُ حالُهم مع غيرِهم لاسيما المسلمين !

وفي ذلك يقولُ صاحبُ الظلال : " إنها كلماتٌ ذاتُ ظِلٍ ! وإنها لَتَشِي بما ورائَها من تَبرمٍ (٢) ! أُوذينا قبلَ مجيئِك وما تَغيَّرَ شيءٌ بمجيئِك . وطَالَ هذا الأذى حتى ما تَبدو له نهايةٌ !

ويَمضِي النبيُّ الكريمُ على نهجِهِ . يُذكِّرُهُم باللهِ ، ويُعلِّقُ رجاءَهم بهِ ، ويُلوحُ لهم بالأملِ في هلاكِ عدوِّهم . واستخلافِهم في الأرضِ . مع التحذيرِ من فتنةِ الإستخلاف" (٣) .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ٤٤١/١ . وتفسير النسفي ٧٢/٢ .
(٢) تبرم : من بَرِم ، والبَرَمُ : الضجر والملل . انظر : القاموس المحيط/١٣٩٤ . ومختار الصحاح/٥٠ .
(٣) في ظلال القرآن ١٣٥٥/٣ .

(المطلب الثالث)

(موقفه من موسى)

لَمْ يَكتَفِ فِرعونُ - بعدَ هزيمتِهِ الساحقةِ في جولةِ لقاءِ السحرةِ - بذلك الموقفِ السيءِ الذي اتخذَه من السحرةِ الذين آمنُوا ، وكذلك من بني إسرائيلَ . بلْ جَاءَ - هنا - ليضيفَ موقفاً سيئاً آخرَ للموقفينِ السالفينِ .

ولكن هذه المرة كان موقفُه السيءُ مع موسى - عليه السلام - وتفصيلُ ذلك فيما يلي :

أولا : الحكم بالقتل :

وذلك قولُه - تعالى -: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)) (١) .

أي قالَ فرعونُ لملإِهِ : ذَروني أَقتلْ موسى ، وليدعُ ربَّه الذي يَزعمُ أنه أَرسلَه إلينا فَيمنَعهُ مِنَّا ، إني أخافُ إنْ لَمْ أَقتلهُ أن يغيرَ دينَكم أو أَنْ يُظهرَ في أرضِ مصرَ الفسادَ الذي يَقعُ بسببِ الخلافِ بينَ الناسِ (٢) .

وفي قولِهِ : (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) تمويهٌ على قومِه ، وإيهامٌ لهمْ أنهم هم الذين يَكفُّونَه ، وما كان يَكُفُّهُ إلا ما في نفسِه من هولِ الفزعِ (٣) .

وأما سببُ خوفِه من قتلِ موسى ، فقد اختُلفَ فيه إلى قولين :

١- ذَهبَ فريقٌ إلى أنه كانَ يَخشَى أن يُعاجلَ بالعقوبةِ إذا أَقدمَ على قتلِه (٤) .

٢- ذَهبَ فريقٌ آخر إلى أنه كان يَخشى ظهورَ معجزاتٍ قاهرةٍ تَمنعهُ من ذلك ، فَيُفتضح أَمرُه (٥) .

وإنني أميلُ إلى القولِ الثاني . ذلك أَنَّ معجزةَ العصا التي سُرعانَ ما تَتحولُ إلى ثعبانٍ ضخمٍ يَلتقمُ كلَّ ما أَمَامَه - كما فَعَلَ بعصيِّ وحبالِ السحرةِ (٦) - كانت مخيفةً لفرعونَ ومرعبةً لهُ . إذ أَنَّ الثعبانَ الذي ابتلعَ ذلك العددَ الضخمَ من العصيِّ والحبالِ ، قادرٌ على ابتلاعِ فرعونَ . فلعلَّ هذا هو المخيفُ لفرعونَ .

أما القولُ الأولُ ففيه نظرٌ . ذلك أَنَّ فرعونَ لو كان يَخشى أن يُعاجلَ بالعقوبةِ لما كَفَرَ أصلاً . غير أنه كان يَعيشُ ساعتَه ، فهو لا يخافُ من شيءٍ مؤجلٍ لا يَراهُ ، ولكنه كان يَخشى من الثعبانِ الضخمِ الذي أمامَ عينيهِ .

---

(١) غافر/٢٦ . (٢) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٧ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٠٥ ط: المصورة . (٣) انظر: تفسير النسفي ٤/٧٥ .
(٤) انظر: الكشاف ٣/٤٢٣: وتفسير النسفي ٤/٧٥: وتفسير أبي السعود ٥/٧ .
(٥) انظر: التفسير الكبير ٢٧/٥٥ . (٦) راجع ص/١٠٨ .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُه - تعالَى - : ((لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)) (١) . والشاهدُ أنهم يَخشونَ الشيءَ الماديَّ المتمثل أمامهم .

ومن الجدير ذكرُه أن المفسرينَ ذهبوا إلى أنَّ الآيةَ تُوحِي بأن هناكَ من قومِ فرعونَ من كان يَكُفُّهُ عن قَتْلِ موسى . وذلك خشيةً منهم أن تَدخلَ الشبهةُ على الناسِ بقتلِهِ ،فيظنون صِدْقَهُ وإلا لَمَا قُتِلَ ، أو لإيمانِهم الذي كانوا يُخفونَه من فرعونَ ، أو لأنهم أرادوا أنْ يَبْقَى قَلْبُ فرعونَ مشغولاً بموسى فلا يَتفرغُ لهم فيؤدبهم ، أو لأن هذا البعض كان يَخشى من انتقامِ إلهِ موسى ، لأنهم كانوا يَعتقدونَ بتعددِ الآلهةِ (٢) .

والذي يبدو لي أن هذا البعض كان يَحتالُ على فرعونَ لكي لا يقتلَ موسى لسببٍ أو لآخرَ - كما أسلفنا - . غير أن هذا البعضَ لم يكنْ يَعرفُ أنَّ فرعونَ كان عاجزاً عن تنفيذِ ذلكَ ، لخوفِهِ الشديدِ من مُوسَى .

فكان فرعونُ يَستغلُّ دعوةَ هذا البعضِ ويقولُ : (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) موحياً لهم بأنهم هم المَانعونَ لهُ . وإلا ففرعون لا يستطيعُ أَحدٌ أنْ يمنَعَهُ من قتلِ موسى ، الذي يُمثلُ الخَطَرَ الدَّاهِمَ عليهِ وعلى ملكِهِ وسلطانِهِ .

فإذا أَضَفْنَا إلى ذلك حرصَ فرعونَ الشديدَ على ملكِهِ وسلطانِهِ - بحيث كان يُقَتِّلُ الصغارَ في مهدِهِم من أجلِ ذلك ، وكذلك فَعَلَ بالسحرةِ إذ قَتَلَهُمْ عندما آمنوا - لَعَلِمْنَا أنه لا يُمكنُ أن يتأخرَ عن قتلِ موسى إلا بسببٍ قويٍّ يَمنعُهُ من ذلك .

وهكذا يَتضحُ - لنَا - أَنَّ الطغاةَ لا يَتأخرونَ عن الحكمِ بالموتِ على أصحابِ الدعواتِ ، إذا ما هُزموا أمامَهم وفَشِلُوا في إبعادِهم عنْ دعوتِهم (٣) .

كما ويَتضحُ - لنَا - أيضاً أن الطغاةَ لا يَتورعونَ عن تلفيقِ (٤) التهمِ المختلفةِ للدعاةِ . وذلك ليكونَ عندهم مبررٌ للفتكِ بِهِم (٥) .

كما ويَتضحُ - لنَا - أَنَّ تلكَ التهمَ التي اتُّهِمَ بها مُوسى ، هي نَفْسُها التي يُتهمُ بها الدعاةُ المُصلحونَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ (٦) .

وقد أَشارَ صاحبُ الظلالِ إلى ذلكَ قائلاً : " أَليستْ هِيَ بعينِهَا كلمةُ كُلِّ طاغيةٍ مفسدٍ من كلِّ داعيةٍ مصلحٍ ؟ أليست هي بعينِها كلمةُ الباطلِ الكالحِ في وجهِ الحقِّ الهادئِ ؟ إنه منطقٌ واحدٌ ، يَتكررُ كلما التقَى الحقُّ والباطلُ، والإيمانُ والكفرُ . والصلاحُ والطغيانُ على توالِي الزمانِ واختلافِ المكانِ" (٧) .

---

(١) الحشر/١٣ . (٢) انظر: الكشاف ٤٢٣/٣ . وتفسير النسفي ٧٦/٤ . والتفسير الكبير ٥٥/٢٧ . وفي ظلال القرآن ٣٠٧٨/٥ . (٣) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع/٩٢، ١١٨، ١١٩، ١٣٠ . (٤) تلفيق : من لَفِق ، يقال : أحاديث ملفقة ، أي : أكاذيب مزخرفة . انظر : القاموس المحيط/١١٩٠ . ومختار الصحاح/١٠١ . (٥) سبقت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع/: ٦٨، ٦٩، ٨٣، ١١٧ . (٦) ورد الحديث مفصلا عن ذلك . راجع/٦٨، ٦٩، ١١٧ . (٧) في ظلال القرآن ٣٠٧٨/٥ .

كما ويَتضحُ - لنا - أيضاً أنَّ الطاغيةَ إذا فَشِلَ في استخدامِ جبروتِهِ ضد الحق القوي ، وإذا هُزِمَ أمامَه ، فانه يَعمدُ إلى إيهام الناسِ بأنه هو الأقوى على الساحةِ ، وأنه هو فارسُ الميدانِ ، مستخدماً بذلك ما يُحققُ مُرادَه من الأساليبِ المختلفةِ - كما فعل فرعون هنا على ما أسلفنا - .

ثانيا : موقف موسى من الحكم :

لَمَّا بَلَغَ موسَى - عليه السلام - تَوعُّدُ فرعونَ له بالقتلِ ، لَجَأَ إلى اللهِ مُحتمياً به ضد الطاغيةِ . ولم يكن لموسى أن يفرَّ من مصرَ كما فَعَلَ عند قتلِهِ للقبطيِ[1] ، لأنه صَارَ - هنا - صاحبَ دعوةٍ ، لا يمكنُ له أن يَتخلَّى عنها ، بل لابد له أنْ يَتفانَى في نصرتِها حتى يُظهرَها اللهُ أو يهلكَ دونَها .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)) [2] .

أي قالَ موسى مُخاطباً قومه : إني استعذتُ باللهِ ربِّي وربِّكم واستجرتُ بهِ من كلِّ متعظمٍ عن الإيمانِ بهِ ، وصفتُهُ أنه يَكفرُ بيومِ الحسابِ ولا يُؤمنُ بهِ[3] .

وفي قولِهِ : (مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ) إشارةٌ إلى اشتمالِ استعاذتِهِ لِفرعونَ وغيرِه من الجبابرةِ على طريقةِ التعريضِ فيكون أبلغَ .

وفي قولِه : (لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) إشارةٌ إلى أن من اجتمعَ فيه التجبرُ ، والتكذيبُ بالجزاءِ ، وقلةُ المبالاةِ بالعاقبةِ ، فقد اسْتَكملَ أسبابَ القسوةِ والجراءةِ على اللهِ وعباده ، ولَمْ يَترُكْ عَظيمةً إلا ارتكبَهَا[4] .

وهكذا وَقَفَ موسى من فرعونَ ووعيدِهِ موقفَ القويِّ باللهِ والمعتزِ بهِ .

فاللهُ هو القاهرُ لفرعونَ وأمثالِه من الطواغيتِ المتكبرينَ . واللهُ هو الذي يَحمي من التَجَأَ إلى جنابِهِ ويُنجيهِ من بطشِ الطواغيتِ .

فموسى - هنا - لَمَّا التَجَأَ إلى اللهِ ، لا جَرَمَ أنْ نَجَّاهُ اللهُ مِنْ فرعونَ وكيدِهِ - على ما مع الأخيرِ من قوةٍ وسلطانٍ ودولةٍ - .

بَلْ وَقَيَّضَ اللهُ لَهُ من يُدافعُ عنهُ ويُنافحُ كما سَيَجيءُ في النقطةِ التاليةِ .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أن على الدعاةِ المستضعفينَ في الأرضِ أن يَلجَأُوا إلى اللهِ في صراعِهم الإيمانيِّ مع الطواغيتِ ، وأن يَستَعيذوا بهِ من كلِّ جَبَّارٍ مُتكبرٍ . فاللهُ هو مَلِكُ الملوكِ ، وهو ربُّ الأربابِ ، وهو الواحدُ القهارُ الذي يَقْهَرُ من يَشَاءُ .

وقد وَجَّهَ اللهُ - تعالى - نَبِيَّهُ مُحمداً - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - إلى ذلك قائلاً : ((إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [5] .

---

(١) سبق الحديث عن هذا . راجع / ٢٩ ومابعدها . (٢) غافر / ٢٧ .
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٠٦ط : المصورة . (٤) انظر : الكشاف ٣/٤٢٣ . وتفسير النسفي ٤/٧٦ . (٥) غافر / ٥٦ .

وقد كان رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يَتعوذُ باللهِ مِنْ كل بلاءٍ وسوءٍ ، ومن ذلك قولُه : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)[١] ، وقولُه : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)[٢] .

وكان رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يَأمرُ أَصحابَه بالتعوذِ باللهِ مِنْ كُلِّ سوءٍ ، ومنْ ذَلِك قولُه لَهُمْ : (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)[٣] .

ثالثا : موقف مؤمن آل فرعون من الحكم :

بعدَ أن قالَ فرعونُ لملإِهِ كما جَاءَ في القرآنِ : ((... ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ...))[٤] الآية ، انتدبَ رجُلٌ من آلِ فرعونَ يَكتمُ إِيمانَهُ يُنافحُ عن موسى ، ويَحتالُ لدفعِ القتلِ عنه . ويَسلُكُ في خطابِهِ لفرعونَ وملإِهِ مَسالكَ شَتَّى ، ويَتدسسُ إلى قلوبِهم بالنصيحةِ ، ويُثيرُ حَساسيتَها بالتخويفِ والإقناعِ[٥] . وتفصيلُ ذلك كما يلي :

قال - تعالى - : ((وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ))[٦] .

أي : قالَ الرجلُ المؤمنُ من آلِ فرعونَ الذي كانَ يَكتمُ إِيمانَه خشيةً مِنهم : أَتَقتلونَ أيُّها القوم موسى ، لِأَنْ يقولَ ربي الله ، وقد جَاءَكم بالدلالاتِ والبيناتِ المتمثلةِ في العصا واليدِ . فان يَكُ كاذباً فإثمُ كذبِهِ عليه دونكم ، وان تَكُ الأخرى يُصبكُم ما وَعَدَكم من العقوبةِ . إِنَّ اللهَ لا يُوفقُ كُلَّ متعدٍ للحق كذابٍ عليهِ[٧] .

وقد اختلفَ العلماءُ في هذا المؤمنِ . هل هو من آلِ فرعونَ ، أم هو من غيرِهم ولكنه كان يَكتمُ إِيمانَه عنهم . وتفصيلُ ذلك كما يلي :

١- ذَهَبَ غالِبُ المُفسرينَ إلى أنه من آلِ فرعونَ حقيقةً ، وكان يَكتمُ إِيمانَهُ خشيةً مِنْهُمْ[٨] .

٢- ذَهَبَ البعضُ إلى أنه كان إسرائيلياً[٩] .

واستدل أصحابُ القولِ الأولِ بالأدلةِ الآتيةِ :

١- إنه لو كان إسرائيلياً لما تجرأَ أن يقفَ هذا الموقف[١٠] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الذكر والدعاء) باب: (التعوذ من العجز ...) ٨/٧٥ . (٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الرقاق) باب: (أكثر أهل الجنة ...) ٨/٨٩ . (٣) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب: (القدر) باب: (من تعوذ بالله من درك الشقاء ...) ٧/٢١٥ . (٤) غافر/٢٦ . (٥) انظر: في ظلال القرآن ٥/٢٠٧٨ وما بعدها . (٦) غافر/٢٨ . (٧) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٨ ط٢ .
(٨) (٩) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٧، ٥٨ ط٢ . والكشاف ٣/٤٢٥ والتفسير الكبير ٢٧/٥٧ . وزاد المسير ٧/٢١٧ . وتفسير النسفي ٤/٧٧ . (١٠) انظر: نفس المرجع . الطبري . نفس المكان . والبحر المحيط ٧/٤٦١ .

٢- إنَّ فرعونَ لم يَستنصحْ بني إسرائيل لإعتدادِهِ إياهم أعداءً[١].

٣- قولُ المؤمنِ بعد ذلك كما ذكرَ القرآنُ : ((... فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ...))[٢] دليلٌ ظاهرٌ على أنهُ يَتنصحُ لقومِهِ[٣] .

وأما أصحابُ القولِ الثاني فلم أَعْثَرْ لهم على دليلٍ - في المراجع التي رَجعت إليها - إلا أنهم وَجَّهوا مَعنى الآيةِ هكذا : وَقَالَ رجلٌ مؤمنٌ يَكتمُ إيمانَه مِنْ آلِ فرعونَ . وَرَدَّ عليهم أصحابُ القولِ الأولِ : بأن (كَتَمَ) لا تَتَعدى بمن ، وإنما تَتَعدى بنفسِها ومثالُ ذلك قولُه-تعالى-: ((... وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا))[٤][٥] .

والذي أَميلُ إليهِ هو القولُ الأولُ . وذلك للأدلةِ التي ذَكَروها ، إضافةً للأدلةِ الآتيةِ :

١- ظاهرُ الآيةِ القريبُ يُفيدُ ذلك . فلا يُتركُ الظاهرُ القريبُ ويُذهبُ للبعيدِ دونَ دليلٍ .

٢- مخاطبةُ المؤمنِ لهم بعدَ ذلك مراتٍ كثيرةٍ بـ(يَا قَوْمِ)- كما سَيَجيءُ مَعَنَا - يَدلُّ على أنهُ مِنهم . وإلا فالإسرائيلي لا يستطيعُ أن يُخاطبَهم بذلك ، باعتبارِهِ - على حدِّ اعتقادِهم - في منزلةِ العبدِ والمنبوذِ .

وكذلك اختلَفوا في المؤمنِ . هل هو من أقاربِ فرعونَ ، أو من قومِهِ ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

ذَهَبَ البعضُ إلى أنهُ مِنْ أَقاربِهِ ، ومنهم من حَدَّدَهُ بابن عمِّه . وذَهَبَ آخرون إلى أنه من قومِهِ فقطْ[٦] .

والذي يَعنينا أنه من آلِ فرعونَ . فيجوزُ أن يكونَ من أقاربِهِ ويجوزُ أن يكونَ من قومِهِ .

غيرَ أنهُ - لابد أن يكونَ - من أشرافِهم العظماءِ ، بدليلِ حضورِهِ مجلسَ فرعونَ، ومناقشتِهِ في أخطرِ القضايا التي تَهمهُ وتَعنيه ، إضافةً إلى إبدائِهِ النصيحةَ لَهُ .

ومن الجديرِ ذكرُهُ أَنَّ القُرْطُبِيَّ ذَهَبَ - في تفسيرِهِ - إلى أَنَّ المقصودَ بالآياتِ هنا الآياتُ التسعُ التي وَرَدَ تفصيلُها في سورةِ الأعراف[٧] - على ما سَيَجيءُ معنا - .

وهذا فيهِ نظرٌ . إذ أنَّ سياقَ الآياتِ في سورةِ الأعرافِ[٨] ، وغافرٍ[٩] يُثبتُ أَنَّ حادثةَ مؤمنِ آلِ فرعونَ وَقَعَتْ قبلَ نزولِ تلك الآياتِ .

ومما يُعضدُ هذا ما ذَهَبَ إليهِ الطَّبَرِيُّ[١٠] ، وأَبُو حَيَّانَ[١١] ، وصَاحِبُ الظِّلالِ[١٢] .

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٨ ط٢ . (٢) غافر/٢٩ . (٣) انظر: الكشاف ٣/٤٢٥ .
(٤) النساء/٤٢ . (٥) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٥٧ . والبحر المحيط ٧/٤٦١ .
(٦) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٥٧ . وزاد المسير ٧/٢١٧ . (٧) انظر: الأعراف/١٣٠-١٣٣ .
(٨) انظر: الأعراف/١٣٠-١٣٣ . (٩) انظر: غافر/٢٣-٢٨ . (١٠) انظر: جامع البيان ٢٤/٥٨ ط٢ . (١١) انظر: البحر المحيط ٧/٤٦١ . (١٢) انظر: في ظلال القرآن ٥/٣٠٧٩ .

وبذلكَ يَتضحُ - لنا - أنَّ اللهَ - تعالى - لا يَنسى عِبادَه المؤمنينَ المجاهدينَ - لنصرةِ دينِه - في وقتِ المحنةِ والشدةِ . بل قد يُسخرُ لهم - من غيرِهم - من يُدافعُ عنهم ويُنافحُ . كحالِ مؤمنِ آلِ فرعونَ - هنا - .

كما ويتضحُ - لنا - أهميةَ الدورِ المنوطِ[1] بالقائدِ المسلمِ - خليفةً كانَ أو والياً أو أميراً أو غيرَ ذلكَ - بحيث يقعُ على أهلِ الحقِّ المحافظةُ عليه من أهلِ الباطلِ ، سواءً أكانَ ذلك بدحضِ التهمِ المكذوبةِ عليه، أو بدفعِ القتلِ عنهُ .

ومثالُ ذلك ما كانَ يَقومُ به حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ* - رضيَ اللهُ عَنْهُ - من المنافحةِ عن القائدِ الأعظمِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - . وفي ذلكَ يَقولُ لَهُ الرسولُ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - :(إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[2] ، بَلْ وكانَ يَدعو له قائلاً : (أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[3] .

ومثالُ ذلكَ ما رواهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** - رَضِيَ اللهُ عنهُ - :(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُفْرِدَ يَومَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ : مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضاً فَقَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِصَاحِبَيْهِ : مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا)[4].

ومثالُ ذلك أيضاً - ما رواهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ*** قُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى

---

(١) المنوط : المعلق . أنظر: القاموس المحيط/٨٩٢ . ومختار الصحاح/٦٨٥ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه . كتاب:(الفضائل) باب:(من فضائل حسان ابن ثابت) ٧/١٦٥ . (٣) رواه مسلم في صحيحه . كتاب:(الفضائل) باب: (من فضائل حسان ...) ٧/١٦٢ ، ١٦٣ . (٤) رواه مسلم في صحيحه . كتاب :(الجهاد والسير) باب:(غزوة أحد) ٥/١٧٨ .

* حسان بن ثابت : هو:حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . واسمه تيم الله ، بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. يكنى:أبا الوليد ، وقيل أبا عبدالرحمن ، وقيل : أبا الحسام . صحابي جليل شاعر الرسول يناضل وينافح عنه . وكان الرسول ينصب له منبرا في المسجد . روى عن النبي ، وعنه ابنه عبدالرحمن . توفي سنة ٤٠ هـ وقيل ٥٠ ، وقيل ٥٤هـ عن ١٢٠ سنة . انظر: أسد الغابة ٢/٥-٧ رقم (١١٥٣). والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٦٢-٦٥. وخلاصة تذهيب الكمال ١/٢٠٦ رقم (١٢٠١).

** أنس بن مالك : هو:أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري. صحابي جليل ، وخادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحد المكثرين من الرواية عنه . شهد بدرا . روى عن النبي وروى عنه : ابن سيرين، وقتادة والحسن البصري وخلق . آخر من توفي بالبصرة سنة ٩٠هـ وقيل ٩١، ٩٢، ٩٣، عن ٣ سنين . وقيل:نحو ذلك . انظر: أسد الغابة ١/١٥٧-١٥٩ رقم (٢٥٨). والإصابة في تمييز الصحابة ١/١٢٦-١٢٩ رقم (٢٧٧). وشذرات الذهب ١/٢٥، ٦٢، ٦٣، ٧٦ .

*** عبدالله بن عمرو بن العاص: هو:عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي. كنيته أبو محمد. صحابي جليل كان اسمه العاص ، فبدله النبي بعبدالله . روى عن النبي ،وعن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه من الصحابة : ابن عمر وأبو أمامة وغيرهم . وعنه من التابعين : سعيد بن المسيب ، وعروة ،وطاوس، وعكرمة ،وخلق . مات بالشام سنة ٦٥هـ عن ٧٢ سنة . وقيل سنة ٦٨هـ، وقيل مات بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٩٢-١٩٤ رقم (٤٨٥٠). وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٨٣ رقم (٣٦٨٨). والإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٩٥٦-٩٥٩ رقم (١٦١٨).

الله عليه وسلم - ، قَالَ : بَينَما النبيُّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - يُصلي في حجرِ الكعبةِ إذ أقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبي معيط * فَوضعَ ثوبَه في عنقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقاً شديداً ، فأقبلَ أبو بكرٍ حتى أَخَذَ بمنكبِهِ وَدفَعَهُ عن النبيِّ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - قَالَ : ((..أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ..))(١) (٢) .

ثم إنَّ المؤمنَ ألقى سؤالاً رهيباً على مسامعِ القومِ محذراً إياهم من بأسِ اللهِ ، وذلك قولُه لهم كما ذكرَ القرآنُ : ((يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ...))(٣) .

أي يا قومُ - وهو نداءٌ متلطفٍ - لكم الملكُ اليومَ عالينَ في أرضِ مصرَ، وقد غلبتُم بني إسرائيل وقَهرتُموهم واستعبدتُموهم ، فَمَنْ يَنْصُرنا ويَدفعُ عنّا بأسَ اللهِ إن جاءَنا - وقد أدرجَ نَفسَه معهم في قولِه (يَنْصُرُنَا) و (جَاءَنَا) لِيُعْلَمَ أنَّ الناصحَ لهم مشاركٌ لهم فيه، إضافةً لقرابتِهِ منهم(٤) .

ولما سَمِعَ فرعونُ ذلك السؤالِ انتدبَ(٥) مجيباً عليه ، مبيناً لهم أنَّ طريقَه هو الطريقُ الوحيدُ الصائبُ ، وما غيرُه باطلٌ. وذلك قولُه : ((... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))(٦) .

أي: ما أُشيرُ عليكم إلا بقتلِه ولا أستصوبُ إلا ذلك - وهذا قولُ من لا تَحكم لَهُ ، وأتَى بما وإلا للحصرِ والتأكيدِ - وما أرشدُكم إلا طريقَ الرشادِ ، لا ما تَقولونَهُ من تركِ قتلِه - وقد كَذَبَ فقدْ كان خائفاً منه مظهراً للجلدِ -(٧) .

وهكذا يَتضحُ لنا أن الطواغيتَ غالباً ما تَأخُذُهم العزةُ بالإثمِ مَهْمَا ظَهَرَ لهم الحقُّ أبلجَ . والسببُ في ذلكَ أنَّ الدنيا أَثقَلَتْهُم إليها فَعَزَّ عليهم مفارقةُ نعيمِها الزائلِ ، وأنَّ الملكَ والسلطانَ أُشْرِبوا حُبَّهُ في قلوبِهم فعزَّ عليهم مفارقةُ الرئاسةِ الخادعةِ .

ومن الجديرِ ذكرُه أن العزةَ بالإثمِ صفةٌ ملازمةٌ للكفارِ لقولِهِ - تعالى - ((بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ(٨) وَشِقَاقٍ))(٩) ، وهي أيضاً صفةٌ لغيرِ الأتقياءِ - المفسدينَ في الأرضِ - لقولِهِ تعالى - ((وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ(١٠)))(١١) (١٢) .

---

(١) غافر/٢٨. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب: بدء الخلق) باب: (مالقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة)٤/٢٤٠. (٣) غافر /٢٩.
(٤) انظر: البحر المحيط ٧/٤٦٢ . (٥) إنتدب : أسرع، أو تكفل ، أو أجاب انظر: القاموس المحيط/١٧٥. ومختار الصحاح/٦٥١ . (٦) غافر/٢٩ .
(٧) انظر: الكشاف ٣/٤٢٥. والبحر المحيط٧/٤٦٢. (٨) عزة :من عز ،والعزة هي: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب،وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة لموقعها هنا . انظر: المفردات في غريب القرآن/٣٣٢، ٣٣٣. (٩) ص /٢.
(١٠) المهاد :هو المكان الممهد الموطأ . انظر: المفردات في غريب القرآن/٤٧٦. والقاموس المحيط/٤٠٩. ومختار الصحاح/٦٣٨ . (١١) البقرة/٢٠٦. (١٢) وردالحديث عن مثل هذا . راجع/ ٨٣ .

* عقبة بن أبي معيط: هو:عقبة بن أبان - وهو أبو معيط - بن أبي عمرو بن أمية قرشي كافر ، قتله الرسول صبرا يوم بدر . وكان قد ولد لعقبة الوليد الذي أسلم عام الفتح وصار واليا على الكوفة فيما بعد (وستأتي ترجمته) . انظر: جمهرة أنساب العرب /١١٤، ١١٥. والإصابة في تمييز الصحابة ٧/٤٤رقم (٩٦٢٤) .

** أبو بكر : هو: عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة . صاحب رسول الله في الغار والهجرة والخليفة بعده . روى عن النبي. وروى عنه : عمر وعثمان وعلي وغيرهم . يقال : إنه أول من أسلم. وأسلم على يديه خمسة من العشر الأول. كان من أعلم العرب بالنسب . شهد بدرا وأحدا وغيرها من المشاهد مع النبي . وهو خليل الرسول. وفضائله وشمائله أكثر من أن تحصى هنا . توفي يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة ١٣هـ. وصلى عليه عمر بن الخطاب . انظر: أسد الغابة ٣/٣٠٩-٣٢٥ رقم (٣٠٦٤) . وحلية الأولياء ١/٢٨-٣٨رقم (١) .

كما ويَتضحُ - لنا - أنَّ الطواغيتَ لا يَنظرونَ إلا بمنظارِهم، ولا يَرونَ الحقَّ إلا في جانبِهم ، ولا يَرونَ الهدايةَ إلا من جهتِهم . ولابد أن يَقتصرَ سبيلُ الرشادِ على سبيلِهم .

وقدْ استَهزأَ صاحبُ الظلالِ بأصحابِ هذه الرؤيةِ ، التي تَنُمُّ عن عقليةٍ لا تَصلحُ لقيادةِ البهائمِ فضلاً عن الناسِ، وفي ذلك يَقولُ : "... وَهل يَرى الطغاةُ إلا الرشدَ والخيرَ والصوابَ ؟! وهل يَسمحونَ بأن يَظُنَّ أَحَدٌ أنهم قد يُخطئونَ ؟! وهل يَجوزُ لأحدٍ أنْ يَرى إلى جوارِ رأيِهم رأياً ؟! وإلا فَلِمَ كانوا طغاةً ؟! "(١) .

ثُم إن المؤمنَ عَمَدَ - بعدَ أخذِ فرعونَ العزةَ بالإثمِ - إلى ضَربِ أمثلةٍ واقعيةٍ لأممٍ هَلَكَت وغَبَرَتْ ، قَاصداً بذلك هزَّ القومِ من مجامعِ قلوبِهم لعلَّهم يَهتدون . وذلك قولُه كما ذَكَرَ القرآنُ : ((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)) (٢) .

أي قالَ المؤمنُ : يا قومِ إني أخشى عليكم من قتلِ موسى مثلَ أيامِ الطوائفِ الهالكةِ بالتكذيبِ، كقومِ نوحٍ المهلكينَ بالغرقِ، وعادٍ بالريحِ العقيمِ، وثمودَ بالصيحةِ ، وكذلك الأممِ الهالكةِ بعدَهم ، واللهُ لا يُعاقبُ العبادَ بغيرِ ذَنبٍ منهمْ (٣) .

ومن الجديرِ ذكرُه : أنه وَقَعَ ما حَذَّرهم منه المؤمنُ - إذ أن القومَ أَصَرُّوا على كفرِهم فَأُهلِكوا بالغرقِ - فأصبَحوا - فعلاً - مثلَ قَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، بل وَأصبحوا مثلاً - يُضربُ - للأقوامِ الآخرينَ من بعدِهم ، وفي ذلكَ يقولُ المولى - عزَّ وجلَّ - : ((كَدَأْبِ (٤) آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ...)) (٥) ويقولُ : ((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ...)) (٦) .

وهكذا هَزَّ المؤمنُ قلوبَهم هزاً عنيفاً ، بذكرِ مصارعِ الغابرينَ الهالكينَ ، الذين كَفروا بربِّهم فَحَلَّ بهم بأسُهُ . وما فرعونُ وقومُه من بأسِ اللهِ ببعيدٍ .

ثُم إنه لَمْ يَكتفِ بذلك - لِمَا عَلِمَهُ من قساوةِ قلوبِ قومِه - ، بل عَمَدَ إلى ذكرِ يومٍ آخرَ تَقشعرُ (٧) من ذكرِه الأبدانُ ، ألا وهو يومُ القيامةِ .

وذلك قولُه : ((وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)) (٨) .

أي: ويا قومِ إني أخشى عليكم يومَ الآخرةِ - يومَ التنادِ - ، يومَ تُولونَ مُدبرين عن موقفِ الحسابِ إلى النارِ ، ما لكم من عذابِ اللهِ من مانعٍ ، ومن يَخذلهُ اللهُ ولا يُوفقهُ لرشدِهِ ، فما له من موفقٍ يُوفقهُ لَهُ (٩) .

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٣٠٨٠ . (٢) غافر/٣٠، ٣١ . (٣) انظر: محاسن التأويل ١٤/٢١٦٥ .
(٤) كدأب : أي "كعادتهم التي يستمرون عليها" . المفردات في غريب القرآن/١٧٤ . وانظر: القاموس المحيط/١٠٥ . ومختار الصحاح/١٩٦ . (٥) الأنفال/٥٢ .
(٦) الأنفال /٥٤ . (٧) تقشعر : أي: ترتعد . انظر: القاموس المحيط/٥٩٤ . ومختار الصحاح /٥٣٦ . (٨) غافر/٣٢، ٣٣ . (٩) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٣ط٢ . والبحر المحيط ٧/٤٦٤ . وتفسير الجلالين / ٣٩٥ .

وقد ذَهَبَ المُفسرون إلى أَنَّ يومَ القيامةِ سُمِّي بيومِ التنادِ ، لِمَا يَقَعُ من نداءٍ بينَ الخلقِ في ذلكَ اليومِ[١] . وَنَقَلَ الرَّازِيُّ الإجْمَاعَ فِي ذَلِكَ[٢] .

ومثالُ ذلك قولُه - تعالى - : ((وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ...))[٣] ، وقولُه : ((وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ...))[٤] ، وقولُه ((وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ...))[٥] .

وهكذا ذكَّرهم المؤمنُ بذلك اليومِ الذي يَتنادَى فيه الخَلْقُ فيما بينَهم ثم عَقَّبَ - على ذلكَ - بذكرِ موقفِهم - في ذلك اليومِ - المتمثلِ في هروبِهم من عذابِ اللهِ ، ثم بَيَّنَ لهم أَنَّ من لَمْ يُرشِدْهُ اللهُ لطريقِ الهُدى ، فلنْ يَجِدَ له هادياً مُرشداً . وفي هذا ردٌّ على قولِ فرعونَ إذ قَالَ كما ذَكَرَ القرآنُ ((... مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[٦] .

ثم إن المؤمنَ - بعد أن خَوفَهم من يومِ التنادِ - عَمَدَ إلى تذكيرِهم بذلكَ النبيِّ الذي بُعِثَ فِيهم - قبلَ ذلكَ - وَوَقَفوا منهُ موقفاً مشابهاً لموقفِهم من موسى - هنا - .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ))[٧] .

أي : ولقد جَاءكم يوسفُ بن يعقوب - عليهما السلام - بالمعجزاتِ والآياتِ الواضحاتِ من قبل مجيءِ موسى إليكم - فَجعلَ المجيءَ للآباءِ مجيئاً للأبناءِ - حتى إذا مَاتَ قُلتُم لن يُرسلَ اللهُ رسولاً يُقررُ حُجَجَهُ - افتراءً من عندِ أنفسِكم - كذلك يُضِلُّ اللهُ كُلَّ مسرفٍ متشككٍ عند ظهورِ البراهينِ القطعيةِ[٨] .

وبذلك أوقفَهم المؤمنُ على حقيقةِ أنفسِهم المنطويةِ[٩] - منذُ القدمِ - على التشكيكِ بالأنبياءِ وتكذيبِهم . بل وعلى الزعمِ - الكاذب - بعدمِ إرسالِ الرسلِ بعدَ ذلك البَتة .

وبهذهِ الحقيقةِ الناصعةِ التي وَضَعَها أمامَهم بَيَّنَ لهم أن موقفَهم هذا ، إنما هو موقفُ المسرفينَ المرتابينَ الذينَ أضلَّهم اللهُ .

وهم مع كلِّ ذلك صَامتونَ ، لا يُناقشونَه في ادعائِه ، مما يَدلُّ على صدقِه . ثُم إنه بَعَدَ ذلك انْقَضَّ على منهجِهم الخادعِ ، الذي يَقومُ على المجادلةِ في آياتِ اللهِ بغيرِ دليلٍ وبرهانٍ ، ليثبتَ فشلَهُ وانهيارَ مصداقيتِه . وذلك في قولِه - تعالى - : ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً[١٠] عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ))[١١] .

---

(١) انظر: جامع البيان ٦٣/٢٤ ط ٢ . والبحر المحيط ٤٦٤/٧ . والجامع لأحكام القرآن ٣١٢/١٥ ط: المصورة . وغريب القرآن /٣٨٦ . وتفسير النسفي ٧٨/٤ .

(٢) انظر: التفسير الكبير ٦١/٢٧ . (٣) الأعراف /٤٤ . (٤) الأعراف /٥٠ .

(٥) الزخرف/٧٧ . (٦) غافر/٢٩ . (٧) غافر/٣٤ . (٨) انظر: فتح القدير ٤٩١/٤ . ومحاسن التأويل ٥١٦٧/١٤ . (٩) المنطوية: من طَوَى ، بمعنى: كتم، أو: أخفى . انظر: القاموس المحيط/١٦٨٦ . والمعجم الوسيط ٥٧٨/٢ .

(١٠) مقتا: من مَقَتَ ، والمقتُ: البغض الشديد لمن يتعاطى القبيح . أنظر: المفردات في غريب القرآن /٤٧٠ . (١١) غافر/ ٣٥ .

أي قالَ المؤمنُ - مستأنفاً - : الذينَ يُخاصِمونَ في حججِ اللهِ التي أتتهم بها رسلُه ، بغيرِ برهانٍ من عند ربِّهم ، كَبُرَ ذلك الجدال مقتاً عندَ اللهِ وعندَ المؤمنينَ . كذلك يَطبعُ اللهُ على كُلِّ قلبِ متكبرٍ على اللهِ أنْ يُوحدَه ويُصدقَ رُسلَه ، متعظمٍ عن اتباعِ الحقِّ (١) .

وفي قولِه : (كَبُرَ مَقْتاً) : " ضَرْبٌ منَ التعجبِ ، والإستعظامِ لجدالِهم ، والشهادةِ على خروجِهِ من حدِّ إشكالِهِ مِنَ الكبائرِ " (٢) .

ومن الجدير ذكرُه أنَّ ابنَ كَثِيرٍ ذَهَبَ - في تفسيرِه - إلى أنَّ هذه الآية من قولِ اللهِ ، وليسَ من قولِ المؤمنِ ، ولم يَذكرْ دليلاً على قولِه (٣) .

وهذا فيه نظرٌ ، إذ أنَّ ظاهرَ السياقِ يُفيدُ أنه من كلامِ المؤمنِ فلا نَترُكُ الظاهرَ القريبَ للبعيدِ دونَ دليلٍ .

وهكذا هَدَّمَ المؤمنُ لهم ذلك المنهجِ البعيدِ في الضلالِ . جدالٌ بغيرِ برهانٍ أو دليلٍ . جدالٌ بالباطلِ . جدالٌ يُسببُ مقتَ اللهِ ، ومَقتَ المؤمنينَ . جدالٌ لا يَنتحلُه (٤) إلا المتكبرونَ الجبارونَ الذين طَبَعَ اللهُ - عز وجل - على قلوبِهم .

ومن الجدير ذكرُه أنَّ اللهَ - سبحانه - قد حذَّرنا من المجادلةِ بغيرِ حقٍ ، فقالَ : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)) (٥) ، ثُم إنه جَعَلَ ذلكَ علامةً على الكافرينَ ، فقال : ((..وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ..)) (٦) .

وهكذا نَتوقعُ إيمانَ فرعونَ وملإِهِ بعدمَا سَمعوا تلكَ الحججَ والبراهينَ والأدلةَ - التي سَاقها المؤمن - التي تُثبتُ صِدْقَ موسى ، والتي من شأنِها أنْ تُثنيهم عن قتلِه .

ولكن يَخيبُ ظَنَنَا إذا وَقَفْنَا على موقفِ فرعونَ بعدَ ذلك ، الذي يَدُلُّ على انطواءِ قلبِه على كفرٍ وجحودٍ لَمْ يُعهدْ إلا في أمثالِهِ .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ))(٧) .

أي قالَ فرعونُ : ياهامانُ - وكان وزيرَه - ابن لي بناءً ، لعلي أبلغُ من أسبابِ السماواتِ أسباباً - طُرقاً أو أبواباً أو منازلَ أو غير ذلك - أتسببُ بها إلى رؤيةِ إلهِ موسى ، وإني لأظنُه كاذباً في زعمِهِ وادعائِهِ أنَّ له في السماءِ رباً أرسله إلينا .

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٣ ط٢ . (٢) الكشاف ٣/٤٢٧ . (٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٧٩ . (٤) لا ينتحله : أي: لا ينسبه لنفسه أو يدعيه . انظر: القاموس المحيط/١٣٧١ . ومختار الصحاح/٦٥٠ . (٥) الحج/٨، ولقمان /٢٠ . (٦) الكهف/٥٦ . (٧) غافر /٣٦ ، ٣٧ .

وهكذا زُينَ لفرعونَ قبيحُ عملهِ ، وما احتيالُ فرعونَ إلا في خسارٍ وهلاكٍ[١] .

وفي قولِه : (فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) إقرارٌ منه بإلهِ موسى ؛ فلم استدركَ ذلك قالَ : (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا)[٢] .

وقد اختلفَ المفسرونَ في بناءِ الصرحِ حقيقةً أم لا إلى قولينِ كما يلي:

ذَهبَ البعضُ إلى أنه بَنَى الصرحَ حقيقةً[٣] .

وذَهبَ البعضُ الآخرُ إلى أنهُ لم يَبنه ، وإنما كان مرادَه التعجيزُ ، أو الإستهزاءُ والسخريةُ ، أو التظاهرُ بالإنصافِ والتثبتِ من جهةٍ أخرى .

واستدلوا : بأن فراعنةَ مصرَ بلغوا من الثقافةِ حداً يَبعدُ معه ذلك التصور[٤] .

ويبدو أننا لا نستطيعُ أن نجزمَ بأحدِ القولينِ دون بينةٍ . أما دليلُ القولِ الثاني ففيهِ نظرٌ . إذ قد يُبنى الصرحُ - ليسَ لضعفِ ثقافةٍ وإنما - ليخدعَ عامةَ الناسِ ، كقوله : ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ..))[٥] .

وهكذا يَتجلّى - لنا - من خلالِ هذه الآيةِ الكريمةِ مدى التجبرِ والتكبرِ الذي يَتصفُ به جبابرةُ الأرضِ على دعوةِ اللهِ .

إذ يَبلغُ بهم الأمرُ إلى بناءِ الصرحِ - سواءً أكان حقيقةً أم استهزاءً أم تمويهاً - للإطلاعِ على ربِّ العالمينَ !

فهذه الآياتُ توقفنا أمامَ تلك الشخصياتِ - الطاغوتيةِ - المعدومةِ الإيمانِ والتواضعِ للهِ . تلك الشخصيات المقرونة بالكفرِ والتجبرِ والتكبرِ على دعوةِ اللهِ .

ولذلك لا نَعجبُ من قولِ اللهِ فيهم: ((ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا))[٦] ، ومن قولِ الرسولِ - صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ - (إِحْتَجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ...)[٧] الحديث .

وأمامَ ذلك التمويهِ والإستهزاءِ الذي مَارَسَهُ فرعونُ ، لَمْ يقفِ المؤمنُ موقفَ الضعيفِ العاجزِ ، وَلَمْ يُناقشْ ذلك الزعمَ الباطلَ ، بل بَدَأَ يَنصحُ لَهُمْ ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ))[٨] .

أي قالَ المؤمنُ : يا قومِ إن اتبعتُموني أرشدتُكم طريقَ الرشدِ والصوابِ ، - فأجمل لهم ثم فصل - ، ما هذهِ الحياةُ الدنيا العاجلةُ إلا متاعٌ فانٍ ، وإنَّ الدارَ الآخرةَ هي الباقيةُ التي لا يَزولُ نعيمُها ومتاعُها ، فمن عَمِلَ بمعصيةِ اللهِ في دنياه سَيُجَازى عن ذلك في أُخراهُ ، ومن عَمِلَ بطاعةِ اللهِ وهو مؤمنٌ

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٦ط٢ .
(٢) انظر: البحر المحيط ٧/٤٦٦ .
(٣) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٦ط٢ .
(٤) انظر: التفسير الكبير ٢٧/٦٧ . وفي ظلال القرآن ٥/٣٠٨٢ .
(٥) الزخرف /٥٤ .
(٦) مريم / ٦٩ .
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: (الجنة وصفة ..) باب: (النار يدخلها الجبارون..) ٨/١٥٠ ، ١٥١ .
(٨) غافر/٣٨- ٤٠ .

فأولئكَ يدخلونَ الجنةَ في الآخرةِ ، ويُرزقونَ من ثمارِها ونعيمِها بغيرِ حسابٍ(١) .

وهكذا نَصَحَهم - المؤمنُ - نصيحةً صادقةً واضحةَ المعالمِ . إذ بَيَّنَ لهم أنَّ الدنيا لا تَتَعدى المتاعَ الزائلِ ، بخلافِ الآخرةِ دارِ القرارِ والنعيمِ الباقي ثم ثَنَّى لَهمْ ببيانِ الطريقِ المُؤدّي للآخرةِ وما فيها من نعيمٍ.

وبذلك ثَبَّطَهُمْ(٢) عن الدنيا والمعصيةِ ، وَرَغَّبَهم في الجنةِ والطاعةِ وشَجَّعَهم على اتباعِ سبيلِ الرشادِ .

ثُم إنه عَمَدَ إلى ذكرِ مقارنةٍ بينَ دعوتِهِ ودعوتِهِم ، ليظهرَ بذلك الحقُّ دونَ لبسٍ.

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ . لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)) (٣) .

أي :ويا قومِ ما لي أدعوكم إلى طريقِ الإيمانِ والنجاةِ من عذابِ اللهِ ، وتَدعونني إلى عملِ أهلِ النارِ . تَدعونني لأكفرَ باللهِ وأشركَ في عبادتِهِ أوثاناً لا علمَ لي بصلاحيتِها بالشركِ مع اللهِ . وأنا أدعوكم إلى عبادةِ العزيزِ في انتقامِهِ ، الغفارِ لمعصيةِ من تابَ إليهِ . حقاً إن الذي تَدعونني إليهِ من الأوثانِ ليس له دعاءٌ في الدنيا والآخرةِ. لأنه جمادٌ لا ينطقُ ولا يفقهُ ، وإنَّ مَردنا جميعاً إلى اللهِ ، وأنَّ المسرفينَ المشركينَ هم أصحابُ جهنَّم (٤) .

وبذلك بَيَّنَ لهم ضلالَ ما هم فيه من الكفرِ والشركِ ، الذي سَيئولُ بهم إلى نيرانِ جهنمَ . وفي المقابلِ جَلَّى لهم طريقَ اللهِ الذي سَينتَهي بأتباعِهِ إلى الجنانِ ونعيمِها .

ومن الآياتِ الماضيةِ والتي قَبْلَهَا - من ابتداءِ كلامِهِ مَعَهم - يَتضحُ - لنا - أنهُ أخلصَ لهم النصيحةَ ، وَفَصَّلها بأسلوبٍ جميلٍ مُبسطٍ ، مدللاً على صدقِ دعوتِهِ بأقوى الأدلةِ والبراهينِ التي يَنهارُ أمامَها كُلُّ ادعاءٍ كاذبٍ.

وبعدَ كُلِّ هذهِ النصائحِ والبراهينِ والتوجيهاتِ ، لَفَّ القومَ وغَشِيَهُم(٥) صَمْتٌ رهيبٌ وكأنَّ الكلامَ يَقعُ على قلوبِهم كالصواعقِ المرسلةِ . بحيث لم يَجدوا حجةً ، ولم يبق عندهم كلامٌ.

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٤ - ٦٨ ط٢ . (٢) ثبطهم : أي:عوقهم وبطأهم. انظر: القاموس المحيط /٨٥٢ . (٣) غافر/ ٤١-٤٣ .
(٤) انظر: جامع البيان ٢٤/٦٨ ، ٦٩ ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣١٧ ط : المصورة . (٥) غشيهم : غطاهم ، أو : ضربهم. انظر : القاموس المحيط / ١٦١٩ . ومختار الصحاح / ٤٧٥ .

فَمَاذا عَسَى القومَ أَنْ يقولوا بعد هذا الكلامِ الصادقِ ، وهذهِ النصائحِ المُخْلَصَةِ ، وهذهِ الأدلةِ والبراهينِ المقنعةِ لكلِّ أعمى وأصم عن الحقِّ .

ثُم إن المؤمنَ - بعد ذلك كله - خَتَمَ كَلامَهُ بِخاتمةٍ لطيفةٍ تُوجبُ التخويفَ والتهديدَ ، وذلك قولُه كما ذَكَرَ القرآنُ .: ((فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))(١) .

أي :"فَستذكرونَ ما أَقولُ لكم إذا حَلَّ بِكم عقابُ اللهِ ، وأُفوضُ أَمري إلى قضاءِ اللهِ وقدرهِ لا إليكم ولا إلى أصنامِكم ، وكانوا قد تَوَعَّدُوهُ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُوجبُ التفويضَ وهو كونُهُ-تعالى-بصيراً بأحوالِ العبادِ وبمقاديرِ حاجاتِهم " (٢) .

ثُم إنهُ بعدَ أن أَسْدَى لَهُم النصيحةَ كاملةً سَلَّم أَمرَهُ للهِ ، وذلك لعلمِهِ أن القومَ سَيهمونَ به ليأخذوهُ بعذابٍ أو غيرهِ .

ويَبدو أن القومَ أرادوا أَنْ يَقتُلوهُ أو يُعذبوهُ أو يُوقعُوا بهِ سوءً فَجعلَ اللهُ له مخرجاً .

وذلكَ قولُه - تعالى - :((فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ...))(٣) .

أي نَجاهُ اللهُ من شدائدِ مكرِهِم ، وما هَمُّوا بهِ من إلحاقِ أنواعِ العذابِ بمن خَالفَهُم(٤) .

وهذا مصداقٌ لقولِه- تعالَى - : ((... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا))(٥) .

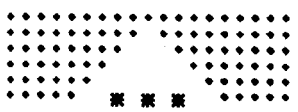

---

(١)غافر /٤٤ . (٢)البحر المحيط٧/٤٦٨. (٣)غافر/٤٥.
(٤)انظر: الكشاف ٣/٤٣٠. (٥)الطلاق /٢،٣.

(الفصـــــل الثالـــث)

بيـــن موســى وفرعـــون وجيشـــه

(المبحـــث الأول)

إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهـــم

المطلب الأول : تكبرهم على آيات اللـــه .
المطلب الثاني : تكبرهم على موســـى .
المطلب الثالث : دعاء موسى على الفراعنـــة .

(المبحث الثاني)

وقـوع الصـراع ونتائجـه وعواقبـه

المطلب الأول : وقـــوع الصـــراع .
المطلب الثاني : نتائـــج الصـــراع .
المطلب الثالث : عواقـــب الصـــراع .

(المبحث الأول)

(إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهم)

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

(المطلب الأول)

(تكبرهم على آيات الله)

بعدَ أنْ كَذَّبَ فرعونُ وقومُه بآيتي العصا واليدِ ، إضافةً إلى تكذيبِهم الأدلةَ والبراهينَ المثبتةَ صدق موسى ، شَاءَ اللهُ الحكيمُ أنْ يُظهرَ آياتٍ أُخرى لَعلَّهم يَتَّعظونَ بها فَيَهتَدون ، أو يَنْزَجِرون بها فَيُقْلِعونَ عن باطلِهم.

ولكنْ هذه المرةُ الآياتُ تختلفُ عن السابقةِ ، ذلك أنها تَجمعُ بينَ الدلالةِ على وحدانيةِ اللهِ وصدقِ نبيِّهِ من جهةٍ ، وبينَ عذابِ العظةِ لهم مِنَ الجهةِ الأُخرى . وتفصيلُ ذلك كما يلي :

أولا : تكبرهم وكفرهم بآيتي السنين ونقص الثمرات :

وذلك قولُه - تَعالَى - : ((وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ))(١) .

أي : ولقدْ أخذنا آلَ فرعونَ بالجدُوبِ والقحطِ ، وبكثرةِ العاهاتِ التي تُخرِبُ الثمرَ وتُنقصُهُ ، وذلك حتى يَنتَبِهُوا أنَّ ذلك بشؤمِ كفرِهِم ومعاصيهِم فَيَتَّعِظُوا أو تَرِقَّ قُلوبُهم بالشدائدِ فَيفزَعوا إلى اللهِ ، وَيَرغبُوا فيما عندَه(٢) .

وقد ذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ : إلى أنَّ السِّنِينَ كانت في بواديهِ ومواشيهِم ، ونقصَ الثمراتِ كانت في أمصارِهم وقُراهُم(٣) .

ويَعتبرُ صاحبُ التفسيرِ الواضحِ أن الزواجرَ الوعظيةَ تُمثلُ سنةً ثابتةً للهِ إلى يومِ القيامةِ ، فيقولُ : " ... وذلكَ أن من سنتِهِ -تَعالى- أن يرسلَ الزواجرَ من المصائبِ والآفاتِ والنَّقصِ في الثمراتِ تنبيهاتٍ لعل أصحابَها تَرجعُ وتتوبُ ، فإن تَابت واهتَدت كان الخيرُ ، وإلا فالهلاكُ المحتومُ ، والقضاءُ المعلومُ ، وقد كان آلُ فرعونَ من النوعِ الأخيرِ ، ومثلُهم كلُّ شخصٍ أو أمةٍ لم تنتبه للزواجرِ ، ولم تَتعظْ بالحوادثِ في كلِّ زمانٍ إلى يومِ القيامةِ "(٤) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن اللهَ - سبحانه - قد يَأخذُ الناسَ بعقوباتٍ معينةٍ ، يَقصدُ من ورائِها زَجْرَهم عن المعاصِي أو الكفرِ .

---

(١) الأعراف/١٣٠ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٤ط٣ . وغريب القرآن /١٧١ . والتفسير الكبير ١٤/٢١٤ . (٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٤ط٣ . وزاد المسير ٣/٢٤٧ . والدر المنثور ٣/١٠٨ . (٤) التفسير الواضح ٩/١٥ .

وكذلك قد يُبتَلَى المؤمنُ في نفسِه أو ولدِه أو مالِه ، بقصدِ العظةِ وذلك لإقلاعٍ عن المعاصِي ، والفزعِ إلى اللهِ ربِّ العالمينَ .

ويُعتبرُ كُلُّ عِقابٍ لأمةٍ أو لشعبٍ أو لفردٍ إنما هو عظةٌ وعبرةٌ للجميعِ لقولِه - تعالى - : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ..)) (١) .

والشاهدُ : أنَّ القصصَ القرآنيَّ يَحكِي حياةَ أُمَمٍ وشعوبٍ وأفرادٍ ، وما كانَ منهم ، وما حَلَّ بهم ، وعاقبتَهم للعظةِ والعبرةِ .

وعلى الداعيةِ إلى اللهِ أن يستفيدَ من عقوباتِ العظةِ - سواءً أكانت في الغابرينَ أو الحاضرينَ - لترقيقِ قلوبِ الناسِ ، ودفعِهم إلى الدينِ .

ثُم إنه بعدَ نزولِ هاتينِ الآيتينِ المتمثلتينِ في القحطِ المفزعِ - وهو ما يُصطلحُ على تسميتِه في عصرِنا بالمجاعةِ - ، ونقصِ الثمراتِ الذي يَحرمُ الناسَ من نعيمِ الدنيا ، كان متوقعاً أنْ يَلينَ موقفُ فرعونَ القديمُ فَيَتعظَ ويَعتبرَ .

ولكن تَأخذُنا الدهشةُ إذا جَاءَ سياقُ الآياتِ بعدَ ذلك بخلاف توقعِنا فيقولُ - تعالى - : ((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (٢) .

أي : فإذا جَاءهم الغيثُ والخصبُ والسعةُ والعافيةُ والسلامةُ من الآفاتِ ، قالوا : نَحنُ مُستحقونَ لها ونحنُ أهلُها ، وإنْ يُصبْهُم القحطُ والجدبُ والمرضُ والبلاءُ تَشَاءموا بموسى ومن معه من المؤمنينَ . ألا إنَّ شؤمَهم يأتيهم بهِ اللهُ الذي يُقدرهُ عن حكمةٍ ، ولكنَّ أكثرَهم لا يَعلمون ذلك (٣) .

والمرادُ من قولِه : (قَالُوا لَنَا هَذِهِ) : " أي : هذا ما كُنَّا نَعرفهُ وما جَرَينْا على اعتيادهِ "(٤) .

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ أهلَ الباطلِ لا يَفتأونَ يَنسبونَ كُلَّ بلاءٍ يَحلُّ بهم إلى أنبيائِهم وأتباعِ أنبيائِهم .

فأي دخلٍ لموسى في حلولِ الجدبِ ونقصِ الثمرِ على مصرَ حتى يُنسبَ إليه .

لكنه قَانونُ الهَوى الطاغِي الذي يَحكمُ أولئك القومَ فَيجعلُهم لا يَرونَ الشرَّ والسوءَ إلا منْ جهةِ أنبيائِهم وأتباعِ أنبيائِهم .

وإلا فَإنهم يَعلمونَ أن موسى وغيرَه من الخلقِ لا سلطانَ لهم على نواميسِ الطبيعةِ ، بدليلِ عجزِه عن تخليصِ قومِه منهم فضلاً عن دفعِ أذاهم عنهم وعن أطفالِهم .

ومن الملاحظِ أنَّ الطواغيتَ وأعوانَهم قد يَجعلونَ من الدعاةِ المؤمنينَ سبباً مباشراً لخرابِ اقتصادِ البلدِ ، وفقدانِ أمنِه وسلامتِه . وهم يَعلمونَ في أنفسِهم كَذِبَ ادعائِهم ، ولكنهم قد لا يَعلمونَ أن ذلك إنما حَلَّ بهم كنتيجةٍ حتميةٍ لتركِهم منهجَ اللهِ ، وتخليهم عن شريعتِه .

---

(١) يوسف/١١١ . (٢) الأعراف/١٣١ . (٣) انظر: لباب التأويل ٢/١٢٢ . وتفسير الجلالين/١٣٦ .
(٤) غريب القرآن / ١٧١ .

وفي هذا المعنى يَقولُ المولى - عز وجل - : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ...)) (١) .

ثُم إنَّ الفراعنةَ لَمْ يَكتفُوا بذلك الموقفِ السيءِ ، بل أعلَنوا تَحَدِّيهِمْ السافر لآياتِ اللهِ ، وَتَكَبرهم عليها مهما كانت .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) (٢) .

أي قَال الفراعنةُ : " أي آيةٍ جِئتَنا بِها ، ودلالةٍ وحجةٍ أَقَمْتَهَا رَدَدْنَاهَا ، فلا نَقْبَلُهَا منكَ ، ولا نُؤمنُ بما جِئتَ بهِ "(٣) .

ولقدْ سَمَّوْهَا آيةً اعتباراً لتسميةِ موسى ، وقَصدُوا بذلك الإستهزاءَ والتَّلَهي(٤).

وبذلك يَتضحُ - لنا - أَنَّ أولئكَ الكفرةَ قد ذَهَبوا في الكفرِ مذهباً لا رجعةَ فيهِ للإيمانِ ، إذ أنَّهم تَحَدَّوْا آياتِ اللهِ قبل نزولِها .

وبذلك استَحَقُّوا عذابَ النقمةِ - من الله - الذي لا تَوبةَ بعدَه . ومع ذلك فإنَّ اللهَ الرحيمَ الحليمَ أَمْهَلَهُمْ لِيُرِيَهُمْ من آياتِهِ الكُبرى لِيَحْيَوْا عَنْ بينةٍ أو يَهْلِكُوا عَنْ بَيِّنَةٍ .

ثانيا : تكبرهم وكفرهم بالآيات الاخرى :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)) (٥).

أي : فَأرسلنَا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقملَ والضفادعَ والدمَ آياتٍ مبيناتٍ لا تَشْكُلُ على عاقلٍ أنها آياتُ اللهِ ونقمتُه عليهم ، أو منفصلاتٍ لامتحانِ أحوالِهم ، فَاستكبروا عن الإيمانِ وكانوا قوماً مُجرمين (٦) .

وقد اختَلفَ المُفسرونَ في المعنى المرادِ للطوفانِ الواردِ في الآيةِ إلى أقوالٍ وتفصيلها : ذَهبَ البعضُ إلى أنه الماءُ الشديدُ ، وذهب آخرون إلى أنه الموتُ الذريعُ ، وذَهبَ غيرُهم إلى أنه الطاعُون (٧) .

والرَّاجحُ في ذلك أنه أمرٌ مِنَ اللهِ طَافَ بِهِم ، فَيَجوزُ أَنْ يَكونَ ماذَكَرَهُ المُفسرون أو غيره . بدليلِ أنها - كلمة الطوفان - إذا لَمْ تُضفْ لشيءٍ فإنها تَحتملُ أكثرَ مِنْ معنى لقولِ الفَيْرُوزآبَادِي * في قاموسِهِ في معناها :

(١) المائدة/٦٦ . (٢) الأعراف/١٣٢ . (٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٠ .
(٤) أنظر: الكشاف ٢/١٠٧ . (٥) الأعراف /١٣٣ . (٦) انظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٣ .
(٧) انظر: جامع البيان ٩/٣٠ ومابعدها ط٢ . وزاد المسير ٣/٢٤٨، ٢٤٩ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٠ .

* الفيروزآبادي: هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحق - صاحب " التنبيه " - الشيخ مجد الدين أبوالطاهر الفيروزآبادي . كان لغويا أديبا محدثا واسع العلم والمعرفة كثير التنقل في البلاد طلبا للعلم . من شيوخه : والده ، والجمال الأسنوي . ومن تلاميذه : الصلاح الصفدي . ومن مروياته : الكتب الستة ، " وسنن البيهقي " و " مسند الإمام أحمد " و " صحيح ابن حبان " . ومن مصنفاته " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز " و " تنوير المقباس في تفسير ابن عباس " . ولد سنة ٧٢٩هـ بكازرون من أعمال شيراز، وتوفي بزبيد في اليمن سنة ٨١٧هـ ، وقد ناهز التسعين . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٧٤ رقم (٦٠١) . وبغية الوعاة ١/٢٧٣ . وشذرات الذهب ٧/١٢٦ . وهدية العارفين ٢/١٨٠ ، ١٨١ .

" والطوفانُ ،بالضمّ : المطرُ الغالبُ ،والماءُ الغالبُ يَغشَى كُلَّ شيءٍ ، والمـــوتُ الذريعُ الجارفُ ، والقتلُ الذريعُ ،والسيـل المغرقُ ، ومن كلِّ شيءٍ ما كانَ مُطيفـاً بالجماعةِ..." (١) .

ومما يُعضدُ ما ذَهبنَا إليهِ قَولُ الطَّبَريِّ : "... جَاز أن يكونَ الـــذي طافَ بِهم المطرُ الشديدُ وجَازَ أن يكونَ الموتُ الذريعُ "(٢) .

ومن الجديرِ ذِكرُهُ أنه وَرَدَ في التوراةِ المترجمةِ ، أَنَّ اللهَ بَعَثَ المـوتَ على دوابِّ الفراعنةِ فماتَت كُلُّها - دونَ دوابِ الإسرائيليين - ، ولمَّا لَـمْ يُؤمنوا ، بَعَثَ عليهم مطراً شديداً مملوءً بَالْبَرَدِ خَرَّبَ زروعَهم وأشجارَهم (٣) .

وكذلك اختلفَ المفسرونَ في معنى القُمَّلِ ؛ فقيل:هو سوسُ الحنطةِ ، وقيـلَ الدُّبى وهو صغارُ الجرادِ الذي لا أجنحةَ له ، وقيل:البراغيثُ ، وقيل:دوابُّ سودٌ صغارٌ ، وقيل:غيرُ ذلك (٤). واللهُ أعلمُ به . وأما الدمُ فمنَ المُفسريـــن من ذهبَ إلى أنه الرعافُ ، ومنهم من ذَهبَ إلى أن ماءَهم انقلبَ دماً (٥) .

وأَميلُ إلى الرأيِ الثاني ، بدليلِ : أَنَّ كُلَّ الآياتِ الأُخرى جَاءَت خارجةً عن ذواتِ الفراعنةِ - بمعنى أنها منفصلةٌ عن أجسامِهم - ، مِمَّا يُعـــززُ أن الدمَ كذلك أُرسلَ خارجاً عن ذواتِهم كانقلابِ ماءِ النيلِ دماً . واللهُ أعلم.

ومن الجديرِ ذكرُه أنه وَرَدَ في التوراةِ المترجمةِ أن اللهَ قَلَبَ ماءَ النيلِ والسواقِي وغيرِهَا دماً (٦) .

ومهما يَكُنْ مِنْ أمرٍ فَإِنَّ الفراعنةَ - عليهم اللعنةُ - أَخذتْهُم العـــزةُ بالإثمِ ، وَنَفَّذُوا وَعْدَهُمْ إِذْ قَالوا كما ذَكَرَ القرآنُ :((... مَهْمَا تَأْتِنَـــا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) (٧). فاستكبروا علـــى آياتِ اللهِ استكباراً وكفروا بِهَا ، وكانوا بذلكَ قوماً مُجْرمينَ .

وإنهُ لَمِنَ العَجيبِ أَنْ يكفرَ اولئك القومُ ويَتكبروا على هذهِ الآيـــاتِ العجيبةِ الرهيبةِ ، التي تَدُلُّ على أَنها من اللهِ ، وَتَدُلُّ على صدقِ رســـولِ اللهِ موسى ، وتَدلُّ على قربِ نقمةِ اللهِ منهُم . آيـاتُ الطُوفانِ والجَرادِ والقُمـلِ والضفادعِ والدمِ بعدَ آيَتَي السنينَ ونقصِ الثمرِ .

كُلُّ آيةٍ من هذهِ الآياتِ أكبرُ من أختِها ، وأعظمُ وأعجبُ ، وتَحملُ فـي معناهَا أكثرَ من دليلٍ ، ولكنَّ الفراعنةَ لا يَثُوبُونَ(٨) إلى رُشْدِهِمْ فَيُؤْمِنُونَ .
ولذلك لا نَعجبُ من قولِ اللهِ فيهِم : ((وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (٩) .
أي : وما نُرِي فرعونَ وملأَه من حجةٍ إلا كانت أعظمَ مِنَ التي مَضَتْ قَبْلَهَا مِنَ الحُجَجِ ، وَأَدَلَّ على صدقِ مُوسى ، وَأَنزَلْنَا بِهم العذابَ الأليمَ ، لِيَرجِعُوا عن الكفرِ إلى التوحيدِ (١٠) .

---

(١) القاموس المحيط/١٠٧٧ . (٢) جامع البيان٩/٣٢ط٢ . (٣) انظر: الكتاب المقدس . سفر الخروج . إصحاح ٩/١-٧ . (٤) انظر: جامع البيان٩/٣٢ وما بعدها ط٢ . وزاد المسير ٣/٢٤٩ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٤١ . (٥) انظر: جامع البيان٢/٣٤ وما بعدها ط٢ . وزاد المسير ٢/٢٥٠ . (٦) انظر: الكتاب المقدس . سفر الخروج . إصحاح ٩/١٨-٢٩ . (٧) الأعراف /١٣٢ . (٨) لا يثوبون: لا يرجعون . انظر: القاموس المحيط /٨١ . ومختار الصحاح /٨٩ . (٩) الزخرف/٤٨ . (١٠) انظر: جامع البيان٢٥/٧٩ط٢ .

وهكذا يُؤكدُ اللهُ - لنا - في الآيةِ الكريمةِ أنه أرسلَ تلك الآياتِ المشحونةَ (١) بالعذابِ على الفراعنةِ لِتَرْدَعَهُمْ عَنْ باطلِهم.

والفراعنةُ بعدَ أن وَقَعَ عليهم العذابُ وظَنُّوا أنلا ملجأَ من اللهِ إلا اليه، لَجَأُوا إلى موسى يَعدونَهُ الإيمانَ له إذا رَفَعَ عنهم العذابَ.

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٢) ، وفي آيةٍ أخرى: ((وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ))(٣) .

أي : ولما نَزَلَ بهم عذابُ اللهِ ، وحَلَّ بهم سَخطهُ ، فَزِعُوا إلى موسى وقالوا له : ادْعُ لنَا إلهكَ بما أوصاكَ وأمركَ بهِ لَئِنْ رَفعتَ عنَّا هذا العذابَ لَنُصَدِّقَنَّكَ بِما جِئْتَ بهِ ، وَلَنَبْعَثَنَّ قَومَكَ مَعَكَ ، ولنتبعن الهُدَى(٤) .

وقد اختلفَ المفسرون في المرادِ بالرجزِ إلى أقوالٍ وتفصيلُها كما يلي :

١- ذَهبَ قومٌ إلى أن المرادَ به الطاعون .

٢- ذَهبَ البعضُ إلى أنَّ المرادَ به العذابَ الذي سُلِّطَ عليهم من الطوفانِ والجرادِ والقملِ وغيرِ ذلك .

٣- ذَهبَ آخرون إلى أنه عذابٌ حَلَّ بهم ، وَلَمْ يُحددوه (٥) .

والذي أميلُ إليهِ هو القولُ الثانِي ، وذلك للأدلةِ الآتيةِ :

١- إنَّ لفظَ (الرِّجْزُ) مُحلى بالألفِ واللامِ فينصرفُ إلى المعهودِ السابقِ، وهو - هنا - الأنواعُ الخمسةُ التي ذُكِرت آنفاً . فَحَمْلُ اللفظِ على المعلومِ أولى من حملِهِ على المشكوكِ فيه غير معروف (٦) .

٢- قولُه : ((فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)) (٧) ، وقولُه : ((فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)) (٨)(٩) ، يُدلُّنا على أن المرادَ بالرجزِ العذابُ . فاذا نَظرنا إلى قولِه - تعالى - ((وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (١٠) لَعَلِمْنَا أَنَّ المرادَ بالرجزِ هو الآياتُ المذكورةُ .

ومن جهةٍ أخرى فَإنَّ العذابَ يُرادُ بهِ ما يُعذبُ بهِ ، وأما الطاعون فهو هلاكٌ وموتٌ لا عذابٌ . ولقدْ خَاطبَ الفراعنةُ موسى بالساحرِ في قولِهم : (يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) لاعتقادِهم أن العالمَ الماهرَ ساحرٌ ، وذلك لاستعظامِهِ السحرَ (١١) .

---

(١) المشحونة : المملوءة . انظر: القاموس المحيط/١٥٦٠. ومختار الصحاح/٣٣١.
(٢) الأعراف/ ١٣٤ (٣) الزخرف /٤٩. (٤) انظر:جامع البيان٩/٤٠، ٢٥/٨٠ط٢.
(٥) انظر: جامع البيان٩/٤٠وما بعدهاط٢ . والتفسير الكبير ١٤/٢١٩. وزاد المسير ٣/٢٥٢ . (٦) انظر: التفسير الكبير ١٤/٢١٩ . (٧) الأعراف/١٣٥.
(٨) ينكثون : أي:ينقضون عهدهم . انظر: القاموس المحيط/٢٢٧. والمفردات في غريب القرآن/٥٠٤ . (٩) الزخرف /٥٠. (١٠) الزخرف/٤٨.
(١١) انظر: جامع البيان٢٥/٨٠ط٢. والتفسير الكبير٢٧/٢١٨.وزاد المسير٧/٣٢٠.

ويبدو أن الفراعنةَ كانوا مُبيتينَ النيةَ على الغدرِ بعهدِهم، بدليلِ قولِهم: (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) بدلاً من: لئنْ كَشَفَ رَبُّكَ عنَّا الرجزَ، وقولِهم: (لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ) بدلاً من: لَنؤمننَّ بإلهِكَ! (١)

ولذلك لا نَعجبُ من نكثِهم عهدهم بعدَ كَشْفِ الرجزِ عنهم. ذلك أنَّ مقدماتِ النكثِ قد بَانَت في كلامِهم - كما بينا - إضافةً إلى ما عَهِدْنَاهُ من الجحودِ المستحكمِ في قلوبِهم.

ويَأتي سياقُ الآياتِ بعدَ ذلكَ بقولِهِ: ((فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)) (٢)، وفي آيةٍ أخرى: ((فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)) (٣).

أي: دَعَا موسى رَبَّه - سبحانه - فاستجابَ له، فلمَّا رَفَعَ اللهُ عنهم العذابَ إلى أجلِهم الذي ضَرَبَ لهم في التغريقِ إذا هم يَنقضونَ عهدَهُم وينكثونَه ويُصِرُّونَ على باطلِهم وكفرِهم (٤).

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ الطواغيتَ وأتباعَهم لا عهدَ لهم ولا ذمةَ، وعهودُهم ومواثيقُهم لا تَتجاوزُ الخداعَ والغشَّ والكذبَ والمماراةَ (٥) (٦).

ومن المعلومِ أن الوفاءَ بالعهدِ وبالوعدِ صفةٌ ثابتةٌ للمؤمنينَ، وفي ذلك يقولُ - تعالى -: ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)) (٧)، ويقولُ رسولُه - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ -: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ (٨) مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ، حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ (٩)) (١٠).

ولكن إذا نَكَثَ الفراعنةُ بعهدِهم، فما هي دعواهُم في تلك الآياتِ التي نَزَلَتْ عليهم بالعذابِ، وفي رفعِها عنهم بدعاءِ موسى؟

الآيةُ التاليةُ تَكشفُ - لنا - عن الإجابةِ. وذلك قولُه - تعالى -: ((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)) (١١).

يقولُ - تعالى -: فلما جَاءَت فرعونَ وقومَه آياتُنا التسعُ واضحةً بينةً، يُبصرُ بها من نَظَرَ إليها وَرَآهَا حقيقةً ما دلَّت عليهِ، قالوا: هذا سحرٌ واضحٌ لا ريبَ فيهِ (١٢).

وهكذا يَتضحُ - لنا - أنَّ أهلَ الباطلِ يَطعنونَ في أيِّ آيةٍ تَأتيهم مِنَ اللهِ مَهْمَا حَمَلَتْ من دلالاتِ الصدقِ. وذلك لِيَسْتَمِرُّوا على كفرِهم وطغيانِهم ومتاعِهم الزائلِ. فاتَّهموا الآياتِ ووَصَفوها بالسحرِ، كما اتَّهموا موسى واسطتَها بالسحرِ، إضافةً إلى إنكارِهم للهِ وكفرِهم بهِ وهو الذي جَاءَهم بالآياتِ (١٣).

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٩/٤٦٩. (٢) الأعراف/١٣٥. (٣) الزخرف/٥٠.
(٤) انظر: جامع البيان ٢٥/٨٠ ط٢. والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧١ ط٣، ١٦/٩٨ ط المصورة
(٥) المماراة: المجادلة، والمرية: الشك، انظر: مختار الصحاح/٦٢٢.
(٦) سبقت الإشارة إلى ذلك. راجع/ ١١٧. (٧) المؤمنون/٨، والمعارج/٣٢.
(٨) خلة: خصلة. انظر: القاموس المحيط/١٢٨٤. ومختار الصحاح/١٨٦.
(٩) فجر: فسق، والفاجر هو: المائل، أو: المنبعث في المعاصي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤١٣. والقاموس المحيط/٥٨٤. ومختار الصحاح/٤٩١.
(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: (الإيمان) باب (بيان خصال المنافق) ١/٥٦.
(١١) النمل/١٣. (١٢) انظر: جامع البيان ١٩/١٣٩ ط٢. والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦٣ ط١.
(١٣) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك. راجع/٨٣، ١٤١.

ولكن ما هو سببُ كفرِهم بهذهِ الآياتِ ووصفِها بالسحرِ المبينِ، أَلِضَعْفٍ في دلالتِها بحيث لا تَرْقَى إلى إقناعِ العقولِ، أم لسببٍ آخرَ كان في نفوسِهم ؟

يَأتي السياقُ بعدَ ذلك - قاطعاً عَلينَا هذا الإستغرابَ - بقولِهِ: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))(١) .

أي : وكذبوا بالآياتِ التسعِ بعدَ أن تَيَقَّنوا أنها من عندِ اللهِ، وكان ذلك منهم اعتداءً وشركاً وتكبراً ، فَانظُرْ يا محمد عاقبتَهم(٢) .

" وفائدةُ ذكرِ الأنفسِ أنهم جَحَدُوها(٣) بألسنتِهم واستَيقَنُوها في قلوبِهم وضمائرِهم ، والإستيقانُ أبلغُ من الإيقانِ ..."(٤).

إذن السببُ المباشرُ في كفرِ أمثالِ فرعونَ وقومِهِ هو الجحودُ المتعمدُ الملازمُ لقلوبِهم ، بعد إيقانِهم في أنفسِهم بالحقِّ الذي جاءَهم مِنَ اللهِ .

ثُم إنَّ فرعونَ لَمْ يَكتفِ بِنسبةِ آياتِ اللهِ إلى السحرِ ، بَلْ أَخَذَ يَنسبُ موسى إلى طائفةِ المسحورينَ ، وقد دَأَبَ (٥) قَبْلَ ذلك إلى نسبتِهِ إلى طائِفةِ السحرةِ .

وذلك قولُه - تعالى - :((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا))(٦) .

أي : يقولُ - تعالى - : ولقدْ آتينَا موسى تسعَ آياتٍ واضحاتٍ وقُلنا له إذ جئتَهم : قل لفرعونَ أَرْسِلْ معي بني إسرائيلَ - فَفَعَلَ مُوسَى ذلكَ - ، فقالَ لَهُ فِرعونُ : إني لأظنكَ يا موسى قدْ سُحِرْتَ فَخُولِطَ عَقْلُكَ(٧) .

والآياتُ التسعُ هي : اليدُ البيضاءُ ، والعَصا ، والطوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضفادعُ ، والدمُ - هذه سبعٌ باتفاقٍ - ، والسنينَ ونقصُ الثمراتِ - على الراجحِ - (٨) ، وذلك لسياقِ الآياتِ - على ما فَصَّلْنَا في هذا المطلبِ - .

وبذلك استمرَّ فرعونُ على تكبرِهِ ، وعلى اتهامِهِ لموسى وطعنِهِ ، وعلى تلاعبِهِ في ألفاظِ الطعنِ - فمرةً ساحرٌ ومرةً مسحورٌ - وهو يَعلمُ في حقيقةِ نفسِهِ أن موسى صادقٌ ، وأن تلك الآياتِ من ربِّ السمواتِ والأرضِ . ولكنه الجحودُ الكبيرُ الذي يُكِنُّهُ قَلْبُهُ الأَسودُ المُقفلُ .

على أَنَّ موسى - عليهِ السلامُ - لا يَسكتُ على كفرِهِ وتكبرِهِ ، بل يُجيبهُ بما انطَوت عليه نفسُهُ من جحودٍ ، وبما سَيَئُولُ إليهِ أَمرُهُ إنِ استمرَّ على ذلكَ .

---

(١) النمل / ١٤ . (٢) انظر: جامع البيان ١٩/١٤٠ط٢. والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦٣ ط١ . (٣) جحدوها : أنكروها عن علم . انظر: القاموس المحيط/٣٤٥. ومختار الصحاح/٩٣ . (٤) الكشاف ٣/١٣٩. وانظر: تفسير النسفي ٣/٢٠٤.
(٥) دأب : تعود . انظر: القاموس المحيط/١٠٥. ومختار الصحاح /١٩٦.
(٦) الإسراء/١٠١ . (٧) انظر: تفسير النسفي ٢/٣٩٢. (٨) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/٦٧ . والبحر المحيط ٦/٨٥ .

وذلك قوله - تعالى - : ((قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)) (١) .

أي قَالَ موسى لفرعونَ : لقد عَلمتَ ما أَنزلَ هذه الآياتِ التسعَ إلا رَبُّ السمواتِ والأرضِ حُججاً وأدلةً على صدقِ ما جئتُك بهِ ، وإنِّي لأَظُنُّكَ يَا فرعونُ هالكاً ومغلُوباً (٢) .

وبذلك أَصرَّ الفراعنةُ علَى كفرِهم بآياتِ اللهِ وتكبرِهم عليهَا . فأيَّ آيةٍ يُريدون ، وأيَّ دليلٍ يحتاجون لهدايتِهم ، بعد أن رأو من آياتِ اللهِ الكُبْرَى .

إنهُ الجحودُ المتمكنُ من النفوسِ الخربةِ ، والقلوبِ الصدئةِ ، والعقولِ الحَمْقَى . فلم تَبْقَ لَهُمْ - إذن - حجةٌ عندَ اللهِ بعدَ ذلكَ .

وهَكَذا أَشرَفُوا على نهايتِهم المحتومةِ ، كنتيجةٍ طبيعيةٍ لكفرِهم باللهِ ، وتكبرِهم على آياتِه ورسلِه .

ثُم إنّ فرعونَ لَمْ يَكتفِ بالتكبرِ على آياتِ اللهِ ، بل أَخَذَ يُظهِرُ تَكبرَهُ على موسَى ، ويُعلِنُهُ في قومِهِ إضافةً إلى إظهارِ كبريائِهِ في مصرَ . وهذا ما يُوضحهُ - لنَا - المطلبُ التالِي .

---

(١) الإسراء / ١٠٢ . (٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦٧/٣ .

(المطلب الثاني)

(تكبره على موسى)

بعدَ أنْ أظهرَ فِرعونُ تكبرَهُ على آياتِ اللهِ - كما سَبَق - جَاءَ السياقُ في سورةِ الزخرفِ ليكملَ حلقةَ التكبرِ تلكَ ، بحلقةِ تكبرٍ أخرى ، ولكن هذهِ المرةَ على موسى رسولِ اللهِ .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ، قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) (١) .

أي نَادى فرعونُ في قومِهِ من القبطِ قائلاً لهم : أَلَيْسَ لِي ملكُ مصرَ ولا يُنازِعُنِي أَحَدٌ فيهِ ، وهذهِ الأنهارُ تَجْرِي من تحتِ قصورِي ، وبينَ جَنَائِنِي ، أفلا تُبصرونَ عَظَمَتِي وَشِدَّةَ مُلْكِي ؟! (٢)

ففرعونُ - هنا - يَستخفُّ قومَه ، ويَجعلُ نفسَه مُحِقاً في كلِّ ادعاءَاتِه بدليلِ ملكِهِ مصر ، وجريانِ الأنهارِ من تحتِه .

وهو يَعلمُ ، وقَومُه يَعلمونَ أَنَّ مصرَ وأَنهَارَهَا كانت قَبْلَهُ وستكونُ بعده ، فهو لَمْ يَخلقْ ذرةً أَوْ هباءةً (٣) من مصرَ ، ولمْ يُجرْ - في يومٍ من الأيامِ - نهراً أو نُهيراً (٤) .

ولكنه التكبرُ البعيدُ لطواغيتِ الأرضِ على الحقِّ . يَتكبرونَ بِمُلْكِهِمْ وسُلْطَانِهِمْ وما تَحْتَ أَيديهِمْ .

إنَّ فِرعونَ جَعَلَ من مقولتِه هذهِ مقدمةً أَرادَ أَنْ يَدخلَ من خلالِها إلى إظهارِ أفضليتِهِ على موسى وتكبرِهِ عليهِ .

وذلك قولُه - مستطرداً - كما ذَكَرَ القرآنُ : ((أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ)) (٥) .

أي : بل أنا خيرٌ أَيُّها القومُ من هذا الذي لا شيءَ لَهُ من الملكِ والأموالِ ، وهو لا يَكادُ يُبينُ الكلامَ منْ عيٍّ لسانِهِ . فهلا أُلقِيَ عليه أَسورةٌ من ذهبٍ إنْ كانَ صادقاً في زعمِهِ ، أو جَاءَ معه الملائكةُ قد اقترنَ بعضُهم ببعضٍ ليشهدُوا بصدقِهِ (٦) .

وقد قَالَ القَاسِمِيُّ* في قولِهِ : (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) : " أي الكلام ، لمخالفة اللغةِ العبرانيةِ اللغةَ القبطيةِ " (٧) .

---

(١) الزخرف / ٥١ . (٢) انظر: جامع البيان ٢٥/٨٠ ط٣ . وزاد المسير ٧/٣٢٠.
(٣) هباءة : الهباء هو: الشيء المنبث الذي يرى في البيت في ضوء الشمس ، ويطلق أيضا على: دقائق التراب . انظر: مختار الصحاح/٦٨٩ . (٤) نهيرا : تصغير نهر
(٥) الزخرف / ٥٢ ، ٥٣ . (٦) انظر: جامع البيان ٢٥/٨١ - ٨٣ ط ٣.
(٧) محاسن التأويل ١٤/٥٢٧٨ .

* القاسمي : هو: جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، كان إمام الشام في عصره ، عَالماً بالدين ، متضلعا بالأدب ، سلفي العقيدة ولا يقول بالتقليد له اثنان وسبعون مصنفا ، منها: " محاسن التأويل " و " دلائل التوحيد". ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ ، وتوفي بها سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢/١٣١ ط٣ .

وهذا فيه نظرٌ ، لأنَّ موسى نَشأَ بينَهم منذُ كانَ طفلاً إلى أن صَارَ رجلاً قوياً ، ثُمَّ انطَلقَ إلى مدينَ بعدَ ذلك . فهذا يُثبتُ - لنا - ويُؤكدُ أنه تَعلَّمَ لغتَهم وَحذقَها[١] إذ أنه تَرَعْرَعَ[٢] وَشَبَّ عَليْهَا .

ويُبينُ - لنا - صاحبُ الظلالِ تفاهةَ[٣] عرضِ فرعونَ كما ذَكَرَ القرآنُ: (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) بقولِهِ : " هكذا . من ذلك العرضِ التافِهِ الرخيصِ ! أسورةٌ من ذهبٍ تُصدقُ رسالةَ رسولٍ ! أسورةٌ من ذهبٍ تُساوي أكثرَ من الآياتِ المعجزةِ التي أيَّدَ اللهُ بِها الرسول الكريم ! أَمْ لعله كان يَقصدُ إلقاءَ أسورةِ الذهبِ تَتْويجه بالملكِ ، إذ كانت هذه عادتَهم فيكونُ الرسولُ ذا ملكٍ وذا سلطانٍ ؟"[٤] .

وهذا مشابهٌ لموقفِ الكفارِ من رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - إذْ قَالوا كما ذَكَرَ القرآنُ : ((... لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)) [٥] .

وفي قولِ فرعونَ : (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) إيهامٌ لقومِه، إذ أنَّه يَعلمُ أن اللهَ أيَّدَ موسى بآياتِ اليدِ والعصا وغير ذلك ، إضافةً إلى حفظِ اللهِ لموسى مع تفردِهِ ووحدتِهِ من فرعونَ مع كثرةِ أتباعِهِ[٦] .

وهذا مشابهٌ لموقفِ الكفارِ من رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - إذ قالوا كما ذَكَرَ القرآنُ : ((...لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ...)) [٧] . وهمْ بطلبِهم هذا لا يَقصدونَ الإيمانَ ، بل يَقصدونَ التعجيزَ ؛ فلو أُنزلت الملائكةُ مع النبيينَ لما زَادهم ذلك إلا جحوداً وكفراً . وذلك لقولِهِ : ((وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...)) [٨] .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أنَّ الطواغيتَ يَستغلونَ ما هم فيهِ من أُبَّهَةٍ[٩] وسلطانٍ لمحاربةِ رسلِ اللهِ وأتباعِهم، بل ويَجعلونَ من ذلك دليلاً وعلامةً على ما هم عليه من حقٍ، وعلى ما عليه المؤمنونَ من باطلٍ - على حدِّ زعمِهم - لكونهم لا سلطانَ لهم ولا أُبهةَ[١٠] .

كما ويَتضحُ - لنا - أيضاً أن الطواغيتَ يتعلقونَ بأدلةٍ - إنْ صَحَّتْ - أَوهى من بيتِ العنكبوتِ كلما حَاصَرتهم آياتُ اللهِ الباهرةُ التي تبين كَذِبَهُم وخِدَاعَهُم. فما هي أساورُ الذهبِ في مقابلِ آياتِ اليدِ والعصا والطوفانِ والجرادِ ... !

كما ويَتضحُ - لنا - أن الطواغيتَ يَستغلونَ سَذَاجَةَ[١١] الجماهيرِ وَجَهْلَهَا في توجيهِها إلى الباطلِ . وإلا فما كان للجماهيرِ أنْ تقارنَ بينَ ذلك العرضِ - التافِهِ - الذي تَقدمَ به فرعونُ ، وبينَ تلك الآياتِ العظيمةِ التي جَاءتهُم من اللهِ ، فَهَزَمَتْ فرعونَ وسحرتَه ، وضَرَبَتْ على مصرَ كلِّها

---

(١) حذقها : من حَذَقَ العلمَ أو العمل ، إذا مهر فيه وتمكن منه . انظر: القاموس المحيط/١١٢٧ ومختار الصحاح/١٢٧ . (٢) ترعرع : من قولهم ترعرع الصبي ، أي : تحرك ونشأ . انظر: القاموس المحيط/٩٣٣ . (٣) تفاهة : أي: خساسة . وتطلق أيضا على: الحماقة والغثاثة والمقارة . انظر: القاموس المحيط/١٦٠٥ . (٤) في ظلال القرآن ٥/٣١٩٢ . (٥) الزخرف/٣١ . (٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠١ ط: المصورة . (٧) الأنعام/٨ . (٨) الأنعام/١١١ . (٩) أبهة : أي: العظمة ، والبهجة ، والكبر . انظر: القاموس المحيط/١٦٠٣ . (١٠) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك : راجع/٩٢، ١١٩، ١٣٠ . (١١) سذاجة : مأخوذة من السَّاذَج . وهي كلمة فارسية عربية أصلها : سادة . وتطلق على الخالص غير المشوب وغير المنقوش ، ويقال حجة ساذجة : غير بالغة . انظر: القاموس المحيط/٢٤٧ . والمعجم الوسيط/٤٢٦ .

بالعَـــــــذابِ [١] .

ولكنها الجماهيرُ التي لا وزنَ لها ولا قيمةَ ، فهي أشبهُ بقطعـــانِ الأغنامِ المسلوبةِ الإرادةِ ، أو بزبدِ السيلِ .

ولذلك لا نَعجبُ من أنْ يَأتِيَ السياقُ بعد ذلكَ بقولِهِ : ((فَاسْتَخَـــفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)) [٢].

أي : فاستجهلَ فرعونُ قومَه القبطَ - في ذلك العرضِ الذي تَقدمَ بـــهِ لهم - فأطاعوهُ لخفةِ أحلامِهم وقلةِ عقولِهم ، إنهم كانوا خارجينَ عن طاعةِ اللهِ [٣] .

ويَكشفُ - لنا - صاحبُ الظلالِ النقابَ عن الأساليبِ التي يَستخدمُهـــا الطغاةُ لإستغلالِ الجماهيرِ واستخفافِها بقولِهِ : " ... فَهُم يَعزلُـــونَ الجماهيرَ أولاً عن كلِّ سُبُلِ المعرفةِ ، ويَحجُبُونَ عنهم الحقائقَ حتى يَنْسَوْهَـــا ، ولا يَعودونَ يُبحثونَ عنها ؛ ويُلقونَ في رَوْعِهِم [٤] ما يَشاءونَ من المؤثراتِ حتى تَنطبعَ نُفوسُهم بهذهِ المؤثراتِ المصطنعةِ . ومن ثَمَّ يَسهُلُ استخفافُهُـــم بعد ذلك ، ويَلينُ قيادُهم ، فَيَذْهَبون بهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمـــالِ مُطمئنينَ ! " [٥].

ومن الجديرِ ذكرُه أن المؤمنينَ الصالحينَ لا يَتأثرونَ بتلك الأساليـبِ الخبيثةِ ، لأنهم على علمٍ من ربِّهم ، وعلى معرفةٍ بدينِهم ، وعلى معالـــمَ واضحةٍ بطريقِهم . وفي ذلك يقولُ-تعالى-: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَـــى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...)) [٦] .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أهميةُ نَشْرِ العلمِ الدينِي ، والوعيِ والثقافـــةِ الإسلاميةِ بينَ الناسِ [٧] .

وفي ذلك يَقولُ المولَى - عز وجل - : ((... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيـــنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.)) [٨] ، ويقولُ الرسولُ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلـــمَ - (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ) [٩]، ويقولُ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِـــنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ...) [١٠] الحديث .

وبعد أن كَفَرَ فرعونُ-اللعينُ-وقومُه بآياتِ اللهِ وتَكبروا عليها ، وبعد أن أعلنوا كفرَهم بـــأيِّ آيةٍ تأتي بعد ذلكَ ، وبعد أن تَكبرَ فرعونُ علـــى موسى واستهزأ بهِ ، وبعد أن قَطَعَ كُلَّ سبلِ الهدايةِ عن نفسِهِ وقومِهِ ، وبعد أنْ أَصَرَّ على كفرِهِ واستكبرَ استكباراً ، ماذا سيكونُ موقفُ موسى بعدَ ذلك ؟

هذا ما سَيُوضحهُ - لنا - المطلبُ التالِي .

* * *

---

(١)ورد الحديث بنحو هذا . راجع/٩٦ . (٢)الزخرف /٥٤ (٣) انظر: جامـــع البيان ٨٤/٢٥ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٦ط:المصورة .
(٤)روعهم : من الروع ،ويطلق على : القلب وموضع الفزع منه ،أو : ســـواده ، أو : الذهن أو : الخلد أو : البال . انظر : القاموس المحيط/٩٣٥. ومختـــار الصحاح /٢٦٣ . (٥) في ظلال القرآن ٣١٩٤/٥ (٦) يوسف/ ١٠٨.
(٧)لقد سبق الحديث مفصلا عن العلم وأهميته . راجع : ٣٨ وما بعدهـــا .
(٨)الزمر/٩ . (٩) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : (العلم) بـاب : (العلم قبل القول ...) ١/ ٢٥ . (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه . كتـــاب : (العلم) بـاب : (من سن سنة ...) ٦٢/٨ .

(المطلب الثالث)

(دعاء موسى على الفراعنة)

"...اتّجه موسى - عليه السلام - إلى ربّه ،وقد يَئِسَ من فرعونَ وملئِه أن يكونَ فيهم خيرٌ ، وأن تكونَ قد بَقِيت فيهم بقيةٌ ، وأن يُرجى لهم صلاحٌ، اتجه إليه يَدعُو على فرعونَ وملئِه الذين يَملكون المالَ والزينةَ ، تَضعفُ إزاءها قلوبُ الكثيرينَ ، فتَنتَهي إلى التهاوِي أمامَ الجاهِ والمالِ ، وإلى الضلالِ.. اتّجهَ موسى إلى ربّه يَدعوهُ أن يدمرَ هذهِ الأموالَ ، وأن يشدّ على قلوبِ أهلِها فلا يُؤمنوا إلا حيثُ لا يَنفعُهم إيمانٌ "(١) .

وذلك قولُه - تعالى - : ((وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)) (٢) .

أي : وقالَ موسى - داعياً - : ربنا إنكَ أعطيتَ فرعونَ وكبراءَ قومِه وأشرافَهم من أثاثِ الدنيا ومتاعِها ، وأموالاً كثيرةً من الذهبِ والفضةِ ، وأنت تَعلمُ أنهم لا يُؤمنون بما أرسلتَني بهِ إليهمُ استدراجاً منكَ . ربنا أهْلِكْهَا وأذْهِبْ آثَارَهَا ، وقس قُلوبَهم واطْبَعْ عليها ، فلا يُؤمنوا حتى يَروا عذابَك الأليمَ(٣) .

وقد يَظنّ ظانٌّ - من خلالِ الآيةِ - أن موسى ظَلَمَهم بدعائِه عليهم إذ أنه أُرسِلَ إليهم ليهديَهم فكيفَ يَدعو عليهم ؟ وإزالةُ هذا الاشكالِ من وجوهٍ :

١- إنّ موسى لَمْ يَدعُ عليهم إلا بعدَ أن عَلِمَ من اللهِ أنهم لَنْ يُؤمنوا بعدَ ذلك ،ولن يَخرجَ منهم مؤمنٌ ، بدليلِ قولِه لنوح: ((... إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ...)) (٤)،وعند ذلك دَعَا عليهم نوحٌ قائلا : كما ذَكَرَ القرآنُ : ((..رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)) (٥)(٦) .

٢- إنه دَعَا اللهَ غضباً له ولدينِه بعدَ أن تَبينَ له أنهم لا خيرَ فيهم ولا يَجيءُ منهم هُدىً (٧) .

٣- إنه دَعَا عليهم بعد أن كَفروا جُحوداً ، وأصَرُّوا على ذلك ، بل وأعلَنوا أنهم لن يُؤمِنوا له مَهْمَا جَاءَهم من الآياتِ ، كما ذَكَرَ القرآنُ: ((وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) (٨) .

٤- إستجابةُ اللهِ لدعاءِ موسى تَدُلّ على أنهُ كانَ محقاً في ذلك ، وكانوا - هم - مستحقينَ لذلك ، كما قالَ - تعالى - : ((قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ...)) (٩) .

---

(١)في ظلال القرآن٣/١٨١٦ . (٢)يونس/٨٨ . (٣)انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٤٢٩. وغريب القرآن /١٩٨ . (٤)هود/٣٦ . (٥)نوح/٢٦ .
(٦)انظر: الجامع لأحكام القرآن٨/٢٧٥ ط ٣ . وتفسير النسفي ٢/١٩٤ .
(٧)انظر: تفسير القرآن العظيم٢/٤٢٩. (٨)الأعراف/١٣٢ .
(٩)يونس /٨٩ .

ومن الجدير ذكرُه الآتي : " قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ* : يَقولونَ إنَّ فرعونَ مَكَثَ بعد هذهِ الدعوةِ أربعينَ سنةً ، وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ** وعَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ*** : أربعينَ يوماً "(١) .

وقولُ ابنِ جريجٍ هذا فيه نظرٌ : لأنه يُخالفُ سياقَ الآياتِ - على ما سبق تفصيلُه(٢) - ولأنه يَقتَضي أنه دَعَا عليهم في بدايةِ دعوتِهِ لهم قبل أن يُلقى منهم الجهدَ والعناءَ الموصلَ لمثلِ هذهِ الدعوةِ ، ولأنه لا دليلَ على هذا القولِ من كتابٍ أو من سنةٍ .

وكذلك بالإضافةِ إلى أنَّ حكمةَ النبيِّ تَقتَضي أن يَدعو عليهم بعدَ يأسِهِ منهم ، وهذا اليأسُ لا يكونُ إلا في نهايةِ الأمرِ بعدَ استنفادِ كاملِ الجهدِ والنصيحةِ .

وأما القولُ الثاني : فَهو أقربُ إلى الواقعِ ، ولكن تحديده بأربعينَ يوماً يَنقصهُ - ايضاً - الدليلُ ، واللهُ أعلم .

ومن الجدير ذكرُه أن الدعاءَ على الغيرِ له مكانةٌ خطيرةٌ في الإسلام لقولهِ-تعالى-: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...))(٣) .

ولذلك حَذَّرنا الرسولُ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - من ظُلمِ الناسِ حتى لا يَطالُنَا دعاءُهم فقال : (... وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)(٤) .

كما أنه حَذَّرَنَا من أن ندعوَ بشرٍ على أنفسِنا أو أولادِنا أو أموالِنا فقال : (.. لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)(٥) .

ثُمَّ إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - استجابَ دعاءَ موسى - عليهِ السلامُ - لكونِهِ محقاً في دعائِهِ على الفراعنةِ .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٤٢٩ . (٢) راجع/١٤٩ - ١٦٠ .
(٣) البقرة/١٨٦ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإيمان) باب:(الأمر بالإيمان...) ١/٣٧ ، ٣٨ . (٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الزهد والرقائق) باب:(حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر) ٨/٢٣٣ .

* ابن جريج: هو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي الفقيه أحد الأعلام: كان محدثا ثقة ، وكان من أعلم أهل الأرض . روى: عن عكرمة مرسلا ، وروى عن مجاهد ونافع وخلق. وعنه: يحيى بن سعيد الأنصاري والأوزاعي وخلق . له كتاب " السنن" وله " التفسير" ولد سنة نيف وسبعين ومات سنة ١٥٠هـ . انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٢/١٧٨ رقم (٤٤٤٠). وطبقات المفسرين للداودي ١/٣٥٢ رقم (٣٠٦). وتاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ وتذكرة الحفاظ ١/١٦٩ .

** محمد بن كعب : هو: محمد بن كعب بن سليم القرظي أبو حمزة المدني ثم الكوفي . وهو ثقة ورع كثير الحديث ، وقال ابن عون فيه : ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي . روى: عن أبي الدرداء مرسلا، وعن فضالة بن عبيد وعائشة وأبي هريرة . وعنه : ابن المنكدر والحكم بن عيينة وغيرهما . وقد اختلف في سنة وفاته فقيل : ١١٧ هـ، وقيل : ١١٨ هـ انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٢/٤٥٢ ، ٤٥٣ رقم (٦٦١٥). وحلية الأولياء ٣/٢١٢ .

*** علي بن الحسين : هو: علي بن الحسين بن الجنيد ، أبو الحسن الرازي ،ويعرف ببلده بالمالكي لكونه جمع أحاديث الإمام مالك. وهو حافظ ثبت ثقة صدوق بصير بالرجال . له كتاب : " أمثال القرآن " . مات سنة ٢٩١هـ .
انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٣٩٧، ٣٩٨ رقم (٣٤٧). وشذرات الذهب ٢/٢٠٨ .

وذلك قولُه - تعالَى - : ((قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) (١) .

أي: قالَ - تعالَى - : إنَّ دُعاءَكما مستجابٌ ، ومَا طلبتماهُ كائنٌ ولكن في وقتِهِ ، فاستَقيما واثبُتَا على ما أنتما عليهِ من الدعوةِ والتبليغِ ، ولا تتبعانِّ طريقَ الجهلةِ في الإستعجالِ أو عدمِ الوثوقِ والإطمئنانِ بوعدِ اللهِ (٢) .

ولقد نُسِبَتْ الدعوةُ لموسى وهارون معاً في قولِه : (أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) مع أن الداعِي واحدٌ وهو مُوسى (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا ...) (٣) ، وذلك لأنَّ موسى كان الداعِي ، وهارونَ المؤمن (٤) .

وهذه الإجابةُ من اللهِ بالشدِّ على قلوبِ الفراعنةِ فلا يُؤمنوا ، إنما هي من كمالِ العدلِ الإلهي ، وفي ذلك يقولُ ابْنُ القَيِّمِ* : " وهذا الشدُّ والتَقْسِيةُ من كمالِ عدلِ الربِّ - سبحانه - في أعدائِه ، فانه جَعَلَه عقوبةً لهم على كفرِهم وإعراضِهم ، كعقوبتِهِ لهم بالمصائبِ ، ولهذا كان محموداً ، فهو خَسَرٌ منه ، وأقبحُ شيءٍ منهم ، فإنه عدلٌ منهُ وحكمةٌ ، وهو ظُلمٌ منهم وسَفَهٌ . فالقضاءُ والقَدَرُ فعلُ عادلٍ حكيمٍ غنيٍ عليمٍ يَضعُ الخيرَ والشرَّ في أَلْيَقِ المواضعِ لهما والمَقْضِيُّ المُقدَّرُ يكونُ من العبدِ ظلماً وجوراً وسَفَهاً ، وهو فِعْلُ جاهلٍ ظالمٍ سفيهٍ " (٥) .

وبهذا الدعاءِ أَشْرَفَ الفراعنةُ على نهايتِهم المحتومَةِ ، المتمثلةِ في هلاكِهِم المترتبِ على كفرِهِم وعنادِهِم . وهذا ما سَيُوضحهُ - لنا - المبحثُ التالِي .

---

(١) يونس /٨٩ . (٢) انظر: الكشاف ٢:٢٥١ . وتفسير النسفي ٢/١٧٤ . وأنوار التنزيل ١/٥٤٨ . (٣) يونس /٨٨ . (٤) انظر: جامع البيان ١١/١٦٠ ط١ .
(٥) التفسير القيم . للإمام ابن القيم . جمعه: محمد أويس الندوي . حققه: محمد حامد الفقي /٤٣٩ . لجنة التراث العربي . بيروت لبنان .
* ابن القيم:
هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبدالله شمس الدين . من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء . تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية . كان حسن الخلق محبوبا عند الناس . هذب كثيرا من مصنفات ابن تيمية . ومن مصنفاته: "أعلام الموقعين" و "زاد المعاد" و "مدارج السالكين" . ولد بدمشق سنة ٦٩١ هـ ، وتوفي بها سنة ٧٥١ هـ.
انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٣٤ . والأعلام للزركلي ٦/٥٦ ط ٦ .

(المبحث الثاني)

وقوع الصراع ونتائجه وعواقبه

(المطلب الأول)

وقوع الصراع

بعد أن أصرَّ فرعونُ وقومُه على الكفرِ والتكبرِ ، وبعدَ أن رَفَضَ السماحَ لبني إسرائيلَ بالخروجِ من مصرَ ، أَمَرَ اللهُ - تعالى - موسى أنْ يَخرجَ بقومِهِ سرًّا من مصرَ .

فلما عَلِمَ فرعونُ بذلك عَمَدَ إلى استنفارِ جيشِهِ للقضاءِ على موسى وقومِهِ ، فكانَ اللهُ له بالمرصادِ .

ولكثرةِ الأحداثِ وتلاحقِها سَنَجْتَهِدُ في تفصيلِها بإسلوبٍ سَلِسٍ(١) وواضحٍ كما يلي :

أولا : خروج موسى بقومه :

لَمَّا يَئِسَ موسى - عليه السلام - من إيمانِ الفراعنةِ دَعَا عليهم - كما سبق في المبحث الماضي - ، ولمَّا حَانَ وقتُ هلاكِهم أجابَ اللهُ - تعالى - دعوةَ نبيهِ فأمرَهُ أولاً بالخروجِ بقومِهِ من مصرَ ، وذلك في قولِه - تعالى - ((فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ . فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)) (٢) وفي آيةٍ أخرى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)) (٣) وفي آيةٍ أخرى : ((وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ...)) (٤).

أي : فَدَعَا موسى ربَّه أنَّ هؤلاءِ قومٌ مشركونَ قد امتَنَعُوا عن الإيمانِ وعن إرسالِ بني إسرائيل ، فَأجابَ اللهُ - تعالى - دعاءَه وَأَوْحَى إليهِ أَنْ أَسْرِ بعبادِي بني إسرائيلَ ليلاً - أي: قبلَ الصباحِ - ، إنكم مُتبعونَ من قِبَلِ فرعونَ وجنودِه لِيَرُدُّوكُمْ(٥) .

وأرادَ بقولِه (بِعِبَادِي) أي : الذينَ اتبعوكَ دونَ الذين كَذبوكَ ، والذين اتبعوهُ هم بنو إسرائيلَ فقطْ (٦) .

وكانَ الخروجُ ليلاً ، ليستترَ موسى وقومُه بهِ من فرعونَ وجيشِهِ وليكونَ أَخَفَّ على الأبدانِ والدوابِّ من الحرِّ والجدبِ(٧) ، وليكونَ اجتماعُهم بعيداً عن أنظارِ الفراعنةِ ، وليكونَ عائقاً عن طلبِ فرعونَ ومتبعيهِ(٨) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - من خلالِ تلك الآياتِ أن على المؤمنِ أن يَأخذَ بالأسبابِ بصورةٍ كاملةٍ في صراعِهِ الإيماني .

فموسى - عليه السلام - أَخَذَ بالأسبابِ فَسَارَ ليلاً بدلاً من النهارِ ، مع أنَّ اللهَ قادرٌ على نصرِهِ في النهارِ أيضاً .

---

(١) سلس: سهل . انظر: القاموس المحيط/٧٠٩ ومختار الصحاح/٣٠٩ . (٢) الدخان/٢٢، ٢٣ . (٣) الشعراء/٥٢ . (٤) طه/٧٧ . (٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٨ط١، ١٣/١٠٠، ١٦/١٣٨ط المصورة . (٦) انظر: جامع البيان ٢٥/١٢ط٢ . (٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٣٨ط المصورة . (٨) انظر: التفسير الكبير ٢٢/٩٣ .

ومثلُ هذا حَدَثَ مع نبيِّ اللهِ لوطٍ - عليهِ السلامُ - إذْ أُمِرَ أَنْ يَسْرِ بأهلِهِ ليلاً ، وذلك قولُه - تعالى - :((قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ(١) وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)) (٢) .

وقد كانَ رسولُ اللهِ محمد - صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ - يَأخذُ بالأسبابِ كاملةً في صراعِهِ الإيمانيِ .

ومثالُ ذلك ما حَدَثَ في هجرتِه من مكةَ المكرمةِ إلى المدينةِ المنورةِ حيثُ اتخذَ من الأسبابِ ما يَكفي لإنجاحِ هجرتِهِ بعد توكلِه واعتمادِه على اللهِ .

وهذا مُوجزٌ للإسبابِ التي اتَّخَذَها هو و أَبُو بكرٍ ، كما اقتبسناها من سيرةِ ابنِ هِشَامٍ*(٣)، ومن البدايةِ والنهايةِ(٤) .

١- إتَّخَذَ له صاحباً في هجرتِهِ وهو أبو بكرٍ الصديقِ - رضي اللهُ عنه - ، ولا يَخْفَى أهميةُ الصحبةِ في السفرِ من التعاونِ والإستئناسِ وغير ذلك .

٢- كَتَمَ خَبَرَ هجرتِهِ عن الناسِ بحيث لم يَعلمْ بها إلا عليَّ بن أبي طالبٍ** وأبو بكرٍ الصديقُ ، و آلُ أبي بكرٍ ، ومن المعلومِ أن من أسبابِ الإنتصارِ إخفاءُ الأسرارِ عن الأعداءِ .

٣- خَرَجَ من مكةَ ليلاً حتى لا يَراه المشركونَ فيُحدثوا له أمراً .

٤- أَمَرَ عليَّ بن أبي طالبٍ أَنْ ينامَ في فراشِهِ حتى يُعَمِّيَ على المشركينَ .

٥- اختَبَأَ وصاحبَه في غارِ ثورٍ ثلاثةَ أيامٍ حتى ييأسَ الطلبُ وينقطعَ عنه البحثُ .

٦- إتخذوا دليلاً يُرشدهُم في الطريقِ .

٧- إتخذوا خادماً يقومُ على خدمتِهم في الهجرةِ .

٨- إتخذوا راحلتينِ للسفرِ .

٩- عيَّنوا عبدَاللهِ بن أبي بكرٍ*** عَيْناً لهم في مكةَ يَأتيهِم بخبرِ القومِ كلَّ مساءٍ .

---

(١)بقطع من الليل : أي:في ظلمة آخر الليل ،أو:القطعة من أوله أو:ثلثه .انظر: القاموس المحيط/٩٧٢. ومختار الصحاح/٥٤٣. (٢)هود/٨١. (٣)انظر:السيرة لابن هشام ٢/٨٩ وما بعدها . (٤)انظر: البداية والنهاية ٣/١٧٧ ومابعدها .

* ابن هشام:
هو:عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين . كان مؤرخا وعالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب . من مصنفاته :"السيرة النبوية" رواية عن ابن إسحق. ولد سنة ٢١٣هـ بالبصرة ونشأ فيها ، وتوفي بمصر سنة ٢٨٢هـ . انظر:البداية والنهاية ١٠/٢٦٧. والأعلام للزركلي ٤/١٦٦ط٦.

** علي بن أبي طالب : هو:علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف . ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كنيته أبو الحسن. صهر النبي على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين،وأبو السبطين . وهو أول خليفة هاشمي ، وأول الناس إسلاما - عند الأكثر - . شهد بدرا وأحدا وجميع المشاهد إلا تبوك. فان رسول الله خلفه على أهله. كان أقضى الناس ، وأعلم أصحاب رسول الله ، وكان زاهدا وعادلا وفضائله كثيرة جدا . ولي خلافة المسلمين خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وقيل غير ذلك . وتوفي قتلا ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠هـ عن ٥٧ سنة وقيل ٥٨ سنة . انظر : أسد الغابة ٤/٩١-١٢٥ رقم(٣٧٨٣). وحلية الأولياء ١/٦١-٨٧ رقم(٤) . والإصابة ٤/٥٦٤- ٥٧٠ رقم(٥٦٩٣).

*** عبدالله بن أبي بكر : هو:عبدالله بن عبدالله - أبي بكر الصديق - بن عثمان . وهو أخو أسماء بنت أبي بكر . وهو الذي كان يأتي النبي وأباه أبا بكر بالطعام ، وبأخبار قريش إذ هما في الغار كل ليلة وكان إسلامه قديما . شهد الطائف والفتح وحنينا . شهد الطائف مع النبي وأصيب بها بسهم مات بسببه في أول خلافة أبيه وذلك في شوال سنة ١١هـ . انظر: أسد الغابة ٣/٢٩٩، ٣٠٠ رقم(٣٤٤٢). والأعلام للزركلي ٤/٩٩ ط ٦ .

١٠- عَيَّنوا أَسماءَ بنتَ أبي بكرٍ* لتُحضرَ لهم الطعامَ كلَّ مساءٍ .
١١- لَمَّا خَرَجُوا من غارِ ثَوْرٍ قاصدينَ المدينة سَلَكُوا طريقاً غيرَ معهودٍ (مشهورٍ) إلى المدينةِ زيادةً في التعميةِ عليهم .

فهذا كلُّه يَدلُّنا على أهميةِ الأخذِ بالأسبابِ في دعوةِ الناسِ وفي خوضِ الصراعِ الإيمانيِ ، فإذا فَعَلَ النَّبيونَ ذلك - وهم المُؤيَّدون بالوحيِ وبالدعوةِ المستجابةِ - فعلى الدعاةِ أن يَقْتَفُوا أَثَرَهُم ، وأن لا يَألُوا جُهداً في ذلك.

وقد أشارَ اللهُ - تعالى - إلى ذلك بقولِهِ : ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...)) (١) .

ولكن بعد أن يَعلمَ فرعونُ بخروجِ موسى وقومِهِ منمصرَ ، كيف سَيتصرفُ ؟ هذا ما سَتُوضحهُ - لنا - النقطةُ التاليةُ .

ثانيا : إتباع فرعون وجيشه لهم :

بعد أن عَلِمَ فرعونُ بخروجِهم منْ مصرَ ، عَمَدَ إلى جَمْعِ جُيوشِهِ من الأقاليمِ ، ثم اقتَفى أَثَرَهم طالباً إياهم ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

أ) فرعون يجمع جيشه :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ))(٢) .

أي : فأرسلَ فرعونُ في المدائنِ من يَحشرُ له جُندَهُ وقَومَه ويقولُ لهم : إن موسى وقومَه لطائفةٌ "قليلة"، وإنهم لَغَائظونَ لنَا وإنا لجميعٌ (حَاذِرُونَ) : أي أَخَذْنَا حِذْرَنَا وَأَسْلِحَتَنَا . وفي قراءةٍ أخرى (حَذِرُونَ) أي : فَرِقُونَ خَائِفُونَ (٣) .

وأما سببُ غيظِهم فيتمثلُ في كونِهم خَالَفُوا دينَ الفراعنةِ ، وذَهَبُوا بأموالِهم التي استعارُوها ، وخرجُوا من أرضِهم بغيرِ إذنِهم (٤) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن الطواغيتَ إذا ما عَجزوا عن إخضاعِ الناسِ لهم ، واذا يَئِسوا من إقناعِهم بدينِهم ومنهجِهم ، فإنهم يلجأون إلى الجيشِ والقوةِ والسلاحِ كحلٍ أخيرٍ في مواجهةِ هذه الطائفةِ المؤمنةِ - التي يحلو لهم تسميتُها بالشرذمةِ - لكي يُبيدوها ، ويستأصِلُوا شأفتَها ؛ إذ كيف يَتَأَتَّى لها أن تخرجَ عن طَوْعِ الطاغيةِ !

---

(١) الأنفال /٦٠ . (٢) الشعراء/٥٣-٥٦ . (٣) انظر: جامع البيان ١٩/٧٤-٧٧ط٢. والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠١ط١. والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٥. وإتحاف فضلاء البشر ٢/٣١٥، ٣١٦. (٤) انظر : مراح لبيد ٢/١٠٩ .

* أسماء بنت أبي بكر: هي: أسماء بنت أبي بكر الصديق. أسلمت بمكة قديما، وتسمى بذات النطاقين . تزوجت من الزبير وأنجبت منه عبدالله . كانت هي وأبوها وجدها وزوجها وابنها من الصحابة . كانت كريمة وكثيرة العتق في سبيل الله . شهدت اليرموك مع ابنها عبدالله وزوجها . توفيت بعد مقتل ولدها بليال .
انظر: صفة الصفوة ٢/٥٨، ٥٩ رقم (١٣٩) ط٣. والأعلام للزركلي ٢/٢٠٥ ط ٦ .

وهذا الذي حَدَثَ مع موسى وقومِه ليس بالغريبِ، فإنه حَدَثَ ويَحْدُثُ للطوائفِ المؤمنةِ على مرِّ الأزمانِ والعصورِ كلما تمسكت بدينِها وأصرَّت عليه.

ومثالُ ذلك ما حدثَ للمؤمنين أهل الأخدود، إذ حُرِّقُوا بالنارِ لأجلِ إيمانِهم، وفي ذلك يقولُ المولى: ((قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (١).

ومثالُ ذلك أيضاً ما حَدَثَ مع رسولِ اللهِ - صَلى اللهُ عليهِ وسلم - وصحبِهِ، لمَّا تمسكوا بدينِهم وأصروا عليهِ، عَمَدَ الكفارُ إلى تقتيلِهم وتعذيبِهم حتى اضطروهم إلى الخروجِ والهجرةِ إلى الحبشةِ، ثم الهجرةِ الثانيةِ إلى المدينةِ (٢).

ومثالُ ذلك أيضاً ما حدثَ مع إبراهيمَ - عليهِ السلامُ - حيث صَنَعَ الكفارُ له ناراً عظيمةً ثم ألقَوْهُ فيها، غيرَ أنَّ اللهَ جَعَلَ له مَخرجاً كما قالَ تعالى: ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ))(٣) (٤).

ب) فرعون يتبعهم بجيشه :

بعد أن اجتمعَ لفرعونَ جيشُه، عَمَدَ إلى اتباعِ موسى وقومِه، وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ)) (٥).

أي : فَلَحقوهم وهم داخلونَ في وقتِ الشروقِ، مِن شَرَقَتْ الشمسُ شُروقاً إذا طَلَعَتْ (٦).

وبذلك يَتضحُ أن فرعونَ لم يَتمكنْ من اتباعِهم بجنودِهِ إلا بعدَ طلوعِ الشمسِ، بينما غادَرَ موسى وقومُه في الليلِ.

وهكذا سَارَ فرعونُ بجيشِهِ العَرَمْرَمِ (٧) وراءَ الطائفةِ المؤمنةِ المُستضعفةِ، التي لم تَفعلْ شيئاً إلا أنها آمنَت وخَرجَت لتعبدَ ربَّها على حُريتِها.

وقد جاءَ وصفُ جيشِ فرعونَ في قولِهِ - تعالى - : ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)) (٨).

ولكن هل سَيُدركُهم فرعونُ بجيشِهِ بعدَ تأخرِهِ عن اتباعِهم ليلاً. هذا ما سَتوضحُه - لنا - النقطةُ التاليةُ.

ثالثا : تراءي الجمعين وشق البحر :

سَارَ فرعونُ بجيشِهِ مقتفياً أثرَ موسى وقومِه، فلما تراءَى الجمعانِ وقَعَ بنو إسرائيلَ في الحرجِ الشديدِ، وظنُّوا بموسى الظنونَ، فجاءَهم نصرُ اللهِ من حيثُ لا يَتوقعون. وتفصيلُ ذلك كما يلي :

---

(١) البروج/٤- ٨. (٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٨٠ وما بعدها، ٢/٨٩ وما بعدها. والبداية والنهاية ٣/٦٦ وما بعدها، ١٦٨ وما بعدها. (٣) الأنبياء ٦٨/٢، ٦٩.
(٤) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك. راجع/١١٨، ١١٩، ١٣٠، ١٣٦. (٥) الشعراء ٦٠/.
(٦) انظر: الكشاف ٣/١١٥. وغريب القرآن/٣١٧. (٧) العرمرم: أي الجيش الكثير الشديد. انظر: القاموس المحيط/١٤٦٧. ومختار الصحاح/٤٢٨. (٨) البروج/١٧، ١٨.

أ) تراءي الجمعين :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)) (١) .

أي : لما رأى أحدُهما الآخرَ - جمعُ بني إسرائيل وجمعُ القبط - قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى : إنا لَمُلْحَقُون ، قالوا ذلك لمَّا رَأَوُا العدوَّ القويَّ وراءَهم ، والبحرَ أمامَهم - حيث انتهى بهم السيرُ إلى سيفِ بحرِ القلزمِ - وساءت ظُنونُهم . عند ذلك زَجَرهم موسى وَرَدَعهم بحرفِ الردعِ (كَلَّا) والمعنى : لَنْ يُدركوكم ، لأن اللهَ وَعَدكم بالنصرِ والخلاصِ منهم إن اللهَ سَيُرشدني عن قريبٍ إلى طريقِ النجاةِ ويُعَرِّفُنيه (٢) .

وهكذا يَتضحُ - لنا - الموقفُ السيءُ الذي اتَّخذه بنو إسرائيل ، الذي يَنُمُّ عن ضعفٍ إيمانيٍ كبيرٍ بعد أن رَأوا الآياتِ العُظمى في مصرَ ، وذلك العذابَ الشديدَ الذي لَحِقَ بالفراعنةِ ، والذي يَنُمُّ - أيضاً - عن سوءِ ظنٍ كبيرٍ بنبيِّهم ، الذي أُرْسِلَ إليهم من اللهِ ، وهم يَعلمونَ أَنَّ خلاصَهم من الفراعنةِ وعذابَهم سيكونُ على يديهِ .

ويَحْسُنُ - بنا - أَنْ نقارنَ - هنا - بينَ موقفِ قومِ موسى هذا ، وبينَ موقفِ صحابةِ رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - عندما هاجَروا إلى الحبشةِ ، وإلى المدينةِ ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

١- أصحابُ رسولِ اللهِ ، لم يهاجروا مجتمعينَ ، بَلْ خَرَجُوا فُرادى ، وَمَثْنَى ، وأكثرَ من ذلكَ ، بخلافِ بني إسرائيل .

٢- أصحابُ رسولِ اللهِ ، خَرجوا دونَ نبيِّهم ، بينما خَرَجَ بنو إسرائيلَ ونبيهم موسى معهم يَعدهُم النجاةَ والنصرَ .

٣- أصحابُ رسولِ اللهِ ، منهم من خَرَجَ دونَ أهلِهِ ، ومنهم دُونَ ولدِهِ ، ومنهم دون مالِهِ ، بينما خَرَجَ بنو إسرائيلَ بأهلِهم وأولادِهم وأموالِهم ، فضلاً عن أموالِ القبطِ التي استعارُوها مِنْهم .

٤- أصحابُ رسولِ اللهِ ، منهم من لَمْ يَتمكنْ من الخروجِ ، ومنهم من قُبِضَ عليه فَافتُتن بالقتلِ أو بالعذابِ أو بأخذِ الأموالِ ، بينما أتباعُ موسى خَرَجُوا جميعاً ونجوا جميعاً .

ومع ذلك كلِّه كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ ، سعيدين بهجرتِهم إلى الحبشةِ والمدينةِ ، ولم يَتَأففوا (٣) منها ، ولم يَعترضوا على رسولِ اللهِ في شيءٍ (٤) .

وبذلك كلِّه يتضح - لنا - السببُ الذي جَعَلَ موسى - عليه السلام - يَقول : ((إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) بَدلاً مِنْ : إِنَّ مَعَنَا ، بعدَ أن قالَ لهُ قومُهُ (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) .

بينما رسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - لَمْ يقلْ مثلَ مقالةِ موسى لقومِهِ ، في حقِّ أصحابِهِ وذلك لعظيمِ موقفِهم المباركِ منهُ .

---

(١) الشعراء ٦١/ ، ٦٢ . (٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣٦/٣ . والبحر المحيط ١٩/٧ ، ٢٠ . (٣) يتأففوا : أي : يتضجروا . انظر: القاموس المحيط/١٠٢٣ .
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٨٠/١ وما بعدها ٨٩/٢ وما بعدها . والبداية والنهاية ٦٦/٣ وما بعدها ، ١٦٨ وما بعدها .

وفي ذلكَ يَروي الإمامُ مُسْلِمٌ* في صحيحهِ عن أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه أن أبَا بكرٍ الصديقَ رضي اللهُ عنه قالَ : نَظَرْتُ إلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ : (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)(١).

وذلك مصداقٌ لقولهِ - تعالَى - : ((إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ...)) (٢) .

ب) شق البحر :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ))(٣) .

أي : فأوحينَا إلى موسى أن اضرب بعصَاكَ البحرَ - ففعل موسى ذلك - فانفلقَ البحرُ ، فكانَ كلُّ طائفةٍ منه بعدَ ضربهِ وانفلاقهِ كالجبلِ العظيم(٤) .

ولقدْ طَمْأَنَ اللهُ - تعالى - موسى - عليه السلام - عما هو مقدمٌ عليه ، وعما هو مدركٌ له . وذلك قولُه - تعالى - : ((... فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى))(٥) .

أي : فاتَّخذ لهم في البحرِ طريقاً يابساً ، ولا تخف من فرعونَ وجنودِهِ أن يدركوكَ من ورائِك ، ولا تخش غرقاً بينَ يديكَ ووحلاً(٦) .

وقد كان الداعِي لانشقاقِ البحرِ هو نجاةُ بني إسرائيلَ وإغراقُ فرعونَ وجيشِهِ ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)) (٧) .

أي : فرقناهُ بسببكم ، وبسببِ إنجائِكم (٨) .

والمرادُ بقوله : (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) هو الأخذُ بالأسبابِ " وإلا فضربُ العصا ليسَ بفارقٍ للبحرِ ، ولا معينٍ على ذلكَ بذاتهِ إلا بما اقترن به من قدرةِ اللهِ تعالى واختراعِه "(٩) .

وهذا نظيرُ قولهِ - تعالى - : ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)) (١٠) ؛ ومنَ المعلومِ أن هَزَّ النخلةِ لا يَستطيعهُ أقوى الرجالِ ، فضلاً عن امرأةٍ - وهي مريمُ بنتُ عمرانَ - في حالةِ مخاضٍ ، لقولهِ - تعالى - ((فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ..) (١١) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب:(فضائل الصحابة) باب:(من فضائل أبي بكر) ٧/١٠٨ . (٢) التوبة/٤٠ . (٣) الشعراء/٦٣ . (٤) انظر: جامع البيان ١٩/٨٠ ط٢ . (٥) طه/٧٧ (٦) انظر: جامع البيان ١٦/١٩١ ط٢ . (٧) البقرة/٥٠ . (٨) انظر: الكشاف ١/٢٨٠ . والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي ، تحمد صادق الملاح ١/٢٦٨ ط:(١٣٩٤هـ) ، نشر : محمد عويضة . (٩) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠٧ ط ١ . (١٠) مريم/٢٥ . (١١) مريم /٢٣ .

* مسلم : هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري ، كان إماما حافظا ، وعلما محدثا ثقة مأمونا . سمع من أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهما . وروى عنه الترمذي وغيره . من مصنفاته : " الجامع الصحيح " ، وهو أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري ، والطبقات . ولد سنة ٢٠٤هـ ، وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١هـ . انظر: شذرات الذهب ٢/١٤٤، ١٤٥ . وخلاصة تذهيب الكمال ٢/٢٤ رقم (٦٩٦٢) .

وقد ذَهبَ المُفسرونَ إلى أنَّ البحرَ قد انشَقَّ عن اثني عشرَ طريقاً، على عددِ أسباطِ بني إسرائيلَ الإثني عشر ، واستدلوا بقولِه - تعالى -: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ) ، بمعنى : فَرَقَ البَحرَ اثني عشر طريقاً ، فَسَلَكَ كُلُّ سبطٍ منهم طريقاً منها (١) .

والذي أراه أن البحرَ قد انشقَّ عن طريقٍ واحدٍ ، وأن ما ذَهَبَ إليه أكثرُ المفسرينَ فيه نظرٌ ، وذلك للأدلةِ الآتيةِ :

١- إنَّ المفسرينَ لم يَأتوا بدليلٍ واحدٍ قَطْعِيِّ الدلالةِ من القرآنِ أو السنةِ ، وأما ما استَدلوا بهِ فليسَ بقطعي، بَل يَحتملُ أنَّ الإنشقاقَ أفْضَى عن طريقٍ واحدٍ أو أكثر. والدليل إذا تَطرقَ إليهِ الإحتمالُ بَطلَ بهِ الإستدلالُ .

٢- إذا كَان البحرُ قد انشقَّ عن اثني عشرَ طريقاً ، فَلِمَ لَمْ يُذكرْ ذلك في القرآنِ بصورةٍ واضحةٍ ، نظيرَ قولِهِ - تعالى - : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ...) (٢) .

٣- قولُه - تعالى - : ((... فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ..))(٣) ، يَدلُ على أنه كان طريقاً واحداً ، لا طرقا متعددةً. ذلك أنه لم يَقُلْ، فاضربْ لهم طُرقاً في البحرِ يبساً . ولأن (طَرِيقًا) تُطلقُ على المفردِ الواحدِ وهو الطريقُ ، أما جَمْعُهَا فهو : أَطْرُقٌ وَطُرُقٌ وأطرقاء وأطرقة ، وجمعُ الجمعِ طُرُقَات (٤) .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُ صاحبِ الظلالِ في ذلك : " وَقعَت المعجزةُ وانكشَفَ بينَ فِرقَتَي الماءِ طريقٌ . وَوَقَفَ الماءُ على جانبَي الطريقِ كالطودِ العظيمِ . واقتحمَ بنو إسرائيل ..."(٥) .

ومن الجدير ذكرُه أنه وَرَدَ في التوراةِ المترجمةِ أن البحرَ قد انشقَّ عن طريقٍ واحدٍ فقط .

وذلك قولُه : " ومَدَّ موسى يَدَه على البحرِ . فَأَجْرَى الربُّ بريحٍ شرقيةٍ شديدةٍ كل الليلِ وجعل البحرَ يابسةً وانشقَّ الماءُ . فدخلَ بنو إسرائيلَ في وسطِ البحرِ على اليابسةِ والماءُ سورٌ لهم عن يمينِهم وعن يسارِهم "(٦) .

وفي آيةٍ أخرى : " وأما بنو إسرائيل فَمَشَوْا على اليابسةِ في وسطِ البحرِ والماءُ سورٌ لهم عن يمينِهم وعن يسارِهم "(٧) .

وقد كانَ انشقاقُ البحرِ منالنعمِ العظيمةِ على موسى وقومِه ، إذ نَجَّاهم اللهُ بهِ من الكربِ الشديدِ ، ذلك أنهم حُوصِرُوا بينَ البحرِ وبينَ فرعونَ وجيشِهِ، فان تَوَقفوا أدركَهم فرعونُ بجندِهِ فقتلُوهم ، وإن تَقدَّموا غَرقُوا في البحرِ؛ كذلك فإنَّ اللهَ خَصَّهم بهذهِ المعجزةِ العظيمةِ الباهرةِ ، وذلك لكرامتِهم على اللهِ (٨) .

---

(١) انظر: جامع البيان ١/٢٥٠ط٢. والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠٧ط١. والكشاف ١/٢٨. وتفسير النسفي ٣/١٨٥. والمحرر الوجيز ١/٤٧. ومراح لبيد ٢/١٠٩ . (٢) البقرة/٦٠. (٣) طه/٧٧. (٤) انظر: القاموس المحيط/١١٦٦. ومختار الصحاح/٣٩١. والمعجم الوسيط ٢/٥٦٢ . (٥) في ظلال القرآن ٥/٢٥٩٩ . (٦) الكتاب المقدس. سفر الخروج «إصحاح ١٤/٢١ ، ٢٢ . ص ١١٠. (٧) نفس المرجع. نفس المكان. الآية ٢٦ . ص ١١١. (٨) انظر: التفسير الكبير ٣/٧١ .

ومن الجدير ذكرُه أنَّ ابنَ عَطِيَّة* ذهبَ إلى أنَّ انشقاقَ البحرِ كان في ضفةٍ واحدةٍ ولم يكنْ عرضياً من ضفةٍ لأخرى ، وفي ذلك يقول : "...وَلَمْ يُفْرَقِ البحرُ عرضاً جزعاً(١) من ضفةٍ إلى ضفةٍ، وإنما فُرِقَ من موضعٍ إلى موضعٍ آخر في ضفةٍ واحدةٍ ، وكان ذلك الفرقُ يُقربُ موضعَ النجاةِ ولا يَلحقُ في البر إلا أيام كثيرة بسببِ جبالٍ وأوعارٍ هائلةٍ"(٢) .

ويبدو أن هذا فيه نظرٌ للأدلةِ الآتيةِ :

١- ظاهرُ الآياتِ في ذلك يُفيدُ أن البحرَ شُقَّ بعرضِهِ من ضفةٍ لأخرى .

٢- سِياقُ الآياتِ في ذلك يَدلُّ على أن الإنشقاقَ كان عرضياً ، وأن بني إسرائيل قد جَاوزوهُ إلى البرِّ الآخر ، ولو كانوا على نفسِ الضفةِ لما كان تجاوزاً ولما لَقُوا عبدةَ الأصنامِ . وتصديقُ ذلك قولُه - تعالى- في سورةِ يُونس : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ بَغْياً وعدوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ...)(٣)، وقولُه في سورةِ الأعرافِ :(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا ...)(٤) .

٣- الحكمةُ من خروجِهم من مصرَ ، كانت تتمثلُ في انطلاقِهم إلى الأرضِ المقدسةِ - الشامِ - التي كَتَبَ اللهُ لهم . فعودتُهم من حيثُ خَرجوا تُنافي هذه الحكمةِ .

وأما ما استدلَّ به من طولِ الطريقِ - إذا كانَ الإنشقاقُ عرضياً - أو من الوعورةِ والجبالِ فإنَّ قولَه - تعالى - : ((فَاضْرِبْ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقاً يَبَساً ...))(٥) يُزيلُ ذلك الإشكال . فالذي يُيْبِسُ طريقَ البحرِ الرطبةِ قادرٌ على تسهيلِها للسيرِ ، وعلى تقريبِها لقولِه : ((وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ))(٦).

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُ ابن جريرٍ الطبري في قولِه - تعالى -: ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ...))الآية(٧): " وَقَطَعْنَا ببني إسرائيلَ البحرَ بعد الآياتِ التي أريناهموها ، والعبرَ التي عَاينوها على يدي نبي اللهِ موسى ..."(٨) .

ومن الجدير ذكرُه- أيضاً - أنه قَدْ اختُلِفَ في تعيينِ البحرِ الذي جَاوزهُ بنو إسرائيل والذي غَرقَ فيه الفراعنةُ . وتفصيلُ ذلك كما يلي :

١- ذَهبَ فريقٌ إلى أنه نهرُ النيلِ .

٢- ذهب فريق آخر الى أنه بَحرُ القلزمِ (٩) .

٣- وردَ في التوراةِ المترجمةِ أنه بحرُ سوفٍ . وذلك قولُه : " مَركباتُ فرعونَ وجيشُهُ ألقاهُمَا في البحرِ . فَغَرِقَ أفضلُ جنودِهِ المركبةِ في

---

(١) جزعا : أي نصفين . انظر: القاموس المحيط/٩١٦ . ومختار الصحاح/١٠٠ . (٢) المحرر الوجيز ١/٢٦٨ . (٣) يونس /٩٠ . (٤) الأعراف/١٣٨ . (٥) طه/٧٧ . (٦) الشعراء/٦٤-٦٦ .
(٧) الأعراف/١٣٨ . (٨) جامع البيان ١٣/٨٠ ط: المحققة . (٩) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٣٦ . وتفسير النسفي ٣/١٨٥ . والمحرر الوجيز ١/٢٦٨ . وتفسير أبي السعود ٤/١٠٨ .

* ابن عطية : هو: عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي -من محارب قيس - الغرناطي أبو محمد . كان مفسرا فقيها أندلسيا ، وكان عارفا بالأحكام والحديث وله شعر ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين . من مصنفاته : "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" و "برنامج" في ذكر مروياته وأسماء شيوخه . ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤٢هـ . انظر: الأعلام للزركلي ٤/٥٣ ط٣ . والمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي . لمحمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ٢٥٩/٠ . ط : مدينة مجريط بمطبع روخس (١٨٨٥م) . يطلب من مكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر . وبغية الملتمس/٣٧٦ ط: مجريط بمطبع روخس (١٨٨٤م) .

بحـر سُـوف "(١) .

والذي أَميلُ إليهِ هو القولُ الثاني ، ذلك أن بحرَ القلزمِ* هو البحـرُ الوحيدُ الذي يَفصلُ بينَ مصرَ فرعونَ ، وبينَ صحراءِ سيناءَ المُفضيةِ إلى الأرضِ المقدسةِ .

أما ما ذهبَ إليه الفريقُ الأولُ ففيه نظرٌ للأدلةِ الآتيةِ :

١- إنَّ نهرَ النيلِ في مصرَ معروفٌ عرضُه ، وجيشُ فرعونَ ضَخمٌ لقولِـه : ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)) (٢) ، فلو دَخـلَ جيشُ فرعونَ النهرَ وعَبَرَهُ لمَا اتسعَ للجيشِ ، ولا لنصفِه ، ولا لنصيفِه . بل عَرضُهُ لا يَتسعُ إلا لقطعةٍ صغيرةٍ منَ الجيشِ . إذاً باقي جيشِ فرعـونَ إمَّا أنْ يكونَ جهة موسى أو الجهة الأخرى . وعلى ذلك لو التَطَـمَ عليهم النهرُ فلن يُغرقَهم جميعاً ، وهذا مخالفٌ لمَا وَرَدَ في القـرآنِ من إغراقِهم جميعاً ، وذلك قولُه - تعالَى - : ((... فَأَغْرَقْنَاهُـمْ أَجْمَعِيـنَ)) (٣) وفي آيةٍ أخرى : ((... فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَـهُ جَمِيعًـا)) (٤) .

٢- إنَّ الحكمةَ من خروجِ بني إسرائيلَ هي الإنطلاقُ للأرضِ المقدسةِ ، وهـذا يَقتَضي انطلاقُهم تُجاهَ صحراءِ سيناءَ . أما أنْ يَنطلقُوا إلى نهـرِ النيلِ - الذي يَنتصفُ مصرَ - فلا عبرةَ منه إذ يذهبونَ من مصـرَ إلى مصـرَ .

٣- قولُه - تَعالَى - : ((... فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيـمِ)) (٥) ، لا يتناسبُ مع نهرِ النيلِ أو أي نهرٍ ؛ فمهمَا ارتَفعَت مياهُ الأنهـارِ فلنْ تَصيرَ كهيئةِ الجبلِ العظيمِ ، وهذا بخلافِ البحارِ .

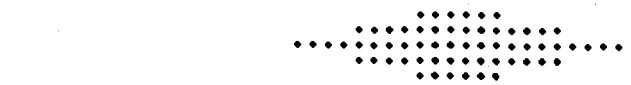

---

(١) الكتاب المقدس . سفر الخروج . اصحاح/١٥ آية/٤ . (٢) البروج/١٧ ، ١٨ .
(٣) الزخـرف /٥٥ . (٤) الإسـراء/١٠٣ . (٥) الشعراء/ ٦٣ .

* بحر القلزم : يقال : تَقلزم إذا ابتلع . وسمي بذلك نسبة إلى المكان الذي غرق فيه فرعون إذ ابتلعه البحر ، وقالوا : قلزم بلدة على ساحل بحر اليمن قرب إيلة والطور ومدين ، وإلى هذه البلدة ينسب البحـر وموضعها أقرب موضع إلى البحر العربي . انظر : معجم البلـدان ٣٨٧/٤ . ومراصد الإطلاع ١١٦/٣ .

(المطلب الثاني)

(نتائج الصراع)

بعد أنْ أوشكَ فرعونُ وجيشُه أن يُدركوا موسَى وقومَه ، جاءَ نصرُ اللهِ ، وَوَقَعت المعجزةُ ، وانشقَّ البحرُ . فأفضى ذلك إلى هزيمةِ الفراعنةِ وغرقِهم ، ونجاةِ المؤمنينَ ونصرِهم .

وهذه الجولةُ أفضت إلى نتائجَ مهمةٍ للصراعِ الإيماني ، لانها تُمثلُ الحلقةَ الأخيرةَ منه . وسَنَعمدُ إلى تفصيلِ هذهِ النتائجِ كما يلي :

أولا : إنتصار موسى وقومه ونجاتهم :

بعد أنْ شُقَّ البحرُ بإذنِ اللهِ ، وأفضَى عن طريقٍ واسعٍ وَسَطَ لُجَجٍ(١) المياهِ ، التي ارتَفعَت عن اليمينِ والشمالِ كالجبلينِ العظيمينِ ، دَخلَ موسى وقومُه ذلكَ الطريق وعبرُوه حتى تَجاوَزُوه ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ...)) (٢) .

أي جاوزَ اللهُ بِبَنِي إسرائيلَ البحرَ بعنايتِهِ ورعايتِهِ حتى كأنه معهم بذاتِهِ (٣).وهذا التجاوزُ يُمثلُ نجاةً لموسى وقومِهِ وانتصاراً ، وتفصيل ذلكَ كما يلي :

أ) نجاتُهم جميعاً من الغرقِ :

وذلك قولُه - تعالَى - : ((وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ)) (٤) .

أي : وأنجينا موسى وقومَه جميعاً من الغرقِ(٥) .

وقد وَرَدَ ذِكْرُ هذه النجاةِ في آيةٍ أخرى ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ...)) (٦) .

وهكذا يتبين - لنا - أنَّ نصرَ اللهِ - تَعالَى - لا يَتخلفُ عن المؤمنينَ وذلك مصداقاً لقولِهِ - تَعالَى - : ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كلمتنا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)) (٧) .

والنجاةُ التي حَصلت لموسى وقومِهِ المؤمنين ، حَدثت أيضاً لرسلٍ آخرين وأقوامِهم المؤمنين ، وذلك مصداقاً لقوله : ((ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)) (٨) .

ومثالُ ذلك لوط وأهله كما قالَ - تعالَى - : ((وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ)) (٩) ، وهود وأتباعه كما قال - تعالَى - : ((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ...)) (١٠) ونوح وأتباعه كما قالَ - تعالَى - : ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ...)) (١١) (١٢) .

---

(١) لجج : أي معظم الماء ، ومنه بحر لجي . انظر : القاموس المحيط/٢٦٠ ومختار الصحاح/٥٩٢ .
(٢) الأعراف/١٣٨ .
(٣) انظر : التفسير الواضح ٩/١٩ .
(٤) الشعراء/٦٥ .
(٥) انظر : جامع البيان ١٩/٨٢ ط ٢ .
(٦) البقرة/٥٠ .
(٧) الصافات/١٧١ - ١٧٣ .
(٨) يونس/١٠٣ .
(٩) الصافات/١٣٣ ، ١٣٤ .
(١٠) هود/٥٨ .
(١١) الأعراف/٦٤ .
(١٢) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك راجع/١٠٩ .

ويتبين - لنا أيضا - أن المؤمنينَ ليسوا وحدهم في ميدان الصراع، بل إن اللهَ قد يسخرُ لهم قوى الطبيعة المختلفة كجنودٍ محاربة معهم ومدافعة عنهم، مصداقا لقوله - تعالى - : ((... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ...)) (١) .

فالبحر أضحى - هنا - جنديا مطيعاً للهِ، نَصَرَ المؤمنينَ وهَزمَ الكافرينَ . إذ عَملَ بانشقاقه على نجاةِ المؤمنينَ من الهلاكِ المحتوم، وبالتطامه (٢) على هلاكِ فرعونَ وجيشهِ بالغرقِ أجمعينَ .

وللوصولِ إلى نصرِ اللهِ، وإلى تسخيرِ قوى الطبيعةِ كجنودٍ مجندة للمؤمنينَ، يجبُ على المسلمينَ أن ينصروا اللهَ، وذلك لن يتمَّ إلا بامتثالِ أوامره - سبحانه - واجتنابِ نواهيه .

وفي ذلك يقول - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) (٣) (٤) .

ب) نجاتهم جميعا من عذاب الفراعنة :

وذلك قوله - تعالى - : ((وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ)) (٥) .

أي ولقد نَجينا بَني إسرائيلَ من عذابِ فرعونَ المذل لهم . إن فرعونَ كان جَباراً مُستعلياً مُستكبراً على ربهِ، من المتجاوزين حدود الله (٦) .

ولقد وردَ في آياتٍ أخرى تفصيلُ هذا العذاب المهين، ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)) (٧) .

وبذلك تَحررَ بنو إسرائيلَ من العبوديةِ، والذلِ والصغارِ (٨) الذي كان مضروباً عليهم، إضافةً للعذابِ المهينِ الذي كان واقعاً بهم . في ذات الوقت الذي استُدرج فيه الفراعنةُ للهلاكِ المحتومِ .

وهذا يُتيحُ لهم الحياةَ الكريمةَ التي يستطيعونَ من خلالِها أن يعبدوا اللهَ وحدَه دون أدنى أذى .

وذلك كلُّه يُمثلُ قمةَ النعمة الإلهية عليهم، والتي تَتمثلُ في نجاتِهم من الغرقِ، ومن بأسِ الفراعنةِ، إضافةً إلى انتصارهم على الفراعنةِ وغلبتهم إياهم .

وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ)) (٩) .

---

(١) المدثر/٣١ . (٢) بالتطامه : من اللطم : وهو الإلتصاق، ويقال التطمت الأمواج، أي : ضرب بعضها بعضا . انظر: القاموس المحيط/١٤٩٥ ؛ ومختار الصحاح /٥٩٨ .
(٣) محمد / ٧ . (٤) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك، راجع / ٤٦ .
(٥) الدخان/٣٠، ٣١ . (٦) انظر: جامع البيان ١٢٦/٢٥ ط ٢ .
(٧) البقرة/٤٩ . (٨) الصغار : أي الذل والضيم . انظر: القاموس المحيط/٥٤٥، ومختار الصحاح/٣٦٤ .
(٩) الصافات /١١٤ - ١١٦ .

أي : ولقدْ أنعمنا على موسى وهارونَ بالنبوةِ والرسالةِ والجاهِ والآياتِ والمعجزاتِ وغيرِ ذلك . ونجيناهما وقومَهما بني إسرائيل من قهرِ الفراعنةِ المتمثلِ في الإساءةِ العظيمةِ إليهم من قتلِ الأبناءِ واستحياءِ النساءِ واستعمالِهم في أخسِّ الأشياءِ . ونصرناهم على الفراعنةِ فكانوا هم الغالبين لهم (١) .

وبذلك يتضحُ - لنا - أن الإيمانَ مع الإبتلاءِ ، وأن النصرَ مع الثباتِ ، وأن الفرجَ مع الصبرِ ، وأن مع العسرِ يسراً .

والإبتلاءُ يمثلُ سنةً ثابتةً للهِ - تعالى - على المؤمنينَ . وفي ذلك يقول - تعالى - : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ)) (٣) .

والإبتلاءُ قد يكونُ في النفسِ أو الولدِ أو الأهلِ أو المالِ ، مصداقاً لقوله - تعالى - : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) (٤) (٥) .

والمهمُّ في الأمرِ هو الصبر على البلاءِ ، مع عدمِ الجزعِ أو إظهارِ الإعتراضِ على القضاءِ ، لقوله - تعالى - : ((... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (٦) . ولقوله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ "(٧) (٨) .

ثانيا : هزيمة الفراعنة وغرقهم :

أ) غرق الفراعنة وهلاكهم :

بعد أن جاوزَ موسى بقومهِ البحرَ ، أرادَ أن يضربَهُ بعصاه مرةً أخرى ، حتى يلتئمَ ويعودَ إلى سيرتِهِ الأولى قبل انشقاقِهِ ، وذلك ليحولَ دون عبور فرعونَ بجيشهِ الطريق اليابس فيدركهم ، فأوحى الله إليه : ((وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ)) (٩) .

" قال قتادةُ : لما قطعَ موسى - عليه السلام - البحرَ ، عطفَ يضربُ البحرَ بعصاه ليلتئمَ ، وخافَ أن يتبعَهُ فرعونُ وجنودُهُ ، فقيل [له] : (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) ، - أي كما هو - طريقا يابسا - (إِنَّهُمْ جندٌ مُغْرَقُونَ) . أخبرَ اللهُ - عز وجل - بغرقِهم ليطمئنَ قلبُهُ في تركِ البحرِ على حالِهِ "(١٠) .

ثم إن اللهَ - تعالى - قَرَّبَ فرعونَ وقومَهُ إلى ساحلِ البحرِ ، لكي يتحقق وعدهُ المحتومُ . وذلك قوله : ((وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ)) (١١) .

أي : " وقربنا هناك آلَ فرعونَ من البحرِ ، وقدمناهم إليهِ ، ومنه قولُه - تعالى - : ((وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (١٢) بمعنى قربت وأدنيت "(١٣) .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/١٩ . (٢) لا يفتنون: لا يختبرون ولا يمتحنون. انظر: القاموس المحيط/١٥٧٥ . ومختار الصحاح/٤٩٠ . (٣) العنكبوت / ٢ ، ٣ .
(٤) البقرة/١٥٥ . (٥) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك. راجع / ١٦٧، ١٦٨ .
(٦) الزمر/ ١٠ . (٧) أخرجه الترمذي في "الجامع الصحيح" وقال عنه : حديث حسن غريب ٤/٦٠١ رقم (٢٣٩٦) . باب : (ما جاء في الصبر على البلاء) .
(٨) وردت تفصيلات أخرى عن الصبر. راجع/ ١٣١، ١٣٢ . (٩) الدخان/ ٢٤ .
(١٠) زاد المسير ٧/٣٤٤ . وانظر: تفسير القرآن العظيم ٤/١٤١ . (١١) الشعراء/٦٤ .
(١٢) الشعراء/٩٠ . (١٣) جامع البيان ١٩/٨١ ط ٢ .

ثم إن فرعون اقتحم بجنوده الطريق اليابس الذي يتوسط لجج المياه ، ويقسم البحر إلى قسمين ، دون أن تأخذه العبرة والعظة . إذ إنه يعلم أن هذا البحر لا يوجد فيه مثل هذا الطريق ، إضافة إلى أن الطريق محاط بمياه مرتفعة كالجبال العظيمة ، دون أن تتدفق إليه .

ولكن الطاغية تأخذه العزة بالإثم ، فيقتحم بجنوده البحر ، دون النظر والتأمل بعين العقل فيما هو محيط به ، وما هو مقدم عليه .

وذلك قوله - تعالى - :((فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ . وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى)) (١) .

أي : اتبعهم فرعون سائقا جنوده ، فأصابهم من البحر ما غرقهم ، وكرر على معنى التعظيم والمعرفة بالأمر ، وقد أضلهم عن الرشد وما هداهم لخير أو نجاة ، لأنه قدر أن موسى وقومه لا يفوتونه ، لأن بين أيديهم البحر (٢) .

ويبين - لنا - الفخر الرازي سبب اقتحام فرعون بجنوده الطريق اليابس ، مع علمه بأنه لم يكن عن أمره ، ولم يكن قبل ذلك فيقول: "... بل الأولى أن يقال : إنه أمر مقدمة عسكره بالدخول فدخلوا وما غرقوا فغلب على ظنه السلامة فلما دخل الكل أغرقهم الله تعالى "(٣) .

وبذلك يتبين - لنا - أن الكفر والضلال يعمي ويصم ، بدليل اقتحام فرعون وجنوده الأهوال عن علم ومعرفة .

وفي ذلك يقول - تعالى - : ((مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(٤))) (٥) .

وفي المقابل فإن الإيمان يهدي المرء إلى سواء السبيل ، وفي ذلك يقول - تعالى - : ((..مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)) (٦) .

ولقد ورد في سورة يونس مشهد غرق فرعون وإيمانه بما فيه العظة والعبرة الكاملة لكل الطواغيت من أمثاله ، في أي مكان وجدوا ، وفي أي عصر كانوا .

وذلك قوله - تعالى - :((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) (٧) .

أي : فخاض فرعون البحر وراء بني إسرائيل بجنوده ، حتى إذا وصل إلى حد الغرق قال قبل أن يغرق - وهو يدل على أن البحر لم يطبق عليه دفعة واحدة - : آمنت انه لا إله بالحق إلا الرب الذي آمنت به جماعة بني إسرائيل بدعوة موسى ، وأنا فرد من جماعته المذعنين له المنقادين

---

(١) طه/٧٨ ، ٧٩ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١١ ط ١ .
(٣) التفسير الكبير ٩٤/٢٢ . (٤) يعمهون: أي يترددون ويتحيرون. انظر: المفردات في غريب القرآن/٣٤٨ . والقاموس المحيط/١٦١٣ . ومختار الصحاح / ٤٥٦ .
(٥) الأعراف/١٨٦ . (٦) الكهف /١٧ . (٧) يونس / ٩٠ .

لأمـــــــره (١) .

ويُلقي الزمخشريُّ الضوءَ على حرصِ فرعونَ على قبولِ توبتِهِ بقولِـــــه : " كررَ المخذولُ المعنى الواحدَ ثلاثَ مراتٍ في ثلاثِ عباراتٍ حرصاً على القبـــولِ ، ثُمَّ لَمْ يُقْبَلْ منهُ حيثُ أخطأَ وقتَهُ وقالَهُ حينَ لَمْ يَبْقَ لَهُ اختيارٌ قَـــــط ، وكانتِ المرةُ الواحدةُ كافيةً في حالِ الاختيارِ وعِنْدَ بقاءِ التكليفِ " (٢) .

ويُلقي أبو السعودِ الضوءَ على كلماتِ فرعونَ التي نطقَ بها بقولِـــــهِ : " لَمْ يَقُلْ كما قالَ السحرةُ آمنَّا بربِّ العالمينَ ربِّ موسى وهَـٰرون بل عبر عنه تعالى بالوصولِ وجعلَ صِلَتَهُ إيمانَ بني إسرائيلَ بِهِ تعالى للإشعارِ برجوعِهِ عن الإستعصاءِ وبإتباعِهِ لِمَنْ كانَ يستتبعُهُم طمعاً في القبولِ والإنتظامِ فـــي سلكِ الحيـاةِ " (٣) .

ولكن بعدَ أن أدركَ الغرقُ فرعونَ ، الذي أعلنَ إيمانَه باللهِ واستسلامَه وخضوعَه لَهُ ، هل سَيُقْبَلُ ذلك منه أَمْ لا . هذا ما سيوضِّحُهُ - لنا - السياقُ بعدَ ذلكَ .

وذلك قولُهُ - تعالى - : ((آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَـــــنْ آيَاتِنَـــا لَغَافِلُـــونَ)) (٤) .

أي : أَتُؤْمِنُ الآنَ وَقَدْ أيستَ من نفسِكَ ولَمْ يَبْقَ لكَ اختيارٌ ، وقـــدْ عصيتَ اللهَ قبلَ ذلك مدةَ عمرِكَ ، وكنتَ من الضَّالين المُضلينَ عن الإيمانِ .

فاليومَ نُبْعِدُكَ مما وقعَ فيهِ قومُكَ من قعرِ البحرِ ونَجعَلُكَ طافيـــــاً أو نُلقيكَ على نجوةٍ مِنَ الأرضِ ليراكَ بنو إسرائيل ببدنِكَ عارياً عَـــــنِ الروحِ أو كاملاً سوياً أو عرياناً من غيرِ لباسٍ أو بدرعِكَ ، وكانت لـــــه درعٌ مِنْ ذهبٍ يُعرفُ بِها (٥) .

وَيَسْتَخْلِصُ الضحاكُ بنُ قيسٍ * العبرةَ من قبولِ توبةِ يونس ،وعدم قبولها من فرعونَ بقولِهِ : " اذكُروا اللهَ في الرخاءِ يذكُركُم في الشدةِ ، إن يونـــــسَ - عليه السلام - كان عبداً صالحاً ، وكان يذكر اللهَ ، فلما وقعَ في بطـــنِ الحوتِ سألَ اللهَ ، فقالَ اللهُ : ((فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِـــي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) (٦) ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ عبداً طاغياً ناسياً لذكـــرِ اللهِ تعالى ، فلما أدركَهُ الغرقُ قالَ : آمنتُ ، فقالَ اللهُ : ((آلْآنَ وَقَـــدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ...))" (٧) .

وبذلكَ يَتضحُ - لنا - أنَّ مِنْ أسبابِ تَنْجِيَةِ الله المؤمنينَ من الكُربـــاتِ ذكرُ اللهِ المستمرُّ ؛ ففرعون لَمْ يَنفعْه ايمانُهُ ، ولَمْ تَحْصُلْ لَهُ نجاةٌ لكونِـــه لَمْ يَكُنْ ذاكراً للهِ (٨) .

وفي قولِهِ : (ببدنِكَ) دلالةٌ على أَنَّها نجاةٌ بالبدنِ دونَ الروحِ ، ولَـــوْ لَمْ يذكُرْها لجازَ أنه نجا ببدنِهِ وروحِهِ حياً كساعةِ دخولِهِ البَحْرَ .

---

(١) انظر : تفسير المنار ١١/٤٧٥ ط٢ . النسفي ٢/١٧٤ .
(٢) الكشاف ٢/٢٥١ . وانظر : تفسيـــــر
(٣) تفسير أبي السعود ٢/٣٤٧ .
(٤) يونس /٩١ ، ٩٢ .
(٥) انظر : أنوار التنزيل ١/٥٤٩ .
(٦) الصافات/١٤٣ ، ١٤٤ .
(٧) زاد المسير ٤/٦٠ .
(٨) راجع أهمية العبادة للداعية / ٤٠ .

وفي المرادِ من قولِه : (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) ثلاثةُ أقوالٍ ، وتفصيلُها :

١- أي لمن بعدَك في النكالِ آية لئلا يقولوا مقالتَك أو يفعلوا فعلَك ، إذ لو كنت إلهاً لما غرقتَ (١) .

٢- أي لتكونَ لبني إسرائيل آيةً (٢) .

٣- أي لمن تَخلف من قومِك آيةً (٣) .

والذي أميلُ إليه هو الرأيُ الأولُ ، وذلك للأدلةِ الآتيةِ :

١- إشتماله على القولين الأخيرين أيضا .

٢- قولُه عقب ذكر غرقِ فرعونَ وقومِه : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٤) ، ((فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)) (٥) ، ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى)) (٦) ، يدل على أنه كان آيةً وعبرةً وعظةً لكل من بعده .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليه قولُ ابن جريرٍ الطبري في ذلك :" لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك ، فينزجرون عن معصيةِ الله ، والكفرِ به والسعي في أرضه بالفساد "(٧) .

وهكذا يتضح لنا - أن السببَ في عدم قبولِ توبةِ فرعونَ وإيمانه هو كفرُه وجحودُه المستمر ، فلما أدركَهُ الغرقُ وأيقنَ بالهلكةِ عَمَدَ إلى التوبةِ والإيمانِ ، فلم يُقبلْ ذلك منه .

وهذه تمثلُ سنةً ثابتةً لله ، في عدم قبولِ إيمان المرءِ وتوبتِه عند حصولِ الموت ، وذلك لقوله - تعالى - :((فَلَمَّا رَأَوا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)) (٨) ، وقوله : ((وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً))(٩) . ولقول الرسولِ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ - : (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ(١٠)) (١١) .

ومن الجديرِ ذكرُه : أن غرقَ فرعونَوجيشِه ، ونجاةَ موسى وقومِه ، كان في يومِ عاشوراء ، والدليلُ على ذلك : ما أخرجهُ الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟). فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَغَرَّقَ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ ،

---

(١) انظر: جامع البيان ١٦٤/١١ ط: ٣ . والجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٨ ط ٣ . وزاد المسير ٦١/٤ . وغريب القرآن/١٩٩ . (٢) انظر: زاد المسير ٦٢/٤ . والكشاف ٢٥٢/٢ . وتفسير النسفي ١٧٥/٢ . (٣) انظر: زادالمسير ٦٢/٤ .
(٤) الشعراء/٦٧ . (٥) الزخرف /٥٦ . (٦) النازعات /٢٦ .
(٧) جامع البيان ١٦٤/١١ ط: ٣ . (٨) غافر / ٨٤ ، ٨٥ .
(٩) النساء/ ١٨ . (١٠) يغرغر : من غرغر ، والغرغرة : ترديد المشروب في الفم والحلق دون أن يبلع ، والمراد هنا : أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٦٠/٣ . والقاموس المحيط /٧٥٨ . ومختار الصحاح/٤٧٢ . (١١) أخرجه الترمذي في " الجامع الصحيح" باب : (في فضل التوبة والإستغفار ...) ٥٤٧/٥ رقم (٣٥٣٧) وقال عنه : حديث حسن غريب .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ(١) .

ب) الأسباب التي أدت لذلك :

جاء سياقُ الآياتِ، بعد ذكرِ غرقِ فرعونَ وقومِهِ - بذكرِ طائفةٍ من الأسبابِ التي أدت إلى هذه النهايةِ الرهيبةِ لفرعونَ وحزبِهِ . وجاء ذكرُ تلك الأسبابِ على سبيلِ الإجمال ، إذ التفصيل وَرَدَ في صلبِ الصراعِ الإيماني - على ما فَصلنَا في هذا الباب - ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

١- تكذيبهم بآيات الله ، وكفرهم بها ، وغفلتهم عنها ، إضافة إلى ارتكابهم الذنوب :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)) (٢) ، "أي : كان إغراقُهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتِهم عنها وقلةِ فكرهم فيها "(٣) ، وفي آية أخرى : ((فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا))(٤) ، أي : نتيجة تكذيبهم بآياتنا أهلكناهم بأمرٍ عجيبٍ (٥) ، وفي آية أخرى : ((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ...)) (٦) ، وقوله في آية أخرى: ((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ))(٧) .

أي : إن الفراعنةَ هلكوا بالغرقِ نتيجةَ كفرِهِم بآياتِ اللهِ وتكذيبِهِم بها ، ونتيجةَ ما اقترفوهُ من جرمٍ(٨) .

والكفرُ بآياتِ اللهِ وتكذيبِها هو الذي أهلكَ الأممَ السابقةَ ، وهو الذي سارَ بها إلى ذلك المصيرِ السيءِ الذي ذكره اللهُ في قولِهِ : ((... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ...)) (٩) .

ومن المعلوم أن القرآنَ الكريم أعظم آيات الله ، لذلك وقع التحدي من اللهِ بأن يأتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثلِ سورِهِ ، وذلك قوله - تعالى -: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))(١٠) (١١) .

ومن الجدير ذكرُهُ أن آياتِ اللهِ - سبحانه - كثيرةٌ ولا تحصى ، وهي مبثوثةٌ في هذا الكونِ لقولِهِ : ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ(١٢) وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...)) (١٣) ، وقد ذكرَ اللهُ - تعالى - كثيراً من هذه الآياتِ في القرآنِ ، ومن ذلك قولُه : ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الصيام) باب (صوم يوم عاشوراء) ٣/١٥٠ .
(٢) الأعراف /١٣٦ . (٣) الكشاف ٢/ ١٩ . (٤) الفرقان/٣٦ .
(٥) انظر: تفسير النسفي ٣/١٦٦ . (٦) الأنفال /٥٢ . (٧) الأنفال /٥٤ .
(٨) انظر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي ٣/١٧٨، ١٧٩ . ط : لا يوجد. نشر رئاسة الإفتاء . السعودية .
(٩) الإسراء/٩٧، ٩٨ . (١٠) البقرة/٢٣ . (١١) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع /٦٢ .
(١٢) الآفاق: النواحي، وهي : جمع أفق. انظر: المفردات في غريب القرآن/١٩ . والقاموس المحيط /١١١٦ . ومختار الصحاح/١٩ .
(١٣) فصلت / ٥٣ .

آيَتَيْنِ ...)) (١) ، وقولُه : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (٢) .

ومن الغريب أن تكفرَ الأممُ السابقةُ بمثلِ هذه الآياتِ، ثم تلحقُها الأممُ التابعةُ بعد ذلك . وإرشادُ الناس إلى تلك الآياتِ من الضروريات في الصراعِ الإيماني ، لأنها تُيقظُ القلوبَ الغافلةَ فتهديها ، فلا تبقى بعد ذلك إلا القلوبُ الجاحدةُ (٣) .

٢- عدم إيمانهم :

وذلك قولُه - تعالى - : ((ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ))(٤) .

أي : أنهم أصروا على الكفرِ ، ولم يُؤمنوا باللهِ ، ولا برسولِهِ ولا بآياتِهِ .

والإيمانُ باللهِ-عز وجل-وبرسلِهِ وبكتبِهِ وغير ذلك ، هو رأسُ الأمرِ كلِّه . فهو الذي يُقسمُ الناسَ إلى مؤمنينَ وكفارٍ كما قالَ - تعالى - ((...فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ...)) (٥) ، وهو الذي من أجله يَقعُ الصراعُ الإيماني ، كما قال - تعالى - : ((... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ (٦) وَبِيَعٌ (٧) وَصَلَوَاتٌ (٨) وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ...)) (٩) ، وهو الذي من أجله يَهلكُ الناسُ كما قال - تعالى - : ((مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ)) (١٠) ، وهو الذي من أجله يَنجوا الناسُ من عذابِ اللهِ بسعيهم لنيل مرضاتِهِ واجتهادهم للفوز بالجنة ، كما قال-تعالى- ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)) (١١) (١٢) .

٣- إستكبارهم في الأرض وكفرهم بالبعث :

وذلك قوله - تعالى - : ((وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)) (١٣) .

---

(١) الإسراء /١٢ . (٢) البقرة /١٦٤ .
(٣) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع /١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ .
(٤) الشعراء /٦٦ ، ٦٧ . (٥) الصف /١٤ .
(٦) صوامع : أي معابد للرهبان . انظر : تفسير الجلالين /٤٤٥ .
(٧) بيع : معابد أو كنائس النصارى . انظر : تفسير الجلالين /٤٤٥ . والقاموس المحيط /٩١١ . ومختار الصحاح /٧١ . (٨) صلوات : كنائس اليهود بالعبرانية ، وأصلها : صلوتا . انظر : تفسير الجلالين /٤٤٥ . والقاموس المحيط /١٦٨١ . ومختار الصحاح /٣٦٩ .
(٩) الحج /٤٠ .
(١٠) الأنبياء /٦ .
(١١) فصلت /٣٠ .
(١٢) وردت تفصيلات أخرى عن الإيمان . راجع /١٢٠ - ١٢٣ . (١٣) القصص /٣٩، ٤٠ .

أي تعظمَ فرعونُ وجنودُهُ عن الإيمان بموسى بالعدوان ، أي : لم تكن لهم حجةٌ تدفعُ ما جاءَ به موسى ، وَتَوَهَّمُوا أنه لا معاد ولا بعث (١) .

والكبرياءُ صفةٌ ملازمةٌ للكافرينَ ، وقد وَعَدَ اللهُ المتصفينَ بالكبر أشدَّ العذاب ومن ذلك قولُه : ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))(٢) ، كما أنه حَرَمَ عليهم الجنةَ إذ يقول: ((إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ(٣) وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)) (٤) .

وقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته من الكبر بقوله : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ(٥) وَغَمْطُ النَّاسِ(٦) ")(٧)(٨) .

٤- طغيانهم في الأرض وفسادهم فيها :

وذلك قوله - تعالى - : ((وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)) (٩)

أي: وفرعون ذى الأهرامات التي تشبهُ الأوتادَ الثابتةَ في الأرض ، أو ذي الجنود الذين ثَبَّتوا ملكه ، كما تثبتُ الأوتادُ ما يراد إمساكه بها ، أو الأوتاد الأربعة الذين كان يُثبتُ فيها المعذبُ ، الذين تجبروا في البلاد بأنواع الكفر والمعاصي ، وأكثروا فيها الفسادَ بالقتل والإستحياء وغير ذلك - فلما حانَ وقتُ هلاكهم - فصبَّ عليهم اللهُ عذاباً شديداً مهلكاً - تمثل في إغراق الفراعنة (١٠).

ومن المعلوم أن الطغيانَ في الأرض من المهلكات التي تؤدي إلى جهنم لقوله - تعالى - : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى)) (١١) ، وكذلك الإفساد في الأرض ، لقوله - تعالى - : ((وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)) (١٢) .

٥- التعدي على ربوبية الله ، وعصيانه ، وعصيان رسوله :

وذلك قوله - تعالى - : ((فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى)) (١٣).

---

(١) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٨٩ط١ . (٢) الأعراف / ٣٦ .
(٣) سم الخياط: أي ثقب الإبرة . انظر: القاموس المحيط/١٤٥٠ ، ٨٦٠ . ومختار الصحاح/١٩٥ ، ٣٦٥ . (٤) الأعراف /٤٠ . (٥) بطر الحق: هو: أن يجعل الحق من توحيد وعبادة باطلا، وقيل: هو أن لا يرى الحق حقا ، وقيل : هو أن يتكبر على الحق فلا يقبله . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٣٥ . والقاموس المحيط/٤٤٩ . ومختار الصحاح/٥٥ . (٦) غمط الناس : أي : احتقارهم وازدراءهم والإستهانة بهم . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٨٧ . والقاموس المحيط/٨٧٨ . ومختار الصحاح/٤٨٢ . (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإيمان) باب: (تحريم الكبر وبيانه) ١/٦٥ . (٨) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك، راجع/ ١٤٥، ١٤٦ . (٩) الفجر/ ١٠ - ١٣ . (١٠) انظر: تفسير الجلالين /٧٩٧ . وفي ظلال القرآن ٦/٣٩٠٤ . وتفسير المنار ٧/٦٢٢ . (١١) النازعات/٣٧-٣٩ . (١٢) البقرة/٢٠٥ ، ٢٠٦ . (١٣) النازعات/ ٢٣ - ٢٦ .

أي : فعاقبه اللهُ عقوبةَ قولِه (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) والأولى قوله : ((..مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) (١) ، وفي هذه العقوبةِ عظةٌ ومعتبرٌ لمن يخاف الله ويخشى عقابَه (٢) .

وذلك قولُه - تعالى - : ((إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً)) (٣) ، وفي آيةٍ أخرى : ((آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)) (٤) .

اي : أرسل اللهُ إلى فرعونَ موسى فدعاه إلى اللهِ ، وأمرَه بالتوحيدِ ، فلم يُصدقْهُ بل عَصَاهُ ، فأخذه اللهُ أخذاً شديداً بليغاً (٥) .

وعصيانُ الرسلِ كان من الأسبابِ المباشرةِ في هلاكِ الأممِ الكافرةِ ، ومن ذلك ما حدث لقومِ عادٍ ، كما قال - تعالى - : ((وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ...)) (٦) .

وعصيانُ اللهِ ورسولِهِ يُؤدي إلى الضلالِ المبين كما قال - تعالى - : ((..وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً)) (٧) ، بل ويُؤدي إلى الخلودِ في جهنمَ كما قال - تعالى - : ((..وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)) (٨) ، وفي آيةٍ آخرى : ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)) (٩) .

وقد وردَ ذكرُ معصيةِ فرعونَ في آياتٍ أُخرى ، وذلك قولُه - تعالى - : ((وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ . فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠))) (١١) .

٦- إستفزاز بني إسرائيل من الأرض :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً)) (١٢) .

أي: أراد أن يُخرجَ موسى وقومَه من أرضِ مصرَ ويُنفيهم عن ظهرِ الأرضِ بالقتلِ والإستئصالِ ، فحاقَ به مكرُه ، بأن استفزه اللهُ بإغراقِهِ مع قبطِهِ (١٣) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن الطواغيتَ الذين يحاولون أن يستفزوا عبادَ اللهِ الصالحينَ من الأرضِ فإن مصيرَهم إلى الهلاكِ المحتومِ ، وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((..وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أخرجنا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً)) (١٤) .

---

(١) القصص / ٣٨ . (٢) انظر: جامع البيان ٣٠/٤١، ٤٣، ط٢. والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠١ ط ١ . (٣) المزمل/١٥، ١٦. (٤) يونس / ٩١ .
(٥) أنظر: تفسير المنان ٧/٥٠٢ . (٦) هود / ٥٩، ٦٠ .
(٧) الأحزاب /٣٦. (٨) الجن/٢٣ . (٩) النساء / ١٤ .
(١٠) الحاقة /٩، ١٠ . (١٠) رابية :أي شديدة وزائدة . انظر : المفردات في غريب القرآن/١٨٧. والقاموس المحيط/ ١٦٥٩. ومختار الصحاح/٢٣١ .
(١٢) الإسراء/١٠٣. (١٣) انظر: تفسير النسفي ٢/٣٢٩. (١٤) النساء/٧٥.

٧- تسببهم في غضب الرب - عز وجل - :

وذلك قولُه - تعالى - :((فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ)) (١) .

أي : فلما أغضبونا انتقمنا منهم بعاجلِ العذابِ الذي عجلنا لهم، فأغرقناهم جميعا في البحرِ ، وجعلناهم بذلك حجةً للهالكين بعدهم ، وعبرةً للناجين(٢) .

وبذلك يتضح - لنا - أن التسببَ في غضبِ الرب ، يُوجبُ الهلكةَ ما لم يُغفرْ لمسببه . وأما الأسبابُ التي تَجلب على المرءِ غضبَ الربِّ فكثيرةٌ، منها : الكفرُ باللهِ ، كما قال-تعالى-: ((... وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ...)) (٣) ، ومنها : النفاقُ والشركُ كما قال - تعالى-: ((وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ...)) (٤)، ومنها الطغيانُ بغيرِ الحقِّ ، كما قال - تعالى - : ((كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)) (٥)، ومنها التولي يومَ الزحفِ كما قال-تعالى-: ((وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) (٦) .

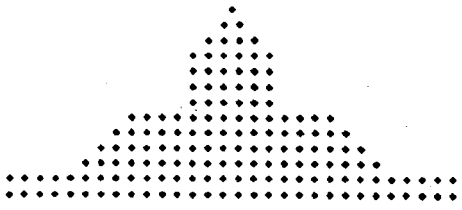

---

(١) الزخرف / ٥٥ ، ٥٦ .
(٢) انظر : جامع البيان ٢٥/٨٥ط ٢. ومحاسن التأويل ١٤/٥٢٧٨ .
(٣) النحل / ١٠٦ .
(٤) الفتح/٦ .
(٥) طه / ٨١ .
(٦) الأنفال / ١٦ .

(المطلب الثالث)

(عواقب الصراع)

كان للجولة الأخيرة للصراع الإيماني التي دارت رَحاها بين موسى وقومه من جهة، وفرعون وجيشه من جهة أخرى عواقب مهمة ، تَحملُ في طياتها عبراً ومعالمَ بارزةً مهمةً ، نُحاول أن نلقي الضوءَ عليها فيما يلي :

أولا : تمكين بني إسرائيل في الأرض :

بعد أن صبرَ بنو إسرائيلَ على أذى الفراعنة ، وبعد أن آمنوا بموسى ، وبعد أن نجاهم اللهُ منهم ، جاءهم وعدُ اللهِ بالتمكين في الأرض ، وذلك تصديقاً لقوله - تعالى - في أول قصة موسى : ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)) (١)

أ) تمكينهم في أرض مصر :

وذلك قولُه - تعالى - : ((فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٢) .

أي : فأخرجنا فرعونَ وقومَه من بساتين ، وعيون ماء ، وكنوز ذهب وفضة ، ومنازل حسان ، كذلك جعلنا تلك المذكورات إرثا وملكا لبني إسرائيل (٣) .

وقال في آية أخرى : ((كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ)) (٤)

أي : كم - للتكثير - تركوا من بساتين الأشجار ، وعيون الماء وزروعٍ قائمةٍ في مزارعِهم ، ومجالسَ حسنةٍ ، وعيشةٍ كانوا يَتفكهونَ فيها فيأكلونَ ما شاءوا ويَلبسون ما أحبوا ، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد . كذلك أورثنا تلك المذكورات قوماً آخرينَ ليسوا منهم في شيء من القرابة أو الدين أو الولاء، وهم بنوا إسرائيل ، كانوا مستعبدينَ في أيديهم فأهلكهم اللهُ على أيديهم وأورثَهم مُلْكَهم وديارَهم (٥) .

وقد سمّى أموالَهم من الذهب والفضة كنوزاً لأنهم كانوا لا يُنفقونَ منها في سبيل الله (٦) .

---

(١) القصص / ٥ ، ٦ .
(٢) الشعراء / ٥٧ - ٥٩ .
(٣) أنظر : جامع البيان ٧٨/١٩ ط ٢ . وفتح القدير ١٠١/٤ .
(٤) الدخان/٢٥ - ٢٨ .
(٥) أنظر : التفسير الكبير ٢٤٦/٢٧ . والكشاف ٥٠٣/٣ . وتفسير القرآن العظيم ١٤١/٤ .
(٦) أنظر : تفسير النسفي ١٨٥/٣ .

وقد اختلف المفسرون في المرادِ من الوراثةِ المذكورةِ في قولِـــــهِ : (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) إلى أقوالٍ ، وتفصيلُها كما يلي :

١- ذهب غالبُ المفسرين إلى أن المرادَ بالوراثةِ هي تلك المذكورات فـــي الآياتِ السابقةِ المتمثلةِ في أملاكِ الفراعنةِ وكنوزِهم ومقامِهم (١) .

٢- ذهب آخرون إلى أن المقصودَ بها نوعُ الوراثةِ ، أي : ورثَ بنـــــو إسرائيل مثل ما كانَ لفرعونَ وملئِهِ منْ جناتٍ وعيونٍ وكنوزٍ ومقـــام كريمٍ ، بدليل : أنه لم يعرفْ أن بني إسرائيل قد رجعوا إلى مصـرَ بعد خروجِهم منها إلى الأرضِ المقدسةِ ، وورثوا الفراعنةَ (٢) .

٣- ذهب آخرون إلى أن المقصودَ بها ما استعاروه من حلي آل فرعونَ (٣) .

ويبدو أن الراجحَ هو القول الأول ، للأدلة الآتيـة :

١- إن الضميرَ في قولِهِ : (وَأَوْرَثْنَاهَا) ، يعودُ إلى أقربِ مذكـــور ، والمذكورُ الأقربُ هنا هو تلك المذكورات المتمثلة في الآيات السابقـــة لها .

٢- قوله : ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَـــانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)) (٤) .
وما كان يَحذرهُ فرعونُ هو زوال ملكه على أيدي الإسرائيليين ووراثتهم له ، ولو كان المقصودُ من الأرضِ غير أرض مصرَ ، لما كان ذلك يَهم فرعونَ ويحذرُه .

أما القولُ الثاني فهو تأويلٌ بعيدٌ ، واستدلالُهم بالتاريخِ ليس بحجةٍ لأن التاريخَ لم يُدونْ كله ، وهناك من التاريخِ ما اندثرَ ذكرُهُ ، والتاريـــخُ الموجودُ لا يخلو من الكذبِ والتحريفِ والزيادةِ على الواقعِ ، وذلك تبعاً لهوى المؤرخينَ وميولِهم .

وأما القولُ الثالثُ فهو تأويلٌ بعيدٌ - أيضاً - ، لأنه لم يردْ لتلـــكَ الحلي المستعارةِ ذكرٌ في هذهِ الآياتِ ، إضافةً إلى أن قولَه ((كَمْ تَرَكُـــوا مِنْ جَنَّاتٍ ...)) الآيات (٥) يَدلُّ على أنهم قد خلفوها وراءَهم ، بينمـــا الحلي المستعارة أمامهم مع بني إسرائيل . وكذلك قوله : ((فَأَخْرَجْنَاهُـــمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ...)) الآيـات (٦) .

وقد اختلفَ المفسرون - أيضا - في الزمنِ الذي حَدثَت فيه تلك الوراثـــة إلى أقوالٍ ، وتفصيلها كما يلي :

---

(١) انظر: جامع البيان ١٩/٧٨ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٠٥ ط١ ، ١٦/١٢٩ ، ط : المصورة . والكشاف ٣/٥٠٢ . والتفسير الكبير ٢٧/٢٤٦ . وزاد المسير ٦/١٢٦ ، ٧/٣٤٤ . وتفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٦ ، ٤/١٤١ . وفتح القدير ٤/١٠١ . وتفسير أبي السعود ٤/١٠٨ .
(٢) انظر: في ظلال القـــرآن ٥/٢٥٩٨ .
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠٥ ط ١ .
(٤) القصـــص / ٥ ، ٦ .
(٥) الدخـــان / ٢٥ - ٢٧ .
(٦) الشعـــراء / ٥٧ ، ٥٨ .

١- ذهب فريقٌ إلى أنهم بعد أن جاوزوا البحرَ ذهبوا إلى الشام، ولم يدخلوا مصرَ في حياةِ موسى ، وملكوها زمنَ سليمان (١) .

٢- ذهب فريق آخر إلى أنهم رجعوا إلى مصر بعد غرقِ الفراعنةِ وورثوا أموالَهم (٢) . وذهب البعضُ إلى أنهم بقوا في مصر عشر سنين مع موسى ثم انطلقوا إلى الشام (٣) .

٣- قيل : إنه رجع بعضهم بعد إغراق فرعون وهم الذين أورثوا أموال القبط ، وذهبَ الباقون مع موسى إلى أرضِ الشام (٤) .

والذي أميلُ إليه هو القول الأول ، وذلك للأدلة الآتية :

١- إن سياقَ الآياتِ في سورةِ الأعراف (٥) ، وسورة طه (٦) ، يَدل على أن بني إسرائيل لما جاوزوا البحرَ أتوا على عبدةِ الأصنام ، ثم كان وعدُ موسى مع ربهِ ، فكان بعد ذلك عبادتُهم العجلَ . ولم يُشرْ من قريبٍ أو بعيد إلى رجوعهم لمصر .

٢- إن ميراثَ الجناتِ والعيونِ والزروعِ والمقامِ الكريمِ والنعمةِ يقتضي بقاءَهم في مصرَ ، وهذا يُنافي الحكمةَ المتمثلةَ في خروجِهم إلى الأرض المقدسةِ .

أما ما ذهبَ إليه أصحابُ الأقوالِ الأخرى ، فانه لا دليل عليه من القرآنِ أو السنةِ ، مع مخالفتِه الظاهريةِ لسياقِ الآياتِ ، إضافةً إلى أن رجوعَهم إلى مصرَ ثم خروجَهم بُعيدَ حينٍ وجيزٍ إلى الأرضِ المقدسةِ لا يَتيسرُ معه ميراثُ تلك الجناتِ وذلك المقام الكريم .

ب) تمكينهم في أرض الشام :

وذلك قوله - تعالى - : ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ))(٧) .

أي وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستذلونَ بالخدمةِ ، مشارقَ أرضِ مصرَ والشامِ ومغاربَها - أي جهات الشرق والغرب بها - التي باركنا فيها بإخراج الزروع والثمار والأنهار ، وتمت كلمةُ الله الحسنى على بني إسرائيل - وهي قوله : ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)) (٨)- بصبرهم على أذى الفراعنة ، وعلى أمرِ الله بعد أن آمنوا بموسى . ودَمرنا ما كان يَعملهُ الفراعنةُ ويسوونه من العماراتِ والقصورِ ، وما كانوا يَعرشونهُ من الجناتِ - نظير قوله : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ..)) (٩)- أو ما كانوا يرفعونه من الأبنيةِ

(١) انظر: روح المعاني ٨٣/١٩ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١٣ ط ١ . وتفسير النسفي ١٨٥/٣ . وزاد المسير ١٢٦/٦ . (٣) أنظر: روح المعاني ٨٣/١٩ .
(٤) أنظر: روح المعاني ٨٣/١٩ . (٥) أنظر: الآيات /١٣٦ وما بعدها .
(٦) انظر: الآيات/٧٧ وما بعدها . (٧) الأعراف / ١٣٧ .
(٨) القصص / ٥ . (٩) الأنعام /١٤١ .

المشيدة في السماء(١) .

والمرادُ بقوله (يُسْتَضْعِفُونَ) أي : بقتلِ أبنائِهم ، واستحيا نسائِهم ، وأخذ الجزيةِ منهم ، واستعمالِهم في الأعمالِ الشاقة، واستخدا النساءِ ، وتسخيرِ الرجالِ (٢) .

وقد اختلف المفسرون في المرادِ بقوله : (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) إلى أقوال ، وتفصيلُها كما يلي :

١- أي مشارق الشام ومغاربها (٣) .

٢- أي مشارق الأرضِ ومغاربُها على إطلاقِه . لأنه خرج من جملةِ بنو إسرائيلَ داود وسليمان - عليهما السلام - وقد ملكَ الأرضَ . وهذا يَدلُّ على أن الأرضَ إسمُ جنسٍ (٤) .

٣- أي مشارقُ أرضِ الشامِ ومصرَ ومغاربُهُما ، لأنها هي التي كانت تحت تصرفِ فرعونَ (٥) .

والذي أميل إليه هو القول الثالث ، وذلك للأدلة الآتيةِ :

١- إنَّ اللهَ وَعَدَ بَني إسرائيلَ ملكَ الشامِ ، بدليل قولِ موسى لقومِه كما قال-تعالى-: ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ..)) (٦).
وقد ذهبَ المفسرون إلى أن المرادَ بالأرضِ المقدسة - هنا - الشامُ (٧) .

٢- إن اللهَ وَعَدَ بني إسرائيلَ ملكَ مصرَ ، بدليل قولِه : ((فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٨).

٣- قولُ موسى لقومِه : ((.. عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) (٩) .

فموسى لم يعينْ لهم الأرضَ ، ولما كان ملكُهم في الشامِ ومصرَ دَلَّ على أن المرادَ استخلافُهم - هنا - في الشامِ ومصرَ . والله أعلم .

وقد وَرَدَ في سورةِ الإسراءِ ذكرُ تمكين بني إسرائيل في أرضِ الشامِ ومصرَ بأسلوبِ الأمرِ من اللهِ عَقِبَ هلاكِ فرعونَ وجيشِه . وذلك قولُه : ((وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا)) (١٠).

أي : وقلنا لبني إسرائيلَ بعد هلاكِ فرعونَ اسكنوا أرضَ مصرَ والشامِ ، فإذا كان يومُ القيامةِ جئنا بكم جميعاً (١١).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٢ط٣. والكشاف ٢/١١٠. وتفسير النسفي ٢/٧٣ .
(٢) أنظر: التفسير الكبير ١٤/٢٢١ . وزاد المسير ٣/٢٥٣ .
(٣) أنظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٤٣٢. وتفسير الجلالين /١٣٦. ومحاسن التأويل ٧/٢٨٤٤ . (٤) أنظر: التفسير الكبير ١٤/٢٢١. وزاد المسير ٣/٢٥٣. وتفسير أبي السعود ٢/١٩٣. والمنتخب /٢٣٨. (٥) أنظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٤. ولباب التأويل ٢/١٢٥. والتسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٣. والتفسير الواضح ٩/١٧. وخلاصة التفاسير /٢١٣ . (٦) المائدة/٢١. (٧) أنظر: جامع البيان ٦/١٧١، ١٧٢ ط ٣. وغريب القرآن /١٤٢. وتفسير النسفي ١/٢٧٨. وتفسير الجلالين /٩١ .
(٨) الشعراء/٥٧ - ٥٩ . (٩) الأعراف /١٢٩. (١٠) الاسراء/١٠٤ .
(١١) انظر: زاد المسير ٥/٩٥. وتفسير القرآن العظيم ٣/٦٧ .

ومِنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّهُ قَدْ أُخْتُلِفَ في المرادِ بقولِهِ : (الأرض)- هنا- ، كذلك الإختلافُ الذي فَصَّلنا فيهِ الحديثَ آنفاً ، والذي كان في قولِهِ : ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ...)) (١) . مِمَّا أَغْنَى عَنْ إعادتِهِ - هُنا - مرةً ثانيةً .

ولقدْ وقعَ هذا التمكينُ حقيقةً لبني إسرائيل كما أرادَ اللهُ. وقدْ أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلكَ . وذلك قولُه : ((وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)) (٢) .

أي : ولقد أنزلنا بني إسرائيلَ منزلاً صالحاً مباركاً ، وهو مصرُ والشامُ، ورزقناهم من حلالِ الرزقِ، فما اختلفوا حتى جاءهم ما يعلمون من مبعثِ محمدٍ ونبوتِهِ . إن ربكَ يا محمد يحكمُ بين المؤمنين والمكذبين بك يومَ القيامةِ (٣) .

وهكذا تحقق وعدُ اللهِ لبني إسرائيلَ بالتمكينِ في الأرضِ، كما قال - تعالى - : ((وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)) (٤) .

كما تحقق أملُ موسى ورجاءُهُ ,اذ قالَ لقومِهِ، كما ذكرَ القرآنُ: ((... اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (٥) ، وقال - أيضاً - كما ذكرَ القرآنُ : ((..عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) (٦) .

وإنما حَدثَ هذا التمكينُ في الأرضِ، بسببِ إيمانِهم ، وبسبب صبرِهم على أذى الفراعنةِ . وذلك لقولِهِ : (بِمَا صَبَرُوا) : أي : إنما حَصَلَ ذلك بسببِ صبرِهم ، وحسبك به حاثاً على الصبرِ ، ودالاً على أن من قابلَ البلاءَ بالجزعِ وكلهُ اللهُ - سبحانه - إليهِ ، ومن قابله بالصبرِ وانتظارِ النصرِ ضمنَ اللهُ له الفرجَ (٧) .

ومن الجدير ذكرُهُ أن تلكَ الوراثةَ وذلك التمكينَ لم يَحدثا مباشرةً بعدَ غرقِ الفراعنةِ ، وإنما وَقَعَا بعدَ عشراتِ السنينَ ، وذلك بعد تيههم أربعينَ سنة في الأرضِ، كما قال - تعالى - : ((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ...)) (٨) .

ويُلقي صاحبُ الظلالِ الضوءَ على تأريخِ البشرِ ، وعلى ذكرِ الله - سبحانه - للحوادثِ قائلاً : " على أننا نحن البشرُ - الفانين المقيدين بالزمان - إنما نقول (قَبْلَ) و (بَعْدَ) لأننا نؤرخُ للأحداثِ بوقتِ مرورِها بنا وإدراكِنا لها ! لذلك نقول: إن استخلاف القومِ الذين كانوا يُستضعفون ، كان متأخراً عن حادثِ الإغراقِ . ذلك إدراكُنا البشري .. فأما الوجودُ المطلقُ والعلمُ

---

(١) الأعراف/١٣٧ . (٢) يونس/٩٣ . (٣) انظر: جامع البيان ١١/٦٦ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٨/٣٨١ط٣ . والكشاف ٢/٢٥٢ . وتفسير النسفي ٢/١٧٥ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٣١ . والتسهيل لعلوم التنزيل ٢/٩٨ . (٤) القصص / ٥ .
(٥) الأعراف /١٢٨ . (٦) الأعراف /١٢٩ . (٧) انظر: الكشاف ٢/١١٠ . وتفسير النسفي ٢/٧٣ . والتفسير الكبير ١٤/١٢٢ . (٨) المائدة/ ٢٦ .

المطلق فما (قبل) عنده و ما (بعد) ؟! والصفحةُ كلها معروضةٌ له سواء ، مكشوفة لا يحجبها زمانٌ ولا مكانٌ .. ولله المثلُ الأعلى(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً).."(١) .

وبذلك يتبينُ لنا - أن الذين يخوضونَ الصراعَ الإيماني باسمِ اللهِ ، وعلى طريقِ اللهِ ، فإن عاقبتَهم الحسنى ؛ إما الشهادة وإما النصر والتمكين في الأرض ، كما حدث لبني إسرائيلَ - هنا - حيث مكنهم اللهُ في أرض الشامِ ومصرَ .

وكما حدثَ لرسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابهِ حين خاضوا الصراعَ الإيماني لنصرةِ الإسلامِ رغم قلتهم وضعفهم في بدايةِ الأمرِ ، كما قال - تعالى - :((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ...)) (٢) . وكانوا ينتظرون الشهادةَ أو النصرَ والتمكينَ في الأرضِ من الله، كما قال - تعالى - : ((قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ(٣) بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ...)) (٤) .

لذلك حدث لهم التمكينُ في الأرضِ لقوله - تعالى - :((وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ(٥) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً))(٦) .

والذي حَدثَ لموسى وقومِه ، ولمحمدٍ وصحبهِ ، يَحدثُ لكلِّ أمةٍ آمنت باللهِ وخاضت الصراعَ الإيماني لنصرةِ اللهِ . وذلك لقولهِ - تعالى - :((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)) (٧) .

والتاريخُ أكبرُ شاهدٍ على ذلك . فكلما تمسكَ الناسُ بدينهم فَتَحَ اللهُ عليهم ومكنهم في الأرضِ ، كما حدث من فتوحاتٍ إسلاميةٍ مكنت للمسلمين من أرضِ الصينِ شرقاً إلى أرضِ فرنسا غرباً . وكلما تخلفَ المسلمونَ عن دينِهم ضَعُفت شوكتُهم وَقلت مهابتُهم واضمحلت سيطرتُهم ، كما حدث من استيلاءِ النصارى على الشامِ والقدسِ لأكثر من قرنٍ من الزمنِ ، في أيامِ الحروبِ الصليبية .

ثانيا : إنقلاب الفراعنة لأسوأ مصير :

لقد كَذَّبَ الفراعنةُ موسى - عليه السلام - ، وكفروا بدعوتهِ، وأكثروا في الأرضِ الفسادَ ، ثم إنهم حاولوا القضاءَ على المؤمنينَ ، فكان غرقُهم وهلاكُهم . هذا هو عذابُهم الدنيوي العاجلُ . وكان من ورائهِ أشدُّ العذاب . وذلكَ أنهم آلوا إلى أسوإِ مصيرٍ ، وتفصيل ذلك كما يلي :

---

(١)في ظلال القرآن٣/١٣٦٠ ، ١٣٦١ . (٢)الأنفال /٢٦ .
(٣)تربصون : أي : هل تنتظرون بنا .انظر: المفردات في غريب القرآن/١٨٥ والقاموس المحيط/٨٠٠ . ومختار الصحاح/٢٢٩ .
(٤)التوبة/٥٢ . (٥)صياصيهم:أي : من حصونهم، وهي جمع : صِيصَة . انظر: المفردات في غريب القرآن/٢٩١ . والقاموس المحيط/٨٠٣ . ومختار الصحاح/٣٧٥ .
(٦)الأحزاب/٢٦ ، ٢٧ . (٧)الأنبياء/١٠٥ ، ١٠٦ .

أ) مصيرهم السيء في الدنيا :

وذلك قوله - تعالى - : ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ...))[١] .

أي: وَصَيَّرنَا فرعونَ وقومَه أئمةً قدوةً للكفارِ وأهلِ العتوِّ على اللهِ ، يَأتمون ويَقتدون بهم في ضلالتِهم . يدعون الناسَ إلى أعمالِ أهلِ النارِ . وذلك كما أن للخيرِ أئمةً يُقتدى بهم اشتهروا بذلك وبقي حديثُهم[٢] .

ويقول القرطبي في الآية : " أي : وجعلناهم زعماءَ يُتَّبَعون على الكفرِ فيكون عليهم وزرُهم ووزرُ من اتبعهم حتى يكونَ عقابُهم أكثر "[٣] .

وهذا مصداقُ لقولِ الرسولِ - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًىً كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[٤] .

وهذه تمثلُ سنةً ثابتةً من لدن آدمَ - عليه السلام - إلى يومِ القيامةِ لقولِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ[٥] كِفْلٌ[٦] مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)[٧] .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن أهلَ الباطلِ الذين يَخوضون الصراعَ الإيماني بباطلِهم ويَهلكونَ عليه ، يَحملونَ أوزارَهم و أوزارَ من اتبعَهم وتأثرَ بهم من قريبٍ أو بعيدٍ . وبذلك يَؤولُ حالُهم إلى أسوإِ مصيرٍ لتحملِهم آثامَ وخطايا غيرِهم بعد موتِهم . وهذا يَترتبُ عليه مضاعفةُ عذابِهم أضعافاً كثيرةً .

ثم إن اللهَ - تعالى - أتبعهم لعنةً في هذهِ الدنيا ، زيادةً في مصيرهم السيءِ بعد موتِهم . وذلك قولُه : ((وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ...))[٨] ، وفي آيةٍ أخرى : ((وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ...))[٩] .

أي :وألزمنا فرعونَ وقومَه في هذهِ الدنيا خِزياً وغضباً منا عليهم ، وطرداً وإبعاداً عن الرحمةِ ، فختمنا لهم فيها بالهلاكِ والبوارِ[١٠] والشناءِ السيءِ[١١] .

---

(١) القصص/٤١ . (٢) انظر :جامع البيان ٢٠/٧٩ط٢ .والبحر المحيط٧/١٢٠ . وزاد المسير ٦/٢٢٤ . (٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٩٠ط١ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب(العلم)باب(من سن سنة حسنة ..) ٨/٦٢ .
(٥) هو الذي ورد في شأنه قوله - تعالى - : ((فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)) [المائدة/٣٠] . (٦) كفل: أي حظ ونصيب .انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٩٢ . والقاموس المحيط /١٣٦١ . ومختار الصحاح/٥٧٤ . (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب(القسامة ...)باب :(بيان إثم من سن القتل) ٥/١٠٧ . (٨) القصص/٤٢ . (٩) هود / ٩٩ .
(١٠) البوار: أي : الهلاك . انظر: القاموس المحيط/٤٥٢ . ومختار الصحاح /٦٨ .
(١١) انظر: جامع البيان ٢٠/٧٩ ط٢ . والكشاف ٣/١٨١ .

ويقول القُرطبيُّ في هذهِ الآيةِ : " أي : أمرنَا العبادَ بلعنِهم فمن ذكرهم لَعَنهم "(١) ، ويقولُ ابنُ كثيرٍ فيها : " أي : وَشرعَ اللهُ لعنتَهم ولعنةَ ملكِهم فرعونَ على ألسنةِ المؤمنينَ من عبادِهِ المتبعينَ لرسلِهِ ، كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنةِ الأنبياءِ وأتباعِهم..."(٢) .

وهذا شبيه بقوله - تعالى - : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (٣) .

وبذلك يَتضحُ - لنا - أن أهلَ الباطلِ الذين هَلكوا على باطلِهم تُطاردُهم(٤) لعناتُ اللهِ المتتابعةُ بعدَ موتِهم ، جزاءً وفاقاً لما اجترحوهُ من كفرٍ وإثمٍ .

ب) مصيرهم السيء في البرزخ :

وذلك قولُه - تعالى - : ((...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ...))(٥).

أي : وحَلَّ بآلِ فرعونَ ونَزلَ بهم ما ساءَهم من عذابِ اللهِ . النارُ يُعرضون عليها - وعَرضُهم عليها إحراقُهم بها - بكرةً وعشيةً إلى يوم القيامةِ . وذكر الوقتين إما للتخصيص - وفيما بين الوقتين اللهُ أعلمُ بحالِهم - ، وإما للتأبيدِ . أي ما دامت الدنيا(٦) .

وهذه الآيةُ تَدلُّ على عذابِ القبرِ في الدنيا ، والجمهورُ على أن هذا العرضَ في البرزخِ(٧)(٨) .

وقد " قالَ ابنُ مسعودٍ* وابنُ عباسٍ : إنَّ أرواحَ آلِ فرعونَ في أجوافِ طيرٍ سُودٍ يُعرضونَ على النارِ كل يومٍ مرتين فيقال : يَا آل فرعون هذه دارُكم "(٩) .

والآيةُ الكريمةُ هي مصداقُ لقولِ الرسولِ - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١٠) .

وهكذا يُتبينُ - لنا - أن الفراعنةَ حَلَّ ونزلَ بهم في البرزخِ أشدُّ العذابِ وأسوءُهُ ، وذلك بعدَ أن حَلت عَلَيْهِمْ لعنةُ اللهِ ، وبعدَ أن أصبحوا قدوةً للباطلِ . وذلك كلُّه نتيجة كفرِهم وجحودِهم وخوضِهم الصراعَ مع المؤمنينَ بباطلِهم واستمرارِهم عليه وهلاكِهم عليه .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٩٠ط١ . (٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٩٠ .
(٣) البقرة / ١٦١ . (٤) تطاردهم : من اطرد، ويقال: اطرد الأمر تبع بعضه بعضا . والمعنى على ذلك تتابعهم . انظر: القاموس المحيط/٣٧٨ . ومختار الصحاح/٣٨٩ .
(٥) غافر/ ٤٥ ، ٤٦ .
(٦) انظر: جامع البيان ٢٤/٧١ ط٢ . والكشاف ٣/٤٣٠ . وتفسير النسفي ٤/٨١ . وتفسير أبي السعود ٥/١١ .
(٧) البرزخ: هو الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى يوم البعث . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١١٨ . والقاموس المحيط /٣١٨ . ومختار الصحاح/٤٨ .
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣١٩ط: المصورة .
(٩) زاد المسير ٧/٢٢٧ . (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الجنة وصفة نعيمها...) باب: (عرض مقعد الميت...) ٨/١٦٠ .
* ابن مسعود: هو: عبدالله بن مسعود، ويكنى : أبا عبدالرحمن . صاحب رسول الله وخادمه وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين . شهد بدرا والمشاهد كلها . كان من أوعية العلم وأئمة الهدى . له فتاوى انفرد بها . كان يقل من الرواية عن النبي تورعا . مات بالمدينة المنورة سنة ٣٢هـ عن ٦٠ سنة . انظر: أسد الغابة ٣/٣٨٤ - ٣٩١ رقم (٣١٧٧) . وصفة الصفوة ١/٣٩٥ - ٤٢٢ رقم (٢٠) ط: ٣ .

جـ) مصيرهم السيء في الآخرة :

وذلك قوله - تعالى - :((... وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ . وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ)) (١).

أي : ويوم القيامة لا يَجدون لهم ناصراً من عذاب الله ، وقد كانوا في الدنيا يَتناصرون ، فاضْمَحلت تلك النصرةُ يومئذٍ . ويومَ القيامةِ - أيضا - هم من المُهلكين المَمقوتين ، أو المَطرودين المُبعدين عن الرحمةِ (٢) .

وقد قال ابنُ جريجٍ في معنى الآيةِ الثانيةِ : " وأتبعناهم في هذه لعنةً ويومَ القيامَةِ لعنةً أخرى ، ثم استقبلَ الكلامَ فقال : هم من المقبوحين "(٣) .

ثم إنَّ مصيرَهم آلَ إلى عذابِ الخلودِ في جهنم . وذلك قولُه - تعالى -: ((... فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ . وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ))(٤) .

أي : اتَّبعَ الملأُ أمرَ فرعونَ الباطلَ ، وما أمرُه بصالحٍ حميدِ العاقبةِ وليس فيه رشدٌ أو هدى . يَقدمهم يومَ القيامةِ إلى نارِ جهنم فأوردهم إياها وشربوا من حياضِ رداها وبئسَ المورِدُ الذي يردونه النار - لأن الورد إنما يُراد به تسكينُ العطشِ والنارُ ضدهُ - وأُتبعوا لعنةً في الدنيا وأخرى يومَ القيامةِ، بئس اللعنتان ، أو بئس العطاءُ المُعطى أو العونُ المعانُ(٥) .

ويُلقي صاحبُ الظلالِ الضوءَ على السببِ الذي من أجله تقدمَ فرعونَ قومَه يومَ القيامةِ بقوله : " ولما كانوا تبعاً لفرعونَ في هذا الأمرِ ، يمشون خلفَه ، ويتبعون خطواتِه الضالةَ بلا تدبرٍ ولا تفكرٍ ، ودون أن يكونَ لهم رأيٌ ، مستهينين بأنفسِهم ، متخلين عن تكريمِ اللهِ لهم بالإرادةِ والعقلِ وحريةِ الإتجاهِ واختيارِ الطريقِ .. كما كانوا كذلك فإن السياقَ يقررُ أن فرعونَ سيقدمُهم يومَ القيامةِ ويكونون له تبعاً .."(٦) .

ثم إنَّ فرعونَ إذا ما تقدم بقومه وقرب من جهنم فإنه يأتي أمرُ اللهِ بإدخالهم إياها . وذلك قولُه : ((...وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) (٧).

أي : ويومَ تقومُ الساعةُ يقال للفراعنةِ : أدخلوا عذابَ جهنم - فإنه أشدُّ مما كانوا فيه - ، أو أشدُّ عذابِ جهنم - لأن عذابَها ألوانٌ بعضها أشدُّ من بعضٍ - . أو يقال لخزنةِ جهنم : أدخلوا الفراعنةَ أشد العذابِ(٨).

---

(١) القصص / ٤١ ، ٤٢ .
(٢) أنظر: جامع البيان ٢٠/٧٩ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٩٠ ط١ . والكشاف ٣/١٨١ . (٣) زاد المسير ٦/٢٢٤ .
(٤) هود / ٩٧ - ٩٩ .
(٥) أنظر: تفسير النسفي ٢/٢٠٤ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٥٨ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/١٩٢٤ .
(٧) غافر / ٤٦ .
(٨) انظر: الكشاف ٣/٤٢٠ . وتفسير النسفي ٤/٨١ . وتفسير أبي السعود ٥/١١ .

ذلك أن قولَه : (أَدْخِلُوا) فيه قراءتان . فقد قرئت بوصل الهمزة وضم الخاء والإبتداء بضم الهمزة ، وقرئت بقطع الهمزة مفتوحة في الحالين وكسر الخاء(١) .

وهكذا يتضحُ - لنا - أن الفراعنةَ الشدادَ صاروا أذلاءَ إلى أسوإِ مصيرٍ ، وإلى أشد عذابٍ ، وإلى خلودٍ أبدي في جهنم .

وذلك كان لمحاربتِهم اللهَ ، ورسولَه ، والمؤمنينَ .
وهذا المصيرُ السيءُ الذي صارَ إليه الفراعنةُ يَنتظرُ كلَّ أمةٍ اقتدت بهم ، واستَنت بسنتِهم ، وسارت على نهجِهم .

ويَحسنُ - بنا - أن نختمَ هذا الفصلَ ، وهذا البابَ من هذهِ الرسالةِ بتلك المحاورةِ التي جَرَت بينَ الضعفاءِ والمستكبرينَ منْ آلِ فرعونَ وأمثالِهم في جهنم . والتي يُقدمُ لها صاحبُ الظلالِ بقوله : " فأما في الآيةِ التاليةِ فقد كانت القيامةُ فعلاً ، والسياقُ يلتقطُ لهم [الفراعنة] موقفاً في النارِ ! وهم يتحاجُّون فيها "(٢) .

والسياقُ هو ما وَرَدَ في سورةِ غافر بعد قولِه : ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) (٣) .

وذلك قولُه : ((وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ . وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ . قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ))(٤) .

يقول أبو حيان في قوله : (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) : " الظاهر أن الضميرَ عائدٌ على فرعونَ "(٥) . ويقول ابنُ عطيةَ في ذلك : " والضميرُ في قولِه يتحاجون لجميعِ كفارِ الأمم وهذا ابتداءُ قصصٍ لا يختصُّ بآلِ فرعونَ ... "(٦) .

فعلى قولِ أبي حيان : هي خاصةٌ بالفراعنةِ ، وعلى قولِ ابنِ عطية : هي عامةٌ للفراعنةِ وغيرِهم .

والذي يَعنينا - هنا - أن هذهِ الآياتِ يَدخلُ الفراعنةُ في مقصودِها على أيٍّ من الرأيين . واللهُ أعلم .

* * * * * * * *

(١) انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٦٥ . (٢) في ظلال القرآن ٥/٣٠٨٤ .
(٣) غافر /٤٦ . (٤) غافر/٤٧ - ٥٠ .
(٥) البحر المحيط ٧/٤٦٨ . (٦) البحر المحيط ٧/٤٦٩ .

(البـــــاب الثانـــــي)

بيـــــن موســـــى وقومـــــه

الفصل الأول : بين موسى ووثنية قومـــــه .

الفصل الثاني : بين موسى وفســـق قومـــــه .

(مدخـــل البـــاب الثانـــي)

كان من المفترض أن يصلحَ حالُ بني إسرائيل فيعبدوا اللهَ ولا يشركوا به شيئاً ، ويطيعوا نبيَّهم - عليه السلام - فلا يعصوه ولا يَخذُلوه ، ولا يُؤذوه . وذلك بعد نجاتِهم من الفراعنةِ .

ولكن المرءَ يسيطرُ عليه العجاب إذا ما نظرَ إلى سيرتِهم بمجرى تجاوزِهم البحر . إذ وقع منهم الكفرُ الصريحُ ، والشركُ الواضحُ ، والمعاصي الظاهرةُ . كل ذلك ونبيُّهم حيٌّ بينَ ظهرانيهم .

وهذا كلُّه أدَّى إلى انبثاقِ الصراعِ الإيماني مرةً أُخرى . ولكن الصراعَ هذهِ المرةِ كان مختلفاً عن المرةِ الماضيةِ التي سلفتْ . ذلك " أن موسى - عليه السلام - لا يواجه اليومَ طاغوتَ فرعونَ وملئه ؛ فقد انتهت المعركةُ مع الطاغوتِ .. ولكنه يواجهُ معركةً أُخرى ... مع (النفسِ البشريةِ) يواجُهها مع رواسبِ الجاهليةِ في هذهِ النفسِ ؛ ويواجُهها مع رواسبِ الذلِّ الذي أفسدَ طبيعةَ بني إسرائيل ؛ وملأها بالإلتواءِ من ناحيةٍ ؛ وبالقسوةِ من ناحيةٍ ؛ وبالجبنِ من ناحيةٍ ؛ وبالضعفِ عن حملِ التبعاتِ من ناحيةٍ . وتركها مهلهلة (١) بينَ هذهِ النزعاتِ جميعاً .." (٢) .

ولقدْ كانَ لتلكَ الحياةِ المهينةِ التي عاشَها بنو إسرائيلَ في ظلِّ الفراعنةِ الدورُ الأكبرُ في فسادِ بني إسرائيل ، وانحرافِهم المستمرِّ عنْ الحقِّ . ويُلقي صاحب الظلال* الضوءَ على ذلكَ ، فيقول :" وفسدتْ نُفوسُهم ، وفسدتْ طبيعتُهم ؛ والتوت فِطرتُهم ، وانحرفَتْ تَصوراتُهم ، وامتلأتْ نفوسُهم بالجبنِ والذلِّ من جانبٍ ، وبالحقدِ والقسوةِ من الجانبِ الآخرِ .. وهما جَانبان مُتلازمان في النفسِ البشريةِ حَيْثُما تعرَّضت طويلاً للإرهابِ والطُغيانِ .." (٣) .

وهذا كلُّه يَتطلبُ من نبيِّ اللهِ مُوسى - عليه السلام - جهوداً ضخمةً لإصلاحِ تلكَ القلوبِ الخربةِ ، والنفوسِ المريضةِ التي ألفت الانحرافَ والفسادَ وأنستْ اليه .

ومُوسى - عليه السلام - سيواجهُ متاعبَ جمَّة في صراعِه مع أولئكَ المتصفينَ بتلك الصفاتِ ، " وسنرى من خلالِ متاعبِ موسى - عليه السلام - متاعبَ كلِّ صاحبِ دعوةٍ ، يواجهُ نُفوساً طالَ عليها الأمدُ ، وهيَ تَستَمْرِئُ (٤) حياةَ الذلِّ تَحْتَ قَهْرِ الطاغوتِ - وبخاصةٍ إذا كانت هذهِ النفوس قَدْ عَرفت العقيدةَ التي يدعُوها إليْها ، ثم طالَ عليها الأمدُ ، فبهتتْ صُورتُها ، وعادتْ شكلاً لا روحَ فيهِ .

"إنَّ جُهدَ صاحبِ الدعوةِ - في مثلِ هذهِ الحالةِ - لَهُوَ جهدٌ مضاعفٌ وَمِنْ ثَمَّ يَجبُ أَنْ يكونَ صَبْرُهُ مُضاعفاً كذلك... ويجبُ أَنْ يَصْبِرَ على الإنتكاسِ الذي يفاجِئُهُ في هذهِ النفوسِ بعدَ كلِّ مرحلةٍ ، والإندفاعِ إلى الجاهليةِ عندَ أولِ بَادرةٍ" (٥) .

وسَنَعْمَدُ إلى تفصيلِ ذلكَ كلِّهِ مِنْ خلالِ فُصولِ هذا البابِ .

---

(١) مهلهلة : مأخوذة من الثوب المهلهل، أي: السخيف النسج . انظر: القاموس المحيط /١٣٨٥ . (٢) في ظلال القرآن ٣/١٣٦٤ . (٣) في ظلال القرآن ٣/١٣٦٤ .
(٤) تستمرئ : تستهني . انظر: القاموس المحيط /٦٦ .
(٥) في ظلال القرآن ٣/١٣٦٥ .
* صاحب الظلال : هو: سيد قطب ، مفسر ومفكر إسلامي معاصر .

(الفصـــــــــل الأول)

بيـــن موســـى ووثنيـــة قومـــــــه

(المبحث الأول)

بنو إسرائيـــل وعبـــادة الأصنـــــــام

المطلب الأول : محاولتهم عبادة الأصنـــــام .
المطلب الثاني : موقـف موسـى من ذلـــــــك .

(المبحث الثاني)

بنو إسرائيـــل وعبـــادة العجـــــــل

المطلب الأول : عبادتهـــــم العجـــــــل .
المطلب الثاني : موقـف موســى مـن ذلـــــك .
المطلب الثالث : نتائـج عبـــادة العجـــــل .

(المبحث الأول)

(بنو إسرائيل وعبادة الأصنام)

بعد أن جاوز بنو إسرائيل البحر وقع منهم الشرك ، إذ حاولوا عبادة الأصنام . متجاهلين بذلك المعجزات التي رأوها ، والآيات الكثيرة التي عاينوها . مما حدا بنبيهم موسى - عليه السلام - أن يقف منهم موقفا عنيفا ، يصدهم من خلاله عن تلك الإتجاهات الخبيثة ؛ مشكلا بذلك بداية الصراع الإيماني مع قومه . وتفصيل ذلك كما يلي :

(المطلب الأول)

(محاولتهم عبادة الأصنام)

وذلك قوله - تعالى - :((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ...)) (١) .

أي : وجاوزنا ببني إسرائيل البحر بعنايتنا ورعايتنا ، فأتو على قوم يقيمون على أصنام لهم ، ويلازمونها معظمين لها ، فقالوا حين ذلك : يا موسى اجعل لنا صنما إلها كما لهم أصناما آلهة (٢) .

قوله : (يا موسى) : يدل على قساوة قلوبهم ، إذ كان عليهم أن يخاطبوه بنبوته ورسالته (٣) ، كأن يقولوا : يا نبي الله ، أو يا رسول الله ، أو يا كليم الله .

ويلقي الخَطِيبُ الشَّرْبِينِي* الضوءَ على جهلِ يهود ، إذ قالوا تلك المقالة ، فيقول : "... وهذا يدلُّ على غاية جهلهم وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله - تعالى - بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - وكمال قدرته فحملهم جهلهم إلى أن قالوا لنبيهم موسى - عليه السلام - اجعل لنا إلها (كما لهم آلهة)" (٤) .

وموقف يهود هذا ينم عن صفات سيئة اتصفوا بها ، ينبغي الوقوف عليها ، وذلك حتى تتضح لنا هذه الصفات ، وما انطوت عليه قلوبهم . وهذا يعين المسلمين على التعامل مع يهود وهم يعلمون حقيقتهم ، إضافة إلى العظة ، فلا يقع المسلمون فيما وقع فيه يهود .

وتفصيل ذلك كما يلي :

١- إنعدام الثقة عند يهود :

هذا الموقف يدل على ضعف ثقة يهود بنبيهم ، وانعدام توقيره

---

(١) الأعراف/١٣٨ . (٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/٧ط:المصورة . وغريب القرآن /١٧٢ والتفسير الواضح ١٩/٩ . (٣) انظر: السراج المنير ٥١٠/١ . (٤) السراج المنير : ٥١٠/١ .

* الخطيب الشربيني: هو:محمد بن أحمد الشربيني،شمس الدين. فقيه شافعي مفسر. من أهل القاهرة . من مصنفاته :"السراج المنير"في التفسير و" شرح شواهد القطر" و "مغني المحتاج" . توفي في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ .

واحترامه . إذ أنهم خاطبوا نبيهم ورسولهم الذي أنقذهم الله على يديه بـ (يا موسى) بدلا من يا رسول الله . وفي ذلك يقول الخطيب الشربيني: " سموه كما ترى بإسمه جفاء وغلظة "(١) .

وإذا كان موقفهم هذا مع نبيهم وصفوتهم وخيرهم هكذا - وهو الذي قدم لهم كل خير ولم يسئ إليهم في يوم قط - ، فمن باب أولى أن يتخذوا نفس الموقف أو أشد منه فيما بينهم ، أو مع علمائهم وأشرافهم .

لذلك لما نهاهم هارون - عليه السلام - كما سيجئ معنا في المبحث التالي - عن عبادة العجل ، كادوا يقتلونه ، وذلك قوله : ((... قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ...)) (٢) .

ولذلك يقول المولى - عز وجل - في آية أخرى عن صفتهم: ((... تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ...)) (٣) . مما يدل على انعدام الثقة فيما بينهم .

وإذا كان ذلك كذلك . فهم مع المسلمين سيكونون في صفة ، يستطيع المرء تصورها ، وتصور بعدها المتقلب .

٢- التأثر بالماضي الجاهلي :

هذا الموقف يدل على سرعة تأثر بني إسرائيل بماضيهم الجاهلي، مع ما رأوه من المعجزات والآيات الكثيرة والعظيمة .

ذلك أنهم ألفوا أيام مصر - كالفراعنة - عبادة الأصنام والأوثان، وحتى الأشخاص البشرية كما قال تعالى: ((... وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ...)) (٤) ، ولذلك سرعان ما انقلبوا بعد إيمانهم إلى الكفر ، وأرادوا أن يرجعوا إلى تلك المعبودات التي خلفوها وراءهم في مصر . مما يدل على عدم تمكن العقيدة والإيمان من قلوبهم ، ومما يدل على سرعة زيغانهم عن الحق - عن علم - بسرعة . ذلك أن موسى - كغيره من الرسل - أول ما علمهم من الدين : لا إله إلا الله .

ويقول صاحب "التفسير الواضح" * في ذلك : "... وهذا الطلب منهم دليل على أن تقديس الأصنام وعبادة غير الله كانت متأصلة (٥) في نفوسهم وفيهم حنين لها وهذا شأن من دخل في دين الله حديثا ..."(٦) .

ويقول صاحب " مع الأنبياء في القرآن الكريم"** : " وكانت المعجزات التي أيده الله بها كافية لأن تنزع منهم كافة رواسب الوثنية ، ورغم هذا فقد كانت تعاودهم الوثنية التي ألفوها طوال عهدهم مع المصريين "(٧) .

---

(١) السراج المنير ١/٥١٠. (٢) الأعراف /١٥٠.
(٣) الحشر /١٤. (٤) الأعراف /١٢٧.
(٥) متأصلة : مترسخة ، أو: ذات أصل أو ثبت . انظر: القاموس المحيط/١٢٤٢.
(٦) التفسير الواضح ٩/١٩. (٧) مع الأنبياء في القرآن الكريم . عفيف عبدالفتاح طبارة . ص : ٢٤٢ ط : ١٥ . دار العلم للملايين .
* صاحب "التفسير الواضح": هو: محمود محمد حجازي ، باحث ومفسر معاصر .
** صاحب " مع الأنبياء في القرآن": هو: عفيف عبدالفتاح طبارة . كاتب وباحث معاصر .

وهذا كله يدل على أن ظاهر يهود لا يستقر على حال - غالبا -، فقد ينقلبوا بسرعة إلى ماضيهم الذي كانوا عليه وألفوه . وقد يكون هذا الماضي الذل والهوان - كما قال - تعالى - : ((وَقَطَّعْنَاهُمْ[1] فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ...)) [2] - كما هو واقع اليوم ، حيث تجمع بعض شتاتهم في فلسطين بعد تمزق في أقطار الأرض قرونا كثيرة ، ذاقوا من خلاله الذل والهوان ألوانا .

فإذا ما شد عليهم المسلمون الكرة ، فقد ينقلبوا بسرعة إلى ذلهم وهوانهم الذي ألفوه في شتات البلاد . ومصداق ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ[3] فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)[4] .

٣- تلجلجهم وقساوة قلوبهم :

هذا الموقف من يهود يدلنا على قساوة قلوبهم ، مهما رأو من الآيات ، إضافة إلى تلجلجهم[5] وخلطهم الأمور .

فبالأمس القريب رأوا آيات اليد والعصا والضفادع والدم والجراد والقمل، وانشقاق البحر وغير ذلك ، واليوم - مع ذلك كله - يطلبون من نبيهم ذاته أن يتخذ لهم إلها باطلا من دون الله .

وهذا يدل على طبيعتهم القاسية المتقلبة ، التي ينبغي على المسلمين أن يعاملوهم من خلالها .

ويلقي صاحب الظلال الضوء على ذلك فيقول : " وطبيعة بني إسرائيل ... طبيعة مخلخلة[6] العزيمة ، ضعيفة الروح ، ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط ،وما تكاد تمضي في الطريق حتى ترتكس[7] وتنتكس[8] ويذكر الأسباب : ذلك الى غلظ في الكبد ،وتصلب عن الحق ،وقساوة في الحس والشعور "[9].

وقد وصف الله - سبحانه - قساوة قلوب اليهود وصفا بينا رائعا ، فقال : ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ..)) [10].

ومن الجدير ذكره أنه وقع شبيه بهذا من مسلمين حديثي عهد بالإسلام ، وكان ذلك بعد فتح مكة وإسلام أهلها . فقد روى الترمذي*

---

(١) قطعناهم: من قطع ،والقطع : فصل الشيء والتشديد فيها للتكثير، والمعنى : وفصلناهم . انظر: المفردات في غريب القرآن/٤٠٨. والقاموس المحيط/٩٧١ . ومختار الصحاح/٥٤٣ . (٢) الأعراف /١٦٨ . (٣) الغرقد : جمع غرقدة ،وهو: ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك ، تشبه شجر العوسج، له ثمر يؤكل. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر٣/٣٦٢. ومختار الصحاح/٤٧٢. والمعجم الوسيط ٦٥٧/٢ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب(الفتن وأشراط الساعة) باب:(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..) ١٨٨/٨ .

(٥) تلجلجهم : ترددهم . انظر : القاموس المحيط/٢٦٠ . ومختار الصحاح/٩٥٢.

(٦) مخلخلة : أي:واهية . انظر : القاموس المحيط/١٢٨٥. ومختار الصحاح/ ٢٨٨.

(٧) ترتكس : أي : تقع ، أو : تنتكس . انظر: القاموس المحيط/٧٠٨. ومختار الصحاح/٢٥٤ . (٨) تنتكس : من نكس ، أي : قلبه على رأسه ، والإنتكاس الوقوع على الرأس . انظر : القاموس المحيط /٧٤٦. ومختار الصحاح/٦٧٩ .

(٩) في ظلال القرآن٣/١٣٦٦ . (١٠) البقرة/ ٧٤ .

* الترمذي :هو: محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي ، أبوعيسى. من أهل ترمذ (على نهر جيحون). كان من أئمة علماء الحديث وحفاظه. من شيوخه: البخاري. ومن مصنفاته : " الجامع الكبير" و " الشمائل النبوية " و " التاريخ " و " العلل " في الحديث . ولد سنة ٢٠٩هـ ،ومات بترمذ سنة ٢٧٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/٣١٣ط:٣ . وخلاصة تذهيب الكمال٢/٤٧٦رقم (٦٥٧٢). وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣ - ٦٣٦ رقم (٦٥٨).

في سننه عن أبي واقد الليثي*(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ(١) يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)(٢) .

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتبر مقالتهم كمقالة يهود تلك لموسى ، باعتبار أن كلا من باب الشرك . وإلا فالإختلاف بين المقالتين ظاهر كما يلي :

١- اليهود قالوا لنبيهم : (يَا مُوسَى) ، أما الصحابة الجدد فقالوا (يَا رَسُولَ اللَّهِ).

٢- ذكر اليهود كلمة الشرك والكفر صريحة دون لبس كما قال - تعالى -: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)، أما الصحابة الجدد فقالوا : (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ) . وذلك بقصد التقرب إلى الله . واللبس الذي وقعوا فيه واضح .

٣- مقالة يهود لا ينبغي أن يقولها من كان عمر إيمانه يوما واحدا لأنه لا يؤمن إلا إذا أقر ب(لا إله إلا الله)، وهذا بخلاف مقالة الصحابة الجدد .

ولكن ، ما هو موقف موسى - عليه السلام - من قومه بعد انتكاصهم(٣) ؟ هذا ما سيوضحه - لنا - المطلب التالي .

---

(١)ذات أنواط : هي:إسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون (يعلقون) بها سلاحهم ، ويعكفون حولها ، وأنواط جمع : نوط . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٨/٥ . والقاموس المحيط /٨٩٢ . ومختار الصحاح/٦٨٥ .

(٢)الحديث : أخرجه الترمذي في " الجامع الصحيح " (وقال عنه : حديث حسن صحيح) . باب:(ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم) ٤٧٥/٤ رقم (٢١٨٠).

(٣)إنتكاص : من نكص ، والنكوص : الإحجام عن الشيء ، ويقال : نكص على عقبيه ،أي :رجع . انظر:القاموس المحيط/٨١٧ . ومختار الصحاح/٦٧٨ .

* أبو واقد الليثي : هو:الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر ابن عوبرة بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .أبو واقد الليثي . صحابي جليل أسلم قبل فتح مكة . شهد يوم حنين . روى عن النبي ، وعنه : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن يسار وغيرهم . توفي سنة ٦٨ هـ عن ٧٠ سنة . انظر : أسد الغابة ٤٠٦/١، ٤٠٧ رقم (٩٤٠). والإصابة في تمييز الصحابة ٤٥٥/٧ - ٤٥٧ رقم(١٠٦٩٥) .وخلاصة تذهيب الكمال ٢٥٢/٣ رقم (٥٣٦).

(المطلـــــب الثانـــــي)

(موقف موسى من وثنيـــة قومـــــه)

بعد أن استمع موسى - عليه السلام - لذلك المطلب ، الذي يمثل بداية الصراع ، لم يتردد في خوض الصراع الإيماني مرة أخرى ، حتى ولو كان الطرف الثاني قومـــه .

وقد خاض عليه السلام هذه الجولة بإيمانه القوي ، واعتماده علـــى الله ، بطريقة ذكية استطاع من خلالها أن يهزم الباطل ويدمغه . وتفصيـــل ذلك كما يلي :

أولا : تنبيههم إلى جهلهم :

وذلك قوله - تعالى -: ((... قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)) (١) .

" تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع "(٢).

والمراد بقوله : (تجهلون) : " أي : تجهلون عظمة الله وجلالـــه وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل "(٣) .

وأما السبب الذي دفع موسى - عليه السلام - إلى وصف قومه بالجهـــل خاصة ، فقد أشار إليه الشوكاني * في تفسيره إذ يقول : " وصفهـــم بالجهل لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلـــب عبادة غير الله ، ولكن هؤلاء القوم ... أشد خلق الله عنادا أو جهـــلا وتلونـــا "(٤) .

وهكذا يتبين - لنا - أن هذه هي أول جهالة تصدر عن يهـــود بعد مجاوزتهم البحـــر .

كما يتبين - أيضا - أن على خائض الصراع الإيماني أن لا تأخـــذه في الله لومة لائم في صراعه ، حتى ولو كان خصمه قومه وأقاربه .

ولذلك كان من صفات المؤمنين ، ما ذكره الله - لنا - في القـــرآن: ((... يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ...)) (٥) .

ثانيـــا: تنبيههم إلى بطلان عبادة الأصنام :

وذلك قوله - تعالى - :((إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَـــا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٦) .

أي : إن عبدة الأصنام هؤلاء مكسر مدمر ما هم فيه - أي : إن الله يهدم دينهم ويحطم أصنامهم فيجعلها رضاضا (٧) ، ومضمحل ما كانـــوا يعملونه من عبادتها (٨) .

---

(١) الأعراف /١٣٨. (٢) الكشاف ٢/١١٠. وانظر: تفسير النسفي ٢/٧٤. وتفسير أبي السعود ٢/١٩٣ . (٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٣ .
(٤) فتح القدير ٢/٢٤٠. (٥) المائدة /٥٤ . (٦) الأعراف /١٣٩ .
(٧) رضاضا : من رَضَّ ، والرضُّ : هو : دَقُّ الشيء وجرشه ، ورضاض الشيء : مـــا رض منه . انظر : القاموس المحيط/٨٢٩. ومختار الصحاح/٢٤٥ .
(٨) انظر: أنوار التنزيل ١/٤٤٤ .

* الشوكاني: هو: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء. كان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مصنفا منها " فتح القدير " في التفسير ، و " نيل الأوطار من أســـرار منتقى الأخبار " في الحديث. ولد بهجرة سنة ١١٧٣هـ، ومات فيها سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/١٩٠، ١٩١ط:٣. والبدر الطالع ٢/٢١٤، ٢١٥ رقم (٤٨٢).

ويلقي البيضاوي* الضوء على أسلوب التنفير والتحذير الذي استخدمه موسى - عليه السلام - مع قومه من خلال هذه الآية ، فيقول : " ... وإنما بالغ في هذا الكلام بإيتاء هؤلاء إسم إن ، والإخبار عما هم فيه بالتبار، وعما فعلوا بالبطلان ، وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وإن الإحباط الكلي لازب(١) لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا "(٢) .

لقد بين لهم موسى - عليه السلام - أن الشرك بالله باطل ،ولا يؤدي إلا إلى الخسران والهلاك المحتوم .

ومن المعلوم أن المشركين لا يفلحون في الدنيا والآخرة ، مهما قدموا من عمل ، وإن زعموا الإخلاص في ذلك . وذلك لقوله - تعالى - : ((مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)) (٣) ،وقوله : ((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)) (٤) ،ولقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) (٥) .

ومن الغريب أن ينحرف اليهود هذا الإنحراف مع ما عليه أهل الشرك والأصنام من بطلان وخسران وتباب لا ريب فيه .

وهذا يبين - لنا - أن على خائض الصراع الإيماني ، إذا ما واجه المنحرفين عن دينهم مع كونهم يزعمون الإيمان ، أن يبين لهم حقيقة الكفر ومئآله ، وبطلان ما يريدون التوجه إليه .

ثالثا : تذكيرهم بنعم الله عليهم :

وذلك قوله - تعالى - : ((قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)) (٦) .

أي : قال موسى لقومه : أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين - أي عالمي زمانهم - (٧) . ثم ذكرهم بنعمة إنجائهم من بأس الفراعنة . وبذلك لامهم لوما شديدا ، وهز قلوبهم هزا عنيفا . وبين لهم حقارتهم إذ يتخذون ذلك الموقف الدنيء مع رب السموات والأرض الذي أهلك عدوهم ، ونجاهم من سطوته ، وجعلهم خلائف الأرض ، بل وفضلهم على العالمين .

---

(١) لازب : أي: لاصق ،أو: ثابت. انظر: القاموس المحيط/١٧٢. ومختار الصحاح/٥٦٧.
(٢) أنوار التنزيل ١/١٤٤.
(٣) إبراهيم / ١٨.
(٤) الفرقان /٢٣ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإيمان) باب (من مات لا يشرك بالله شيئا ..) ١/٦٥ ، ٦٦ .
(٦) الأعراف /١٤٠، ١٤١ .
(٧) انظر: الكشاف ٢/١١٠. وتفسير النسفي ٢/٧٤.

* البيضاوي : هو: عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي أبو سعيد . سبقت ترجمته /٨٥ .

بذلك يتضح - لنا - ذلك الجحود الكبير للنعم المتمكن من قلوب يهود ، إضافة إلى نكرانهم الكبير لمن أسدى اليهم الجميل .

وإذا فعلوا هذا مع رب العزة والجلال ، فمن باب أولى أن يفعلوا مثله مع البشر .

وقد عاش اليهود في بلاد الإسلام ، وبين أفراد المسلمين قرونا كثيرة ينعمون بالحرية ، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم دون أذى . حتى إذا كان المسلمون في ضعف من دينهم أدى إلى انهيار خلافتهم ، انقض عليهم يهود - ناسين ذلك الفضل العظيم عليهم - فسلبوهم فلسطين ، وأوقعوا في أهلها التقتيل والتشريد ، إضافة إلى السلب والنهب والتخريب - كما هو مشاهد الآن.

ويتبين - لنا - أيضا أن التذكير بنعم الله ، يقرب الناس إلى الله ، ويعين المؤمن على تلك القلوب الصدئة التي رانت من تراكم المعاصي عليها .

وبذلك هزم الباطل ودمغ ، وتراجع قوم موسى عن موقفهم ذاك .

ولقد ورد في آيات أخرى تذكير موسى - عليه السلام - قومه بنعم الله عليهم ، إضافة إلى تحذيرهم من الكفر ونكران النعم ، مع تخويفهم من عذاب الله .

وذلك قوله - تعالى - : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ تَأَذَّنَ(١) رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (٢) .

---

(١) تأذن : أعلن أو أعلم . أنظر : المفردات في غريب القرآن/١٤. وتفسير الجلالين /٣٢٦ . والقاموس المحيط/١٥١٦. ومختار الصحاح/١٢.

(٢) إبراهيم /٦ - ٨ .

(المبحث الثاني)

(بنو إسرائيل وعبادة العجل)

مدخل المبحث :

بعد أن جاوزَ بنو إسرائيل البحر ، وبعد أن استقروا على الضفة الأخرى منه ، عمد موسى - عليه السلام - إلى تركهم ، ملبيا وعد الله له أربعين ليلة ، يكلمه فيها ، ويناجيه ، وينزل عليه كتابه الذي يصلح به حال بني إسرائيل . قال - تعالى - : ((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...)) (١) ، وفي آية أخرى : ((وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...)) (٢) .

قال القرطبي* :" والأربعون ، والثلاثون والعشرة قول واحد ليس بمختلف . وإنما قال القولين على تفصيل وتأليف ، قال أربعين في قول مؤلف ، وقال ثلاثين ، يعني شهرا متتابعا وعشرا . وكل ذلك أربعون.." (٣) .

ولم ينس موسى - عليه السلام - قبل انطلاقه أن يخلف أخاه هارون على قومه ، وأن يوصيه بما يصلحهم ، وذلك لما علمه من تقلب قومه المستمر ، وانحرافهم السريع ، كما قال - تعالى - : ((... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)) (٤) .

قال الفخر الرازي** : " فإن قيل : لما كان هارون نبيا ، والنبي لا يفعل إلا الإصلاح ، فكيف وصاه بالإصلاح . قلنا : المقصود من هذا الأمر التأكيد كقوله : (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (٥) والله أعلم "(٦) .

ولقد تعجلَ موسى - عليه السلام - إلى ميقاتِ ربه ، وذلك شوقا إليه ، سابقا بذلك قومه - لأن الموعد له ولهم ، كما قال تعالى: ((وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ...)) (٧) . ولذلك قالَ له ربهُ : ((وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى)) (٨) ، فأجاب موسى كما ذكر القرآنُ : ((قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)) (٩) ، فرد عليه ربهُ: ((قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)) (١٠) .

وفي الميقات كلم الله موسى ، وأفاض عليه من فضله العظيم ، وأكرمه أيما اكرام ، وأمره ونهاه ، وأنزل عليه كتابه المقدس التوراة .

والآيات التالية توضح جانبا من ذلك : ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا (١١) وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ

---

(١) الأعراف/١٤٢ . (٢) البقرة/٥١ . (٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٧/٧ ط٣ .
(٤) الأعراف/١٤٢ . (٥) البقرة/٢٦٠ . (٦) التفسير الكبير ٢٢٧/١٤ .
(٧) طه/٨٠ . (٨) طه/٨٣ . (٩) طه/ ٨٤ .
(١٠) طه/٨٥ . (١١) دكا : الدك: الدق. ودكه: ضربه حتى سواه بالأرض. مختار الصحاح/٢٠٨.

* القرطبي : هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخزرجي أبو عبدالله القرطبي . سبقت ترجمته /٥٥٣.

** الفخر الرازي : هو: محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن علي الشهير بالفخر الرازي . سبقت ترجمته /٤٥ .

الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)) (١).

وأثناء غياب موسى - عليه السلام - عن قومه ، حدث منهم ما لا يتوقع ، إذ اتخذوا عجلا إلها ، عاصين بذلك خليفتهم هارون - عليه السلام - .

وترتب على ذلك موقف من موسى - بعد رجوعه - ، وغضب من الرب -عز وجل- وحكم عليهم منه .

وهذا ما تحاول المطالب التالية من هذا البحث تفصيل القول فيه .

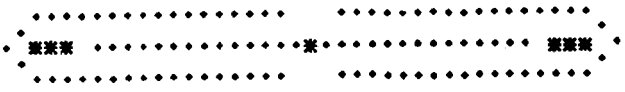

(١) الأعراف /١٤٣- ١٤٥ .

(المطلـــــــــب الأول)

(عبادتهـــــــم العجـــــــل)

أولا : اتخاذهم العجل إلـهـا :

وذلك قوله - تعالى - :((وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ))(١) ، وقوله في آية أخرى : ((... ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)) (٢) .

أي : واتخذ قوم موسى من بعد خروجه إلى الطور من حليهم التي استعاروها من القبط - قبل خروجهم من مصر - عجلا - ولد البقر - جسدا له خوار - صوت البقر - ، ألم يروا - عبدة العجل - أن عجلهم لا يكلمهم ، ولا يرشدهم طريقا إلى حجة - وهذا بخلاف الإله الحق -، اتخذوه وكانوا بذلك ظالمين لأنفسهم (٣) .

قوله : (مِنْ حُلِيِّهِمْ) ، يدل على أن الحلي لهم وملكهم ، وإن كانت في أصلها عواري في أيديهم . إلا أن حالها آل كأملاك الفراعنة التي أورثها الله بني إسرائيل . وفي ذلك يقول الزمخشري* : " الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ..."(٤) .

وقصة ذلك ، ما ذكره ابن جرير الطبري** :"... وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر ، بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم ، وقال إن الله مغنمكم ذلك ففعلوا ..."(٥) .

قوله : (اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) : أي : " وكانوا باتخاذهم إياه ربا معبودا ظالمين لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهية إلى غير الذي له الألوهية "(٦) .

وبالنسبة لحقيقة العجل ، وهل هو جسد من الذهب لا روح فيه ، أم جسد بدم وروح ؟ فهذه مسألة سنناقشها في المطلب التالي ، لأن هناك تفاصيل أخرى سترد في موضعها (٧) .

والآيات السالفة تشير إلى أن اليهود لم يتخلصوا بعد من رواسب الوثنية الكامنة في أعماق قلوبهم ، كما قال - تعالى - :((وَأُشْرِبُوا (٨) فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...)) (٩) . فاليوم اتخذوا عجلا إلها ، ومن قبل أرادوا أن يتخذوا صنما إلها . مما يدل على أن قلوب القوم من القساوة

---

(١) الأعراف /١٤٨ . (٢) البقرة /٥١ . (٣) انظر: جامع البيان ٩/٦٢ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٨٥ ط٣ . (٤) الكشاف ٢/١١٨ . وانظر : تفسير النسفي ٢/٧٧ . (٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٩٨ ط٢ .
(٦) جامع البيان ٩/٦٢ ط٢ . (٧) بيان هذه التفاصيل وقع ص/١٩٦-١٩٩ .
(٨) أشربوا : أي شد في قلوبهم العجل لشغفهم ، أو : أشرب في قلوبهم حب العجل أي خالطها . انظر: المفردات في غريب القرآن/٢٥٧ . والقاموس المحيط/١٢٨ . ومختار الصحاح/٣٣٣ . (٩) البقرة /٩٣ .

* الزمخشري: هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد ابو القاسم الزمخشري جار الله . سبقت ترجمته/٤٤ .

** الطبري : هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري أبو جعفر. سبقت ترجمته/٤٤ .

بمكان بحيث لا تتحرر من آثار الماضي بسهولة [١] .

وعبادة يهود العجل تثبت أنه ليس لهم نصيب من ثبات الرأي، ولا حظ من قوة العزيمة ، وأنهم - دائما - في تقلب مستمر ، وتلون مختلف ، مما يؤكد اضطراب نفسيتهم وتخلخلها في أكثر الأحوال [٢].

ويتطرق صاحب الظلال لهذا الأمر فيصف طبيعة يهود قائلا : " إنها طبيعة إسرائيل التي ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوي عن الطريق، والتي ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية في التصور والإعتقاد، والتي يسهل إنتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد..." [٣] .

وفعل اليهود هذا يدل على افتقادهم الحكمة ، وبعد ما بينهم وبين الحصافة والفطنة ، ويؤكد أنهم قوم لا يتعظون بدروس الماضي ، ولا يستفيدون من تجاربهم الخاصة . فقد قال لهم نبيهم موسى - عليه السلام - بالأمس القريب - حينما سألوه أن يتخذ لهم صنما إلها - كما ذكر القرآن : ((... إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ))[٤]. ومع ذلك لم يتعظوا من قول نبيهم ولم يستفيدوا منه .

واتخاذهم العجل إلها يظهر مدى سخفهم ، وطيش أحلامهم ، وضلال عقولهم ، إذ كيف يتأتى لهم أن يعبدوا إلها صنعوه من ذهبهم الخاص، لا يملك لهم نفعا ولا ضرا، إضافة إلى أنه أصم وأعمى وأبكم . وهم القوم الذين على بقية من دين إبراهيم ويعقوب ، إضافة إلى وجود أنبيائهم بين ظهرانيهم بالدين الجديد .

وأما السؤال الذي يطرح نفسه - هنا - فهو : كيف وقعت يهود في ذلك ، ونبيهم وخليفتهم هارون بين ظهرانيهم ؟ ، هذا ما تجيبنا عليه النقطة التالية .

ثانيا : موقف هارون من تأليه قومه العجل :

لما رأى خليفة موسى (هارون) ذلك المنكر الذي تكاد تنشق له السماء ، وتمور[٥] له الأرض مورا ، وتخر له الجباد هدا ، توجه إلى قومه مسديا[٦] لهم النصيحة ، محاولا إبعادهم عن ذلك المنكر .

وذلك قوله - تعالى - : ((وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي))[٧] .

---

(١) ورد الحديث مفصلا عن ذلك . راجع/ ١٩٧، ١٩٨ (٢) وردت تفصيلات عن ذلك . راجع/ ١٩٨ (٣) في ظلال القرآن ٢/١٢٧٣ (٤) الأعراف/ ١٣٨ - ١٤٠ .
(٥) تمور: من مار يمور، والمور: الموج والاضطراب ، وقيل التكفؤ. انظر: القاموس المحيط/ ٦١٤ ومختار الصحاح/ ٦٣٩ (٦) مسديا : أي : محسنا . انظر: القاموس المحيط/ ١٦٦٩ والمعجم الوسيط ١/ ٤٢٦ . (٧) طه/ ٩٠ .

أي : ولقد قال هارون لعبدة العجل من قبل رجوع موسى إليهم : يا قوم إنما ابتليتم وامتحنتم بالعجل ، وإن ربكم الرحمن لا العجل، فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله ، وترك عبادة العجل ، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله ، وإخلاص العبادة له (١) .

ويلقي الفخر الرازي الضوء على الألفاظ التي تخيرها هارون في وعظه ، فيقول : " واعلم أن هارون - عليه السلام - سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه ، لأنه زجرهم عن الباطل أولا بقوله : (إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ)، ثم دعاهم إلى معرفة الله - تعالى - ثانيا بقوله : (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ)، ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله : (فَاتَّبِعُونِي) ، ثم دعاهم إلى الشرائع رابعا بقوله : (وَأَطِيعُوا أَمْرِي)..."(٢) .

ويشير أبو حيان* إلى سبب تخير هارون إسم الرحمن بالذات في هذا الموضع ، فيقول : " ... وذكر وصف الرحمة ، تنبيها على أنهم متى تابوا قبلهم ، وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ..."(٣) .

وبذلك أدى لهم هارون النصيحة كاملة ، وهذا واجبه كنبي مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إضافة إلى مشاركته موسى - عليه السلام - في أصل الرسالة ، زيادة على أنه خليفة عليهم من قبله .

والآية الكريمة تبين لنا أن على الداعية أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المبطلون ، حتى ولو كانوا من قومه وأقربائه . لأنه لا مهادنة مع الباطل ولا ود معه ، ولذلك يقول المولى - عز وجل - : ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ(٤) اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...)) (٥).

ومن هنا كان من صفات المؤمنين المجاهدين ما ذكره الله - تعالى - : ((... يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ...)) (٦) .

وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (٧) .

ويتضح - لنا - من موقف هارون - عليه السلام - أن على الداعية أن يخلص النصيحة للمنحرفين ، و أن يتخير الألفاظ المناسبة لنصيحتهم ، وذلك ليكون كلامه أقرب إلى قلوبهم ، وعونا لهم على اتباع الحق .

والنصيحة هامة في حياة المسلمين ، لدرجة أن الصحابة كانوا يبايعون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليها . ومن ذلك ما روي عن جرير ابن عبد الله** رضي الله عنه - قال : (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ،والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) (٨) .

---

(١) انظر: جامع البيان ١٦/٢٠٢ط٢. وتفسير الجلالين: ٢٦٥. (٢) التفسير الكبير ٢٢/١٠٥ وانظر: البحر المحيط ٦/٢٧٢. (٣) البحر المحيط ٦/٢٧٢. (٤) حَادَّ : أي : يمانعون إما اعتبارا بالممانعة ، وإما باستعمال الحديد المعروف، أو : يميلون ويعدلون انظر: المفردات في غريب القرآن/١١٠. والقاموس المحيط/٣٥٦. ومختار الصحاح/١٦٥.
(٥) المجادلة /٢٢. (٦) المائدة/٥٤. (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان). باب: (من الإيمان تغيير المنكر باليد..) ١/٥٠. (٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب :(الإمارة). باب: (الدين النصيحة) ١/٥٤ .

* هو: محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي أبو حيان ، سبقت ترجمته /٥٢ .

** جرير بن عبد الله :هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة ، أبو عمرو ، وقيل أبو عبد الله البجلي. أسلم قبل وفاة النبي بأربعين يوما . وهو سيد قومه ، وشارك في حروب العراق كالقادسية وغيرها ، وله أثر عظيم في ذلك. له أحاديث عن النبي. أقام بالكوفة ثم سار إلى قرقيسا ، فمات بها . انظر: صفة الصفوة ١/٧٤٠-٧٤٢ رقم (١١٦) ط٢. وأسد الغابة ١/٣٣٣، ٣٣٤ رقم (٧٣٠) .

ومن المعلوم أن النصيحة عامة وشاملة ، لما روي عن أبي رقيـــة تميم بن أوس الداري* - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) (١) .

والمهم أن عبدة العجل لم يستجيبوا لنصح هارون، بل أمعنوا فـــي غيهم ، وأعلنوا عن ذلك بتحد كبير ، غير مهتمين لخليفتهم .

وذلك قوله - تعالى - : ((قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّـــى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)) (٢) .

أي : قال عبدة العجل لهارون : لن نزال مقيمين على عبادة العجل، حتى يرجع إلينا موسى من ميقاته - وقد أرادوا من ذلك التعلـــل (٣) والتسويف (٤) ، وقد ظنوا أن موسى لا يرجع بشيء مبين اعتمادا علـــى مقالة السامري (٥) .

وفي قولهم هذا دليل واضح على انعدام ثقة اليهود بأنبيائهـــم (٦)، إضافة إلى انعدام السمع والطاعة لهم . وإذا كانوا كذلك مع أنبيائهـــم فهم من باب أولى كذلك فيما بينهم .

وهذه الصفة ملازمة لليهود في كثير من الأحيان ، وقد سجلها عليهـــم القرآن الكريم في عدة آيات .

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((... قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ...)) (٧) ، وقوله : ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ...)) (٨) .

وقد كان يجب عليهم أن يسمعوا ويطيعوا لنبيهم هارون - عليـــه السلام - وخليفة رسولهم موسى - عليه السلام (٩).

ومن الجدير ذكره أن على المسلم أن يسمع ويطيع لأمرائه ، وفي ذلـــك طاعة لله ولرسوله ، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ أَطَاعَنِـــي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَا اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِـــي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي) (١٠) .

والطاعة تكون في الحق دون الباطل لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَـــةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ) (١١) .

وموقف يهود من نصيحة موسى يدل على أنهم من الذين يصرون علـــى الباطل بدون دليل ، أو بدليل أوهى من بيت العنكبوت . ذلك أنهم احتجوا بغيـــاب موسى . وقد حذرنا الله من ذلك فقال - سبحانه - : ((وَمَنْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .كتاب : (الإيمان) . باب : (بيان أنه لا يدخل الجنـــة إلا المؤمنون) ١/٥٣ . (٢) طه / ٩١ . (٣) التعلل : التشاغل أو التجزؤ . انظر : القاموس المحيط /١٣٣٨ . ومختار الصحاح / ٤٢٢ .
(٤) التسويف : المطل . انظر : القاموس المحيط/١٠٦٢ . ومختار الصحاح/٣٢٢ .
(٥) انظر : جامع البيان ١٦/٢٠٢ ط٢ . ومراح لبيد ٢/٢٦ . (٦) سبق الحديث عـــن هذا مفصلا . راجع/١٩٧ . (٧) البقرة/٩٣ . (٨) البقرة /٥٥ .
(٩) راجع : التحذير من عصيان الرسل وعواقب الوقوع في ذلك /١٨١ .
(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإمارة) باب (طاعة الإمام) ٦/١٣ .
(١١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الإمارة) باب (طاعة الإمام) ٦/١٥ .
* أبو رقية تميم بن أوس الداري : هو: تميم بن أوس بن خارجة بن سود ابن خزيمة بن فراع بن عدي بن عبد الدار . يكنى أبا رقية بابنته رقية . كان نصرانيا فأسلم سنة ٩ هـ وأقام بفلسطين وأقطعه النبي بها قرية عينون قرب بيت المقدس . حدث عنه النبي حديث الجساسة وهو صحيح . مات سنة . بحر بالشام . انظر : أسد الغابة ١/٢٥٦، ٢٥٧ رقم (٥١٥) .

النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ[1] لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ))[2].

وكذلك فإن موقف يهود يدل على أنهم غالبا ما يجنحون إلى أسلوب التسويف والمماطلة في قضاياهم .

فهنا سوفوا الأمر بقولهم كما ذكر القرآن : ((... حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى))[3] ، وهم بذلك يتجاهلون أن هارون نبي كموسى ، ووزير له في الرسالة ، وخليفة منه عليهم .

ويبدو أن هذا الخلق متأصل في يهود ، فقد ماطلوا موسى - عليه السلام - كثيرا في ذبح البقرة - كما سيجيء معنا - .

---

(١) ثاني عطفه : " يقال:ثنى عطفه إذا أعرض وجفا" . المفردات في غريب القرآن /٣٣٨ .

(٢) الحج / ٨ ، ٩ .

(٣) طه / ٩١ .

(المطلـــــب الثانـــي)

(موقـــف موسى من عبـــادة قومه العجل)

بعد أن رجع موسى ـ عليه السلام ـ من ميقات ربه إلى قومه ، رأى بعينيه الفتنة التي أركسوا[1] فيها ، والتي أخبره الله عنها في الميقات بقوله : ((قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)) [2].

فلم يتردد موسى ـ عليه السلام ـ في دخول الصراع مع قومه ، إذ اتخذ منهم موقفا لا مهادنة فيه . وهذا الموقف شمل عبدة العجل ، وأخاه هارون ـ خليفته عليهم ـ ، والسامري ـ صاحب الفتنة وأصلها ـ وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : موقفـــه من قومـــه :

توجه موسى ـ عليه السلام ـ إلى قومه مباشرة موبخا وموّنبا وذاما ، وذلك قوله ـ تعالى ـ : ((وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ...)) [3] .

أي : ولما رجع موسى من ميقات ربه إلى قومه غضبان ، شديد الغضب ، والحزن قال ذاما لهم : بئس العمل عملتم بعدي ـ يقال خلفه بخير أو بشر في أهله وقومه بعد شخوصه ـ ، أستعجلتم مجيئي وهو مقدر من الله ـ تعالى ـ والعجلة : التقدم بالشيء قبل وقته وهي مذمومة ، والسرعة : عمل الشيء في أول أوقاته ، وهي محمودة[4] .

وقد ذكر المفسرون في معنى (أَسِفًا) ثلاثة أقوال : " أحدها : أنه الحزين ، قاله ابن عباس* ، والحسن** والسدي، والثاني: الجزع ، قاله مجاهد*** . والثالث : أنه الشديد الغضب ، قاله ابن قتيبة****، والزجاج*****

---

(١) أركسوا : أي: وقعوا ، أو : انتكسوا فيها . أنظر: القاموس المحيط /٧٠٨ . ومختار الصحاح/٢٥٤. (٢) طه/٨٥ . (٣) الأعراف /١٥٠ .

(٤) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٧، ٢٨٧ ط٣. وغريب القرآن/١٧٣. وتفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٢. وأنوار التنزيل ٤٤٨/١. وتفسير الجلالين /١٣٨.

(٥) الجزع : هو: ضد الصبر ونقيضه . أنظر : القاموس المحيط /٩١٦ . ومختار الصحاح /١٠٣ .

* ابن عباس : هو: عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله . سبقت ترجمته /٢٢ .

** الحسن : هو: الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد. سبقت ترجمته /٢٢.

*** السدي : هو: إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير . سبقت ترجمته / ٥٣.

**** مجاهد: هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم. سبقت ترجمته/ ٤٨ .

***** إبن قتيبة : هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينَوريّ النحويّ اللغوي نزيل بغداد .كان راسا في العربية واللغة والأخبار وأيام العرب . وثقه أبو داود والخطيب ، وقال الذهبي : ما علمت أحدا اتهم القتيبي في نقله قال البيهقي : كان كراميا ، وقال الدارقطني : كان يميل إلى التشبيه ،وقال الحاكم : أجمعت الأمة على أنه كذاب . حدث عن إسحق بن راهويه وغيره ، وعنه ابنه أحمد وغيره. من مصنفاته : " إعراب القرآن" و " غريب القرآن" و " مشكل القرآن " و " مختلف الحديث " . ولد سنة ٢١٣هـ ، ومات سنة ٢٦٧هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٤٥/١، ٢٤٦ رقم (٢٣٤). والبداية والنهاية ٤٨/١١. وبغية الوعاة ٦٣/٢. وتاريخ بغداد ١٧٠/١٠. وشذرات الذهب ١٦٩/٢ .

****** الزجاج: هو: إبراهيم بن السدي بن سهل أبو إسحق الزجاج. سبقت ترجمته /٤٣ .

وقال أبو الدرداء * : الأسف : منزلة وراء الغضب أشد منه "(١).

وقد ورد في آية أخرى قوله - تعالى - في ذات الموقف : ((فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا . قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا؟ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ؟ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي)) (٢) .

أي : فرجع موسى إلى قومه في غاية الغضب والحنق(٣) عليهم ، حزينا لما أحدثوه من كفر بعده . قال : ألم يعدكم ربكم بإنزال التوراة ، وبالمغفرة للتائبين ، وبجانب الطور الأيمن ، أو: ألم يعدكم حسن الدنيا والآخرة . أفطال عليكم انتظار ما وعد ربكم ، أم - وقيل : بل - أردتم بصنيعكم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (٤).

ويقول أبو حيان في قوله : (غَضْبَانَ أَسِفًا) ،: " ... وغضبه من حيث له قدرة على تغيير منكرهم ، وأسفه وهو حزنه من حيث علم أنه موضع عقوبة لا بد له بدفعها ولابد منها "(٥) .

وقد قال لهم موسى : (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) ، " لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله - عز وجل - إلى أن يرجع إليهم من الطور " (٦) .

والآية الكريمة توضح أن موسى - عليه السلام - قد غضب لله - عز وجل - ، ومن الإيمان أن يغضب المرء لله - عز وجل - ، وفي ذلك يقول الله - عز وجل - : ((ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ...)) (٧) ، ويقول : ((...إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) (٨) .

والميزان في ذلك هو أن يغضب المؤمن إذا انتهكت حرمات الله ، وكذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل .

---

(١) زاد المسير ٢٦٥/٣ . وانظر : الدر المنثور ١٢٧/٣ . وتفسير القرآن العظيم ١٦٢/٣ .

(٢) طه / ٨٦ . (٣) الحنق : هو: الغيظ ، أو : شدته ، أو: الغضب أو : الحقد الشديد . أنظر : القاموس المحيط /١١٣٢ . ومختار الصحاح /١٥٩ . (٤) أنظر : جامع البيان ١٩٦/١٦، ١٩٧ ط ٢ . وتفسير القرآن العظيم ١٦٢/٣ . وتفسير الجلالين / ٢٦٥ .

(٥) البحر المحيط ٢٦٨/٦ . (٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/١١ ط ١ . وأنظر : زاد المسير ٣١٣/٥ . (٧) الحج /٣٠ . (٨) محمد / ٧ .

* أبو الدرداء :

هو: عويمر بن عامر بن مالك بن يزيد بن قيس بن أمية بن عامر ابن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . تأخر إسلامه كان فقيها عاقلا حكيما . آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سلمان الفارسي . شهد ما بعد أحد من المشاهد . قال النبي : (عويمر حكيم أمتي) . روى عن النبي . ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان ، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين .

انظر : أسد الغابة ٩٨،٩٧/٦ رقم (٥٨٥٨) . وحلية الأولياء ٢٠٨/١ - ٢٢٧رقم (٣٥). والإصابة في تمييز الصحابة ٧٤٧/٤ ، ٧٤٨ . (٦١٢١) .

فعن عائشة* - رضي الله عنها - قالت : (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ - تَعَالَى -) (١) .

وليس من الدين في شيء أن يغضب الناس لشخوصهم أو لدنياهم أو لأشياء فانية ، بينما يمرون على حرمات الله المنتهكة ليلا ونهارا دون غضب ولا أسف .

وموقف موسى هذا يثبت لنا أنه - عليه السلام - من الذين يقولون كلمة الحق ولا يخافون في الله لومة لائم (٢) .

واعتراض موسى بالقول البليغ يلقي الضوء على جانب من خفايا طبيعة يهود . فهو أعلم الناس بقومه ، فقد دعاهم ، وعاشرهم ، وجربهم فخبرهم . وتفصيل ذلك كما يلي :

١- إن يهود - غالبا - لا يصلحون لخلافة الله في الأرض : (بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي) . ولا غرو (٣) في ذلك فقد عبدوا العجل، وقبل ذلك حاولوا عبادة الأصنام ، وبعد ذلك رفضوا قبول التوراة ، ورفضوا دخول الأرض المقدسة . وغير ذلك .

وكثرة أنبيائهم ليست مأثرة تحسب لهم ولا منقبة ترجّح كفة صلاحهم ، وإنما هي ظاهرة يرجع تعليلها إلى غلبة الفساد عليهم وكثرة انحرافهم واستحالة استقامتهم إلا بوجود أنبيائهم بينهم (٤).

٢- إن يهود غالبا ما يكونون في عجلة من أمرهم : (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) ، (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) .

٣- إن ليهود قلوبا قاسية لا تخشى غضب الرب - عز وجل - :(أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ..) وهذه صفة ملازمة ليهود لا تنفك عنهم ، ومن ذلك قولهم كما ذكر القرآن :((.. لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً)) (٥) ، وقولهم كما ذكر القرآن : ((... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ...)) (٦) ، وهناك آيات كثيرة في القرآن تقرر ذلك ، كقوله - تعالى - : ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...)) (٧) ، وقوله ((وَلَا تَلْبِسُوا (٨) الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (٩) ، وغير ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الفضائل) . باب : (مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام ...) ٧ /٨٠ .
(٢) سبق الحديث عن هذا . راجع / ٢٠٠ . (٣) ولا غرو : أي : ولا عجب. أنظر : القاموس المحيط /١٦٩٨. ومختار الصحاح /٤٧٣ .
(٤) سبق الحديث عن ذلك في التمهيد : بنو إسرائيل النبوة والكتاب . راجع /١٨ وما بعدها . (٥) البقرة /٥٥. (٦) المائدة / ٢٤. (٧) البقرة /٧٩ .
(٨) لا تلبسوا : أي : لا تخلطوا ، أو: تدلوا. أنظر : المفردات في غريب القرآن /٤٤٧. والقاموس المحيط /٧٣٨ . ومختار الصحاح /٥٩٠ .
(٩) البقرة / ٤٢ .

* عائشة : هي : عائشة بنت أبي بكر الصديق . زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وكانت أحب نسائه إليه . كان فقهاء الصحابة يرجعون إليها وتفقه بها جماعة . ولها أحاديث كثيرة عن النبي ، وكانت كريمة وزاهدة وفصيحة وغزيرة العلم وكثيرة العبادة . توفيت ليلة الثلاثاء ١٧ رمضان ٥٨ هـ عن ٦٦ سنة ، وقيل : توفيت سنة ٥٧هـ وصلى عليها أبو هريرة . أنظر : صفة الصفوة ٢/١٥ - ٣٨ رقم (٢٨) ط:٣ .

٤- خلف الوعد : (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) .

ومن المعلوم أن خلف الوعد خلق سيء مذموم ينبغي تركه والإبتعاد عنه لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)(١) .

وخلف الوعد يؤدي إلى اهتزاز بنيان المجتمع الإسلامي ، وذلك لما يفضي إليه من فقدان الثقة بين أفراد المجتمع ، ومن توليد الكره والحقد في القلوب ، إضافة إلى تعطيل مصالح الناس(٢) .

ثم إن سياق الآيات جاء بعد ذلك مبينا إجابة يهود لنبيهم موسى ابن عمران - عليه السلام - واعتذارهم إليه بعذر أقل ما يقال فيه أنه عذر أقبح من ذنب .

وذلك قوله - تعالى - : ((قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ))(٣).

أي : قالوا لموسى : ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكنا حملنا أثقالا أو آثاما من حلي المصريين ، فطرحناها - قيل في حفرة ، وقيل في النار - فكذلك ألقى السامري ما معه من حلي ، وقيل ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل - عليه السلام -(٤) . وللمفسرين في معنى (بِمَلْكِنَا) أربعة أقوال : " أحدها : ما كنا نملك الذي اتخذ منه العجل ، ولكنها كانت زينة آل فرعون ، فقذفناها ، قاله ابن عباس . والثاني : بطاقتنا ، قاله قتادة*، والسدي . والثالث لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البلية ، قاله ابن زيد** . والرابع : لم يملك مؤمنونا سفهاءنا ، ذكره الماوردي*** "(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (بيان خصال المنافق) ١/٥٦ .
(٢) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك ، راجع/١٥٤ .
(٣) طه/٨٧ .
(٤) أنظر : جامع البيان ١٦/١٩٧-١٩٩ ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٥ ط١ . والكشاف ٢/٥٥٠ . وزاد المسير ٥/٣١٥ . وتفسير الجلالين /٢٦٥ .
(٥) زاد المسير ٥/٣١٤ .

* قتادة : هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي . سبقت ترجمته /٦٠ .

** ابن زيد : هو: محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ القرشي التيمي المدني . سبقت ترجمته / ٦٥ .

*** الماوردي : هو: محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري . كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين ، وكان رجلا عظيم القدر ، أحد الأئمة . وقد رمي بالإعتزال ، إلا أن السبكي قال فيه : والصحيح أنه ليس معتزليا ، ولكنه يقول بالقدر فقط . من مشايخه : أبو حامد الأسفراييني . ومن تصانيفه: " الحاوي " و " تفسير القرآن " وسماه " النكت " . مات يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول سنة ٤٥٠ هـ ، عن ٨٦ سنة .
أنظر : طبقات المفسرين للداوودي ١/٤٢٣-٤٢٥ رقم (٣٦٨) . والبداية والنهاية ١٢/٨٠ . وتاريخ بغداد ١٢/١٠٢ . وشذرات الذهب ٣/٢٨٥ . وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٦٧ . وطبقات المفسرين للسيوطي / ٢٥ .

ويقول صاحب التفسير الحديث * : " في الجملة اعتذار لموسى عما فعلوه "(١) .

ومن الجدير ذكره أنه ورد في التوراة المترجمة ذكر الحلي المستعارة، المذكورة - هنا - في الآية الكريمة . وذلك قوله : (وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين . فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم . فتسلبون المصريين)(٢) .

وفي آية أخرى : (تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب)(٣) .

واعتذار اليهود هذا يدل على أنهم قوم بهت (٤) يصنعون الباطل ويعكفون عليه ، فإذا افتضح أمرهم تعذروا بأوهى الحجج . إذ كيف يقولون (مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) ! وكأنهم - لخباثتهم - يوحون لموسى أنهم مجبورون على فعلهم ذلك ! والبهت خلق متأصل في يهود متوارث بينهم لا يتخلون عنه . ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن إسلام عبدالله بن سلام - وكان يهوديا - إلى أن قال : (قَالَ [عبدالله بن سلام]:وَكَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ يَهُود ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ يَهُودَ قَوْمُ بُهْتٌ وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي بَعْضِ بُيُوتِكَ ، وَتُغَيِّبَنِي عَنْهُمْ ، ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي ، حَتَّى يُخْبِرُوكَ كَيْفَ أَنَا فِيهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِهِ بَهَتُونِي وَعَابُونِي ، قَالَ: فَأَدْخَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ رَجُلٍ الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : سَيِّدُنَا وابْنُ سَيِّدِنَا ، وَحَبْرُنَا (٥) وَعَالِمُنَا . قَالَ : فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ قَوْلِهِمْ خَرَجْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُود ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ... فَقَالُوا : كَذَبْتَ ثُمَّ وَقَعُوا بِي، قَالَ : فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ أُخْبِرْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَوْمُ بُهْتٌ ، أَهْلُ غَدْرٍ وَكَذِبٍ وَفُجُورٍ ! ...)(٦) الحديث .

واعتذار يهود يدل - أيضا - على أنهم يلقون - غالبا - تبعات جهلهم وانحرافهم على غيرهم . فهنا حملوا تبعات ضلالهم على السامري وكأنهم غير موافقين على فعله ، وغير مشاركين له في إلقاء الذهب ، وكأنهم لم يعبدوا العجل معه ، وكأنهم لم يقولوا لهارون كما ذكر القرآن: ((... لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى))(٧) .

واعتذارهم يدل - أيضا - على أنهم إمعات (٨) سهلة الإنقياد لكل ناعق . فإذا ما دعاهم داعي الباطل ، فإنهم سرعان ما يجيبون النداء.

---

(١) التفسير الحديث . محمد عزة دروزة ٣/٠٨٢ ط: ١٣٨١هـ . دار إحياء الكتب العربية .
(٢) الكتاب المقدس . سفر الخروج . الإصحاح ٣ الآيات ٢١ ، ٢٢ .
(٣) الكتاب المقدس . سفر الخروج . الإصحاح ١١ الآية ٢ .
(٤) بُهْت : من بَهَتَ ، بَهْتاً وبَهَتَا وبُهْتاً ، أي : قال عليه ما لم يفعل . أنظر : القاموس المحيط / ١٨٩ . ومختار الصحاح /٦٨ .
(٥) حبرنا : أي : صالحنا ، وتطلق على العالم ، وعلى واسع العلم . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٢٨ .
(٦) الحديث من رواية ابن إسحق عن بعض أهل عبدالله بن سلام عنه . السيرة النبوية لابن هشام ٢/١١٨ .
(٧) طه / ٩١ .
(٨) إمعات : جمع إمعة ، والإمع : الذي يقول لكل أحد:" أنا معك "،ولا يثبت على شيء لضعف رأيه ، أو لتردده ، وتطلق على : الطفيلي . أنظر: القاموس المحيط / ٩٠٥ . والمعجم الوسيط ١/٢٦ .

* صاحب التفسير الحديث : هو: محمد عزة دروزة . كاتب وباحث ومفسر معاصر .

إذ كيف تسوغ[١] لهم عقولهم ، أن يتبعوا السامري في باطله .

ولعل هذا يرجع إلى تأثرهم بالماضي الجاهلي ، إذ أنهم تعودوا أن يكونوا إمعات لا رأي لهم ولا فكر خاص بهم !

ثم يجيء سياق الآيات بعد ذلك ملقيا الأضواء على أوصاف العجل المتخذ إلها ، وذلك قوله : ((فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)) [٢] .

أي : فأخرج لهم السامري من تلك الأثقال التي ألقوها عجلا جسدا من ذهب لا روح فيه له خوار - صوت البقر - ، فقال السامري وأتباعه : هذا إلهكم وإله موسى الذي نسيه هنا وذهب يطلبه في الطور أو في موضع آخر [٣] .

وفي المشار إليه في قوله : (فنسي) قولان : " أحدهما : أنه موسى . ثم في المعنى ثلاثة أقوال . أحدها : هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه ، رواه عكرمة* عن ابن عباس . والثاني : فنسي موسى الطريق إلى ربه ، روي عن ابن عباس أيضا . والثالث فنسي موسى إلهه عندكم . وخالفه في طريق آخر ، قاله قتادة . والثاني أنه السامري ، والمعنى : فنسي السامري إيمانه وإسلامه ، قاله ابن عباس وقال مكحول** : فنسي ، أي : فترك السامري ما كان عليه من الدين "[٤] .

ويبدو أن الراجح هو القول الأول ، وذلك للأدلة الآتية :

١- إن موقع الكلمة - (فَنَسِيَ) - يدل بالدرجة الأولى على أن المقصود بها موسى ، ذلك أنها - (فَنَسِيَ) - وقعت بعد اسم (مُوسَى) مباشرة ومن المعلوم أن الضمير يعود لأقرب مذكور .

٢- ظاهر المعنى المراد والمتسق[٥] من أول الآية يدل على أن المقصود موسى فلا يذهب إلى الظاهر البعيد دون القريب بغير دليل .

وأما ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ففيه نظر لما يلي :

١- قولهم : (فَنَسِيَ السامري إيمانه وإسلامه) غير دقيق ، إذ أنه لم يبن ذلك بل تجاهله عن عمد .

---

(١) تسوغ : تجوز . أنظر : القاموس المحيط /١٠١٢ .
(٢) طه / ٨٨ . (٣) أنظر : جامع البيان ١٩٧/١٦ ط ٢ ومراح لبيد ٢/٢٦ .
(٤) زاد المسير ٣١٥/٥ . (٥) المتسق : المنتظم . أنظر : القاموس المحيط /١١٩٩ . ومختار الصحاح /٧٢١ .

* عكرمة : هو: عكرمة بن عبد الله الحبر العالم أبو عبد الله البربري ثم المدني الهاشمي . مولى ابن عباس . وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير، وكان أعلم الناس . روى عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم ، وعنه : أيوب وأبو بشر ، وثور بن يزيد وخلق . مات سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وقيل: بعد ذلك . انظر : طبقات المفسرين للداودي ٣٨٠/١ ، ٣٨١ رقم (٣٣١) . وخلاصة تذهيب الكمال ٢٤٠/٢ رقم (٤٩٢٨) .

** مكحول : هو: مكحول الدمشقي أبو عبد الله . قال أبو حاتم : ما أعلم بالشام أفقه منه . روى عن كثير من الصحابة مرسلا . وروى عن واثلة وأنس وخلق ، وعنه : أيوب بن موسى ، وزيد بن واقد ، والأوزاعي وخلق . مات سنة ١١٣هـ . أنظر : خلاصة تذهيب الكمال ٥٤/٣ رقم (٧١٨٧) . وحلية الأولياء ١٧٧/٥ - ١٩٣ رقم (٣١٦) .

٢- قولهم : (فنسي ، أي : فترك السامري ما كان عليه من الدين) ، هو احتمال فقط ، إذ أن (نسي) تأتي بمعنى ترك . وبمعنى النسيان - ضد التذكر - . وتستخدم بالمعنى الثاني أكثر من الأول [١] .

ومن الجدير ذكره أن التوراة المترجمة ذكر فيها أن هارون هو الذي صنع لهم العجل وليس السامري ، وهذا من تحريف يهود وقلبهم الحقائق . وذلك قوله : (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط [٢] الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل[٣] وصنعه عجلا مسبوكا [٤] .) [٥].

والآية الكريمة تدل على صفات الكذب والإفك والإفتراء المتأصلة في يهود . فقد نسبوا نبيهم موسى - عليه السلام - إلى الضلال والتيهان عن ربه ، إذ قالوا : (فَنَسِيَ) . وبذلك افتروا على موسى افتراء عظيما ، إضافة إلى كذبهم الظاهر في ذلك .

وقد نسبوا - أيضا - الإله الباطل - العجل - إلى موسى ، إذ قالوا : (وَإِلَهُ مُوسَى) . وهم يعلمون أن موسى أبعد الناس عن الشرك والكفر والضلال ، وقد علمهم من قبل أن ربهم ليس كمثله شيء . ولكنه إفك [٦] يهود !

والآية الكريمة تدل - أيضا - على سرعة مشاركة اليهود للمبطل في بطلانه . بل - وعلى عجلة من أمرهم - يتبنون فكرته ، ويرددون مقالته . فمع أن السامري هو الذي صنع العجل ، إلا أنهم شاركوه في زعمه فقالوا معه كما ذكر القرآن : ((... فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)) [٧].

ثم يجيء سياق الآيات مشيرا إلى توبيخ الله لعبدة العجل ، وموحيا إلى صفات الكمال التي يجب أن يتصف بها الإله الحق . وذلك قوله : ((أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)) [٨] .

أي : أفلا يرون أن عجلهم لا يتكلم ولا يرد عليهم جوابا ، ولا يقدر على ضر ولا نفع ، فكيف يتوهمون أنه إله وهذه صفته [٩] .

ومفهوم المخالفة للآية الكريمة يدل على أن الإله الحق لابد أن يكون متصفا بصفات الكمال ، كالكلام ، وإجابة الداعي ، والنفع والضر [١٠] .

---

(١) أنظر: القاموس المحيط /١٢٠٧ ، ١٧٢٥ . ومختار الصحاح /٧٧ ، ٦٥٨ .
(٢) أقراط : جمع قرط ، وهو : الشنف الذي يعلق في شحمة الأذن . أنظر : القاموس المحيط /٨٨٠ . ومختار الصحاح /٥٣٠ .
(٣) الإزميل : هو : شفرة الحذاء ، والمطرقة ، وحديدة في طرف رمح لصيد البقر ، وآلة من حديد ينقر بها الحجر والخشب ، والجمع : أزاميل . انظر: القاموس المحيط /١٣٠٦ . والمعجم الوسيط ١/٤٣٠ .
(٤) مسبوكا : من سبك يسبك ، إذا أذاب الفضة أو نحوها . انظر : القاموس المحيط /١٢١٦ . ومختار الصحاح / ٢٨٤ . والمعجم الوسيط ١/٤١٦ .
(٥) الكتاب المقدس . سفر الخروج . الإصحاح ٣٢ الآيات ١-٤ .
(٦) إفك : أي: كذب . أنظر : القاموس المحيط /١٢٠٣ . ومختار الصحاح/١٩ . (٧) طه/٨٨ . (٨) طه/٨٩ .
(٩) أنظر: جامع البيان ١٦/٢٠٢ ط٢ . وفتح القدير ٣/٣٨١ . (١٠) انظر: التفسير الكبير ٢٢/١٠٤ .

ومن خلال الآية الكريمة يلقي الألوسي* الضوء على سفاهة عبدة العجل ، وبلادتهم ، فيقول : " إنكار وتقبيح من جهته - تعالى - الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه ، واستحالته على أحد وهو اتخاذ العجل إلها ، ولعمري لو لم يكونوا في البلادة (١) كالبقر لما عبدوه ..." (٢) .

والآية الكريمة تدل على بعد اليهود الكامل عن المنهج العلمي في الإستدلال على الأمور ، إضافة إلى بعدهم عن دينهم !

فهم من الجهل بمكان . لا يستخدمون طريق النقل ، ولا العقل ، ولا يستدلون بالعلم ، ولا بالبديهيات المعلومة للعالم وغير العالم !

إذ كيف يتأتي لهم أن يعبدوا حيوانا جمادا مصنوعا من معدن ، لا ينطق ولا يرشد ، ولا ينفع ولا يضر ! . ومفهوم الإله واضح في أذهانهم لأنهم على بقية من دين آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب ، إضافة إلى وجود موسى وهارون - نبيي الله - بين ظهرانيهم . ولكنهم قوم يعمهون (٣) . وصدق الله إذ قال : ((... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) (٤)(٥) .

ثانيا : موقفه من هارون :

لم يجادل موسى - عليه السلام - عبدة العجل في حجتهم التي ساقوها لأنها لا تستحق المناقشة ، بل ألقى الألواح من يديه ، وتوجه إلى أخيه هارون ظانا أنه قصر في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مما حدا بهارون أن يسوق الحجج مدافعا عن نفسه ، وأدى هذا إلى براءة موقف هارون . وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) لوم موسى لهارون :

وذلك قوله : ((... وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ...)) (٦) .

أي : وطرح موسى الألواح من يده لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر (٧) عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه ، وأخذ بشعر رأس هارون بيمينه ، وبشعر لحيته بشماله ، يجره إليه غضبا لله (٨) .

وأثناء ذلك وجه اللوم والعتاب لأخيه هارون . وذلك قوله :

---

(١) البلادة : هي : ضد الذكاء ، والبليد هو : الذي لا ينشطه تحريك. أنظر : القاموس المحيط /٣٤٣ . ومختار الصحاح /٦٣ . (٢) روح المعاني ٢٤٨/١٦ .

(٣) يعمهون: أي : يترددون في الضلال ويتحيرون فيه . أنظر : القاموس المحيط /١٦١٣. ومختار الصحاح /٤٥٦ . (٤) الحج / ٤٦ .

(٥) سبق الحديث بنحو ذلك . راجع /٢٠٦. (٦) الأعراف / ١٥٠ .

(٧) الضجر : القلق ، أو : التبرم . أنظر : القاموس المحيط /٥٥٠ . ومختار الصحاح /٣٧٦ . (٨) انظر : الكشاف ١١٨/٢ ، ١١٩ . وتفسير النسفي ٧٨/٢ . وتفسير الجلالين /١٣٨ .

* الألوسي : هو: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي. سبقت ترجمته /٦٢ .

((قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)) (١).

أي : قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم : يا هارون أي شيء منعك أن لا تتبعني في سيرتي من الأخذ على يد الظالم طوعا أو كرها إذ رأيتهم أخطئوا الطريق وكفروا . أفعصيت أمري - وأمره قوله : ((... اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)) (٢) (٣) .

وقد ذهب جماهير العلماء إلى أن إلقاء موسى الألواح كان لغضبه الشديد لله ، وأن موسى كان رجلا حديدا (٤) شديد الغضب ، وكان هارون ألين منه جانبا ، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى (٥) .

وفي ذلك يقول ابن كثير * : " ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبا على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا "(٦) .

إلا أن المفسرين لم يشيروا إلى سبب اختلاف الشخصيتين - موسى وهارون - من حيث الشدة واللين ، مع أنهما أخوان شقيقان ونبيان .

والذي يبدو أن نشأة كل منهما لها الدور الأكبر في التأثير على شخصيته . فموسى نشأ في بيت الملك والقيادة والإمارة - بيت فرعون - حيث الأمر والنهي ، وهذه أمور تستلزم الشدة والحدة والعزيمة القوية . مما أثر على شخصيته .

أما هارون فقد نشأ في بيته ، بين يدي والدته حيث العطف والحنان والأمومة ، إضافة إلى وجود جو الخوف والرعب المهيمن على بني إسرائيل - من قبل الفراعنة - مما جعلهم يعيشون حياة الخوف والذعر (٧) المستمر ، ومن شأن هذا أن يصقل المرء على الخوف واللين ، واختفاء الشخصية الحديدية التي لا تعرف الخوف . ومن هنا كان مشابهة شخصية هارون لقومه - الذين نشأ بينهم - أكثر من موسى ولذلك أحبوه أكثر . والله أعلم .

وعلى ذلك فإن شعور موسى للأمور يختلف عن هارون تبعا لاختلاف الشخصية .

وفي ذلك يقول صاحب تفسير المنار** : " ولا شك أن سياسة الأمم تختلف باختلاف أحوال رعاتها وسائسيها (٨) ، فالقوي الشديد الغضب للحق كموسى يشعر بما لا يشعر به من يغلب عليه الحلم ولين العريكة (٩) كهارون - عليه السلام -"(١٠) .

---

(١) طه /٩٢ ، ٩٣ . (٢) الأعراف /١٤٢ . (٣) انظر: جامع البيان ٢٠٣/١٦ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١١ ط١ . وتفسير القرآن العظيم ١٦٣/٣ . ومراح لبيد ٢٧/٢ . (٤) حديدا: أي : شديد الغضب . أنظر القاموس المحيط /٣٥٢ . (٥) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/٧ ، ٢٨٩ ط ٣ . والكشاف ١١٩/٢ ، ٥٥١ . وتفسير النسفي ٧٨/٢ . وزاد المسير ٢٦٥/٣ . وتفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٢ . وتفسير الجلالين ١٣٨ . ومراح لبيد ٢٧/٢ . وروح المعاني ٦٧/٩ . (٦) تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٢ .

(٧) الذعر: أي: الفزع . أنظر : القاموس المحيط /٥٠٧ . ومختار الصحاح /٢٢٢ .

(٨) سائسيها: من ساس الرعية يسوسها سياسة ، إذا أمرها ونهاها . انظر: القاموس المحيط /٧١٠ . ومختار الصحاح /٣٢١ . (٩) لين العريكة : أي: سلس الخلق . أنظر: القاموس المحيط /١٢٢٤ . ومختار الصحاح ٤٢٨ .

(١٠) تفسير المنار ٢٠١/٩ ط ٢ .

* ابن كثير: هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء . سبقت ترجمته /٢٠ .

** صاحب تفسير المنار: هو: محمد رشيد رضا . كاتب وباحث ومفسر معاصر .

والميزان الصحيح الحق في الأمر : أن الغضب لله مطلوب في الصراع ، كذلك الحلم والأناة . وكل منهما يقدر بقدره . فيكون الغضب حيث لزومه ، وكذلك الحلم والأناة .

وظاهر قوله : (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) لا يدل على أن موسى لم يكن معظما لحرمات الله ، وذلك لما يلي :

١- إن موسى كان في حالة الغضب الشديد . والغضب من الشبهات التي توجب التريث في الحكم على الأمور ، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ) (١) .

٢- قد يكون المراد من الإلقاء ، الوضع . ذلك أن موسى لما رأي ما هاله (٢) من أمر العجل أخذته الحمية الشديدة ، والغيرة العظيمة على دينه ، فوضع الألواح بسرعة شديدة عبر عنها بالإلقاء لسرعة وضعها . وهذ كحال السحرة حيث أنهم لما رأوا من آية العصا خروا ساجدين بسرعة مذهلة كأن ملق ألقاهم . فعبر عن سجودهم الإرادي بالإلقاء ، كما قال-تعالى-: ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ)) (٣) .

ومما يعضد هذا قول الألوسي في تفسيره : "... فعجل في وضع الألواح لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه فعبر عن ذلك الوضع بالإلقاء تفظيعا لفعل قومه ..." (٤) .

٣- إن موسى - عليه السلام - لم يلم من الله - سبحانه - على فعله ذلك ، مما يدل على أنه غير مخطيء ، إضافة إلى أنه من المعظمين لحرمات الله . ولو كان هناك لوم لذكره الله - تعالى - ، كقوله في حق نوح - عليه السلام - :((... فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) (٥) ، وكقوله في حق محمد - صلى الله عليه وسلم - ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (٦) .

وفي المعنى المراد من قوله : (أَلَّا تَتَّبِعَنِ) ثلاثة أقوال : " أحدها تسير ورائي بمن معك من المؤمنين ، وتفارقهم . رواه سعيد بن جبير* عن ابن عباس . الثاني: أن تناجزهم (٧) القتال، رواه أبو صالح** عن ابن عباس ، والثالث في الإنكار عليهم ، قاله مقاتل *** " (٨) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (القضاء والشهادات) . باب:(لا يقضي القاضي وهو غضبان) ٥/١٣٢ . (٢)ما هاله : أي : ما أفزعه . انظر: القاموس المحيط/١٣٨٦ ومختار الصحاح /٧٠٢ . (٣)الشعراء / ٤٦ .
(٤)روح المعاني ٩/٦٧ . (٥)هود /٤٦ . (٦)التحريم / ١ .
(٧)تناجزهم : من المناجزة ،وهي : المقاتلة . انظر: القاموس المحيط /٦٧٧ .
(٨) زاد المسير ٥/٣١٦ .
* سعيد بن جبير : هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي أبو عبد الله مولاهم . سبقت ترجمته / ٦٥ .
** أبو صالح : لم أقف على ترجمته فيما رجعت إليه من مراجع .
*** مقاتل : هو: مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني المفسر. سبقت ترجمته / ٥٢ .

ويبدو أن القول الأول مراد من المعنى لقول هارون بعد ذلك معتذرا: كما قال-تعالى-: ((... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...)) (١) ، وكذلك القول الثالث لقوله: ((... إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ...)) (٢) . وأما القول الثاني فيبدو أنه بعيد لعدم وجود قرينة تدل عليه ، إضافة إلى أنه من المحتمل أن لا يكونوا قد أمروا بالقتال بعد - كحال الرسول وأصحابه في مكة قبل الهجرة - . ويشهد لهذا أن موسى لما رجع إليهم لم يوقع القتل فيهم وعلى رأسهم السامري بل انتظر حتى جاء حكم الله فيهم .

وموقف موسى هذا من هارون يدل على أنه شديد الغضب لله (٣) ، وأنه لا محاباة لأحد عنده ، وأنه ضد الباطل أينما كان ، وممن كان ، حتى ولو من أقرب المقربين إليه كأخيه (٤) .

وموقفه-أيضاً-يدل على أنه من أهل العزيمة الذين يغيرون المنكر بأيديهم ، لذلك ((... وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ...)) (٥). وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (٦).

وموقف موسى - عليه السلام - يبين - لنا - أن على الخلفاء أن يسألوا أمراءهم - الذين يعينونهم - على ما استرعوهم عليه ، بل وعليهم أن يتابعوهم في أعمالهم وأن يحاسبوهم على تقصيرهم وأخطائهم .

وذلك لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ...) الحديث (٧) .

وعلى الأمير أن يتقي الله في رعيته ، وأن يراقبه في إمارته ، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ)(٨) .

ومن الجدير ذكره أن الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد ضرب المثل الأعلى في ذلك . حيث كان يجهد لرعيته وينصح ولا يألو في ذلك جهدا ، إضافة إلى مساءلة أمرائه وولاته الذين كان يعينهم على الأقاليم والأمصار .

ثم يجيء سياق الآيات بعد ذلك بحجة نبي الله هارون - عليه السلام - معتذرا إلى أخيه موسى - عليه السلام - . والنقطة التالية توضح ذلك .

---

(١) طه / ٩٤ . (٢) الأعراف / ١٥٠ .
(٣) ورد الحديث مفصلا عن وجوب الغضب لله . راجع / ٢١١، ٢١٢ .
(٤) سبقت الإشارة إلى مثل هذا. راجع / ٢١٢ .
(٥) الأعراف / ١٥٠ . (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) . باب: (من الإيمان تغيير المنكر باليد ...) ١/ ٥٠ . (٧) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب: (الوصايا) باب: (تأويل قول الله تعالى : من بعد وصية توصون بها ...) ٣/ ١٨٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإمارة) باب : (فضيلة الإمام العادل ...) ٦/ ٨ . (٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإمارة) . باب : (فضيلة الإمام العادل ...) ٦/ ٩ .

ب- محاجة هارون لموسى :

وذلك قوله : ((قَالَ يَابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)) (١) .

أي : قال هارون لأخيه موسى : يا ابن أم لا تأخذ بشعر لحيتي وشعر رأسي ، إني خشيت إن اتبعتك فأخبرك بهذا فتقول لي : تركتهم وحدهم وفرقت بينهم بالقتال أو الإنقسام ، وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم ، أو لم تعمل بوصيتي في حفظهم (٢) .

يقول الزمخشري في قوله : (يَا بْنَؤُمَّ) : " ... فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد ، وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ، ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ، ولأنها هي التي قاست منه المخاوف والشدائد فذكره بحقها " (٣) .

ويقول ابن كثير في ذلك : " ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ... " (٤) .

ولعل هارون - عليه السلام - اجتهد رأيه ، ورأى أن موسى - عليه السلام - سيرجع بعد ثلاثين أو أربعين يوما ، وسيكون إصلاحهم - الذي عجز عنه - على يدي موسى لا محالة . وقد رأى أن هذا خير من الإنسحاب بالمؤمنين انسحابا قد يؤدي إلى اقتتال قومه وتفرقهم . والله أعلم .

وموقف هارون من موسى يشير إلى العلاقة الحسنة المميزة بين المسلم وأخيه المسلم . وأن على المسلم إذا ما ووجه من قبل أخيه بالغضب الشديد - لسبب معين كالتقصير على غلبة الظن - أن لا تأخذه الحمية ، ولا يرد بالمثل بل يقابل الأمر بالإحسان - كما فعل هارون مع أخيه هنا - . وعليه أن يقدر الموقف تماما ، ويعلم أن الحالة التي تسيطر على أخيه ليست الأصل وإنما هي فرع نتج عن تقدير معين من أخيه للموقف .

وقد نبهنا المولى - عز وجل - إلى ذلك بقوله : ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) (٥) .

وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَالَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَالَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) (٦) .

والميزان في ذلك ، هو قوله - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ...)) (٧) .

---

(١) طه / ٩٤ . (٢) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٩ ط ٠١ وتفسير القرآن العظيم ٣/١٦٣ . وتفسير الجلالين / ٢٦٥ .
(٣) الكشاف ٢/١١٩ . (٤) تفسير القرآن العظيم ٣/١٦٣ .
(٥) فصلت / ٣٤ ، ٣٥ . (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (البر والصلة والآداب) باب : (فضل الرفق) ٨/٢٢ .
(٧) المائدة / ٥٤ .

وحجة هارون ـ عليه السلام ـ تدل على أن الإجتهاد في مصالح الأمة واجب . وعلى الأمير أن يقدر الأمور وأن يتخذ الصالح المناسب للأمة .

وهذا يقود إلى حكمة الأمير وعلمه الواسع الذي ينبغي أن يتصف به ، وإلا فلا يصلح أن يكون أميرا ، لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي ذر* : (يَا أَبَا ذَر إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ،وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)(١) .

كما يشترط في الإمارة الأمانة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)(٢) .

وقد جمع بين الوصفين قوله ـ تعالى ـ في حق موسى : ((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ))(٣) ، وقوله في حق يوسف : ((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))(٤)(٥).

ويبدو أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يقتنع بحجة هارون الذي عمد إلى ذكر حجة أخرى .

وذلك قوله : ((... قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))(٦) .

أي : قال هارون : ابن أم إن القوم استذلوني وعدوني ضعيفا ـ يعني لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم(٧) حتى قهروه واستضعفوه ـ وقاربوا يقتلونني ، فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الإستهانة بي والإساءة إلي ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين عبدة العجل(٨) .

ويبين ـ لنا ـ القرطبي معنى الشماتة وحكمها فيقول : " والشماتة : السرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدين والدنيا . وهي محرمة منهي عنها "(٩) .

وحجة هارون ـ هنا ـ تدل على أن من حق المسلم أن يسوق الحجج والبراهين المتتالية لإقناع الآخرين بوجهة نظره ، وبما يراه حقا. وهذا حق أعطاه الله للناس حتى في يوم القيامة ، وفي ذلك يقول : ((يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))(١٠)(١١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(الإمارة) . باب :(كراهية طلب الإمارة ...) ٦/٦ . (٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإمارة). باب : (من غش رعيته ...) ٩/٦ . (٣)القصص/٢٦. (٤)يوسف /٥٥ .
(٥)سبقت تفصيلات أخرى عن الأمير والإمارة . راجع/٢٢٠، ٢٢١ .
(٦) الأعراف /١٥٠ . (٧)مضادتهم: مخالفتهم . أنظر: القاموس المحيط/٣٧٦. ومختار الصحاح/٣٧٨. (٨) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٧، ٢٩١ط٣ والكشاف ١١٩/٢. وتفسير النسفي ٧٨/٢، ٧٩. وتفسير الجلالين /١٣٨.
(٩)الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٧ ط ٣ . (١٠)النحل / ١١١ .
(١١)وردت تفصيلات أخرى عن استخدام الحجة الدامغة في الصراع. راجع/٦٩، ٧٩.

* أبو ذر : هو: جُنْدَبُ بن جَنَادَةَ بن سفيان بن عبيد حَرَام بن غفار بن مُلَيْل ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر . أبو ذر الغفاري . أسلم في أول الإسلام والنبي بمكة ، فكان رابع أربعة ، وقيل : خامس خمسة . روى عن النبي ، وروى عنه : عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر ، وابن عباس وغيرهم . توفي في خلافة عثمان بالربذة سنة ٣٢ هـ ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود . أنظر: أسد الغابة ٣٥٧/١ـ ٣٥٩ رقم (٨٠٠). وحلية الأولياء ١٥٦/١ـ١٧٠ رقم (٢٦) . والإصابة في تمييز الصحابة ٥٠٦/١، ٥٠٧ رقم (١٢١٦) . وصفوة الصفوة ٥٨٤/١ـ٦٠٠ رقم (٦٤) ط:١ . وجمهرة أنساب العرب /٤٢٤، ٤٧٧ .

كذلك يتضح - لنا - من قوله : (وَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ) : أن على المسلم أن يبتعد عن إشانة أخيه واحتقاره . خاصة عند الأعداء . ولذلك يقول-تعالى-: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..))(١) ، ويقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - : (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)(٢) .

كما يتضح - لنا - من حجة هارون - عليه السلام - أن على الداعية إذا حدق(٣) به الخطر ، وخشي على نفسه الموت عند تغيير المنكر أن يعتزل ، وينجو بنفسه . وفي ذلك يقول القرطبي : " فبين هارون أنه إنما قام خوفا على نفسه من القتل . فدلت الآية على أن لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت "(٤) . ولذلك كانت درجات تغيير المنكر - التي وردت في الحديث (٥) - : اليد ، ثم اللسان ، ثم القلب وهو أضعف الإيمان .

والآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن هارون لم يقصر في أمره بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، بل فعل ذلك ، وبذل قصارى جهده ، حتى جهدهم وشق عليهم ، مما أدى إلى تكاثرهم عليه : (اسْتَضْعَفُونِي). ولما لم يتوقف عن نصحهم هموا بقتله وقاربوا من ذلك : (كَادُوا يَقْتُلُونَنِي).

ولولا لطف الله ورحمته به ، إذ سخر له من أسباب النجاة من قهرهم ، لوقع ما لا تحمد عقباه .

لذلك لما رأى موسى - عليه السلام - أن أخاه لم يضيع وصيته ، وله يأل جهدا في نصحهم - حسب مقدرته - وفي ذلك نزل القرآن بقوله . ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...)) (٦) - وقد شارف الموت في سبيل الله ، أيقن أنه عامل أخاه بما لا يستحقه ، ولذلك توجه إلى الله داعيا لنفسه أولا بالمغفرة ، ثم لأخيه ثانيا .

وذلك قوله : ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))(٧) .

أي :" قال موسى لما تبين له عذرُ أخيه ، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله ، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل : (رَبِّ اغْفِرْ لِي) ، مستغفراً من فعله أخيه ... تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به ... وارحمنا برحمتك الواسعة ... ، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئا "(٨) .

وهكذا حج هارون موسى - عليهما السلام - .

---

(١)النور /١٩ . (٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(البر والصلة) باب:(تحريم ظلم المسلم ...)١١/٨ . (٣)حدق : أي : أحاط . أنظر : القاموس المحيط /١١٢٧. ومختار الصحاح /١٢٧ . (٤)الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٧ ط ٣ . (٥)الحديث ورد ذكره /٢٠٧، ٢٢٠ .
(٦)البقرة /٢٨٦ . (٧) الأعراف /١٥١. (٨)جامع البيان٩/٦٩ ط٢ . وانظر: أنوار التنزيل ٤٤٨/١. وتفسير أبي السعود ١٩٨/٢ .

والآية الكريمة تدل على أنه إذا ظهر الحق للداعية بعد لبس فعليه أن يتبعه ، ويحذر من أن تأخذه العزة بالإثم .

كما أن الآية الكريمة تدل على أن على الداعية أن يدعو بخير لمن ظن أنه ظلمهم بقول أو بفعل أو بنحو ذلك .

ثالثا : موقفه من السامري :

بعد أن فرغ موسى - عليه السلام - من مساءلة أخيه هارون - عليه السلام - ، توجه إلى صاحب الفتنة وأصلها - السامري - لمساءلته عن صنعه . مما حدا بالسامري إلى الإعتراف بجريمته ، وترتب على هذا وقوع حكم الله عليه . وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) إعتراف السامري بجريمته :

عمد موسى - عليه السلام - إلى سؤال السامري عما وجه إليه من إتهام. وذلك قوله : ((قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ)) (١) .

أي : قال موسى : ما أمرك وما شأنك يا سامري ، وما الذي دعاك إلى ما فعلت وصنعت ؟(٢) .

وقد أجابه السامري معترفا بجريمته .

وذلك قوله : ((قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي))(٣) .

قال في المنتخب * : " قال السامري لموسى : عرفت من حذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو إسرائيل ، وصنعت لهم صورة عجل له هذا الصوت ، وقبضت قبضة من التوراة ، فألقيتها في جوف العجل ، تمويها على الناس ، وكذلك زينت لي نفسي أن أفعل ما فعلت "(٤) .

إلا أن قوله في المنتخب : " وقبضت قبضة من التوراة " فيه نظر: لأن التوراة لم تكن قد أنزلت بعد أو لم تكن قد وصلته . وإنما فارقهم موسى لأخذ التوراة . ولعله أراد بقوله : (مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) أي : شيء من سنته ، أو شيء من ثيابه أو نحو ذلك .

وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالرسول : جبريل - عليه السلام - ، والمراد بأثره : أي تراب حافر فرسه (٥) .

ويقول الفخر الرازي في ذلك : " عامة المفسرين قالوا : المراد بالرسول جبريل - عليه السلام - وأراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته ..."(٦) .

ويقول ابن كثير في ذلك :" ...هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم "(٧) .

---

(١) طه/ ٩٥ . (٢) أنظر: جامع البيان ١٦/٢٠٤ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٩ ط١ . (٣) طه/ ٩٦ . (٤) المنتخب ٤/٤٨١ .
(٥) أنظر : جامع البيان ١٦/٢٠٥ ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٩ ط ١ . والتفسير الكبير ٢٢/١١٠ ، ١١١ . والكشاف ٢/٥٥١ . وتفسير القرآن العظيم ٣/١٦٣ . وتفسير الجلالين /٢٦٥ . (٦) التفسير الكبير ٢٢/١١٠ .
(٧) تفسير القرآن العظيم ٣/١٦٣ .
* المنتخب : هو: كتاب تفسير للقرآن وضعه لفيف من علماء وزارة الأوقاف بمصر.

ويلقي صاحب الظلال الأضواء على الأسباب التي جعلت موسى يؤخر مساءلة السامري . فيقول : " إنما لم يتوجه إليه منذ البدء لأن القوم هم المسؤولون ألا يتبعوا كل ناعق ، وهارون هو المسئول أن يحول بينهم وبين أتباعه إذا هموا بذلك وهو قائدهم المؤتمن عليهم . فأما السامري فذنبه يجيء متأخرا لأنه لم يفتنهم بالقوة ، ولم يضرب على عقولهم إنما أغواهم فغووا ، وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدى نبيهم الأول ونصح نبيهم الثاني . فالتبعة عليهم أولا وعلى راعيهم بعد ذلك . ثم صاحب الفتنة والغواية أخيرا "(١) .

واعتراف السامري - هذا - يثبت أن الجماهير(٢) الرعاع(٣) غالبا ما تنخدع بأفكار أهل الباطل وأعمالهم . فالسامري استغل علمه في خداع الجماهير ، كما أنه استغل جهل الجماهير في تمرير خداعه عليها .

ومن قبل استغل فرعون جهل قومه وحماقتهم في تمرير أفكاره ومعتقداته عليهم ، كما قال تعالى : ((فَاسْتَخَفَّ(٤) قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)) (٥) .

ب) حكم موسى على السامري :

أصدر موسى - عليه السلام - الحكم المناسب على السامري ، بعد أن اعترف الأخير بذنبه وخطيئته .

وذلك قوله : ((قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)) (٦) .

أي : قال موسى للسامري : فاذهب من بيننا فإن لك في حياتك الدنيا أن تقول : لا أُمَسَّ ولا أَمَسّ ، وإن لك موعدا لا محيد عنه ، وانظر إلى معبودك الذي دمت عليه مقيما تعبده ، لنحرقنه بالنار ثم لنذرينه في البحر تذرية ، والنسف نفض الشيء ليذهب به الريح وهو التذرية (٧) .

وقد ذهب المفسرون إلى أن المعنى المراد من قوله : (لَا مِسَاسَ) أي : لا أمس ولا أمس ، ذلك أن موسى أمر بني إسرائيل باعتزال السامري كليا ، حيث حرم عليهم مخاطبته ومخالطته ومقاربته ومبايعته ومعايشته كما حرم عليه ذلك ؛ فإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم المماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه ، وكان يصيح لا مساس ، وعاد في

(١) في ظلال القرآن ٢٣٤٨/٤ . (٢) الجماهير : جمع جمهور، وهو: المعظم من الناس . أنظر : القاموس المحيط /٤٧٠ . والمعجم الوسيط ١٣٨/١ .
(٣) الرعاع : تطلق على : الأحداث الطغام ، وكسحابة : النعامة ، ومن لا فؤاد له ولا عقل . أنظر : القاموس المحيط /٩٣٣ . ومختار الصحاح /٢٤٧ .
(٤) فاستخف : " أي حملهم أن يخفوا معه أو وجدهم خفافا في أبدانهم وعزائمهم ، وقيل : معناه وجدهم طائشين ". المفردات في غريب القرآن /١٥٢ . وانظر : القاموس المحيط /١٠٤٢ . ومختار الصحاح /١٨٢ . (٥) الزخرف / ٥٤ .
(٦) طه /٩٧ . (٧) أنظر : جامع البيان ٢٠٧،٢٠٦/١٦ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١-٢٤٣ ط١ . وتفسير القرآن العظيم ١٦٤/٣ . وتفسير الجلالين/٢٦٥،٢٦٦ .

الناس أوحش من القاتل اللاجيء في الحرم ، ومن الوحش النافر[١] في البرية[٢][٣] .

ويبدو أن قول السامري : (لَا مِسَاسَ) هو من باب القهر والإضطرار، ذلك أن الذي صنع للناس إلها أحرى به أن لا يهتم بذلك الأمر الشرعي من موسى - وذلك قوله : (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ...) - المتمثل في تحريم مخالطة الناس عليه . ولكن معناه أن يقول : لا مساس نتيجة شيء قاهر له يحمله على ذلك - كالحمى التي تصيبه إذا مسه أحد - فهو مضطر لذلك دون اختيار . وعقوبة السامري هذه كانت من جنس العمل، فكما جمع الناس على الباطل ، وباعد بينهم وبين الإيمان ، جعل الله عقابه أن يفرق بينه وبين الناس ، فلا يجتمع عليه أحد بعد ذلك أبدا . فهو كالوحش في البرية ، بل إن الوحش أهون منه لأنه يأوي إلى فصيله ، أما هو: (فَلَا مِسَاسَ) !

وقوله : (لَنْ تُخْلَفَهُ) فيه قراءتان : الأولى : بضم التاء وفتح اللام ، بمعنى : لن يخلفكه الله ولكن يذيقكه . والثانية : بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : لن تخلفه أنت يا سامري ولن تغيب عنه [٤] .

ويقول ابن جرير الطبري في القراءتين : " والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى..."[٥] .

وفي قوله : (لَنُحَرِّقَنَّهُ) قراءتان ، الأولى : بضم النون وتشديد الراء من الإحراق بالنار . والثانية : بفتح النون وضم الراء ، أراد : لنبردنه والمعنى أي : لنطيرن تلك البرادة أو ذلك الرماد في البحر [٦] .

وموقف موسى - عليه السلام - من السامري يدل على محاصرة أهل الباطل والبدع ، بل ونفيهم وإبعادهم والتحذير منهم لأنهم يمثلون أصل الفتن ورأس الضلال . فالأولى إبعادهم والحجر عليهم[٧] لأنهم يفسدون ولا يصلحون ويهدمون ولا يبنون . وفي ذلك يقول القرطبي : " هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا ، وقد فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بكعب بن مالك* والثلاثة الذين خلفوا "[٨] .

---

(١) النافر : الشارد . أنظر : القاموس المحيط/٦٢٥ . ومختار الصحاح/٦٧٢ .
(٢) البرية : الصحراء، والجمع : براري . أنظر : القاموس المحيط/ ٤٤٥ . ومختار الصحاح /٤٧ .
(٣) أنظر : جامع البيان ٢٠٦/١٦ ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١ ط١ . والكشاف ٥٥١/٢ . والتفسير الكبير ١١٢/٢٢ . وتفسير القرآن العظيم ١٦٤/٣ . وتفسير الجلالين /٢٦٦ . وفتح القدير ٣٨٤/٣ .
(٤) أنظر : جامع البيان ٢٠٦/١٦ ط٢ . وتفسير الجلالين /٢٦٦ . والنشر في القراءات العشر ٣٢٢/٢ .
(٥) جامع البيان ٢٠٧/١٦ ط ٢ .
(٦) أنظر : جامع البيان ٢٠٧/١٦ ط٢ . وغريب القرآن /٢٨٢ . والنشر في القراءات العشر ٣٢٢/٢ .
(٧) الحجر عليهم : أي: المنع . انظر : القاموس المحيط/٤٧٥ . ومختار الصحاح /١٢٣ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١ ط ١ .

* كعب بن مالك : هو: كعب بن مالك بن أبي كعب - عمرو - بن القين بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي . يكنى: أبا عبدالله، وقيل : أبو عبدالرحمن . شهد بيعة العقبة ، وكان من شعراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ولم يتخلف عن النبي إلا في غزوة بدر وتبوك . حدث عن النبي ، وعنه : ابناه عبدالله وعبدالرحمن. مات سنة ٥١ هـ ، وقيل : ٥٠ هـ . أنظر: أسد الغابة ٤٨٧/٤-٤٨٩ رقم (٤٤٧٨) . والإصابة في تمييز الصحابة ٦١٠/٥-٦١٢ رقم (٧٤٣٨) . وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٦/٢، ٣٦٧ رقم (٥٩٦٥) .

ويشير صاحب التفسير الحديث إلى العظة من قصة السامري وموقف موسى منه ، فيقول : " وفي قصة السامري خاصة عظة بالغة حيث انطوت على التحذير من وساوس الأشرار وإغواء شياطين الإنس ، ثم على خطة المقاطعة والحرمان والإحتقار ضد الذين يحاولون تضليل مجتمعهم وإفساد ضمائرهم وتشويه الصافي من عقائدهم وتقاليدهم "(١) .

وقد فعل النبي مثل ذلك بالثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع العمري* ، وهلال بن أمية الواقفي** حيث نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس عن كلامهم ، ثم نهى زوجاتهم عن كلامهم أيضا ، كما أمرهم باعتزال نسائهم ، وبقوا على هذا الحال خمسين ليلة حتى نزلت توبة الله - الرحمان - عليهم . وذلك قوله -تعالى-: ((وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ (٢) وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) (٣)(٤) .

وموقف موسى - عليه السلام - يدل دلالة واضحة على تدمير آلة الباطل إن أمكن . حيث حرق الإله المصنوع ونسفه في البحر نسفا .

وقد كان رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك . ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود*** - رضي الله عنه - قال : دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)(٥) (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)(٦) زاد ابن عمر**** يوم فتح مكة (٧) .

---

(١) التفسير الحديث ٣/ ٨٦ . (٢) رحبت : اتسعت . أنظر: المفردات في غريب القرآن /١٩١ . والقاموس المحيط /١١٤. ومختار الصحاح /٢٣٧ . (٣) التوبة /١١٨. (٤) أنظر: سيرة ابن هشام . ١٢٩/٤ وما بعدها . (٥) الإسراء /٨١. (٦) سبأ /٤٩. (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الهجرة والمغازي) باب: (إخراج الأصنام من حول الكعبة) ٥/٧٣ .

* مرارة بن الربيع العمري : هو: مرارة بن الربيع - وقيل : ابن ربيعة - الأنصاري العمري ، من بني عمرو بن عوف . وقيل في نسبه غير ذلك. صحابي جليل شهد بدرا ، وهو : أحد الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك . أنظر: اسد الغابة ٥/١٣٤ رقم (٤٨١٤). والإصابة في تمييز الصحابة ٦/٦٥ ، ٦٦ رقم (٧٨٧٠). والإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/٣٨٢، ٣٨٣ رقم (٢٣٦١).

** هلال بن أمية الواقفي : هو: هلال بن أمية الواقفي بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف - مالك - بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي . صحابي جليل أسلم مبكرا ، وشهد بدرا وأحدا ، وكان يكسر أصنام بني واقف ، وكانت معه رايتهم يوم فتح مكة . أنظر: أسد الغابة ٥/٤٠٦، ٤٠٧ رقم (٥٣٨١). والإصابة في تمييز الصحابة ٦/٥٤٦، ٥٤٧ رقم (٨٩٨٤) .

*** عبدالله بن مسعود : صحابي جليل ومن كبار الصحابة وعلمائهم .

**** ابن عمر : هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبدالرحمن المكي. سبقت ترجمته / ١٧ .

وهذه سنةٌ ثابتةٌ للمؤمنينَ في تغييرِ المنكرِ بأيديهم إن أمكنَ ذلك ، ومن ذلك أنَّ إبراهيمَ - عليه السلام - كان يغير المنكر بيديه كما ذكر القرآن : ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا (١) إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)) (٢) .

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر أصحابه بتغيير المنكر بأيديهم . ومن ذلك ما روي عن أبي الهياج** قال : قال لي علي*** : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته (٣) ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)(٤). كذلك فإن موقف موسى يدل على أن الدعوات الباطلة مصيرها إلى الإندثار والزوال. وهذه سنة ثابتة في الصراع بين الحق والباطل . وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((... كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ (٥) فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٦) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ))(٧) .

ثم إن موسى - عليه السلام - وجه خطابه إلى قومه ، مشيرا إلى إلههم الحق الذي يجب أن يألهوه دون غيره .

وذلك قوله : ((إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)) (٨).

أي قال لهم موسى : ليس هذا العجل إلهكم ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، فلا تجوز العبادة إلا له ، وهو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، ((وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ))(٩) (١٠) .

بقي في هذا المقام مسألة مهمة ، وهي : هل العجل كان حقيقيا من دم ولحم وروح ، أم أنه من معدن الذهب ليس الا ؟

إن صفة العجل الذي أخرجه السامري لا تتعدى أحد الحالات الآتية :

١- عجل من لحم ودم بروح .
٢- عجل من لحم ودم بلا روح .
٣- عجل من الحلي - الذهب والفضة - بروح .
٤- عجل من الحلي بلا روح .

وبالنظر والتأمل في الحالات الأربعة ، يبتين : أن الحالة الثانية لا تستقيم عقلا ، لأن العجل فيها يكون جثة ميتة . وكذلك الحالة الثالثة ،

---

(١) جذاذا : من الجَذّ ، وهو : القطع المستأصل ، ويطلق على : ما كسر منه . أنظر : القاموس المحيط /٤٢٣ . ومختار الصحاح/٩٧ . (٢) الأنبياء/٥٧، ٥٨ .
(٣) طمستها : أي : محوتها واستأصلت أثرها . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٣٩ . والقاموس المحيط /٧١٥ . ومختار الصحاح/٣٩٧ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجنائز) باب : (الأمر بتسوية القبر) ٣/٦١. (٥) الزبد : هو : زبد الماء المعروف كالرغوة الطافية على السطح ونحوها . انظر : المفردات في غريب القرآن/٢١١ . والقاموس المحيط/٣٦٣ . ومختار الصحاح/٢٦٧ . (٦) جفاء : هو : ما يرمى به الوادي ، أو القذر من الغثاء إلى جوانبه ، ويقال : أجفأت القدر زبدها ألقته اجفاء . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٩٤ . والقاموس المحيط/١٦٤٠ . ومختار الصحاح /١٠٦ .
(٧) الرعد /١٧ . (٨) طه/٩٨ . (٩) الأنعام/٥٩ . (١٠) أنظر : تفسير القرآن العظيم ٣/١٦٤ .
* أبو الهياج : هو : حيان بن حصين الأسدي أبو الهياج الكوفي ، محدث ثقة . وثقه ابن حبان . حدث عن عمر وعن علي . وحدث عنه : ابناه منصور وجرير ، والشعبي . انظر : خلاصة تذهيب الكمال ١/٢٦٥ رقم (١٦٩١) .
** علي : هو علي بن أبي طالب

لأن الروح لا تكون في الجمادات . إذن بقيت الحالتان الأولى والرابعة ، وهما اللتان دار حولهما خلاف العلماء . وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) ذهب فريق من العلماء إلى أن العجل كان جسدا من دم ولحم بروح وله خوار[١] .

واستدلوا بالأدلة الآتية :

١) قوله : ((..عِجْلًا جَسَدًا..)) [٢] يدل : على أنه بدن ذو لحم ودم كسائر الأجساد .

٢) قوله : ((..لَهُ خُوَارٌ..)) [٣] . والخوار إنما يكون للبقر لا لصورته .

٣) قوله : ((..فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ..)) [٤] . ولو لم يصر حيا لما بقي لهذا الكلام فائدة .

٤) إن الله سماه عجلا ، والعجل حقيقة في الحيوان ، وسماه جسدا وهو إنما يتناول الحي .

٥) قوله : ((..لَنُحَرِّقَنَّهُ..)) [٥] بمعنى : إحراقه بالنار ، وهذا يدل على أنه صار لحما ودما ، لأن الذهب لا يمكن إحراقه بالنار .

ب) ذهب فريق آخر من العلماء إلى أن العجل كان جسدا من الذهب مجوفا له خوار بفعل الريح[٦] .

واستدلوا بالأدلة الآتية :

١) إنه لا يجوز إظهار خرق العادة باحياء الجماد الميت على يد ضال كالسامري .

٢) قوله : (جَسَدًا) . ولفظ الجسد يطلق على الجسم الذي لا حياة فيه .

٣) قوله : (لَهُ خُوَارٌ) . إما لأثر تراب حافر فرس جبريل ، أو لأن إبليس كان يدخل في جوفه ويصيح فيسمع له خوار ، أو أن السامري جعل مداخل ومخارج لجوفه تسمح للريح بالدخول ثم الخروج بصوت كالخوار .

والذي أميل إليه هو الرأي الثاني ، وذلك للأدلة التي ذكروها ، وللأدلة الآتية :

١) إن الله ذكر صفة واحدة للعجل وهي : (لَهُ خُوَارٌ) ،ولم يذكر أي صفة أخرى كأن يمشي أو يبصر ، مما يشير إلى أنه لا يزيد على معدن مصور مجوف .

---

(١) انظر:الجامع لأحكام القرآن١١/٢٤٠ط١ . والكشاف٢/٢،١١٨/٥٥٠ . وتفسير النسفي ٢/٧٧ . ولباب التأويل٢/١٣٣ . والبحر المحيط٦/٢٦٩ . وتفسير الجلالين/١٣٨، ٢٦٥ . وتفسير أبي السعود٢/١٩٧ . والسراج المنير١/٥١٧ . والتفسير القرآني للقرآن٩/٤٨٤ . وروح المعاني٩/٦٤،١٦/٢٤٧ . والتفسير الكبير ٢٢/١٠٣،١١٢ . (٢)،(٣)طه/٨٨ . (٤)طه/٩٦ . (٥)طه/٩٧ . (٦) أنظر: سراج لبيد٢/٢٦ . ومحاسن التأويل ٧/٢٨٥٧ . والتسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٥ . والمنتخب ٢/٢٤٠،٤٠/٤٨١ . وتفسير المراغي ٩/٦٨ ط٢ ،١٦/١٤١ط ٣ . وفي ظلال القرآن٤/٢٣٤٧ . والأساس في التفسير ٤/٢٠١٥ . والمحرر ١/٢٧٤ .

٢) إن اللهَ قالَ : (فَأَخْرَجَ لَهُمْ) ،ولم يقل : فأخرجنا لهم . فاكتفى بإسناد الحدث للسامري ، مما يدل على أن الله لم يقلب الذهب إلى دم ولحم ، ونفخ فيه الروح، وإلا لذكر نفسه في هذا المقام بالتصريح أو التلميح لأن هذه خصوصية له ، مثال قوله: ((وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ(١) وَالْأَبْرَصَ (٢) بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ...)) (٣).

٣) إن ظاهر الآيات التي وردت في ذلك تفيد أن السامري أخرج لهم عجلا من الحلي ، ولا يوجد دليل قطعي في هذه الآيات يدل على أن العجل حول إلى لحم ودم . فلا يذهب إلى الظاهر البعيد دون القريب بغير دليل قطعي .

وأما ما استدل به أصحاب القول الأول ففيه نظر لما يلي :

١- إن استدلالهم بالجسد لا يدل بالدرجة الأولى على البدن من اللحم والدم والروح لقول الفيروزآبادي * :"الجسد ، محركة : جسم الإنسان والجن والملائكة ، والزعفران ، كالجساد ، ككتاب ، وعجل بني إسرائيل ، والدم اليابس كالجسد والجاسد والجسيد" (٤) . ولقول أبي بكر الرازي** "(الجسد : البدن) تقول منه (تجسد) كما تقول من الجسم تجسم . (والجسد) أيضا الزعفران ونحوه من الصبغ . وقيل في قوله تعالى: (عِجْلًا جَسَدًا) أي أحمر من ذهب "(٥) .

٢- إن استدلالهم بالخوار ليس بقطعي ، إذ أن هذا الصوت قد يطلق على غير صوت البقر . لقول الفيروزآبادي : " الخوار ،بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام "(٦) .

٣- إستدلالهم بقوله : (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) (٧) ، ليس بقطعي . ويقول صاحب الظلال في ذلك : " والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث ، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية .. ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذرا من السامري وتملصا (٨) من تبعة ما حدث . وأنه هو صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها ، وأنه

---

(١) الأكمه : هو:الأعمى الذي يولد مطموس العينين. أنظر: المفردات في غريب القرآن /٤٤٢. والقاموس المحيط/٧٩٠. ومختار الصحاح/٥٧٩. (٢) الأبرص : هو:الشخص المريض بداء البرص المعروف ،وهو : بياض لامع يظهر في ظاهر جلد البدن . أنظر: المفردات في غريب القرآن/٤٣. والقاموس المحيط/٧٩٠. ومختار الصحاح/٤٨ .
(٣)المائدة /١١٠. (٤)القاموس المحيط/٣٤٨. (٥)مختار الصحاح/١٠٣.
(٦)القاموس المحيط/٤٩٧. (٧) طه /٩٦. (٨)تملصا : أي:تخلصا ، أو:تفلتا. أنظر: القاموس المحيط/٨١٥. ومختار الصحاح/٦٣٢.

* الفيروزآبادي: هو: مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. سبقت ترجمته /١٥١ .

** أبو بكر الرازي : هو : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي زين الدين، من فقهاء الحنفية ، وله علم بالتفسير والأدب ، من مصنفاته :" مختار الصحاح " و " شرح المقامات الحريرية " و " الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز " . أصله من الري ، وتوفي في قوينة سنة ٦٦٦هـ . أنظر: الأعلام للزركلي ٦/٥٥ ط : ٦ .

صنعه بطريقة تجعل الريح تصوت في فراغه فتحدث صوتا كالخوار. ثم قال حكاية أثر الرسول يبرر بها موقفه ، ويرجع الأمر إلى فطنته إلى أثر الرسول !"(١) .

٤- إستدلالهم بأن العجل حقيقة يكون في الحيوان ، ليس بدقيق . إذ قد يطلق لفظ الحيوان على غير ذاته ، كأن يطلق مثلا على الإنسان .
ومثال ذلك : ما ذكره حسان بن ثابت* في رده على عبدالله بن الزبعري السهمي** ، حيث يقول :

يا غراب البين(٢) أسمعت فقل إنما تنطق شيا قد فعل(٣)

ومثال ذلك - أيضا - ما ذكر في حديث أم زرع الذي رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت :(جَلَسَ احدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، قالت الأولى : زوجي لحم جمل غث(٤) على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل ..)(٥) . والشاهد قولها : " زوجي لحم جمل ".

٥- إستدلالهم بالاحراق بالنار فيه نظر: لأن الذهب يمكن أن يحرق بالنار، وقد يحرق عجل الذهب بالنار، من باب التحقير والإذلال والإهانة، وهناك قراءة أخرى بمعنى التبرد .
ومن الجدير ذكره أنه ورد في التوراة المترجمة أن عجلَ بني إسرائيل كان من الذهب المسبوك ، ولم يكن من لحم ودم وروح . وذلك قوله : (فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر)(٦) .

---

(١)في ظلال القرآن ٢٣٤٩/٤ . (٢)غراب البين: هو: الغراب الأسود الحاتم ، وسمي بذلك لأنه: يحتم بالفراق. كما يطلق على الأبقع، أو الأحمر المنقار والرجلين. انظر القاموس المحيط/١٥٢٦.
(٣)شرح ديوان حسان بن ثابت . وضعه وصححه: عبدالرحمن البرقوني . ص ٣٥٤ ط: لا يوجد . دار الكتاب العربي . (٤)غث : أي : مهزول . انظر : النهاية في غريب الحديث و الأثر ٣٤٢/٣. والقاموس المحيط /٢٢١. ومختار الصحاح/٤٦٩ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(فضائل أصحاب النبي) باب:(في فضائل عائشة ...)١٣٩/٧، ١٤٠ . (٦)الكتاب المقدس .سفر الخروج. الإصحاح/٣٢. الإية /٤.

* حسان بن ثابت : هو: حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري شاعر رسول الله ، سبقت ترجمته / ١٤٠ .

** عبد الله بن الزبعري السهمي : هو: عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي السهمي الشاعر . كان من أشد الناس على رسول الله في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه. وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين وكان من أشعر قريش . أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه. أنظر : أسد الغابة ٢٣٩/٣، ٢٤٠ رقم:(٢٩٤٤).

(المطلب الثالث)

(نتائج عبادة العجل)

تمخضت عن عبادة العجل نتائج مهمة في الصراع الإيماني ، وهذه النتائج متعلقة بعبدة العجل بالدرجة الأولى . وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : ندم اليهود وذهاب غضب موسى :

أ) ندم اليهود :

وذلك قوله : ((وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))(١) .

أي : ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل - يقال للنادم المتحير : قد سقط في يده - ، وتبينوا ضلالهم تبيانا كأنهم أبصروه بعيونهم ، أخذوا في الإقرار بالعبودية والإستغفار وقالوا : لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من المغبونين(٢) والهالكين. وهذا إعتراف منهم بذنبهم وإلتجاء إلى الله - عز وجل - (٣) .

وقد ذهب المفسرون إلى أن ندمهم هذا إنما كان بعد رجوع موسى إليهم من الميقات ، وإنما ذكرت الآية في بداية الحديث عن قصة عبادة العجل في سورة طه(٤) لقصد حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد (٥).

وفي قوله : (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ): " كناية عن اشتداد ندمهم ، فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها "(٦) .

وندم يهود هذا يدل على رجوعهم إلى الحق ، وهذا شيء طيب إذ ندموا على فعل الباطل ، ولكن ندمهم تأخر كثيرا ، إذ كان عليهم أن يسمعوا لنصح نبيهم هارون ويقلعوا عن الباطل ابتداء !

وندم يهود يدل - أيضا - على أنهم قوم لا يقبلون الحق بسهولة ، بل يماطلون ويترددون ، ولا يرجعون إلا بعد الأدلة والبراهين والشواهد الكثيرة .

ثم إن موسى - عليه السلام - بعد أن ظهر الحق وزهق الباطل ، وبعد ندم قومه على فعلهم ، ذهب عنه الغضب الشديد ، وأخذ الألواح التي ألقاها في البداية . وهذا ما توضحه - لنا - النقطة التالية .

---

(١) الأعراف /١٤٩ . (٢) المغبونين : أي : الغافلين . أنظر: القاموس المحيط/١٥٧٣ ومختار الصحاح/٤٦٨ . (٣) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/٧ ط٣ . والكشاف ١١٨/٢ وتفسير النسفي ٧٨،٧٧/٢ وتفسير القرآن العظيم ٢٤٧/٢ .
(٤) أنظر: سورة طه/١٤٨ وما بعدها . (٥) أنظر جامع البيان ٦٢/٩ط٢ والجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/٧ ط٣ وزاد المسير ٢٦٣/٣ وتفسير الجلالين/١٣٨ وفتح القدير ٢٤٨/٢ . (٦) أنوار التنزيل ٤٤٧/٤ وانظر : تفسير النسفي ٧٨،٧٧/٢ .

ب) ذهاب الغضب وأخذ الألـــواح :

وذلك قوله : ((وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)) (١) .

أي : ولما كف الغضب عن موسى وسكن ، أخذ الألواح التي ألقاها ، وفيما كتب فيها بيان للحق ، ورحمة للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه (٢) .

يقول البيضاوي في قوله : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) : " ... وفي الكلام مبالغة وبلاغة من حيث أنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري(٣) عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت "(٤) .

ويقول صاحب التفسير القرآني للقرآن في ذلك : " في التعبير عن ذهاب الغضب عن موسى بالسكوت ... إشارة إلى أنه كان غضبا عارما (٥) ، مجسدا حتى لكأنه كائن حي ، له صوت مسموع ، يهتف بموسى : أن اغضب !"(٦).

والآية الكريمة تدل على شدة غضب موسى لله - عز وجل - ، بل وعلى استمرار الغضب به إلى حين(٧).

ثانيا : غضب الرب وحكمه عليهم :

أ) غضب الرب عليهم :

وذلك قوله :((إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)) (٨).

أي : إن الذين اتخذوا العجل إلها سينالهم عقاب من الله ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك يجزي الله المفترين والمكذبين عليه بالشرك وغيره (٩) .

وقد اختلف العلماء في المعنى المراد من قوله : (وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى أقوال ، وتفصيلها كما يلي :

١- ما أمروا به من قتل أنفسهم ، قاله الزجاج (١٠)، وبه قال الطبري (١١) والقرطبي(١٢) .

---

(١) الأعراف /١٥٤ . (٢) انظر: جامع البيان ٩/ ٧١ ط٢ . والكشاف ٢/١٢٠ .
(٣) والمغري: أي: المحرض ، وهي من أغرى بمعنى : أفسد ، أو بحرض ، أو: ألقى . أنظر: المعجم الوسيط ٢/٦٥٧ . ومختار الصحاح/٤٧٣ . والقاموس المحيط /١٦٩٨ .
(٤) أنوار التنزيل ١/٤٤٩ . (٥) عارما : أي: شديدا . أنظر: القاموس المحيط/١٤٦٧ . ومختار الصحاح /٤٢٨ . (٦) التفسير القرآني للقرآن ٩/٤٨٩ .
(٧) سبق الحديث عن هذا مفصلا . راجع /٢١١ ، ٢١٢ . (٨) الأعراف /١٥٢ .
(٩) أنظر: جامع البيان ٩/٦٩ وما بعدها ط٢ . وتفسير الجلالين /١٣٨ .
(١٠) أنظر: زاد المسير ٣/٢٦٥ . (١١) انظر: جامع البيان ٩/٦٩ ط٢ .
(١٢) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٩١ ط٣ .

٢- إنها الجزية . قاله ابن عباس(١) .
٣- خروجهم من ديارهم . قاله الزمخشري(٢) والنسفي*(٣) .
٤- أعقبهم ذلا وصغارا في الحياة الدنيا . قاله ابن كثير(٤) .
٥- ضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة . قاله السيوطي** والمحلي(٥) .
٦- الذي عرتهم(٦) عن تحريق إلههم ونسفه في اليم مع عجزهم عن دفع ذلك عنه . قاله الألوسي(٧) .

والذي أميل اليه هو القول الأول . ذلك أن معنى الذلة لغة: الهوان(٨)، ولا هوان أكثر من أن يقتل المرء أخاه أو قريبه ، ولا هوان أكثر من أن يقتل بنو إسرائيل بعضهم بعضا .

وأما القول الثاني ففيه نظر ، لأن الجزية فرضت على بني إسرائيل بعد ذلك بكثير ؛ ذلك أن دولتهم زالت على يد بختنصر(٩)، بينما عبدة العجل لم يدركوا ذلك لأنهم ماتوا قبل ذلك وقد وقع عليهم التيه كما قال تعالى : ((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ...)) (١٠) .

ثم إن الله أخبر أن عبدة العجل بالذات هم الذين أصابهم الذل لا أولادهم وذرياتهم بعد ذلك . وذلك قوله : ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ...))(١١) .

---

(١) انظر : زاد المسير ٢٦٥/٣ . (٢) انظر: الكشاف ١٢٠/٢ . (٣) انظر: تفسير النسفي ٧٩/٢ . (٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٢ .
(٥) انظر: تفسير الجلالين /١٣٨ . (٦) عرتهم: غشيتهم . انظر : القاموس المحيط /١٦٨٩ . ومختار الصحاح /٤٢٩ . (٧) انظر: روح المعاني ٦٩/٩ .
(٨) انظر: القاموس المحيط /١٢٩٤ . (٩) راجع التمهيد في ذلك/١٦ وما بعدها .
(١٠) المائدة/ ٢٦ . (١١) الأعراف /١٥٢ .

* النسفي : هو: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات . سبقت ترجمته / ٤٥ .

** السيوطي : هو: جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الأسيوطي . وهو عالم ومصنف كبير . سافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند ، وقد بلغت مصنفاته أكثر من ثلاثمائة كتاب منها : " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " و " تفسير الجلالين" و" طبقات المفسرين " . ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١٠ هـ .
أنظر الأعلام للزركلي ٧١/٤ ط : ٣ . وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي . تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ٣٣٥/١ - ٣٤٤ . ط : ١ (١٩٦٨م - ١٣٨٧ هـ). دار إحياء الكتب العربية .

*** المحلي : هو: محمد بن إبراهيم بن أحمد الإمامة أوحد الأئمة جلال الدين المحلي الشافعي . كان فقيها وأصوليا ومتكلما ونحويا . أخذ عن البرهان البيجوري ، والعلاء البخاري وغيرهم . من مصنفاته : " جمع الجوامع " في الأصول و " شرح المنهاج " في الفقه . ولد بمصر سنة ٧٩١ هـ ومات أول يوم سنة ٨٦٤ هـ .
انظر: طبقات المفسرين للداودي ٨٠/٢ ، ٨١ رقم (٤٤٦) . والأعلام للزركلي ٢٣٠/٦ ط : ٣ .

وأما القول الثالث ففيه نظر . لأن خروجهم من ديارهم إن كان المقصود بها تلك التي كانت في مصر ، فإنما جاء عن أمر الله :((...أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ...)) (١)، وأما إن كان ما حدث لهم بعد بختنصر فالقول فيه كالقول في القول الثاني .

وأما القول الرابع ففيه نظر . ذلك أن قوله : (... فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٢) ، وقوله : (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٣) ينفيه ؛ فتوبة الله وعفوه عنهم لا يبقى معه تلك الذلة المترتبة على الذنب .

وأما القول الخامس ، فالقول فيه كالقول في القول الثاني والقول الرابع .

وأما القول السادس ففيه نظر ، لأن قوله : ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..)) (٤) يدل ظاهره أنه ذكر بعد إحراق العجل ، مما ترتب عليه وقوع الذلة بعد ذلك ، إضافة إلى أن الذلة التي لفتهم وغشيتهم أثناء حرق العجل ليست عظيمة . والله أعلم.

والآية الكريمة تبين - لنا - أن المفترين على الله كذبا أقرب ما يكونون من غضب الله - عز وجل - ، وأن الذل سيغشاهم لا محالة ، وهذا شأن صاحب كل بدعة يصد من خلالها الناس عن دين الله ، ويقربهم من الباطل الظاهر .

وفي ذلك يقول المولى - سبحانه - : ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (٥) ، ويقول : ((إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)) (٦).

وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) (٧) .

ويقول الحسن البصري في ذلك : " إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت(٨) بهم البغلات (٩) وطقطقت(١٠) بهم البراذين(١١) "(١٢) .

---

(١) الشعراء /٥٢ . (٢) البقرة /٥٤. (٣) البقرة /٥٢ .
(٤) الأعراف /١٥٢ . (٥) الأنعام /٢١. (٦) المجادلة /٢٠.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : (الصلح) باب:(إذا اصطلحوا على صلح) ٣/١٦٧ . (٨) هملجت : أي : سارت بهم الدابة سيرا حسنا في سرعة . وهي فارسية معربة . انظر : المعجم الوسيط٢/١٠٠٦ . والقاموس المحيط /٢٦٩. (٩) البغلات : جمع بغل، وهو: الحيوان المعروف .
(١٠) طقطقت : من طق ، وهو: حكاية صوت الحجارة ، والإسم : الطقطقة . انظر: القاموس المحيط /١١٦٧ . (١١) البراذين : جمع بِرْذَوْن ، وهو: ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء . انظر : المعجم الوسيط ١/٤٨ . (١٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٨ .

ب) حكم الرب عليهم :

هنا يأتي ذكر وقوع الذل الذي حكم الله به على قوم موسى ، ذلك أن موسى قد اختار سبعين رجلا من خيار قومه- الأصلح فالأصلح-لميقات الله وذلك ليعتذروا عما كان من قومهم من عبادة العجل .

وذلك قوله : ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)) (١) .

أي : واختار موسى من قومه سبعين رجلا للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم ، وذلك للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل ، فلما أخذتهم الزلزلة الشديدة قال موسى : رب لو شئت أمتنا من قبل أن نخرج إلى الميقات بمحضر بني إسرائيل ، أتهلكنا بما فعل عبدة العجل منا ، ما تلك الحادثة إلا فتنة منك وابتلاء ليتبين المهتدي من الضال - وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله باعتباره سببا منه - ، أنت ناصرنا ، فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها ، وتعطف علينا برحمتك ، وأنت خير من صفح عن جرم ، وستر عن ذنب (٢) .

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الميقات الوارد في الآية الكريمة كان للإعتذار عن عبادة العجل ، وكانت الرجفة سببا لذلك (٣) .

وذهب بعض المفسرين إلى أن الميقات - هنا - هو نفس الميقات الذي أخذ فيه موسى الألواح ، وكانت الرجفة بسبب قولهم لموسى : ((... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ...)) (٤)(٥) .

والراجح هو رأي الجمهور ، لأن قوله : (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) ، يدل على حصول فعل معين ، والأقرب أن يكون صنع العجل وعبادته .

أما القول الثاني ففيه نظر : لأن قولهم : (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ...) ، يدل على القول وليس الفعل الذي عبر عنه موسى : (بِمَا فَعَلَ) .

وهناك أقوال أخرى في هذا الميقات ، غير أنها لا تستند لأي دليل قريب أو بعيد (٦) مما حدا بنا إلى عدم ذكرها لأنها واهية .

---

(١) الأعراف /١٥٥ . (٢) انظر: جامع البيان ٧٢/٩ وما بعدها ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/٧ ط ٣ . وتفسير النسفي ٧٩/٢ . وتفسير الجلالين/ ١٣٨، ١٣٩ . (٣) انظر: جامع البيان ١٤٠/١٣ وما بعدها ط: ٢ . والجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/٧ ط:٣ . وتفسير النسفي ٧٩/٢ . وزاد المسير ٢٦٨/٣، ٢٦٩ . وتفسير الجلالين /١٣٨، ١٣٩ . وتفسير أبي السعود ٢٠٠/٢ . والمنتخب ٢٤٢/٣ . (٤) البقرة / ٥٥ . (٥) أنظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٤٧/٢ . وتفسير المراغي ٧٨/٩ ط ٢ . والتفسير القرآني للقرآن ٤٩٠/٩ . وزاد المسير ٢٦٨/٣، ٢٦٩ . (٦) انظر : زاد المسير ٢٦٨/٣ ، ٢٦٩ .

ولقدْ وَرَدَ ذكرُ وقوعِ الذلِّ الذي حَكَمَ اللهُ بهِ على قومِ موسى في سورةِ البقرةِ ، وذلك قولُه : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ...)) (١) .

أي : وإذ قالَ موسى لقومِهِ بني إسرائيلَ : يَا قوم لقدْ ظَلمتُم أنفسَكم باتخاذِكم عجلَ السامريِّ معبوداً - وظلمُ الإنسانِ نفسَه هو إيجابُه العقوبةَ عليها من اللهِ - ، فتُوبوا إلى خالِقِكم من العدمِ بأن تَغضبُوا على أنفسِكم الشريرةِ الآمرةِ بالسوءِ وتُذللوها لِتُجددَ بنفوسٍ مطهرةٍ ، وذلك بأن يَقتلَ بعضُكم بعضاً ، فتوبتُكم بقتلِ أنفسِكم وطاعتِكم ربكم خيرٌ لكم عند خالِقِكم لأن في ذلك نجاتَكم من عذابِ الآخرةِ (٢) .

وقد اختَصَّ اسمَ البارئِ هنا تنبيهاً على أن الذي خَلَقَ الخلْقَ بريئاً عن التفاوتِ أحقُ بالعبادةِ من البقرِ الذي يُضربُ بهِ المثلُ في الغباوةِ (٣) ، وتنبيهاً على الصانعِ الذي أوجدَهم هو المستحقُّ للعبادةِ لا الذي صَنَعَهُ مصنوعٌ مِثلُه (٤) .

وقد كرر لفظ الباري باللفظ الظاهر توكيدا ، ولأنهما جملة مستقلة ، فناسب الإظهار ، وتنبيها على أن هذا الفعل هو راجح عند الذي أنشأهم (٥) .

وقد اختلف العلماء في المخاطب المراد بقوله : (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) إلى أقوال : " أحدها : أنه خطاب للكل ، قاله السدي عن أشياخه . والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد ، قاله مقاتل . والثالث : أنه خطاب للعابدين فحسب ، أمروا أن يقتل بعضهم بعضا ، قاله أبو سليمان الدمشقي* " (٦) .

وبالقول الأول قال : ابن قتيبة (٧) ، والقرطبي (٨) ، وأبو حيان (٩) ، وبالقول الثاني قال : القاسمي **(١٠) والسيوطي والمحلى (١١) ، ومحمود نووي*** (١٢) .

والذي أميل إليه هو القول الأول ، لأن الخطاب : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ ...) عام ، ولا يوجد دليل من الكتاب أو السنة يخصص هذا العموم .

وقد نقل القرطبي في تفسيره الإجماع على أن عبدة العجل لم يؤمر كل واحد منهم بقتل نفسه بيده (١٣) .

ثم إن قوم موسى - عليه السلام - امتثلوا لحكم ربهم ، ونفذوا أمر نبيهم إذ أخبرهم به .

---

(١) البقرة/٥٤ . (٢) انظر: جامع البيان ١/٢٨٥ وما بعدها ط٢ . ومراح لبيد ١/١٥٠ والمنتخب /٢٠ . (٣) أنظر: التفسير الكبير ٣/٨٠ وتفسير النسفي ١/٤٨ . (٤) انظر : البحر المحيط ١/٢٠٦ . (٥) أنظر: البحر المحيط١/٢٠٩ . (٦) زاد المسير ١/٨٢ . (٧) انظر: غريب القرآن/٤٩ .
(٨) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠١ ط ٣ . (٩) انظر: البحر المحيط ١/٢٠٨ .
(١٠) أنظر : محاسن التأويل ٢/١٢٧ . (١١) أنظر : تفسير الجلالين / ٩ .
(١٢) أنظر: مراح لبيد ١/١٥٠ . (١٣) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠١ ط ٣ .
* أبو سليمان الدمشقي : لم أقف على ترجمته .
** القاسمي: هو: جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق. سبقت ترجمته /١٥٧ .
*** محمد نووي : هو: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني - إقليماً - التناري - بلداً - . كان مفسراً متصوفا من فقهاء الشافعية ، يطلق عليه : " عالم الحجاز " . من مصنفاته " مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد " و " مراقي العبودية " و " شرح فتح الرحمٰن " . انظر : الأعلام للزركلي ٧/٢٠٩ ط:٣ .

وذلك قوله : ((... فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[١] .

يقول أبو حيان في هذه الآية : " ظاهره أنه إخبار من الله - تعالى - بالتوبة عليهم ولابد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة أي : فامتثلتم ذلك فتاب عليكم ..."[٢] . وقوله في آية أخرى : ((... ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ...)) [٣] وقوله في آية أخرى : ((ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[٤] .

أي محونا ذنوبكم حين تبتم - والعفو محو الجريمة من عفا إذا درس - من بعد اتخاذكم العجل إلهاً ، لكي تشكروا نعمة عفوي وتستمروا بعد ذلك على طاعتي[٥] .

ويعرف القرطبي العفو ، ويقارن بينه وبين الغفران ، فيقول: " العفو : عفو الله - عز وجل - عن خلقه ، وقد يكون بعد العقوبة وقبلها ، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة[٦]. وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه "[٧] .

والشكر قد يكون باللسان وهو : الحديث بنعمة المنعم والثناء عليه ، وقد يكون بالقلب وهو اعتقاد حق المنعم على المنعم عليه ، وقد يكون بالعمل : ((...اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا..)) [٨] [٩] .

ولقد كان حكم الله - عز وجل - بالتقتيل ، حكما شديدا ، يدل على غلظة العذاب وألمه ، ويشير إلى عظيم جرمهم الذي ارتكبوه . وقد كان اليهود مستحقين لهذا الحكم للأدلة الآتية :

١- إنهم كفروا كفرا بواحا[١٠] ، وارتدوا ارتدادا بائنا لا شبهة فيه ، وذلك بعد إسلامهم وإيمانهم .

ومن المعلوم أن الإرتداد عن الدين يوجب حد القتل ، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لَا يَحِلُّ دَمُ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي[١١] ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)[١٢] .

٢- إنهم شاركوا في صناعة الباطل ، حيث ألقوا حليهم لإخراج العجل الإله كما قال -تعالى-: ((...وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ...)) [١٣] .

---

(١) البقرة/٥٤ . (٢) البحر المحيط١/٢٠٩. وأنظر : غريب القرآن/٤٩ .
(٣) النساء/١٥٣. (٤) البقرة/٥٢. (٥) انظر : أنوار التنزيل١/٨١ . وتفسير النسفي ١/٤٨. ومراح لبيد ١/١٤. (٦) البتة : اي: الأمر القطع الذي لا رجعة فيه . انظر: القاموس المحيط/١٨٨. ومختار الصحاح/٤٠ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن١/٣٩٧ ط٣ . (٨) سبأ/١٣. (٩) انظر: البحر المحيط١/٢٠١.
(١٠) بواحا: أي : ظاهرا مكشوفا . أنظر : القاموس المحيط /٢٧٤ .
(١١) الثيب : هو: من ليس ببكر ، ويقع على الذكر والأنثى . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٣١ . والقاموس المحيط /٨٢ . ومختار الصحاح/٨٩ .
(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب:(تحريم الدماء..) باب:(ما يحل دم الرجل المسلم) ٥/١٠٦ . (١٣) طه/٨٧ .

٣- إنهم أحبوا عجلهم المصنوع حبا عظيما خالط قلوبهم لقوله - تعالى - : ((... وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...)) (١).

٤- إنهم أخلفوا موعدهم مع نبيهم موسى - عليه السلام - ، حيث حادوا عن الدين والإيمان إلى الشرك والكفر ، كما قال - تعالى - : ((... فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي)) (٢) .

٥- عصوا نبيهم هارون وأبوا الإنصياع (٣) لنصحه وتوجيهه كما قال - تعالى - : ((قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)) (٤) .

٦- إنهم استضعفوا نبيهم هارون - عليه السلام - وحاولوا قتله كما قال - تعالى - :((... قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ...)) (٥).

٧- إنهم افتروا على الله كذبا ، وكذلك على موسى كما قال - تعالى - : ((... فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)) (٦) .

٨- إنهم كفروا وأنبيائهم - عليهم السلام - بين ظهرانيهم .

٩- إنهم كفروا عن علم حيث اتبعوا أهواءهم ، لأنهم كانوا يوقنون بأن العجل لا يقدم ولا يؤخر ، وقد حذرهم نبيهم موسى - عليه السلام - قبل ذلك من عبادة غير الله ، إذ قالوا له كماذكر القرآن:((... يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ...)) (٧) ، فقال لهم كما ذكر القرآن : ((... أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (٨).

١٠- إنهم كفروا بعد أن رأوا الكثير من الآيات والمعجزات ، كالعصا ، واليد البيضاء ، والجراد والقمل والضفادع ، وشق البحر وغير ذلك .

ولقد كان سبب واحد من الأسباب العشرة - التي ذكرناها - كافيا لإيقاع حكم التقتيل عليهم .

ويلقي الخطيب الشربيني* الأضواء على الحكمة من الحكم عليهم بالقتل بالذات ، فيقول : " وترتيب الأمر بالقتل عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثلهم في الغباوة ، وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ما أنعم به عليه ولذلك أمروا بفك تركيب ذواتهم بالقتل "(٩) .

ويقول صاحب الخلاصة** في ذات الموضوع : "... إنه حقا لتكليف مرهق شاق أن يقتل الأخ أخاه فكأنما يقتل نفسه برضاه . ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة القذرة التي لا تعيش إلا بالشر "(١٠) .

---

(١) البقرة /٩٣ . (٢) طه /٨٦ . (٣) الإنصياع : الرجوع . انظر: القاموس المحيط/٩٥٥. والمعجم الوسيط ٥٣١. (٤) طه / ٩١ .
(٥) الأعراف /١٥٠ . (٦) طه /٨٨ . (٧) الأعراف /١٣٨ .
(٨) الأعراف /١٤٠. (٩) السراج المنير ١/٦١. (١٠) خلاصة التفاسير/١١ .

* الخطيب الشربيني : هو: محمد بن أحمد الشربيني ، شمس الدين . فقيه شافعي، مفسر ،من أهل القاهرة . من مصنفاته : " السراج المنير" في التفسير،و"شرح شواهد القطر " و " مغني المحتاج " . توفي سنة ٩٧٧ هـ . أنظر : الأعلام للزركلي ٦/٢٣٤ ط: ٣ .

** صاحب الخلاصة : هو الشيخ : أحمد مغنية . كاتب ومفسر معاصر .

وحكم الله - عز وجل - على قوم موسى بالتقتيل يدل على عظم ذنب الكفر ، وأنه لا ذنب بعده ، وأنه يقود صاحبه إلى مكان سحيق كما قال - تعالى - : ((...وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (١))) (٢) ، كما أنه يؤدي بصاحبه إلى غضب الله والهلاك المحتوم كما قال - تعالى - : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)) (٣) .

ولقد بين - لنا - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الشرك أعظم الكبائر ، فقال : (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ..) (٤) ، كما بين - لنا - أنه أعظم وأكبر الذنوب ، فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رجل : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: (أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ...) (٥) ، كما بين - لنا - أنه هو الفاصل بين أهل الجنة وأهل النار ، فقال : (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) (٦) (٧) .

وحكم الله على اليهود بالتقتيل يشير إلى حكمة الله - تعالى - في مناسبة الأحكام الشرعية وملاءمتها للجريمة المقترفة .

فمثلا : قطع يد السارق ، فيها حكم كثيرة منها : قطع الطرف المعتدي على حقوق الآخرين . ومنها : زجر الآخرين عن هذا الفعل ، ومنها : كف السارق عن السرقة مرة أخرى لعجزه بفقدان يده ، وفي ذلك يقول - تعالى - : ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا (٨) مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (٩) .

وقد أشرنا قبل ذلك إلى حكمة حكم الله عليهم بالتقتيل بالذات (١٠) .

وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (١١) .

وامتثال اليهود لحكم الله - عز وجل - بتقتيل أنفسهم ، يدل على بقية من إيمان كانت تعمر قلوبهم ، كما يدل على أن المرء قد ينقلب بعد كفره إلى الله تائبا . وعلى أي حال فهذه صفة طيبة من يهود إذ أطاعوا موسى فطبقوا على أنفسهم حكم الله . ولذلك يقول المولى - سبحانه - ((وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)) (١٢) .

---

(١) مكان سحيق : أي : بعيد . أنظر : المفردات في غريب القرآن/٢٢٦ . والقاموس المحيط/١١٥٢ ومختار الصحاح/٢٨٩ .
(٢) الحج/٣١ . (٣) النساء/٤٨ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : (الإيمان) باب : (أكبر الكبائر الشرك بالله) ١/٦٤ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (أي الذنب أكبر) ١/٦٣، ٦٤ .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : (الإيمان) باب : (من مات لا يشرك بالله ...) ١/٦٥، ٦٦ . (٧) وردت تفصيلات أخرى عن الشرك . راجع /٢٠١ .
(٨) نكالاً : اسم فعل لنكل بمعنى : جعله نكالا وعبرة لغيره . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٥٠٦ . ومختار الصحاح/٦٧٩ . والقاموس المحيط/١٣٧٦ .
(٩) المائدة/٣٨ . (١٠) راجع ص /٢٣٩ . (١١) البقرة /١٧٩ .
(١٢) الأعراف /١٥٩ .

كما أن توبة الله عليهم وعفوه عنهم يدل دلالة واضحة على سعة رحمة الله - سبحانه - وفي ذلك يقول :((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا[1] مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) [2] .

ويبين - لنا - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سعة رحمة الله دنيا وآخرة فيقول : (إِنَّ لِلَّهِ مَائَةَ رَحْمَةٍ ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ[3] . فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4] ، كما يبين - لنا - أن رحمة الله تغلب غضبه ، فيقول : (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)[5] ،كما ويحذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عقاب الله ، ومن القنوط من رحمته ، فيقول : (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)[6] .

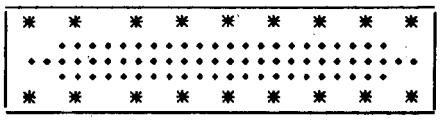

---

(١)لا تقنطوا : لا تيأسوا . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٤١٣. والقاموس المحيط /٨٨٤ . (٢)الزمر /٥٣. (٣)الهوام : جمع هامة ، وهي:الدابة . أنظر : القاموس المحيط /١٥١٢ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (التوبة وقبولها ...) باب :(في سعة رحمة الله...) ٩٦/٨ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (التوبة وقبولها ...) باب :(في سعة رحمة الله ...) ٩٥/٨ ، ٩٦ . (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (التوبة وقبولها ...) باب :(فيما عند الله تعالى من الرحمة والعقوبة)٩٧/٨.

(الفصل الثاني)

بين موسى وفسق قومه

(المبحث الأول)

بنو إسرائيل والتوراة ورؤية الله

المطلب الأول : رفضهم قبول التوراة .

المطلب الثاني : إصرارهم على رؤية الله .

(المبحث الثاني)

بنو إسرائيل وذبح البقرة

المطلب الأول : أمرهم بذبح بقرة وسببه .

المطلب الثاني : تلكؤهم في ذبحها وتعرضهم لنبيهم .

المطلب الثالث : ذبحهم البقرة ونتيجة ذلك .

(المبحث الثالث)

بنو إسرائيل ودخول الأرض المقدسة

المطلب الأول : أمرهم بدخول الأرض المقدسة .

المطلب الثاني : رفضهم دخول الأرض المقدسة .

المطلب الثالث : نتائج رفضهم الدخول .

*

(المبحث الأول)

(بنو إسرائيل والتوراة ورؤية الله)

(المطلب الأول)

(رفضهم قبول التوراة)

لقد أعطى الله - سبحانه - نبيه موسى - عليه السلام - التوراة المكتوبة في الألواح ، وأمره أن يأخذها بقوة ، كما أمره أن يأمر قومه بذلك . وإنه لمن العجيب أن يرفضها اليهود ، مع ما فيها من صفات الحسن والتمام والكمال .

ولقد كان الصراع بين موسى وقومه بشأن التوراة خفيا بين ثنايا الآيات ، إلا أنه كان ظاهرا للمتأمل والمتفحص . وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : أوصاف التوراة :

لقد حوت التوراة وحازت على صفات الحسن والتمام والكمال كشأنها من كتب الله الأخرى . وقد ورد في القرآن العديد من هذه الصفات ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) البصائر والهدى والرحمة :

وذلك قوله : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (١).

أي : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد إهلاكنا الأمم السابقة له ، ضياء لبني إسرائيل في أمور دينهم ، وبيانا لهم ، ورحمة لمن عمل بها منهم ، وذلك ليتذكروا نعم الله عليهم بذلك ، فيشكروه ولا يكفروه (٢).

ولقد ورد وصف التوراة بالهدى في قوله : ((وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٣) ، وقوله : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)) (٤).

وقد وصف الله - سبحانه - القرآن الذي أنزله على محمد - صلى الله عليه وسلم - بالهدى والرحمة في العديد من الآيات ، ومن ذلك قوله ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ...)) (٥) .

---

(١) القصص / ٤٣ .
(٢) انظر : جامع البيان ٢٠/٧٩ ط٢ .
(٣) الإسراء / ٢ .
(٤) المؤمنون /٤٩ .
(٥) الأعراف /٥٢ .

والآيات الكريمة تبين أن التوراة تبصر للناس طريقهم إلى الحق، وتهديهم وترشدهم إلى الخير ؛ وهي رحمة إذ باتباعها يحظون برضى الله والجنة وبمخالفتها يبوءون بغضب الجبار والنار !

فهل سيقبلها اليهود إذا ما عرضت عليهم ؟ هذا ما سيتضح بعد قليل

ب) الفرقان والضياء والنور :

وذلك قوله : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرَى لِلْمُتَّقِينَ)) (١) .

أي : ولقد آتينا موسى وهارون التوراة المفرقة بين الحق والباطل وهي المضيئة الهادية للدين القويم (٢) .

وقوله في آية أخرى : ((..قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ..)) (٣) .

وقد وصف الله - سبحانه - القرآن بهذه الصفات ، ومن ذلك قوله ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)) (٤) ، وقوله ((..قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)) (٥) .

والآيات الكريمة تبين أن التوراة فارقة بين الحق والباطل ، بل مظهرة للحق ، ومزهقة للباطل ، وهي ضياء يستضيء به المؤمنون ، ونور يستنيرون به .

فهل سيقبل اليهود ذلك الفرقان وذلك الضياء والنور ؟ هذا ما سيتضح بعد قليل .

ج) الإمامة :

وذلك قوله : ((... وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ...)) (٦).

أي : ومن قبل القرآن كتاب موسى التوراة مؤتما في الدين ، وقدوة فيه (٧) .

فالآية الكريمة تبين أن التوراة إماما في الدين وقدوة فيه ، لا ريب في ذلك ، لمن أراد أن يسير في الطريق القويم .

فهل سيقبل اليهود هذه الإمامة وهذه القدوة التي لا يأتيها الباطل ؟ هذ ما سيتضح - لنا - بعد قليل .

د) الوعظ والتفصيل والحسن والتمام :

وذلك قوله : ((ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ...)) (٨) .

أي : ولقد آتينا موسى التوراة تماما للنعمة ، (عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) بالقيام به ، وبيانا لكل ما يحتاج إليه في الدين (٩) .

وقوله في آية أخرى : ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ...)) (١٠) .

---

(١) الأنبياء /٤٨. (٢) انظر: زاد المسير ٥/٣٥٦. (٣) الأنعام /٩١ .
(٤) الفرقان/١ . (٥) المائدة /١٥. (٦) هود/١٧، و الأحقاف /١٢.
(٧) أنظر: البحر المحيط ٥/٢١٠. وتفسير الجلالين/٢٩٣. (٨) الأنعام/١٥٤.
(٩) أنظر : تفسير الجلالين /١٩٧ . (١٠) الأعراف /١٤٥.

أي:وكتبنا لموسى في التوراة من كل شيء مما يحتاج إليه في دينه من الأحكام ، من الحلال والحرام والمحاسن والمقابح ، ومن الحكم والعبر والوعظ والإرشاد(١) .

ولقد وصف الله - سبحانه - القرآن بهذه الصفات في العديد من الآيات ، ومن ذلك قوله : ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ...)) (٢) ،وقوله :((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ...)) (٣) ، وقوله : ((مَا فَرَّطْنَا (٤) فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...)) (٥) .

فإذا اجتمعت تلك الصفات الكثيرة والعظيمة في التوراة ، فإنه لمن المتوقع أن يأخذ بها اليهود ولا يخالفوها . ذلك أنها تحمل صفات الكمال وجاءت من عند الله الذي له صفات الكمال . فهي إذن تمثل للأمة دستورا كاملا يعلو ولا يعلى عليه ، يقود الناس ويرشدهم إلى الهدى والخير، ويباعدهم عن كل نقيصة ورذيلة وسيئة . ينتهي بهم إلى دار الجنان حيث الخلود ، كما قال - تعالى - :((... فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)) (٦) ، ويبعدهم عن النيران والجحيم حيث الخلود في - كما قال - تعالى - : ((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٧) . فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)) (٨) .

ولكن تأخذ المرء الدهشة ، ويسيطر عليه العجب ، إذا رأى موقف يهود المتخاذل ، والمتنطع ، والمتردد في قبول التوراة .

وهذا ما ستوضحه - لنا - النقطة التالية .

ثانيا : عرض التوراة على اليهود :

لما أنزل الله - سبحانه - التوراة على موسى ، أمره أن يأخذها بقوة كما أمره أن يأمر قومه بذلك - أيضا - .

وقد أدى الرسول الأمين أمانة ربه على أحسن وجه ، وذلك قوله : ((... فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)) (٩) .

أي : قال الله لموسى : خذ التوراة بجد وحزم وعزم واجتهاد - وذلك بامتثال أوامرها ، واجتناب نواهيها - ، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها - كالعفو بدل القصاص ، والصبر بدل الإنتصار - المتمثل في أكثرها ثوابا وأجرا - نظير قوله : ((وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ..)) (١٠) ، سأريكم عاقبة من خالف أمري ، وهذا تهديد للمخالف وتحذير للموافق(١١) .

---

(١) انظر:الجامع لأحكام القرآن ٢٨٢/٧ ط٣ . والتفسير الكبير ٢٣٧/١٤. وتفسير النسفي ٧٦/٢ . وزاد المسير ٢٥٨/٣ . (٢) الإسراء /٨٩. (٣)النحل /٨٩ .
(٤)ما فرطنا : أي : ما قصرنا . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٣٧٧ . ومختار الصحاح /٤٩٨ . (٥) الأنعام /٣٨ . (٦)القمر /٥٤، ٥٥ .
(٧)موصدة : أي : مطبقة ومحكمة . أنظر : المفردات في غريب القرآن/٥٢٥ . ومختار الصحاح /٧٢٤ . (٨)الهمزة/٦ - ٩ . (٩) الأعراف /١٤٥ .
(١٠)الزمر / ٥٥ . (١١) أنظر : تفسير النسفي ٧٦/٢ . وزاد المسير ٢٥٩/٣، ٢٦٠ . وتفسير القرآن العظيم ٢٤٦/٢. وأنوار التنزيل ٤٤٦/١. وتفسير أبي السعود ١٩٥/٢.

ويقول بعض الباحثين المعاصرين* في قوله : (سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) : " أي دار من ظلم وهذا وعد لهم بأن ينزلهم منازل الظالمين في بلاد الشام التي وعدوها . وفي الوقت نفسه فيه طلب للإعتبار، أي لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم "(١) .

والآية الكريمة توضح - لنا - أن الله - سبحانه - قد أمر موسى - عليه السلام - بأخذ التوراة بقوة أولا ، ثم يأتي دور قومه ثانيا .

وكذلك على المؤمن الخائض للصراع الإيماني أن يطبق الدين على نفسه أولا . ثم يأتي بعد ذلك دور من يدعوهم ويخوض معهم الصراع ثانيا(٢) .

كذلك فإن الآية الكريمة فيها إشارة إلى الأخذ بالعزيمة ، واختيار الأعمال الأكثر ثوابا .

ومن المعلوم أن ترك العزيمة في الدين بصورة مستمرة يؤدي إلى تثبيط(٣) الهمم ، وإلى تلاشي الطليعة المجاهدة ، إضافة إلى خلخلة المجتمع الإسلامي بانتشار الرخصة في الدين - التي كثيرا ما يجنح بها إلى أهواء البشر - التي تفضي إلى الوقوع في المحظورات . وكل ذلك يترتب عليه طمع الكفار في ديار الإسلام .

ولأهمية العزيمة في الدين ، حرضنا الله عليها في العديد من الآيات ومن ذلك قوله : ((... وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (٤) ، وقوله : ((وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (٥) ، وقوله : ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ...)) (٦) .

وكان من وصية لقمان لابنه قوله : ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (٧) .

وفي المقابل ورد التحذير من ترك العزم في الأمور ، ومن ذلك قوله : ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)) (٨) .

ثم إن عرض التوراة على القوم كان يحمل البشرى لهم بالإنتصار على أعدائهم ، ودخولهم الأرض المقدسة . فهل سيقبلها اليهود ؟ هذا ما ستوضحه النقطة التالية .

ثالثا : رفضهم قبول التوراة :

من الغريب أن يرفض اليهود التوراة ، مع ما تحويه من صفات الكمال والتمام ، إضافة إلى ما فيها من خير لا يحصى ، وعلاوة على أن نجاتهم بأخذها ، وهلاكهم برفضها .

ولكن تزول تلك الغرابة ، إذا اتضح - لنا - خلق اليهود المهلهل والمتقلب ، والذي يجتر بين الحين والحين ذلك الماضي الجاهلي فيحاول الرجوع إليه .

---

(١) الأساس في التفسير ٤/٢١١٠ (٢) لقد سبق الحديث عن هذا مفصلا. راجع/٤٠، ٤١ .
(٣) تثبيط : تعوق وتبطيء . انظر : القاموس المحيط /٨٥٢ .
(٤) آل عمران /١٨٦ (٥) الشورى /٤٣ . (٦) الأحقاف / ٣٥ .
(٧) لقمان /١٧ (٨) طه /١١٥ .

ولقد رفض اليهود قبول التوراة طواعية ، فاضطرهم الله - عز وجل - إليها اضطرارا ، وقهرهم عليها قهرا .

وذلك قوله : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (١) ، وقوله في آية اخرى : ((وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (٢) .

أي : وإذ أخذنا ميثاقكم بالعمل بما في التوراة ، حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق ، وزعزعنا (١) الجبل ورفعناه فوقكم كأنه ظلة تظلكم ، حتى أيقنتم بوقوعه عليكم ، خذوا التوراة التي أعطيناكم بجد وعزيمة ، وتدبروها واحفظوها ولا تنسوها أو تضيعوها ، وذلك لكي تتقوا - وهي ترج في حق البشر - (٤) .

لقد ورد هذا الحدث في آية أخرى ، وذلك قوله : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ...)) (٥) .

أي : وإذ أخذنا ميثاقكم أن خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة ، واعملوا بما سمعتم ، وأطيعوا الله ، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك ، فرد اليهود على ذلك قائلين : سمعنا قولك وعصينا أمرك (٦) .

وفي ذلك يقول ابن عباس :" كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا : سمعنا وأطعنا ، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا : سمعنا وعصينا "(٧).

ويلقي صاحب الظلال الضوء على قولهم : (عَصَيْنَا) ، بقوله :"...إنه التصوير الحي للواقع الصامت كأنه واقع ناطق . لقد قالوا بأفواههم : سمعنا . وقالوا بأعمالهم : عصينا . والواقع العملي هو الذي يمنح القول الشفوي دلالة ، وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق ..."(٨).

وتكرار الحدث الواحد في أكثر من آية فيه العديد من الفوائد ، منها التأكيد وإلزام الخصم بالحجة على عادة العرب ، ومنها إضافة زيادة لم توجد في الأية الأخرى ، كقوله هنا : (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (٩) -

والآيات السالفة تدل على أن اليهود قبلوا التوراة - بالقوة - ، وإلا لما صح أخذ الميثاق ، ولما جاء السياق بعد ذلك بقوله : ((ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ...)) (١٠) .

ثم إن اليهود الذين أخذوا التوراة بالقوة والقهر ، وكانوا قد رفضوها ابتداء ، عادوا وانقلبوا على أعقابهم ، إذ نقضوا ميثاقهم وتولوا عن كتابهم ، معرضين بذلك أنفسهم للهلاك المحتوم ، لولا رحمة

---

(١) البقرة /٦٣ . (٢) الأعراف /١٧١ . (٣) زعزعنا : أي : حركنا . انظر : مختار الصحاح /٢٧٢ . (٤) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٤٣٧/١ ط ٣ والكشاف ٢٨٦/١ . وتفسير النسفي ٥٢/١ . والتفسير الكبير ١٠٨/٣ . والمحرر ٣٠٥/١ . (٥) البقرة /٩٣ . (٦) أنظر : جامع البيان ٤٢٢/١ط٢ . والجامع لأحكام القرآن ٣١/٢ط٣ . والكشاف ٢٩٧/١ . وتفسير النسفي ٦٣/١ . وتفسير الجلالين/١٤ . (٧) زاد المسير ١١٥/١ . (٨) في ظلال القرآن ٩١/١ . (٩) أنظر : الكشاف ٢٩٧/١ . وتفسير النسفي ٦٣/١ . والتفسير الكبير ١٨٧/٣ . (١٠) البقرة /٦٤ .

الله الواسعة . وهذا المشهد يجليه لنا سياق الآيات بعد ذلك في سورة البقرة . وذلك قوله : ((ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ))(١) .

أي : ثم أعرضتم عن الميثاق والعمل به من بعد إعطائكم ربكم مواثيقكم وعهودكم بالعمل بما في التوراة ، فلولا أن تفضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة بعد نكثكم الميثاق لكنتم من الخاسرين بالعقوبة (٢) .

ويلقي ابن عطية* الضوء على المعنى المراد من قوله : (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) بقوله : " وتوليهم من بعد ذلك : إما بالمعاصي فكان فضل الله في التوبة والإمهال إليها ، وإما أن يكون توليهم بالكفر فكان فضل الله بأن لم يعاجلهم بالاهلاك ، ليكون من ذريتهم من يؤمن ... "(٣) .

ورفض يهود قبول التوراة ابتداء يدل على أن نفسيتها وطبيعتها لا تميل إلى الجد والعزيمة ، بل غالبا ما تركن إلى التحلل من التكاليف إضافة إلى الذل والهوان ، وهم بذلك يحرصون على الحياة ولو كانت دنيئة ، وهذه صفة ملازمة لهم لقوله - تعالى - : ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ...)) (٤) . ولذلك اتسم موقفهم - هنا - برفض التوراة ابتداء وذلك تملصا (٥) وهروبا من تكاليفها والتزاماتها (٦) .

ومن المعلوم أن الإلتزام بالدين وتكاليفه أمر لا مناص(٧) منه ، بل ويجب المحافظة عليه والإستمرار حتى يلقى المؤمن ربه ، لقوله - تعالى - : ((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(٨))) (٩) ، وقد أشار الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أفضلية المؤمن القوي في دينه عن غيره بقوله : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ . إِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ...)الحديث (١٠) .

وقهر اليهود واجبارهم على أخذ التوراة بالقوة يدل على أنهم قوم لا يستقيم أمرهم وحالهم إلا بالقوة والتخويف . ويترتب على ذلك أن إعطاء اليهود الحرية والأمان في بلاد الإسلام دون مراقبة وتخويف يؤدي إلى تحللهم - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا - من قوانين المسلمين ، ومن ثم يسعون في الأرض فسادا . وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ(١١) إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)) (١٢) .

---

(١) البقرة /٦٤ . (٢) أنظر: جامع البيان ١/٣٢٧، ٣٢٨. ط ٢ والكشاف ١/٢٨٦. وتفسير النسفي ١/٥٣. وزاد المسير ١/٩٤ . وتفسير الجلالين/١٠ .
(٣) المحرر ١/٣٠٥. (٤) البقرة /٩٦ . (٥) تملصا : تفلتا. أنظر مختار الصحاح /٦٣٢ . (٦) سبقت الإشارة إلى مثل ذلك. راجع/٢٠٥ .
(٧) لا مناص : أي: لا مفر ولا ملجأ. أنظر : مختار الصحاح/٦٨٥ .
(٨) اليقين: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة ، يقال : علم يقين ولا يقال معرفة يقين . والمراد هنا : الموت . أنظر : المفردات في غريب القرآن/٥٥٢. وتفسير الجلالين /٣٥١. (٩) الحجر/٩٩ . (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب: (القدر) باب: (في الأمر بالقوة..) ٨/٥٦ . (١١) فانبذ : من نبذ بمعنى: ألقى وطرح . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٤٨٠ . وتفسير غريب القرآن/ ١٨٠. ومختار الصحاح /٦٤٢ . (١٢) الأنفال / ٥٨ .

* ابن عطية : هو: عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد. سبقت ترجمته /١٧٠ .

والآيات الكريمة تبين - لنا - وجوب أخذ الدين بالقوة مع عدم التكاسل فيه [١]. ويشير صاحب الظلال إلى ذلك رابطا بين رفع الصخرة وأخذ التوراة بقوة ، فيقول : " ... والتناسق النفسي والتعبيري بين قوة رفع الصخرة فوق روّوسهم وقوة أخذ العهد ، وأمرهم أن يأخذوا ما فيه بقوة . وأن يعزموا فيه عزيمة فأمر العقيدة لا رخاوة فيه ولا تميع ، ولا يقبل أنصاف الحلول ولا الهزل ولا الرخاوة .. إنه عهد الله مع المؤمنين .." [٢] .

والآيات الكريمة تلقي الضوء على طبيعة اليهود المتقلبة ، والسريعة التغير ، والتي لا تستقر ولا تثبت على مبدإ أو عهد أو ميثاق . فقد رفضوا قبول التوراة ابتداء ، ثم قبلوها بالقوة ، ثم ارتكسوا [٣] ثانية فرفضوها [٤] . وهذا يدل على أنهم قوم لا عهد لهم ولا ميثاق . وهذا يمثل خلقا ثابتا ومتأصلا في يهود على مر الأزمان . وقد وردت آيات كثيرة في القرآن تدل على ذلك ، ومن ذلك قوله : ((أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ [٥] فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)) [٦] ، وقوله : ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ...)) [٧] ، وقوله : ((الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ)) [٨] [٩] .

والآية الأخيرة تدل على سعة رحمة الله الواسعة التي شملتهم إضافة إلى فضله العظيم الذي غشيهم . وذلك بعد تنكرهم لعهدهم وميثاقهم [١٠] .

---

(١) سبق الحديث مفصلا عن الأخذ بالعزيمة . راجع / ٢٤٦ .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٧٦ .
(٣) ارتكسوا : أي : انتكسوا . أنظر : القاموس المحيط/ ٧٠٨ . ومختار الصحاح / ٢٥٤ .
(٤) وردت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع / ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٦ .
(٥) نبذه : أي تركه ولم يعمل به ، والنبذ : الطرح والإلقاء . أنظر : تفسير غريب القرآن / ٩٥ . ومختار الصحاح/ ٦٤٢ .
(٦) البقرة / ١٠٠ .
(٧) المائدة / ١٣ .
(٨) الأنفال / ٥٦ .
(٩) وردت تفصيلات أخرى عن العهد وأهميته . راجع / ١٥٤، ٢١٣ .
(١٠) لقد سبق الحديث مفصلا عن سعة رحمة الله . راجع / ٢٤١ .

(المطلب الثاني)

(إصرارهم على رؤية الله)

لقد أنست طبيعة يهود المنحرفة الزيغان عن الدين ، والتقلب في الجاهلية من حين لآخر . وكل مرة ينحرفون فيها يخرجون بدروس وعبر كثيرة تمثل معالم بارزة مهمة منيرة في حياتهم ، ولكن يبدو أن القوم قد سيطرت عليهم قساوة القلب ، وبلادة الحس ، واعوجاج الفكر ، بحيث أصبحوا لا يتذكرون فيتعلمون ، ولا يتعظون ويعتبرون فينزجرون(١) .

ولقد كان تخبطهم هذه المرة في إصرارهم على رؤية الله جهرة ، وجعلهم ذلك شرطا لبقائهم على الإيمان !

وذلك قوله : ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)) (٢) .

أي : وإذ قلتم يا موسى لن نصدقك ، ولن نقر بما جئت به ، حتى نرى الله جهرة - وذلك برفع الحجب بيننا وبينه حتى نبصره بأعيننا - ، فأخذتكم الصاعقة المميتة وأنتم تنظرون إليها عيانا جهارا (٣) .

ولقد ورد ذكر هذه الحادثة في آية أخرى، وذلك قوله : ((يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ...)) (٤) .

ثم إن الله - تعالى - بعد أن عاقبهم على جرمهم ، أحياهم من موتهم .

وذلك قوله : ((ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (٥).

أي : ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم ، وذلك لتشكروني على نعمتي - نعمة البعث بعد الموت - (٦) .

ولقد كانت الحكمة من بعثهم بعد موتهم هي بقاء التكليف عليهم ليتمكنوا من الإيمان ، والإقلاع بما صدر عنهم من جرائم ، والدليل على ذلك قوله : (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، ولفظ الشكر يتناول جميع الطاعات لقوله : ((...اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا..)) (٧) (٨) .

وقد ذهب جم (٩) من المفسرين إلى أن الذين سألوا موسى رؤية الله هم السبعون المختارون للميقات ، الذين ورد ذكرهم في قوله : ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ...)) (١٠) ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة (١١) .

---

(١) ينزجرون: أي : يمتنعون وينتهون . أنظر : مختار الصحاح/٢٦٩ .
(٢) البقرة/٥٥ . (٣) انظر: جامع البيان ١/٢٨٩ وما بعدها ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ١/٤٠٣، ٤٠٤ ط٣ . والكشاف ١/٢٨٢ . وتفسير النسفي ١/٤٩ . والبحر المحيط ١/٢١٣ . وغريب القرآن/٤٩ . (٤) النساء/١٥٣ . (٥) البقرة / ٥٦ .
(٦) انظر: جامع البيان ١/٢٩٠، ٢٩١ ط ٢ . وتفسير النسفي ١/٤٩ . وتفسير القرآن العظيم ١/٩٣ . وأنوار التنزيل ١/٨٢ . ومراح لبيد ١/١٥ .
(٧) سبأ/١٣ . (٨) التفسير الكبير ٣/٨٦ . (٩) جم : أي: كثير . أنظر: مختار الصحاح /١١٢ . (١٠) الأعراف /١٥٥ . (١١) أنظر: زاد المسير ١/٨٣ . وتفسير الجلالين /٩ . والتسهيل لعلوم التنزيل ١/٤٨ . والمحرر ١/٢٧٧ . ومراح لبيد ١/١٥ . وروح المعاني ١/٢٦١ . ومحاسن التأويل ٢/١٢٨ . والسراج المنير ١/٦١ . وفي ظلال القرآن ١/٧٢ . وتفسير الصابوني ١/١٢١ ط ٣ .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القائل : جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم ، وهو قول ابن زيد (١) .

وما ذهب إليه أصحاب القولين احتمال لا يرقى إلى القطع والجزم ، وذلك لعدم وجود دليل قطعي في ذلك .

والآية الكريمة بعمومها تدل على فساد طبيعة يهود ، والسبب في ذلك يرجعه صاحب الظلال إلى فترة الإذلال التي عاشوها إبان (٢) حكم الفراعنة بمصر ، ذلك أن النشأة في ظل الطغيان الطويل الذي يحطم النفس البشرية ،ويحلل مقوماتها ، ويغرس فيها المعروف من طباع العبيد : استخذاء (٣) تحت سوط الجلاد ، وتمردا حين يرفع عنها السوط ، وتبطرا حين يتاح لها شيء من النعمة والقوة .. كل ذلك أفسد طبيعة يهود إفسادا عميقا (٤) .

ومن الجدير ذكره أن صاحب* " تفسير المراغي " عرف الصاعقة التي أخذتهم بقوله : " والصاعقة نار محرقة تنزل من السماء ، وسببها اتحاد كهربية (٥) السحاب المختلفة النوع سالبها بموجبها ، أو اتحادها مع كهربية الأرض السالبة " (٦) .

ويبدو أن هذا تكلف في غير محله ، وفيه نظر لما يلي :

إن لفظ " الصاعقة " في اللغة العربية يحمل عدة معان ، منها : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والنار تسقط من السماء في رعد شديد ، والمخراق (٧) الذي بيد الملك سائق السحاب (٨) .

وعلى ذلك فتحديد معنى الصاعقة بالنار النازلة من السماء غير وارد بدون دليل ، إضافة إلى أنه لو كان هناك دليل قطعي بأنها نار أنزلت من السماء ، لكان غير وارد - أيضا - أن تفسر ذلك التفسير . إذ أن الله قادر على أن يخلق الصاعقة مما نعلم ومما لا نعلم . قال تعالى : ((وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (٩) .

وقول يهود لنبيهم - عليه السلام - : (يَا مُوسَى) ، يدل على ضعف ثقتهم بنبيهم ، وقلة احترامهم له ، مع انعدام توقيره (١٠) ، وهذه عادتهم الملازمة لهم في تعاملهم مع نبيهم ، وفي ذلك يقول أبو حيان : " وفي نداء بني إسرائيل لنبيهم باسمه سوء أدب منهم معه ، إذ لم يقولوا : يا نبي الله ، أو : يا رسول الله ، أو : يا كليم الله ، أو: غير ذلك من الألفاظ التي تشعر بصفات التعظيم ، وهي كانت عادتهم معه " (١١) .

وسؤال يهود رؤية الله - سبحانه - ، يدل على إصرارهم على الجرم الكبير ، ذلك أنهم علموا من نبيهم أن الله لا يرى في الدنيا ، ولابد أنهم علموا بأن موسى - وهو أفضلهم - قد أخذته الصاعقة لذات السؤال، ومع ذلك كله أصروا على الرؤية ، مما يدل على إصرارهم على الكبيرة في حق

---

(١) أنظر : زاد المسير ١/٠٨٣ (٢) إبان: أي : وقت . أنظر: مختار الصحاح/٠٣
(٣) إستخذاء: أي : طأطأة رأس واستكانة وخضوع. أنظر: القاموس المحيط/٤٢١ .
(٤) أنظر: في ظلال القرآن٢/٠٧٩٩ (٥)كهربية : من كهرب . وهي : القوة الكهربية التي تولدت من حركة اندفاع المياه أو نحو ذلك . والتيار الكهربائي : القوة الكهربائية السارية في المادة ، وهو نوعان : موجب أو دافع ، وسالب أو جاذب . والشخص أصيب بصعقة كهربية قد تقضي عليه . وفعل " كهرب " بمختلف معانية محدث . أنظر : المعجم الوسيط ٢/٨٠٩ . (٦)تفسير المراغي ١/١١٨ط ٣ . (٧)المخراق : أي : السيف .أنظر: القاموس المحيط/١١٣٤ .
(٨) أنظر: القاموس المحيط/٠١١٦٣ ومختار الصحاح/٣٦٣ . (٩)النحل /٨ .
(١٠)سبق الحديث عن ذلك . راجع/ ١٩٧ . (١١)البحر المحيط١/٢١٠ .

* صاحب تفسير المراغي : هو أحمد مصطفى المراغي،باحث ومفسر معاصر.

اللـــه - عز وجـل - ، ولذلك كان عذابهم عظيما وعاجلا ![1] .

واشتراط يهود الإستمرار على الإيمان برؤية الله ، يظهر - لنـــا - إنعدام توقيرهم لله - سبحانه - ، وتعظيمهم له ، كما يظهر عدم خوفهـــم من الكفر - وذلك بالإرتداد عن الإيمان - ، مما يدل على ضعف إيمانهـــم ، وانعدام التقوى من قلوبهم ، علاوة على تلاشي خوفهم من العاقبة ![2] .

وهذا كله يشير إلى انعدام النظر البعيد عند يهود . فهم قـــوم لا ينظرون إلى بعيد ، وإنما ينظرون تحت أقدامهم ، ويتبعون هواهـــم ، ويعيشون ساعتهم . وإلا فقولهم : (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ) يقودهم إلى الهـــلاك المحتوم ، والخلود السرمدي[3] في عذاب الله . ولو كان عندهم بعد نظر لمـــا قالوا ذلك ، أو - على الأقل - لجاءوا بصيغة معقولة فيها عذر لهم ![4].

ومن المعلوم أن الخوف من الله ،ومن عذابه ، ومن اليوم الآخر شيء مهـــم يجب أن يستقر في قلب المؤمن فلا ينفك عنه البتة . ولذلك وردت الآيـــات القرآنية ، والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الميدان .

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((... وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)) [5] ، وقولـــه : ((... وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)) [6] ، وقوله : ((إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)) [7] ،وقوله : ((... وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)) [8] ، وقوله : ((...وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ)) [9].

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَـــدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَـــا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَا يَـــرَى إِلَّا النَّـــارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) [10] .

كذلك فإن إصرار يهود على رؤية الله يدل على ماديتهم المفرطة حتـــى في الفكر ، ويشير إلى ذلك صاحب الظلال بقوله : " ولكن إسرائيل هـــي إسرائيل ! هي هي كثافة [11] حس ، ومادية فكر ، واحتجاجا عن مسارب [12] الغيب .. فإذا هم يطلبون أن يروا الله جهرة ..." [13] ، كما يشير إلـــى ثبات هذا الحس ، وانفراده في طرق المعرفة عندهم بقوله : " ... إن الحـــس المادي الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة .. أم لعل التعنت[14] والمعاجزة . والآيات الكثيرة ، والنعم الإلهية ، والعفو والمغفرة .. كلها لا تغير مـــن تلك الطبيعة الجاسية [15] التي لا تؤمن إلا بالمحسوس ، والتي تظل مع ذلـــك تجادل وتماحل[16] ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل ..." [17] .

---

(١)لقد سبق الحديث عن إصرار اليهود على باطلهم. راجع/ ٢٠٨، ٢٠٩.
(٢)ورد الحديث بنحو ذلك. راجع/ ٢١٢، ٢١٣. (٣)السرمدي: الدائم. أنظر: مختار الصحاح /٢٩٦ . (٤)لقد سبق الحديث بنحو ذلك. راجع/ ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٧.
(٥)البقرة/٤٠. (٦)البقرة/٤١. (٧)البروج/١٢.
(٨)الحج/٢. (٩) آل عمران/٢٨. (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب: (الزكاة). باب: (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ..) ٣/٨٦.
(١١)كثافة : أي : غلظ. انظر: مختار الصحاح/٥٦٤. (١٢)مسارب : أي : آثـــار. يقال : هذه مسارب الحيات: لمواضع آثارها إذا انسابت في الأرض على بطونها. أنظر : المعجم الوسيط ١/٤٢٧. (١٣)في ظلال القرآن ١/٧٢. (١٤)التعنت : من عنته والمتعنت : هو : طالب الذلة. أنظر : القاموس المحيط/٦٩١. (١٥)الجاسية : مـــن الجوس ، وهو : طلب الشيء بالإستقصاء. أنظر: القاموس المحيط/٦٩١.
(١٦)تماحل: أي : تحتال أو تتكلف أو تمكر أو تكيد. أنظر: القاموس المحيط/١٣٦٥ ومختار الصحاح/٦١٧. (١٧)في ظلال القرآن ١/٧٢.

والآيات الكريمة تدل على سرعة تقلب يهود ، وعدم ثباتهم على حق أو مبدإ[١] ، إضافة إلى عدم اتعاظهم بالماضي ، والإستفادة من دروسه[٢] . فبالأمس حاولوا عبادة الأصنام ، وبالأمس عبدوا العجل ، واليوم يصرون على رؤية الله ، بل ويجعلون ذلك شرطا لإيمانهم . إنهم قوم - أقل ما يقال فيهم - لا عقل لهم !

والآية الأخيرة تدل على سعة رحمة الله - سبحانه -[٣]. فرغم إصرارهم على الذنب الكبير ، ورغم عزمهم على الإرتداد إذا لم يتحقق لهم ما يريدون ، فإن الله - تعالى - بعثهم من بعد موتهم ، وأعطاهم فرصة جديدة في الحياة ، لعلهم يشكرون .

---

(١) لقد سبق الحديث عن ذلك . راجع / ١٩٨ ، ٢٤٩ .
(٢) لقد سبق الحديث عن ذلك . راجع / ٢٠٦ .
(٣) لقد سبق الحديث عن ذلك . راجع / ٢٤١ ، ٢٤٩ .

(المبحث الثاني)

(بنو إسرائيل وذبح البقرة)

لقد وردت قصة بقرة بني إسرائيل في موضع واحد من سورة البقرة فقط ، وذلك من الآية السابعة والستين إلى الآية الثالثة والسبعين.

والقصة مع صغرها ألقت الأضواء على طبيعة يهود المنحرفة والملتوية والمتعنتة والمتلكئة وغير ذلك .

وإنما كانت هذه القصة - كغيرها من القصص القرآني - للعظة والعبرة والدرس والمعلم ، وذلك حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه يهود .

وتفصيل ذلك كله كما يلي :

(المطلب الأول)

(أمرهم بذبح بقرة وسببه)

أولا : سبب الذبح :

لقد وردت آية واحدة في سبب ذبح البقرة ، وذلك قوله: ((وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)) (١) .

أي : وإذ قتلتم نفسا فاختلفتم فيها - أي في معرفة قاتلها - وتنازعتم وتخاصمتم - لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا - ، والله معلن ومظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل(٢) .

قوله: (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) فيه عدة وجوه : " (أحدها) اختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدافعه ويزاحمه (وثانيها)... ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه إلى غيره (وثالثها) دفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة "(٣) .

ولقد وردت روايات كثيرة في كتب التفسير بالمأثور(٤) في قصة القاتل وسبب إقدامه على ذلك . والقرآن ذكر أمر القتل إجمالا ولم يفصل فيه وكذلك لم ترد في السنة أحاديث صحيحة في ذلك . وأما الروايات الواردة في ذلك فهي إما موقوفة على بعض التابعين أو إسرائيليات ، وهذا لا تقوم به الحجة . والمهم في الأمر هو العبرة من الحادث ليس إلا، ولذلك ورد مجملا دون تفصيل.

ومما يعضد ما ذهبنا إليه قول ابن كثير بعد أن ساق العديد من تلك الروايات : " وهذه السياقات عن عبيدة* وأبي العالية** والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب ، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا

---

(١) البقرة /٧٢ . (٢) انظر : جامع البيان ٣٥٦/١ وما بعدها ط٢ . والكشاف ٢٨٩/١ . وتفسير النسفي ٥٦/١ . وغريب القرآن /٥٤ . (٣) التفسير الكبير ١٢٤/٣ . وانظر : تفسير النسفي ٥٦/١ . (٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ١٠٨/١ - ١١٠ . والدر المنثور ٧٦/١ ، ٧٧ .

* عبيدة : لم أقف على ترجمته .

** أبو العالية : هو: رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، مولى امرأة من بني رياح - بطن من تميم - . وهو ثقة كثير الإرسال ، ومقرئ وفقيه. قال أبو بكر بن أبي داود: "ليس أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية ،ثم سعيد بن جبير" . رأى أبا بكر، وقرأ القرآن على أبي وغيره. سمع من عمر وعلي وعائشة وابن مسعود وطائفة. وعنه قتادة وغيره. له " تفسير " رواه عنه : الربيع ابن أنس البكري . مات سنة ٩٣ هـ وقيل : ٩٠ هـ . أنظر : طبقات المفسرين للداودي ١٧٢/١، ١٧٣ رقم (١٧٠). وخلاصة تذهيب الكمال ٣٣٠/١ .

والله أعلم"(١) .

ومن الجدير ذكرُه أن هذه الآية قد وردت موّخرةً في التلاوةِ ، مقدمةً في المعنى ، ويرجعُ ابن الجوزي* السببَ في ذلك بقولِه :" ... لأن السببَ في الأمرِ بذبحِ البقرةِ قتلُ النفس ، فتقديرُ الكلامِ : وإذ قَتلتم نفساً فادارأتم فيها ، فسألتم موسى فقال : ((...إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...)) (٢)" (٣) ، ويشيرُ البَيْضَاوِيُّ إلى ذلك بقولِه : " أولُ هذهِ القصةِ قولُه-تعالى-: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) وإنما فُكَّت عنه وقُدِّمت عليه لاستقلالِه(٤) بنوعٍ آخر من مساويهم وهي الإستهزاءُ بالأمرِ والاستقصاءُ(٥) في السؤالِ وتركُ المسارعةِ إلى الإمتثالِ"(٦) .

ومن الجديرِ ذكرُه - أيضاً - أن قصةَ بقرة بني إسرائيلَ لم يردْ بشأنِها دليلٌ يبينُ - لنا - الزمنَ الذي وقَعت فيه . فلا يُعرفُ هل حَدثَت إبَّان وجودِهم بمصرَ أم بعدَ خروجِهم منها ، كما أنه لا يُعرفُ هل حَدثَت قبلَ نزولِ التوراةِ أم بعدها .

والقرآنُ قد تَجاوزَ هذه المسألة لانه يَهتمُّ بالدرجةِ الأولى بالدرسِ والعبرةِ والعظة والمعلمِ .

ومع ذلك فَيبدو أنها قد حَدثَت بعد خروجِهم من مصرَ ، لأنهم كانوا في مصرَ يُحكمونَ بالقانون الفرعوني المصري ، وأما بعد خروجِهم منها فقد أصبحَ موسى - عليه السلام - مسئولاً عنهم في كلِّ شيءٍ .

ومما يُعضدُ هذا أن القُرْطُبِيَّ (٧) والكَلْبِي**(٨) ذهبا الى أن حادثةَ البقرةِ كانت قبلَ نزولِ القَسَامَةِ(٩) في التوراةِ .

والآيةُ الكريمةُ تَدلُّ على انتشارِ القتلِ بين اليهودِ ، ولذلك نُسِبَ القتلُ إليهم جميعاً مع أن القاتلَ واحدٌ أو غير واحدٍ ، وذلك على طريقةِ العربِ في نسبةِ الأشياءِ إلى القبيلةِ إذا وُجِدَ من بعضِها ما يُذمُّ بهِ أو يمدحُ(١٠).

وهذا يشيرُ إلى استهانتِهم بقتلِ الأنفسِ ، وإلا لما نُسِبَ قتلُ الواحدِ إلى جمعِهم . وهذا كله يَدلُّ على تفككِ أواصرِ(١١) الودِّ بينهم ، وتخلخلِ مجتمعِهم ، وتجرئِهم على بعضِهم بلا وازعٍ(١٢) من ضميرٍ أو أخوةِ دمٍ أو أخوة دينٍ ، أو خوفٍ من اللهِ ، أو من العاقبةِ !

---

(١)تفسير القرآن العظيم ١/١١٠ . (٢)البقرة /٦٧ . (٣)زادالمسير ١/١٠١ .
(٤)لاستقلاله : أي : لانفراده . أنظر : المعجم الوسيط ٢/٣٦٢ .
(٥) الإستقصاء : أي : بلوغ الغاية . أنظر : القاموس المحيط/١٧٠٨ . ومختار الصحاح /٥٣٩ . (٦) أنوار التنزيل ١/٨٨ . (٧) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٦ ط : ٢. (٨) أنظر: السراج المنير ١/٦٨ .
(٩)القسامة : من أقسم بمعنى حلف ، وهي : الأيمان تقسم على الأولياء في الدم . أنظر : مختار الصحاح/٥٣٥ . والقاموس المحيط /١٤٨٣.
(١٠) أنظر : الكشاف ١/٢٨٩. وتفسير النسفي ١/٥٦ . والبحر المحيط١/٢٥٩ .
(١١) أواصر : جمع : آصرة ، وهي : ما عطفك على غيرك من رحم ، أو قرابة ، أو مصاهرة ، أو معروف . أنظر : المعجم الوسيط ١/١٩ .
(١٢)وازع : أي : كاف . أنظر : مختار الصحاح /٧١٩ .

* ابن الجوزي : هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج . سبقت ترجمته / ٤٣ .
**الكلبي : هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي أبو القاسم . سبقت ترجمته / ٨٤.

واتهامُهم جميعاً بالجريمةِ في قولِهِ : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً) يَدلُّ على انتشارِ الباطلِ فيما بينهم ورضائِهم بـه ، وانعدامِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ فيما بينهم . وهذا خلقٌ متأصلٌ في يهودَ على مرِّ الأزمانِ، وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - : ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلك بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) (١).

والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ هو عنوانُ المجتمعِ الخيرِ الوسطِ الصالحِ لقولِه - تعالى - : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)) (٢) .

ولأهميةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ في صلاحِ الفردِ والمجتمعِ أَمَرَنَا اللهُ بهِ بقولِهِ : ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٣)، وكذلك أَمَرَنَا بهِ رسولُ اللهِ - صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ - بقولِهِ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (٤).

والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ صفةٌ ملازمةٌ للمؤمنينَ الصالحينَ لا تَنفكُّ عنهم البتة لقولِهِ - تعالى - : ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..)) (٥) ، بل ويتواصون به ويورثونه أولادَهم وذريتَهم بعد ذلك . ومن ذلك وصيةُ لقمانَ لابنِهِ كما ذكرَ القرآنُ : ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (٦) .

ومجتمعٌ لا يُؤمرُ فيه بالمعروفِ ولا يُنهى فيه عن المنكرِ ولا يَتخذُ من ذلك شعاراً عملياً دائماً له هو مُجتمعٌ مَحكومٌ عليه بالبوارِ (٧)، ومُهددٌ بالإنهيارِ الخُلُقي من حينٍ لآخر - والمجتمعاتُ الإسلاميةُ المعاصرةُ أكبرُ شاهدٍ على ذلك - . وفي ذلك يَقولُ الرسولُ - صلى اللهُ عليهِ وسلمَ -: (لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فَجَلَسَ رسولُ اللهِ - صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ - وكانَ مُتكئاً فقالَ : (لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ (٨) عَلَى الْحَقِّ أَطْرَاً) (٩) (١٠) .

---

(١) المائدة /٧٨، ٧٩ . (٢) آل عمران /١١٠ . (٣) آل عمران/١٠٤ .
(٤) أخرجه الترمذي في " الجامع الصحيح " وقال عنه : حديث حسن . باب :(ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ٤٦٨/٤ رقم (٢١٦٩).
(٥) التوبة /٧١ . (٦) لقمان/١٧ . (٧) البوار : الهلاك. أنظر : القاموس المحيط /٤٥٢. ومختار الصحاح /٦٨٠ . (٨) تأطروهم : أي : تعطفوهم . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٣/١ .
(٩) أخرجه الترمذي في " الجامع الصحيح " وقال عنه : حديث حسن غريب . باب : (من سورة المائدة) ٢٥٢/٥ رقم (٣٠٤٧). (١٠) سبق الحديث عن الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . راجع/ ٢٢٣ .

وقوله (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) يظهر - لنا - انعدام ثقة اليهود بأنفسهم (١) ، واتهامهم لبعضهم بالشبهة دون بينة ، وهذا يشير إلى انتشار سوء الظن فيما بينهم ، وذهاب الود ، وتقطع الصلة ، وتخلخل المجتمع (٢) .

ومن المعلوم أن اساءة الظن بالمسلمين فضلا عن اتهامهم من الأخلاق المذمومة التي نهانا الله - سبحانه - عنها بقوله : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ...)) (٣) ، كما نهانا عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ) (٤) .

وقوله : (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) يدل على أن القوم يتصفون بصفة كتمان الحق وعدم إظهاره ، وهذا يشير إلى طبيعة يهود التي تميل إلى الباطل ولا تحب ظهور الحق . وهذه صفة متأصلة في يهود ملازمة لهم لا تنفك عنهم على مر الأزمان ، ولذلك أخفوا صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - من التوراة ، وقد كانوا يعرفونه كما يعرف الواحد منهم ولده بدليل قوله - تعالى - : ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٥))) (٦) .

ومن ذلك - أيضا - ما روي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى جَاءَ يَهُودَ ، فَقَالَ: (مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَا) ؟ قَالُوا : نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا وَنُحَمِّلُهُمَا وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا ، وَيُطَافُ بِهِمَا ، قَالَ : (فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَؤُوهَا ، حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ ، وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَمَا وَرَاءَهَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ* وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرُجِمَا ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ (٧) .

والآية الكريمة تبين - لنا - قدرة الله البالغة - التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء - في إظهار المخفي المعنوي أو المادي .

ومن المعلوم أن الله - سبحانه وتعالى - يعلم الغيب - سواء كان ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا - على أي حال كان ، وفي ذلك يقول: ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) (٨) .

---

(١) لقد سبق الحديث عن ضعف ثقة يهود بنبيهم . راجع/١٩٦، ١٩٧، ٢٥١.
(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك . راجع/ ٢٥٥ . (٣) الحجرات /١٢ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب: (الوصايا) باب : (قوله تعالى : من بعد وصية ...) ٣/١٨٨ . (٥) الممترين: من المرية، وهي: التردد في الأمر والمحاجة والتشكك والجدل . أنظر: المفردات في غريب القرآن/٤٦٧. والقاموس المحيط/١٧١٩ . ومختار الصحاح/٦٢٢ . (٦) البقرة /١٤٦، ١٤٧ .
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (كتاب الحدود) باب: (من اعترف على نفسه بالزنى) ٥/١٢١، ١٢٢ . (٨) الأنعام / ٥٩ .
* عبد الله بن سلام : هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري . سبقت ترجمته / ٤٧ .

والله - سبحانه - قادر على إظهار المخفي في الغيب مهما ظهر للناس بعيدا ، ولذلك كان من وصية لقمان لابنه قوله : ((يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ(١) فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)) (٢).

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لمن العجيب أن يخفي اليهود أمر القاتل، بل ويتهم بعضهم بعضا فيه ، وإنه لمن الغريب أن تبقى هذه الصفة ملازمة لليهود لا يخافون الفضيحة من الله ، أو من الناس .

ثانيا : الأمر بذبح البقرة :

وذلك قوله : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...))(٣) .

أي : وإذ قال موسى لقومه الذين ادارأوا في القتيل - عندما سألوه عن القاتل - إن الله - سبحانه - يأمركم أن تذبحوا بقرة (٤) .

وأمر اليهود بذبح بقرة بالذات - لمعرفة القاتل - يدل على أن المراد من هذه الخصوصية هو إهانة رواسب (٥) الوثنية وقتلها في نفوسهم (٦) .

ومما يعضد هذا قول الماوردي فيما نقل عنه القرطبي في تفسيره : " وإنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها ؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كان يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته "(٧)، وكذلك قول أبي حيان في تفسيره : " وإنما اختص البقر من سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله فاختبروا بذلك إذ هذا من الإبتلاء العظيم وهو أن يؤمر بقتل من يحبه ومن يعظمه "(٨) .

وأمرهم بذبح بقرة يمثل نصا شرعيا من الله - ولا اجتهاد مع النص - ، نقله إليهم وأخبرهم به نبيهم موسى - عليه السلام - . فهل سيطيعون الله - هنا - بتنفيذ أمره ؟ أم تظهر طبيعتهم المنحرفة - علينا - تارة أخرى ؟

هذا ما سيتضح - لنا - من خلال المطلب التالي .

---

(١) خردل : جمع خردلة ، وهو : حب شجر . أنظر : القاموس المحيط/١٢٨٢، ومختار الصحاح /١٧١. (٢) لقمان /١٦ . (٣) البقرة /٦٧ .
(٤) أنظر : جامع البيان ١/٣٣٧ ط : ٢ . (٥) رواسب : من رسب في الماء أي : انحط وذهب الى أسفل ، ويقال : جبل راسب : ثابت ، والمراد هنا : ما رسب من الوثنية في عقولهم . أنظر : القاموس المحيط/١١٤، ومختار الصحاح /٢٤٢ . والمعجم الوسيط ١/٣٤٣ . (٦) سبق الحديث عن ذلك مفصلا . راجع/١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥ . (٧) الجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٥ ط : ٢.
(٨) البحر المحيط ١/٢٥٠ .

(المطلب الثاني)

(تلكؤهم في ذبحها وتعرضهم لنبيهم)

كان على اليهود أن يمتثلوا الأمر بذبح بقرة ، لأن هذا الأمر من الله - نقله إليهم موسى - ، ولكن القوم سرعان ما ظهرت طبيعتهم الخبيثة الملتوية ، وسرعان ما طلعت - علينا - نفسهم الأمارة بالسوء، ذات السماء الرئيسية - التي عهدناها - وهي : "... إنقطاع الصلة بين قلوبهم ، وذلك النبع الشفيف [١] الرقراق [٢] : نبع الإيمان بالغيب ، والثقة بالله ، والإستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل . ثم التلكؤ في الإستجابة للتكاليف ، وتلمس الحجج والمعاذير ، والسخرية المنبعثة من صفاقة [٣] القلب وسلاطة [٤] اللسان ! "[٥] .

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : إتهامهم نبيهم بالهزء واللعب :

وذلك قوله : ((... قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) [٦] .

أي : قال اليهود لنبيهم موسى الذي أمرهم بذبح بقرة : أتجعلنا مكان هزوًا أو أهل هزوء ومهزوا بنا أو الهزوّ نفسه لفرط الإستهزاء - والهزء اللعب والسخرية - . قال موسى : أمتنع بالله من أن أكون من السفهاء الذين يوردون عن الله الكذب والباطل [٧] .

وقد استعاذ كليم الله - عليه السلام - من الجاهلين في قوله : (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ، لأن الجهل - وهو نقيض العلم - صفة تنتفي عن الأنبياء ، إضافة إلى أن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزء جهل [٨] .

وقول يهود لنبيهم موسى (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) يدل على تعديهم الصارخ على عرض نبيهم ، كما يدل على سوء أدبهم معه ، وافتقادهم احترامه وتقديره . إذ نسبوه للعب والهزء في أمور الدين وهو النبي الذي لا يعرف إلا الحق والجد [٩] .

وفي ذلك يقول أبو حيان : " وأجابتهم نبيهم ... دليل على سوء عقيدتهم في نبيهم وتكذيبهم له ، إذ لو علموا أن ذلك اخبار صحيح عن الله - تعالى - لما كان جوابهم إلا امتثال الأمر ، وجوابهم هذا كفر بموسى "[١٠] .

---

(١) الشفيف : الرقيق . انظر: مختار الصحاح/٣٤٢ . (٢) الرقراق : أي: المتلألىء واللامع ، من ترقرق الشيء تلألأ ولمع . انظر: مختار الصحاح /٢٥٣ .
(٣) صفاقة : وقاحة . انظر : القاموس المحيط /١١٦٣ . ومختار الصحاح/٣٦٥ .
(٤) سلاطة : أي : طول لسان وشدته . انظر: القاموس المحيط/٨٦٧ . ومختار الصحاح /٣٠٨ . (٥) في ظلال القرآن ١/٧٧ . (٦) البقرة / ٦٧ .
(٧) انظر: جامع البيان ١/٣٣٧ وما بعدها ط:٢ . والكشاف ١/٢٨٦ . وتفسير النسفي /٥٤ . وتفسير الجلالين /١١ . (٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن /٤٤٨ . ط ٣ . والمحرر ١/٣١٢ . (٩) سبق الحديث مفصلا عن ذلك . راجع /١٩٧، ٢٥١ . (١٠) البحر المحيط ١/٢٥٠ .

ويصف الكلبي اليهود في هذا الموقف فيقول : " ... جفاء وقلة أدب ، وتكذيب "(١) .

وقولهم هذا يدل - أيضا - على جهلهم الكبير بدينهم ، ذلك أن المخبر لهم هو نبيهم : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ...)) (٢) ، ومن مقتضيات الإيمان تصديق الأنبياء بكل ما جاءوا به لأنهم لا ينطقون عن الهوى، وقد أخبرهم عن أمر ربهم : ((... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...)) (٣) ، ومن مقتضيات الإيمان التسليم لأمر الله والإمتثال له .

واعتراضُ يهود على نبيِّهم بذبحِ بقرةٍ ، إما أن يكون نابعا من جهلهم : وهذا مستبعد لوجودنبييهم - موسى وهارون - بين ظهرانيهم يعلمانهم الدين ليلا ونهارا ، وإما أن يكون نابعا من استغرابهم للعلاقة بين ذبح بقرة وبين معرفةالقاتل : وهذا - أيضا - مستبعد لأنهم رأوا من الآيات والمعجزات في هذا الباب ما هو أعظم من ذلك كآية العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وشق البحر ورفع الطور فوقهم وغير ذلك وإما أن يكون عن اعوجاج متعمد في امتثال دينهم تبعا لانحراف طبيعتهم التي لا تفتأ تجنح للباطل من حين لآخر !

ومما يعضد ما ذهبنا إليه أن النسفي وأبا حيان ذهبا في تفسيريهما إلى أن قوله :(مِنَ الْجَاهِلِينَ) فيه تعريض بأنهم جاهلون(٤) .

وقولهم هذا يدل - أيضا - على انعدام خوفهم من حصائد ألسنتهم من الكلام السيء والبذيء . وهذا يشير إلى أنهم من الذين يخوضون مع الخائضين فيأعراض الناس ، وفي المحرمات ، وفي اللغو الفارغ . ذلك أنه إذا كان حالهم هكذا مع نبيهم الذي له حق الطاعة عليهم - ، فحالهم فيما بينهم هكذا من باب أولى .

ومن المعلوم أن الناس يؤاخذون بكل ما يتكلمون به ، وأنهم مسئولون عن ذلك يوم القيامة ، لقوله - تعالى - : ((مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(٥))) (٦) ، ولقوله : ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)) (٧) .

وحصائد الألسنة من المهلكات التي تكب الناس على وجوههم في النار وذلك لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما قال له

---

(١)التسهيل لعلوم التنزيل ١/٥٠ . (٢)البقرة / ٦٧ .
(٣)البقرة / ٦٧ . (٤) انظر : تفسير النسفي ١/٥٤ .
والبحر المحيط ١/٢٥٠ . (٥)عتيد : أي:معتد أعمال العباد أو:مهيأ أو:جاهز . انظر : المفردات في غريب القرآن / ٣٢١ . والقاموس المحيط /٣٧٩ . ومختار الصحاح / ٤١٠(٦) ق / ١٨ . (٧) الإنفطار/١٠ -١٢ .

معـــاذ* : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَـــالَ : (ثَكِلَتْكَ(١) أُمُّـكَ ! وَهَـلْ يَكُـبُّ (٢) النَّاسَ فِي النَّـارِ عَلَى وُجُوهِهِـــمْ إِلَّا حَصَائِـدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) (٣).

بل وقد يتكلم المرء بالكلمة الواحدة بالباطل فيكون مصيره إلـــى النار بسببها ، لقول رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إِنَّ الْعَبْـــدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّـارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْـــرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (٤) .

ولِلأهمية البالغة التي يوليها الإسلام في حفظ أعراض الناس وفي حفـــظ الدين من ألسنة الثرثارين (٥) ، فقد حذر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك في حجة الوداع ؛ فقد أخرج البخاري** في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب الناس يوم النحـــر فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا . قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ : فَـــأَيُّ بَلَدٍ هَذَا . قَالُوا : بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ : فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا : قَالُوا شَهْـــرٌ حَرَامٌ . قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُـــمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُم هَذَا ...)الحديث (٦) .

واتهام يهود لنبيهم موسى بالهزء بهم بمجرد أمرهم بذبح بقـــرة يلقي الضوء على طبيعتهم المتسرعة المتهورة . فهي طبيعة لا تعرف الحلـــم والأناة ، ولا تقف عند الأمور تتأملها وتنظر فيها ، وتعمل العقل والحكمة ثم تخلص بعد ذلـك إلى الرأي السديد . ولكنها طبيعة تميل إلى التســـرع في إصدار الأحكام وفق الهوى ، مستخدمة بذلك ألفاظ التعريض ، مما يـــدل على أنهم قوم لا حكمة عندهم ، ولا أخلاق لهم (٧) .

---

(١)ثكلتك: أي: فقدتك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٧/١. والقاموس المحيط /١٢٥٧. ومختار الصحاح/٨٥ . (٢)يكب : يسقط الشيء علـــى وجهه ، من كب . انظر : المفردات في غريب القرآن /٤٢٠. والقامـــوس المحيط /١٦٤. ومختار الصحاح /٥٦٠. (٣) أخرجه الترمذي في"الجامـــع الصحيح". وقال : " حديث حسن صحيح " .باب :(ما جاء فيحرمة الصـــلاة) ١٢٠١١/٥ رقم (٢٦١٦) . (٤) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب:(الرقـــا ق) باب :(حفظ اللسان ...) ١٨٤/٧. وأخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الزهـد والرقائق)باب : (التكلم بالكلمة يهوي بها في النار)٢٢٤/٨.
(٥)الثرثارين : هم: الذين يكثرون الكلام ، والثرثرة : كثرة الكلام وترديـــده . انظر : النهاية فيغريب الحديث والأثر ٢٠٩/١ . والقاموس المحيط /٤٥٧ .
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : (الحج)باب : (الخطبة أيام منـــى) ١٩١/٢ . (٧) لقد سبقت الإشارة إلى ذلك . راجع/٢١٢ .

* معاذ: هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعـــب الخزرجي الأنصاري . وكنيته : أبو عبدالرحمن . وهو أحد السبعين الذيـــن شهدوا العقبة من الأنصار ، وشهد بدرا وأحدا وغيرها من المشاهد مع الرسول وهو من القراء المشهورين ومن أعلم الصحابة بالحلال والحرام . روى عن النبـــي وعنه من الصحابة : عمر وابنه عبدالله ، وأنس بن مالك وغيرهم .وعنه مـــن التابعين : جنادة بن أبي امية ، وجبير بن نفير وغيرهما . توفي في طاعون عمواس في زمن عمر سنة ١٨ هـ ، وقيل : ١٧ هـ عن ٣٨ سنة وقيل :٣٣، وقيـــل: ٣٤ سنة . انظر : أسد الغابة ١٩٤/٥ - ١٩٧ رقم (٤٩٥٣) . والإصابة في تمييز الصحابة ١٣٦/٦ - ١٣٨ رقم (٨٠٤٣) . وحلية الأولياء ٢٢٨/١ - ٢٤٤ رقم (٢٦).

** البخـاري : هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بـــرد أبو عبدالله البخاري الجعفي مولاه . وهو الحافظ العلم . من شيوخـــه : مالك ، وأحمد بن حنبل . ومن تلاميذه : مسلم، والترمذي ، والنسائـــي، والبزار . ومن مصنفاته : " الجامع الصحيح " وهو أصح كتب الحديث ، وكتاب " التاريخ "و " بر الوالدين " . ولد يوم الجمعة ١٣شوال ٢٩٤ هـ ببخـــارى ، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ عن ٦٢ سنة إلا ثلاثة عشر يوما . انظـــر: =

ثانيا : تعنتهم في ماهية البقرة :

وذلك قوله : ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ)) (١).

أي : قال اليهودُ لنبيهم موسى : اسأل لنا ربَّك يُظهرْ لنا حقيقةَ البقرةِ وذاتَها التي هي عليها ، قال موسى لهم : إن اللهَ يقولُ إنها بقرةٌ لا مسنة هرمة انقطعت ولادتُها ، ولا بكر صغيرة لم تلدْ ولم يَفتحلْها فحلٌ(٢)، نصفٌ بين ذلك - أي التي وَلدَت بطناً أو بطنين وهي أقوى البقر وأحسنه - ، فافعلوا ما تؤمرون من ذبحِ البقرةِ(٣) .

وسؤالُ يهود نبيهم عن ماهيةِ البقرةِ من دون الإمتثالِ المباشر بذبح أي البقرة يدلُّ على صفةِ التعنتِ التي يَتصفونَ بها ، ولذلك يقولُ ابنُ عباسٍ : " لو أخذوا أدنى بقرةٍ لاكتفوا بها ولكنهم شَددوا فشددَ اللهُ عليهم "(٤).

وقد ذهب القُرطبي(٥) وابنُ عطية (٦) وأبو حيان(٧) إلى أن قوله : (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) فيه تجديدٌ للأمرِ ، وتأكيدٌ وتنبيهٌ على تركِ التعنتِ فما تركوه .

ومن المعلومِ أن التعنتَ في الأمورِ يَنمُّ عن نفسٍ مريضةٍ أعياها الحقُّ الأبلجُ (٨)، فذهبت تبحثُ عن الغائبِ البعيدِ غير المرادِ نتيجةَ اضطرابِها وترددِها وتشككِها .

وقولُهم لنبيهم : (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) يدلُّ على سوءِ أدبِهم معه (٩) ، كما يَدلُّ على سوءِ أدبِهم مع ربِّهم(١٠) - عز وجل - ، فيخاطبونَه بربِّه وكأنه ليس بربِّهم ، وهذا يشيرُ إلى ضعفِ إيمانِهم ، وعدمِ تعلمِهم من أخطائِهم(١١) ، والعودةِ المرة تلو المرة في ذاتِ الخطأ .

ويلقي صاحبُ الظلالِ الضوءَ على ذلك ، فيقول : " .. والسؤالُ بهذهِ الصيغةِ يَشي(١٢) بأنهم ما يزالون في شكهم أن يكونَ موسى هازءاً فيما أنهى إليهم ! فهم أولاً : يقولون : (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) .. فكأنما هو ربُّه وحدهُ لا ربهم كذلك ! وكأن المسألةَ لا تَعنيهم وإنما تَعني موسى وربَّه !

= طبقات المفسرين للداودي ١٠٠/٢ - ١٠٤ . وتاريخ بغداد ٠٤/٢ وتهذيب التهذيب ٤٧/٩-٥٥ . وهدية العارفين ١٦/٢ .

(١) البقرة /٠٦٨ (٢) فحل: الفحل هو: الذكر من كل حيوان ، والمراد هنا: ذكر البقر . انظر : القاموس المحيط /١٣٤٥ . ومختار الصحاح /٤٩٢ .
(٣) انظر : جامع البيان ٣٣٧/١ وما بعدها ط:٢ . والجامع لأحكام القرآن ٤٤٨/١- ٤٥٠ ط:٣ . وتفسير القرآن العظيم ١١٠/١ . وزاد المسير ٠٩٧/١ والبحر المحيط ٢٥٢/١ . وغريب القرآن /٥٣ . (٤) تفسير القرآن العظيم ١١٠/١ .
(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٤٤٩/١ . ط:٣ . (٦) انظر: المحرر ٠٣١٣/١
(٧) انظر : البحر المحيط ٢٥٢/١ . (٨) الأبلج : المضيء والمشرق والمتضح انظر : القاموس المحيط /٢٣١ . ومختار الصحاح /٦٢ . (٩) لقد سبق الحديث عن ذلك . راجع /١٩٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٠٢٦٠ (١٠) لقد سبقت الإشارة إلى ذلك . راجع / ٠٢٥٢ (١١) لقد سبقت تفصيلات عن ذلك . راجع /٢٠٦، ٢٥٣ . (١٢) يشي : أي : ينم . انظر: القاموس المحيط /١٧٣٠ . ومختار الصحاح /٧٢٣ . والمعجم الوسيط ١٠٤٧/٢ .

وهم ثانياً : يطلبونَ منه أنْ يَدعو ربَّه ليبينَ لهم : (مَا هِيَ ؟) والسؤالُ عن الماهيةِ في هذا المقامِ - وإن كانَ المقصودُ الصفةَ - إنكارٌ واستهزاءٌ "(١) .

ثم إن قولَه : (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) قَدْ قَطَعَ عليهم طريقَ التعنتِ، فهل يَستجيبونَ أم يمضونَ في تعنتِهم ؟ هذا ما ستوضحه - لنا - النقطةُ التاليةُ .

ثالثا : تعنتهم في لون البقرة :

وذلك قولُه : ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)) (٢) .

أي : قالَ اليهودُ لنبيهم موسى : ادعُ لنَا ربَّك يُبينْ لنَا حالَ لونِها ؛ قالَ موسى مُجيباً : إنَّ اللهَ يقولُ إنها بقرةٌ صفراءُ اللونِ شديدةُ الصفرةِ - والفقوعُ أشدُّ ما يكونُ من الصفرةِ وأنصعه -(٣)، تُعجبُ الناظرينَ إليها وتَسُرهم بحسنِ لونِها - والسرورُ أصلُه لذةٌ في القلبِ عندَ حصولِ نفعٍ أو توقعِهِ من السرِّ - (٤) .

الآيةُ الكريمةُ تُبينُ - لنا - أن اليهودَ أهلُ غيٍ(٥) وغوايةٍ ، وطبيعتهم قد ألفت الباطلَ (٦) وعَشقت الإستمرارَ عليه دون انزجارٍ ورجوعٍ إلى الحقِّ فقد استَمروا - هنا - على استخدامِ الإسلوبِ البعيدِ عن الأدبِ مع نبيِّهم ومع ربِّهم : (قَالوا ادع لنا ربك) ، وكأنه ليس بربِّهم ، وكأن موسى ليس بنبيِّهم . ولكن يهودَ هي يهود !

والآيةُ الكريمةُ تُشيرُ إلى أن اليهودَ أهلُ تنطعٍ(٧) وتكلفٍ(٨) ومغالاةٍ(٩) . وقد استَمرءوا(١٠) ذلك حتى شَكَّلَ جزءاً من طبيعتِهم ما يَنفكُّ عنهَا . فقد كانوا في مندوحةٍ(١١) من أمرهم إلا أنهم شَقُّوا على أنفسِهم وعقَدُوا عليها الأمورَ ؛ وذلك أنهم أوجَبُوا على أنفسِهم أن يذبَحُوا بقرةً لا مسنة ولا صغيرة بين ذلك، صفراء اللونِ شديدةِ الصفرةِ ! (١٢) .

---

(١) في ظلال القرآن ٧٨/١ . (٢) البقرة /٦٩ .
(٣) أنصعه : من نصع ، والناصع : الخالص من كل شيء، يقال: أبيض ناصع وأصفر ناصع . انظر : مختار الصحاح/٦٦٣. (٤) انظر: جامع البيان ٣٤٤/١ ومابعدها ط : ٢ . والجامع لأحكام القرآن ٤٥٠/١ ، ٤٥١ ط٣ . والكشاف ٢٨٧/١. والتفسير الكبير ١٢٠/٣ . وتفسير الجلالين /١١. وأنوار التنزيل ٨٩/١ .
(٥) غي : أي:ضلال وخيبة ، وهي من:غوي . انظر: مختار الصحاح/٤٨٥ .
(٦) سبق الحديث عن إصرار اليهود على الباطل والجرم الكبير.راجع/٢٠٨، ٢٥١ .
(٧) تنطع: أي : تعمق. انظر مختارالصحاح/٦٦٦. (٨) تكلف : أي :تجشم ومشقة ، والمتكلف : العريض لما لا يعنيه . انظر : مختار الصحاح /٥٧٦ .
(٩) مغالاة : من غلا في الأمر إذا جاوز فيه الحد. انظر مختار الصحاح / ٤٨٠. (١٠) استمرءوا : من مرئ الطعام استمراه ، أي: استهناه . انظر : القاموس المحيط /٦٦ . (١١) مندوحة : أي : سعة . انظر: مختار الصحاح /٦٥١. (١٢) ورد تفصيل عن تعنت يهود . راجع/٢٦٢ .

وفي هذه الآية لم يقل لهم موسى : (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) ، مما يُشيرُ إلى أن نبيَّ اللهِ - عليه السلام - أرادَ أن يسيرَ معهم إلى نهايةِ طريقِ التعنتِ والمشقةِ والتعقيدِ - الذي ارتضوه لأنفسهم - . وهذا الأسلوبُ هو المعروفُ في الإسلامِ بمخاطبةِ الناسِ على قدرِ عقولِهم ، وهو الذي أشارَ اللهُ إليهِ بقولِه - تعالى - : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحسنةِ...))[1] . والحكمةُ في ذلك أن عدمَ مجاراةِ الناسِ حسب عقولِهم يؤدي إلى تكذيبِهم الحقَّ وإعراضِهم عنه .

رابعا : تعنتهم في ماهية البقرة ثانية :

وذلك قوله : ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ))[2] .

أي : قالَ اليهودُ لنبيِّهم موسى - للمرة الرابعة - : ادعُ لنا ربَّك يبينْ لنَا ما حالُها وصفتها - وعللوا ذلك - إن البقرَ الموصوفَ بالتعوين والصفرةِ كثيرٌ فاشتبهَ علينا والتبس أيها نَذبحُ ، وإنا إن شاءَ اللهُ لمهتدونَ لتلك البقرةِ المراد ذبحها [3].

وقد أجابَهم موسى - عليه السلام - على سؤالِهم هذا ، وذلك قولُه - تعالى - : ((قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ...))[4] .

أي:قالَ موسى لقومِه : إن الله يقولُ لكم إنها بقرةٌ غير مذللةٍ - مروضة - للعملِ والحرث بالأرضِ ، وهي ليست من النواضحِ[5] التي يسنى[6] عليها لتسقي الحرثَ ، مسلمة من العيوبِ وآثار العمل ، لا لونَ فيها غيرَ الأصفرِ . قالوا : الآن جئتَ بحقيقةِ وصفِ البقرةِ وحققتَه لنَا[7] .

الآيةُ الكريمةُ -الأولى - تَدلُّ على استمرارِ يهودَ على تعنتِهم وتنطعِهم ، مما زادَ الأمرَ عليهم مشقةً وتعقيداً بإضافةِ أوصافٍ جديدةٍ للبقرةِ المطلوبةِ ، كانوا في سعةٍ منها وفي غنى عنها[8] ، ويُلقي الطبريُّ الضوءَ على ذلك ، فيقول :" ولكنَّ القومَ لما زادوا نبيَّهم موسى ... أذى وتعنتاً ، زادهم اللهُ عقوبةً وتشديداً ... "[9] .

واليهودُ بذلك يُوردون أنفسَهم حياضَ[10] المهالك بتعنتِهم ، وكثرةِ أسئلتِهم ، واختلافِهم على أنبيائِهم . ومنهجُهم هذا منهجٌ سقيمٌ لا يُؤدي لخيرٍ ، بل يُؤدي إلى التعنتِ والمشقةِ والتعقيدِ ، وهذا كلُّه يقود النفسَ البشريةَ إلى التحللِ من الشيءِ أو - على الأقل - كرهِهِ .

---

(١)النحل/١٢٥ . (٢)البقرة/٧٠ . (٣) أنظر: جامع البيان١/٣٤٦، ٣٤٧ ط٢ والكشاف١/٢٨٨ . والتفسير الكبير ٣/١٢١ . وتفسير النسفي ١/٥٥ . وتفسير القرآن العظيم ١/١١١ . وتفسير الجلالين/١١ . وأنوار التنزيل ١/٨٩ . (٤)البقرة/٧١ . (٥)النواضح:جمع ناضحة،وهي : الدابة يسقى عليها. أنظر: مختار الصحاح/٦٦٤ . (٦)يسنى: أي:يستسقى عليها. أنظر:القاموس المحيط/١٦٧٣ . ومختار الصحاح/٣١٨ . (٧) أنظر:جامع البيان١/٣٥١ وما بعدها ط:١ . والكشاف ١/٢٨٨ . وتفسير القرآن العظيم ١/١١١ . وغريب القرآن/٥٤ . وأنوار التنزيل ١/٨٩ . (٨) أنظر: في ظلال القرآن ١/٧٩ . (٩) أنظر : جامع البيان٢/٢٠٤ط:المحققة. (١٠)حياض: جمع حوض ، وحاض الرجل : اتخذ حوضا . أنظر: مختار الصحاح/١٦٢ .

ولذلك حذرنا الله من هذا المنهج ، وفي ذلك يقول ـ سبحانه ـ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ...))(١) .

كما حذرنا منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال : (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ : إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) (٢)(٣) .

والآية الكريمة تشير إلى طبيعة اليهود غيرالمتأدبة مع نبيهم(٤)ومع ربهم(٥) ، فقد قالوا للمرة الثالثة : (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) .

ومن المعلوم أن سوء الأدب مع الله وعدم توقيره صفة ملازمة للكفار، ولذلك كان من لوم نوح لقومه ما ذكره القرآن :((مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(٦). وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(٧)) (٨) .

ومن المعلوم ـ أيضا ـ أن حسن الأدب مع الله ومع أنبيائه واحترامهم وتوقيرهم من الإيمان ، ولذلك قال ـ تعالى ـ :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ(٩) أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ))(١٠) ... الآيات ، بل إن محبة الله ومحبة رسوله فضلا عن التأدب معهما هي علامة على الإيمان ،وعلى طعم الإيمان ، لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ...)(١١)، ولقوله : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(١٢).

والآية الكريم تلقي الضوء على ضعف يهود العقلي ، وذهاب فقههم ، واختلاط عقولهم بالمتشابهات نتيجة تعنتهم ومغالاتهم في الأمور . إذ كيف يتأتى لهم أن يعجزوا عن تحديد البقرة بتلك الأوصافالتي أخبروا بها ـ حتى يقولوا لنبيهم : (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) . مما يشير إلى ضعف تمييزهم وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار المناسب مع وجود الأدلة الكافية !

---

(١)المائدة/١٠١. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : (الإعتصام بالكتاب والسنة) باب : (الإقتداء بسنة رسول الله ..) ٨/١٤٢. (٣)وردت تفصيلات أخرى عن تعنت يهود . راجع/ ٢٦٢، ٢٦٣ . (٤) سبقت تفصيلات أخرى عن هذا ، راجع/١٩٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢ . (٥) سبقت الإشارة إلى هذا . راجع/٢٥٢، ٢٦٢ . (٦)وقاراً: من وقر ،والوقار : السكون والحلم والرزانة . انظر: المفردات في غريب القرآن/ ٥٢٩. ومختار الصحاح/٧٣٢ . (٧) أطواراً : أي طورا بعد طور ، أو : تارة بعد تارة . أنظر : المفردات في غريب القرآن /٣٠٩ . (٨)نوح /١٣، ١٤. (٩)تحبط : أي : يبطل ثوابها . أنظر المفردات في غريب القرآن /١٠٦ . ومختار الصحاح /١٢٠ . (١٠)الحجرات / ٢، ١ . (١١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: (الإيمان) باب: (بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) ١/٤٨ . (١٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الإيمان) باب : (وجوب محبة رسول الله ..) ١/٤٩ .

وهذا كله آلوا إليه نتيجة تعنتهم وفسقهم وفجورهم ، فانطبق عليهم قوله - تعالى - : ((...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))[١] ، وقوله : ((... ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))[٢][٣] .

قولهم : (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) ، يدل على عودتهم إلى الله ، وإنابتهم[٤] إليه ؛ ولكن جاءت توبتهم بعد حين من التعنت والتلكؤ وسوء الأدب[٥] .

وفي ذلك يقول القرطبي : "... وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابة وانقياد ، ودليل ندم على عدم موافقة الأمر "[٦] ، ويقول أبو حيان : " ... وفي تعليق هدايتهم بمشيئة الله إنابة وانقياد ودلالة على ندمهم على ترك موافقة الأمر "[٧] .

والمعنى المراد من الآية هو : أي لمهتدون إلى عين البقرة المقصودة بالذبح ، أو إلى ما خفي من أمر القاتل ، أو إلى الحكمة التي من أجلها أمرنا بذبح البقرة[٨] .

قولهم لنبيهم : (الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) يدل على أنهم ارتكسوا مرة أخرى في الفسق والفجور ، حيث أساءوا الأدب مع نبيهم ، وتجرؤا عليه ، وطعنوه واتهموه في مصداقيته ، وشككوا بكل ما أخبرهم به عن الله مما سبق[٩] ، وفي ذلك يقول صاحب الظلال : " الآن ! كأنما كل ما مضى ليس حقا . أو كأنهم لم يستيقنوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا اللحظة !"[١٠] .

وهذا كله يلقي الظلال على تلك الطبيعة الملتوية المنحرفة التي أحبت الباطل وركدت في مستنقعه الآسن[١١] ، حيث النفوس المريضة ، والقلوب الخربة الصدئة - التي رانت من الفسوق - ، والعقول المتعطلة المتحجرة - التي عادت لا تفقه شيئا ولا تعرف أدبا ولا تسير في منهج قويم -[١٢] .

وقولهم هذا اعتبره البعض من باب المعصية ، واعتبره البعض الآخر من باب الكفر ، ويلقي ابن عطية الضوء على ذلك فيقول : " و (جِئْتَ بِالْحَقِّ) معناه عند من جعلهم عصاة : بينت لنا غاية البيان وجئت بالحق الذي طلبناه لا أنه كان قبل ذلك يجيء بغير حق . ومعناه عند ابن زيد الذي حمل محاورتهم على الكفر : الآن صدقت ؛ وأذعنوا في هذه الحال حين بين لهم أنها سائمة[١٣] "[١٤] .

---

(١) الأعراف/١٧٩ . (٢) الزمر/٢٣ . (٣) سبقت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع /٢٠٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢٥٢ .
(٤) إنابتهم : من أناب ، أي : أقبل وتاب . أنظر : مختار الصحاح /٦٨٤ . (٥) سبقت الإشارة لذلك . راجع/ ٢٣٢ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ١/٤٥٢ ط: ٣ . (٧) البحر المحيط ١/٣٥٤ .
(٨) أنظر: البحر المحيط ١/٢٥٤ . (٩) سبقت تفصيلات أخرى عن ذلك . راجع/ ١٩٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢ . (١٠) في ظلال القرآن ١/٧٩ .
(١١) الآسن : أي : الآجن ، وهو : الماء المتغير الطعم واللون . انظر: القاموس المحيط/١٥١٦، ١٥١٧ . (١٢) ورد تفصيل عن ذلك . راجع/ ٢٥١ .
(١٣) سائمة : مرسلة . أنظر : مختار الصحاح / ٣٢٢ .
(١٤) المحرر ١/٣١٩ .

وسواء أكانَ المرادُ من بابِ المعصيةِ ، أم من بابِ الكفرِ ، فالجامعُ في الحالتينِ هو بابُ الفسقِ والفجورِ ، والأذى الشديدِ لنبي اللهِ موسى - عليه السلام - .

والحديثُ التالي يُوضحُ شدةَ أذيتِهم لنبيهِم - عليه السلام - .

عن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ : فَأَعْطَى الأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ* مِائَةً مِنَ الإِبِلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ** مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ (١) . ثُمَّ قَالَ : (فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ. قَالَ: قُلْتُ : لَا جَرَمَ(٢) لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا)(٣) .

---

(١) كالصرف : هو: الخالص من كل شيء . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٤ . (٢) لاجرم : تستخدم بمعنى : تحقيق الشيء ، وقد اختلف في تقديرها الى أقوال وهي : لابد ، حقا ، كسب ، وجب وحق . أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٦٣ . (٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الزكاة) باب : (إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ...) ٣/١٠٩ .

* الأقرع بن حابس : هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. صحابي شهد فتح مكة وحنينا وحضر الطائف . شهد مع خالد بن الوليد حرب العراق وشهد معه فتح الأنبار ، وكان شريفا في الإسلام وفي الجاهلية . أستشهد بالجوزجان سنة ٣١ هـ . أنظر : الأعلام للزركلي ٢/٥ ط: ٦ .

** عيينة : هو : عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان الفزاري، يكنى: أبا مالك . أسلم بعد الفتح ، وقيل : قبل الفتح . شهد الفتح مسلما ، وشهد حنينا أو الطائف أيضا . وكان من المؤلفة قلوبهم . ارتد بعد ذلك وتبع طليحة الأسدي ، وقاتل معه حتى أسر ، وحمل إلى أبي بكر ، فأسلم فأطلق سراحه . تزوج عثمان بن عفان ابنته . أنظر : أسد الغابة ٤/٣٣١ رقم (٤١٦٠).

(المطلـــــب الثالـــــث)

(ذبحهـــم البقـــرة ونتيجـــة ذلـــــك)

بعد أن تلكأ اليهود في ذبح البقرة ، وبعد أن ضربوا المثـــل الأسوأ في التعنت ، وبعد أن شددوا على أنفسهم ، وجدوا البقرة المقصودة بشـــق الأنفس ، فعمدوا إلى ذبحها بعد تردد ، وضربوا ببعضها جثة القتيـــل، فحيي بإذن الله وأخبر عن قاتله ، مظهرا بذلك الحق الذي اختلفوا فيـــه اختلافا عظيما .

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : ذبحهم البقرة بعد ترددهم :

يفيد سياق الآيات أنهم عثروا على البقرة المطلوبة ، وقاموا بذبحها بعد تردد ، وذلك قوله : ((... فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)) (١).

أي : فذبح قوم موسى البقرة ذات الأوصاف المميزة ، وقاربوا أن يدعوا ذبحها ، ويضيعوا فرض الله عليهم في ذلك(٢) .

قوله : (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) : إخبار عن تثبطهم في ذبح البقرة ، و وقلة مبادرتهم إلى أمر الله ـ تعالى ـ (٣) .

وقد اختلف العلماء في سبب تثبطهم في ذبح البقرة ، إلى أقوال ، وتفصيلها كما يلي :

١- ما كادوا يفعلون الذبح لغلاء ثمن البقرة (٤).
٢- ما كادوا يفعلون الذبح خوفا على أنفسهم من الفضيحة (٥).
٣- ما كادوا يفعلون الذبح لأن غرضهم كان التعنت فحسب(٦).
٤- " (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) : إستثقال لإستقصائهم واستبطاء لهم وإنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كـــادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم (٧) فيها وتعمقهم" (٨).

والذي أميل إليه هو القول الرابع ، لما يحمل من الإستدلال . وأمـــا القول الأول ففيه نظر ، لأن كثرة الثمن لم يثبت إلا من الإسرائيليات (٩).

وأما القول الثاني ففيه نظر ، لأن سياق الآيات يدل على أنهم كانوا يرغبون في معرفة القاتل إلا أنهـــم وقعوا في التعنت ، ولأنه قـــــول لا دليل عليـــه .

---

(١) البقرة / ٧١ .
(٢) أنظر : جامع البيان ١/٣٥٤ ط٢ والجامـــع لأحكام القرآن ١/٤٥٥ ط ٣ .
(٣) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٤٥٥ ط٣ والمحرر ١/٣١٩ .
(٤) أنظر: زاد المسير ١/٩٩ وجامع البيان ١/٣٩٤ ط٢.
(٥) أنظر : زاد المسير ١/٩٩ وجامع البيان ٢/٢٢١ ط
(٦) أنظر : تفسير القرآن العظيم ١/١١١ .
(٧) إسهابهم : من أسهب ، أي : أكثر الكلام . أنظر : مختار الصحاح /٣١٨ .
(٨) الكشاف ١/٢٨٨ .
(٩) أنظر : تفسير القرآن العظيم ١/١١١ .

وأما القول الثالث ففيه نظر ، لأن بحثهم عن البقرة ، وعثورهم عليها ، وذبحها دليل واضح على أنهم أرادوا معرفة القاتل . وإلا كان بإمكانهم أن يسيروا في تعنتهم إلى مالا نهاية .

الآية الكريمة - تدل على امتثالهم لأمر الله : (فَذَبَحُوهَا) ، وإن جاء هذا الإمتثال بعد تلكؤ طويل ، وتعنت مرير[١] كانوا في غنى عنه[٢] ، وهذا يشير إلى أن القوم لا زال فيهم بقية من خير ، وبقية من إيمان ، و وبقية من دين .

ولذلك كان تفضيلهم على عالمي زمانهم كما قال تعالى : ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)) [٣] .

كما أن الآية - الكريمة - تدل على عقم[٤] منهج التعنت والتعمق والمغالاة : (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) . إذ أن هذا المنهج قد لا يوصل إلى نتيجة ، وغالبا ما يوصل إلى طريق مسدود[٥] .

ثانيا : نتيجة ذبحهم البقرة :

وذلك قوله : ((فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) [٦] .

أي فقلنا لبني إسرائيل اضربوا القتيل ببعض البقرة - ففعلوا ذلك فحيي الميت - فكذلك - كما أحيا الله هذا بعد موته - يحيي كل من مات ويريكم علاماته وقدرته كي تعقلوا - فتمتنعوا عن عصيانه -[٧] .

وقد اختلف العلماء في تعيين البعض المراد بقوله (اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) فقيل : هو العظم الذي يلي الغضروف[٨] ، وقيل الفخذ ، وقيل اللسان ، وقيل البضعة التي بين الكتفين ، وقيل الذنب ، وقيل عجب الذنب[٩] [١٠] .

ويبدو من ظاهر الآية أن الله - تعالى - أمرهم أن يضربوا القتيل ببعض البقرة دون تحديد لهذا البعض - كقوله سابقا : ((... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...)) [١١] أي : أي بقرة - ، ويبدو أن بني إسرائيل قد فطنوا[١٢] - هنا - لخطأهم الأول - عندما تعنتوا وسألوا : (مَا هِيَ

(١) مرير : أي : قوي وشديد . انظر : القاموس المحيط /٦١٠ ومختار الصحاح /٦٢١ .
(٢) سبقت تفصيلات اخرى عن ذلك . راجع /٢٣٢، ٢٦٦ .
(٣) البقرة /٤٧ (٤) عقم : من عقيم ، يقال : عقل عقيم : لا خير فيه ولا ثمر منه . انظر : المعجم الوسيط ٦٢٣/٢ . (٥) سبقت تفاصيل عن ذلك راجع /٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ . (٦) البقرة /٧٣ .
(٧) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٤٥٧/١، ٤٦٢ ط٣ . والبحر المحيط ٢٦١/١ .
(٨) الغضروف : هو : الغرضوف وهو : كل عظم رخص يؤكل ، وهو مارن الأنف ونعض الكتف وروؤس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل قوف الأذن . انظر القاموس المحيط/١٠٨٦، ١٠٨٧ . (٩) عجب الذنب : هو : العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز ، وهو : العسيب من الدواب . انظر القاموس المحيط /١١٠، ١٤٤٠ .
(١٠) انظر : جامع البيان ٣٥٩/١ وما بعدها ط: ٢ . وزاد المسير ١٠٢/١ . وتفسير القرآن العظيم ١١٢/١ . والدر المنثور ٧٩/١ . (١١) البقرة /٦٧ .
(١٢) فطنوا : من فطن للشيء يفطن ، والفطنة : كالفهم . أنظر : مختار الصحاح /٥٠٧ . والنهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٤/٣ .

و(مَا لَوْنُهَا) و (مَا هِيَ) - فلم يقعوا فيه ثانية - إذ لم يسألوا عن هذا البعض - بل عمدوا إلى أي بعض منها وضربوا به الميت . والله أعلم.

ومما يعضد ما ذهبنا إليه قول أبي حيان : " الظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأي بعض كان "(١) .

ومثل هذه القضايا والمسائل لا يجدي الخوض فيها فائدة دينية أو دنيوية، ولذلك وقع إخفاؤها في القرآن . وقد أشار القاسمي إلى ذلك في هذا المقام فقال : " كما أن البعض من البقرة لم يجيء من طريق صحيح عن معصوم(٢) بيانه . فنحن نبهمه كما أبهمه الله - تعالى - ، إذ ليس في تعيينه لنا فائدة دينية ولا دنيوية "(٣) .

والآية الكريم توحي بسؤال مهم ، وهو : لماذا لم يخبرهم موسى عن القاتل بطريق الوحي بدلا من البقرة وذبحها وضرب الميت ببعضها ؟

يبدو أن اخبارهم مباشرة قد يؤدي إلى تكذيبهم نبيهم ، وهذا ليس بغريب عليهم ، إذ ان موسى - عليه السلام - بمجرد أن قال لهم كما ذكر القرآن : ((... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...)) (٤)، قالوا له كما ذكر القرآن : ((... أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ...)) (٥).

ولعل من الحكمة أن الله - سبحانه - أراد أن يريهم شيئا ماديا محسوسا ،وهم أكثر الشعوب مادية ،حتى في دينهم(٦) .

فهم الذين قالوا كما ذكر القرآن : ((... يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ...)) (٧) .

وإضافة إلى ذلك ، فقد كانت حكمة الله تتجلى(٨) في نزع ذلك الحب الخبيث من قلوبهم لعفصيل البقر والعجاجيل كما قال -تعالى-:((... وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...)) (٩) .

والآية الكريمة تدل على ظهور الحق ولو بعد حين - هذا في الغالب - وإن لم يظهر في الدنيا فإنه لا يضيع في الآخرة .

وقد حذرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من التعدي على حقوق الآخرين في أحاديث كثيرة ، ومن ذلك قوله : " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ

---

(١)البحر المحيط١/٢٦٠ (٢)نبهمه : من أبهم ،يقال : أبهم الباب إذا أغلقه، والمراد هنا : الإخفاء. انظر: القاموس المحيط /١٣٩٨ . ومختار الصحاح/ ٦٨ .
(٣)محاسن التأويل ٢/١٥٨٠ (٤)البقرة /٦٧. (٥)البقرة /٦٧ .
(٦)لقد سبق الحديث عن مادية يهود . راجع/٢٥٢ .
(٧)البقرة /٥٥٠ (٨)تتجلى : تتكشف وتتضح. انظر: مختار الصحاح/١٠٨.
(٩)البقرة /٩٣.

رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ...)الحديث (١) .

والآية الكريمة تلقي الضوء على قدرة الله العظيمة الخارقة في إحياء الموتى (٢) . وإحياء الله الموتى آية عظيمة لله ، جعلها لعيسى كما قال : ((...وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ...)) (٣)، وأراها لإبراهيم كما ذكر القرآن : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ...)) (٤) الآية . ، وأراها لصاحب القرية كما قال : ((... وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا (٥) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٦)، وأراها لموسى وقومه - هنا - .

ومن المعلوم أن إحياء الموتى صفة خاصة بالله-تعالى-لا تكون لغيره ويلقي صاحب الظلال الضوء على قدرة الله في إحياء ميت بني إسرائيل فيقول " وبضعة من جسد ذبيح ترد بها الحياة إلى جسد قتيل . وما في هذه البضعة حياة ولا قدرة على الإحياء .. إنما هي مجرد وسيلة ظاهرة تكشف لهم عن قدرة الله ، التي لا يعرف البشر كيف تعمل . فهم يشاهدون آثارها ولا يدركون كنهها ولا طريقتها في العمل ...)" (٧) .

***

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : (الحج) باب: (الخطبة في أيام منى) ١٩١/٢ .
(٢) سبق الحديث عن قدرة الله في إظهار الغيب . راجع/٢٥٧، ٢٥٨ .
(٣) المائدة / ١١٠ . (٤) البقرة /٢٦٠ . (٥) ننشزها : أي : نرفع عظامها إلى مواضعها ونركب بعضها على بعض . انظر : مختار الصحاح /٦٦٠ .
(٦) البقرة /٢٥٩ . (٧) في ظلال القرآن ٨٠/١ .

(المبحث الثالث)

(بنو إسرائيل ودخول الأرض المقدسة)

لقد مكثَ بنو إسرائيلَ ما شاءَ اللهُ لهم أن يمكثوا بعد إنزالِ التوراةِ عليهم ، ثم جاءهم وَعدُ اللهِ الذي وَعدَهم إياهُ إبّان وجودِهم بمصرَ - وهو قولُه : ((... قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) (١) - والمتمثلُ في استخلافِهم بأرضِ الشامِ .

ولتحقيقِ هذا الإستخلاف كان عليهم أن يقاتلوا الجبارين الذين يقطنون تلك الأرض . إلا أن القوم تكشفوا عن جبن شديد يسكن قلوبهم ، فرفضوا قتال الجبارين ، وانتكصوا على أعقابهم ، وتعرضوا لربهم ، ومن ثم تعرضوا لدعاء موسى عليهم ، ولحكم الله عليهم بالتيه في الأرض أربعين سنة .

وتفصيل ذلك كما يلي :

(المطلب الأول)

(أمرهم بدخول الأرض المقدسة)

عمد موسى - عليه السلام - إلى تهيئة قومه وتوطئة نفوسهم لأمر الله بقتال الجبارين ، وذلك بتذكيرهم بنعم الله العظيمة عليهم ، ثم شرع في إصدار الأمر لهم بدخول الأرض المقدسة ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : تذكيرهم بنعم الله عليهم :

وذلك قوله : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ))(٢) .

أي : وإذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا أيادي الله عندكم وآلاءه قبلكم إذ جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحيه، ويخبرونكم بآياته الغيب ، وجعلكم ملوكا تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين للفراعنة ، وآتاكم من النعم والكرامات - كفلق البحر وإغراق الفراعنة وإنزال التوراة - ما لم يؤت أحدا من العالمين في زمانكم (٣).

وقد اختلف العلماء في المعنى المراد من قوله : (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا)إلى أقوال ، وتفصيلها كما يلي :

١- ذهب قوم إلى أن المراد : جعل لكم خدما من غيركم يخدمونكم، إضافة إلى البيت والمرأة (٤) .

٢- ذهب قوم إلى أن المراد : أن الله ملكهم بعد فرعون ملكه ، وبعد الجبابرة ملكهم ، وأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر أنبيائهم (٥).

---

(١) الأعراف /١٢٩. (٢) المائدة /٢٠ . (٣) أنظر: جامع البيان ١٦٨/٦ - ١٧١ ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٦ ، ١٢٥ ط٢ والكشاف ٦٠٣/١ وتفسير أبي السعود ١٧/٢ . (٤) أنظر: جامع البيان ١٦٨/٦ ط ٢ وتفسير القرآن العظيم ٣٦/٢. (٥) أنظر: الكشاف/ ٦٠٣ وتفسير النسفي ٢٧٨/١ وأنوار التنزيل ٣٣١/١ وفتح القدير ٢٧/٢ . ومراح لبيد ١٩٧/١.

٣- ذهب قوم إلى أن المراد : تملكون زمام أمركم بعد أن كنتم مملوكين للفراعنة مقهورين(١) .

والذي أميل إليه هو القول الأخير ، وذلك للأدلة الآتية :

١- إن الإختلاف في التعبير بين قوله : (جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ) وقوله : (جَعَلَكُمْ مُلُوكًا) واضح ، ويدل على أن منهم أنبياء ، بينما كلهم ملوك ، وكان بإمكانه أن يقول : وَجَعَلَ فِيكُمْ مُلُوكًا. وهذا يعني أن الملك هنا ليس المراد منه الحكم والإمارة والسلطان ، لأنه يستحيل عقلا أن يكون الناس جميعا ملوكا وأمراء .

٢- إن قوله : (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) جاء في معرض الحديث عن أعظم النعم التي حصلوا عليها ، ولا نعمة تفسر مراد الملك من نعمة تحررهم من عبودية الفراعنة وتسخيرهم وقهرهم وانقلابهم إلى أحرار أسياد ، يملكون زمام أنفسهم . ومن المعلوم أن المملوك هو الذي لا يملك شيئا في الدنيا ، حتى نفسه وجسده مملوكين لغيره !

أما ما ذهب إليه أصحاب القول الأول ففيه نظر : لأن الذي ذكروه لا يعتبر ميزة لبني إسرائيل ، إذ كانت الأمم الأخرى - كالفراعنة - تتمتع بهذا ، إضافة إلى أن هذا القول داخل في القول الثالث من جهة أخرى .

أما ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ففيه نظر : لأن الذي ذكروه لم يكن قد حصل بعد ، بينما موسى كان يذكرهم بنعم قد أحلت بهم وشاهدوها وذاقوا حلاوتها .

ومن المعلوم أن فعل : (اذْكُرُوا) يدل على تذكيرهم بأشياء قد حدثت في الماضي ، والمراد استحضار ذلك من عالم النسيان إلى عالم الذاكرة لأهداف معينة .

ومما يعضد ما ذهبنا إليه قول صاحب سيكولوجية القصة في القرآن* " ولم يقل القرآن : وجعل فيكم ملوكا . لأن معنى الملك هنا أن يكون المرء حرا مالكا لزمام أمره . وفيه تنويه بنعمة الحرية "(٢) .

قوله : (يَاقَوْمِ) ، حيث نسبهم إلى نفسه - وهو النبي وهم العصاة - يدل على ترغيبهم ، واستجلاب (٣) قلوبهم ، وتحريك مشاعرهم للإستماع والإستجابة . وهذا يمثل أسلوب اللين(٤) والترغيب في الدعوة ، وفيه يظهر حرص النبي وحدبه (٥) الشديد على مصلحة قومه ، إذ أنه يعلم ما لا يعلمون .

وقد استخدم الأنبياء هذا الأسلوب بشكل واسع ؛ وردت أمثلة كثيرة منه في القرآن الكريم . ومن ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢٤ ط٢ ومحاسن التأويل ٦/١٩٣٣.
(٢) سيكولوجية القصة في القرآن /٢١٠ . (٣) استجلاب : أي : سوقها الى الحق أو طلبها إليه . انظر القاموس المحيط/٨٧٠ ومختار الصحاح/١٠٦، ١٠٧.
(٤) سبق الحديث مفصلا عن ذلك. راجع/ ٥٤، ٥٥ .
(٥) حدبه : أي :رأفته . يقال: حدبت المرأة على ولدها، إذا امتنعت عن الزواج بعد أبيه رأفة به . فهو: حدب . أنظر : المعجم الوسيط ١/١٥٩ .
* صاحب سيكولوجية القصة في القرآن : هو :التهامي نقرة . كاتب وباحث معاصر .

كانَ يَدعو قومَه ويَحرصُ على هداهم حتى كادت نفسُه تتقطعُ عليهم حسراتٍ كما قال-تعالى-: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ(١) نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)) (٢) - أي : لعلك مهلك نفسك بعد توليهم عنك إن لم يُؤمنوا بهذا القرآن غيظاً وحُزناً منكَ لحرصِك على إيمانِهم (٣) .

والآيةُ الكريمةُ تشيرُ إلى أسلوب التمهيد والتوطئة للنفوس قبل عرض التكاليف الشرعية عليها ، وذلك بتذكيرها بنعم الله عليها ، ووجوب الطاعة لله، مع البعد عن الأسلوب المباشر - خاصة مع القلوب القاسية الضعيفة الإيمان - الذي قد يُؤدي إلى الصَدّ عن سبيل الله .

وتذكيرُ الناس بنعم الله العظيمة عليهم يُذكرهم بماضيهم قبل هذه النعم ، كما يُذكرهم بفضل الله عليهم وبحقه عليهم في عبادته وطاعته ، كما يوطئ نفوسَهم ويُعينها على قبول الحقّ ، ولذلك استخدمَ الأنبياءُ - عليهم السلام - هذا الأسلوبَ بصورة كبيرة .

ومن ذلك قول هود لقومه-عاد - كماذكرالقرآن: ((... وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً (٤) فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٥) ، وقول صالح لقومه - ثمود - كما ذكر القرآن : ((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ (٦) فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا (٧) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (٨) ، وقول شعيب لقومه - مدين - كما ذكر القرآن :((...وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) (٩) .

وقد استخدم هذا الأسلوب في القرآن مع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))(١٠) ، وقوله : ((...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (١١) .

وقد استخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الأسلوب كثيرا في دعوته ، ومن ذلك قوله : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ (١٢) ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ (١٣) لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا (١٤)) (١٥) ، وقوله : (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا (١٦) نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) (١٧)، وقوله : (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ) (١٨) (١٩).

---

(١) باخع : من بخع ،والبخع: قتل النفس غما . انظر: المفردات في غريب القرآن/٣٨ .
(٢) الكهف /٦ . (٣) انظر: تفسير الجلالين/٣٨٨. (٤) بصطة :وتقرأ بسطة :وهي: السعة . انظر: المفردات في غريب القرآن /٤٦. ومختار الصحاح/٥٢. (٥) الأعراف/٦٩.
(٦) بوأكم :المراد هيأ لكم ، أو: سوى لكم . انظر: المفردات في غريب القرآن/٦٩.
(٧) لا تعثوا : أي: لا تفسدوا . انظر: المفردات في غريب القرآن/٣٢٢. (٨) الأعراف /٧٤.
(٩) الأعراف /٨٦ . (١٠) الأنفال /٢٦. (١١) آل عمران /١٠٣. (١٢) سربه : بكسر السين : نفسه ، وبفتحها : طريقه . انظر : النهاية في غريب الحديث و الأثر٢/٣٥٦.
(١٣) حيزت : أي: ضمت وجمعت . انظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر ١/٤٥٩.
(١٤) بحذافيرها: " الحذافير : الجوانب . وقيل: الأعالي ، واحدها: حذفار ،وقيل حذفور : أي : فكأنما أعطي الدنيا بأسرها" . النهاية في غريب الحديث و الأثر ١/٣٥٦ . (١٥) أخرجه الترمذي في"الجامع الصحيح "وقال : حديث حسن غريب . باب :(.....) ٤/٥٧٤ رقم (٢٣٤٦).
(١٦) لا تزدروا: من زرأ ، والإزدراء : الإحتقار و الإنتقاص والعيب . انظر : النهاية في غريب الحديث و الأثر ٢/٣٠٢ . (١٧) أخرجه مسلم في صحيحه .كتاب(الزهد والرقائق)باب(لايوجد) ٨/٢١٣ . (١٨) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب: (الرقاق) باب : (لينظر إلى من هو أسفل)٧/١٨٧. (١٩)سبقت الإشارة إلى ضرورة التذكير بنعم الله . راجع /٢٠٢ .

ثانيا: أمرهم بدخول الأرض المقدسة :

وذلك قوله : ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) (١) .

أي : قال موسى لقومه : ياقوم ادخلوا الأرض المطهرة المباركة التي أثبت الله في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن ومنازل ، ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين جبنا وهلعا (٢) ، فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (٣).

وقد اختلف المفسرون في الأرض التي عناها بقوله :(ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) إلى أقوال . فقيل إنها الطور وما حوله ، وقيل الشام، وقيل أريحاء* ، وقيل إنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل البيت المقدس ، وقيل فلسطين (٤) .

والمقطوع به أن هذه الأرض لا تخرج مما بين الفرات وعريش مصر، على أن مركزها بيت المقدس بفلسطين . ذلك أن بيت المقدس يعتبر أقدس مكان في الشام لوجود المسجد الأقصى - أولى القبلتين وثالث الحرمين - فيه ، ولأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسري به من مكة إليه وعرج به منه إلى السماء ، كما أنه صلى بالإنبياء إماما فيه ، إضافة إلى أنه مكان مقدس عند اليهود والنصارى .

وفي ذلك يقول الله - تعالى - :((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى (٥) بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (٦) . وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال :(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ ، قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ، قَالَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ...) الحديث(٧) .

ومما يعضد ما ذهبنا إليه قول ابن جرير الطبري :"... القول في ذلك بأنها أرض دون أرض ، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به ، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات ، وعريش مصر ، لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك ..." (٨).

وأما الذين ذهبوا إلى أن المقصود بها هو أريحاء أو الطور وما حوله أو بيت المقدس أو فلسطين فقط ففيه نظر : لأنه لا يعقل أن يعد الله - عز وجل - المؤمنين بقطعة صغيرة من الأرض كأريحاء أو بيت المقدس . والتاريخ يثبت أن اليهود ملكوا بعد ذلك معظم الشام خاصة في عهد داود وسليمان - عليهما السلام - (٩) .

---

(١) المائدة / ٢١. (٢) هلعا : من هلع ،والهلع : أفحش الجزع الذي يكاد ينخلع قلب صاحبه . أنظر: مختار الصحاح/٦٩٧. (٣) انظر : جامع البيان ٦/ ١٧١-١٧٣ ط: ٢. والكشاف ١/ ٦٠٣، ٦٠٤ . وتفسير النسفي ١/ ٢٧٨ . وفتح القدير ٢/ ٢٧ .

(٤) انظر : جامع البيان ٦/ ١٧١، ١٧٢ ط٣. والكشاف ١/ ٦٠٣. وتفسير النسفي ١/ ٢٧٨. والتفسير الكبير ١٢/ ١٩٧. وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٧ . والدر المنثور ٢/ ٢٧٠. وتفسير الجلالين / ٩١ . وأنوار التنزيل ١/ ٣٣١ .وفتح القدير ٢/ ٢٧. وتفسير أبي السعود ٢/ ١٧. والتفسير الواضح ٦/ ٤٧ . (٥) أسرى : من السُّرَى : سير الليل، أو من السَّرَاة : الأرض الواسعة والمعنى: أي ذهب في سراة من الأرض. اختلاف قولين. انظر: المفردات في غريب القرآن/ ٢٣١. (٦) الإسراء/ ١. (٧) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب(المساجد ومواضع الصلاة) ٢/ ٦٣. (٨) جامع البيان ٦/ ١٧٢ ط٣. (٩) أنظر: التمهيد/ ١٥ وما بعدها .

* أريحاء: بفتح الألف ، وكسر الراء، وتسكين الياء، والحاء مهملة . واللغظة عبرانية . وهي : مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام . وهي على طريق بيت المقدس من جهة الشرق وحولها جبال صعبة المسلك . قيل : سميت بذلك نسبة إلى أريحاء بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح . أنظر: معجم البلدان ١/ ١٦٥. ومراصد الإطلاع ١٠/ ٦٣ .

قوله: (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) فيه وجوه : " أحدها : كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم . وثانيها : وهبها لكم ، وثالثها : أمركم بدخولها "(١) .

والآية الكريمة تدل على المحافظة والإستمرار على أسلوب اللين في الدعوة ما دام مجديا(٢) في ذلك ، فموسى خاطبهم للمرة الثانية بقوله : (يَا قَوْمِ)(٣) .

والآية الكريمة تبين - لنا - أن موسى - عليه السلام - استخدم مع قومه أسلوب الترغيب والترهيب في حضهم على قتال الجبارين . فقد رغبهم وذلك بتبشيرهم بنصر الله وغلبتهم عليهم : (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) ،ورهبهم وذلك بتحذيرهم من الإرتداد والجبن : (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ) الذي يفضي إلى الخسران المبين دنيا وآخرة : (فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ).

واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب ضرورة مهمة لابد منها في الصراع الإيماني ، لأن هذا الأسلوب الذي يتكون من شقين - ترغيب وترهيب - يخاطب النفس الإنسانية ويعالجها بما يناسبها . ذلك أن النفس البشرية مجبولة على حب الترغيب والتبشير ، ومجبولة على الخوف من الترهيب والتنفير فتبشيرها بالخير يدفعها إلى الإقدام على طاعة الله والإستزادة منها وترهيبها من الشر يدفعها إلى الإقلاع عنه والنفور منه .

وقد استخدم هذا الأسلوب في القرآن بشكل واسع . فمرة يذكر الترغيب والترهيب معا في آية واحدة ، مثل قوله : ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ(٤) وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ(٥) وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))(٦) ، ومرة يذكر الترغيب منفردا في آية ، مثل قوله :((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ))(٧) ، ومرة يذكر الترهيب منفردا في آية مثل قوله :((وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))(٨) .

والقول في السنة النبوية المطهرة كالقول في القرآن ، ومثال اجتماع الترغيب والترهيب قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ)(٩) ، ومثال انفراد الترغيب قوله : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ ، لَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ)(١٠) ، ومثال انفراد الترهيب قوله :(إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ(١١) ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا)(١٢) .

---

(١)التفسير الكبير ١٢/١٩٧. (٢)مجديا: أي : مغنيا. انظر: مختار الصحاح /٩٧. (٣)سبق الحديث مفصلا عن أسلوب اللين .راجع/٥٤، ٢٧٣، ٢٧٤ .
(٤)لايرهق: أي: لا يغشى بقوة. انظر: المفردات في غريب القرآن/٢٠٤.
(٥)قتر: هو : الدخان الساطع من الشواء. انظر:المفردات في غريب القرآن/٣٩٣.
(٦)يونس /٢٦. (٧)الزلزلة /٧ . (٨)الزلزلة /٨.
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب :(الرقاق)باب:(الجنة أقرب إلى أحدكم ...)٧/١٨٦، ١٨٧ . (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب : (صفة القيامة والجنة والنار) باب : (في صفة خيام الجنة...)٨/١٤٨ .
(١١)المرجل : هو : الإناء الذي يغلى فيه الماء ، حديدا كان أو صخرا أو حجارة أو خزفا . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٣١٥ .
(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (أهون أهل النار عذابا) ١/١٣٦ .

وحكمة الداعية الشاقية[1] في تقديره الأمور وفي علاجه الأمراض والمشكلات هي المعول[2] عليها بالدرجة الأولى في استخدام الترغيب والترهيب معا، أو في إفراد أحدهما ، وفي تعيين المناسب من هذا الأسلوب ، وفي اختيار الزمن المناسب له أيضا .

فموسى - عليه السلام - هنا رغبهم وبشرهم بوعد الله ونصره ، ورهبهم وحذرهم من مخالفته وعقابه ، مستخدما الترغيب والترهيب في آن واحد .

فهل هذا سينفع مع اليهود فيمتثلون أمر الله - سبحانه - بقتال الجبارين ، أم سيرتدون على أدبارهم خاسرين ؟

هذا ما سيوضحه - لنا - المطلب التالي .

---

(١)الشاقية : أي : المصيبة . انظر : المعجم الوسيط ٠٩٧/١

(٢)المعول : أي : المعتمد والمتكل . انظر المعجم الوسيط ٦٤٣/٢ .

(المطلب الثاني)

(رفضهم دخول الأرض المقدسة)

رفض اليهود دخول الأرض المقدسة وذلك لجبنهم المتميز في قتال الجبارين ، ولم ينتصحوا بنصيحة الرجلين الخائفين ، بل وأصروا على الرفض وتعرضوا لربهم بما يفسقهم ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : رفضهم الدخول :

وذلك واضح في قوله - تعالى - : ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)) (١) .

أي : قال بنو إسرائيل لنبيهم : يا موسى إن في الأرض المقدسة - التي تأمرنا بدخولها - قوما جبارين شديدي البطش لا طاقة لنا بحربهم ولا قوة لنا بهم ، وإنا لن ندخل الأرض المقدسة حتى يخرج منها أولئك الجبارون - قالوا ذلك خوفا وجزعا - فإن يخرج منها الجبارون فإنا داخلوها . (٢)

وقد اختلف المفسرون في المراد من قوله : (قَوْمًا جَبَّارِينَ) ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١- ذهب فريق إلى أن المراد : قوم جبارون طوال عظيمو الخلق أولو بأس شديد لا تصل أيدي قوم موسى إليهم ، وقال بعضهم : هم من بقايا قوم عاد . واستدلوا على ذلك بقول العرب : " نخلة جبارة " أي : نخلة طويلة لا تصلها الأيدي (٣) . ومن أصحاب هذا الرأي من استدل بروايات إسرائيلية هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الظن ، ومثال ذلك ما رواه الطبري بسنده " عن مجاهد في قول الله : ((اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)) (٤) : من كل سبط من بني إسرائيل رجل ، أرسلهم موسى إلى الجبارين ، فوجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم ، يلقونهم إلقاء ، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس بينهم في خشبة ، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة " (٥) .

٢- ذهب فريق آخر إلى أن المراد : قوم جبارون عتاة يجبرون الناس على ما يريدون ، وهم متعظمون ممتنعون من الذل والفقر (٦) .

والذي أميل إليه هو القول الثاني وذلك لما يلي :

---

(١) المائدة / ٢٢ . (٢) انظر: جامع البيان ٦/١٧٣، ١٧٥ ط ٢ . وتفسير النسفي ١/٢٧٨ . وتفسير أبي السعود ٢/١٧ . ومحاسن التأويل ٦/١٩٣٤ .

(٣) انظر : جامع البيان ٦/١٧٣ وما بعدها . ط ٢ . والجامع لأحكام القرآن ٦/١٢٦ ط ١ . والتفسير الكبير ٢ /١٩٨ . وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٨. وتفسير الجلالين /٩١ . والسراج المنير ١/٣٦٧. وفتح والقدير ٢/٢٧ .

(٤) المائدة /١٢. (٥) جامع البيان ٦/١٧٥ ط ٢ .

(٦) أنظر الكشاف ١/٦٠٤ . وتفسير النسفي ١/٢٧٨ . وأنوار التنزيل ١/٣٣١ . ومراح لبيد ١/١٩٨ . وتفسير أبي السعود ٢/١٧. وروح المعاني ٦/١٠٦. ومحاسن التأويل ٦/١٩٣٤. وتفسير المنار ٦/٣٣١ ط ٤ . والتفسير الواضح ٦/٤٧.

إنَّ كلمةَ (الجبار) في اللغةِ العربيةِ تُطلقُ على : اللهِ تعالى - لتكبره، وكلِّ عاتٍ، واسمِ الجوزاءِ ، وقلبٍ لا تدخله الرحمةُ ، والذي يقتلُ على الغضبِ، والقتّالِ في غيرِ حقٍ ، والعظيمِ القوي الطويلِ ، والنخلةِ الطويلةِ الفتيةِ، والمتكبرِ العاتي(١) .

فالمعنى الذي ذَهبَ إليهِ الفريقُ الثاني هو المعنى القريب القوي للآيةِ أكثر من غيرهِ عقلاً ونقلاً كما سيتضحُ من خلالِ الرد على أدلةِ الفريقِ الأولِ .

أما ما ذَهبَ إليهِ الفريقُ الأولُ ففيهِ نظرٌ لما يلي :

أ) إنَّ استنادَهم إلى المعنى اللغوي : " نخلة جبارة " لا تقومُ بهِ الحجةُ لأنه قياسٌ مع الفارقِ . ذلك أن الجبارَ في النخلِ ليسَ كالجبارِ في الإنسانِ ، إنما هو جبارٌ - طويل - قياساً على ما يماثله من جنسهِ - النخل - ، وكذلك الحالُ بالنسبةِ للإنسانِ . فالقول : بأنَّ القمرَ منيرٌ والسراجَ منيرٌ لا يعني أن نورَ السراجِ يُماثلُ نورَ القمرِ في القوةِ لوجودِ الجامعِ المشتركِ بينهما وهو لفظُ : " منير " . وكذلك الحال - هنا - بين النخلةِ والإنسانِ وصفة (جبار) - طويل - .

ب) إن استنادَهم إلى الآثارِ لا تقومُ به الحجةُ ، لأنها آثارٌ عن بعضِ التابعين ، وليست أحاديثَ صحيحةً عن الرسولِ المعصومِ - صلى الله عليه وسلم - ، والأرجحُ أنَّها إسرائيليات . ثم إن هذه الآثار تخالفُ نصوصاً صريحةً في الإسلامِ ،كقول رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - (... فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، فَلَمْ يَزَلْ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ)(٢) . فالحديثُ يدلُّ على أنَّ آدمَ - عليه السلام - كان طولُه ستينَ ذراعاً ، كما يَدلُّ على أن الخلقَ صارَ ينقصُ بعده ، بينما تلك الروايات تدل على أن الجبارينَ كانوا أطولَ بكثيرٍ من ستينَ ذراعٍ ، كما تدل على أن الخلقَ كان ينقصُ في أقوامٍ دون آخرينَ ؛ فالنقصُ كان في الفراعنةِ وبني إسرائيل وغيرهما من دون الجبارين .

وإذا كان الجبارون بتلك الأوصافِ فلماذا لم يطغوا على مصرَ فرعونَ ويسيطروا عليها - وهم بمقدورهم فعل ذلك بأدنى التكاليف - ذلك أن من سننِ الحياةِ أن الظلمةَ الأقوياءَ يَسلبُون الضعفاءَ حقوقَهم إذا وَجَدُوا إلى ذلك سبيلاً .

ويبدو أن الجبارينَ لو كانوا ضِخاماً وطوالاً كما وصفت تلك الرواياتُ لكان لليهود عذرٌ عند اللهِ في تخلفِهم عن قتالِهم ، ولو لم يكن لهم عذرٌ عند اللهِ لكان - على الأقل - عذابُهم أخفَّ بكثيرٍ من ذلك العذابِ الذي حَكَمَ اللهُ به عليهم وهو : التيهُ أربعين سنةً .

ذلك أن العقابَ يكونُ حسبَ الجرمِ المقترفِ في شدتهِ وخفتهِ .

---

(١) انظر القاموس المحيط / ٤٦٠ . ومختار الصحاح /٩١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب: (يدخل الجنة أقوام ...) ١٤٩/٨ .

ومما يُعضدُ ما ذهبنا إليهِ قولُ ابن كثيرٍ: " وقد ذكرَ كثيرٌ منَ المفسرينَ ههنا أخباراً من وضعِ بني إسرائيل في عظمةِ خلقِ هؤلاءِ الجبارين وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم - عليه السلام - وأنه كان طولُه ثلاثةَ آلافِ ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع ...وهذا شيءٌ يُستحى من ذكره ..."(١) ، وقول الشوكاني: " وَمَا أحق من لا تمييزَ عنده لفن الروايةِ ولا معرفة به أنْ يدعَ التعرضَ لتفسيرِ كتابِ اللهِ ، ويَضعَ هذه الحماقاتِ والاضحوكاتِ في المواضعِ المناسبةِ لها من كتبِ القصاص"(٢) ، وقول الألوسي : " ... وهي عندي كأخبار عوج بن عنق،وهي حديث خرافة (٣)"(٤).

قولهم : (يَا مُوسَى) يَدلُّ على استمرارِهم على باطلِهم المتمثلِ في عدمِ احترامِ نبيهمِ - عليه السلام - وتوقيرِه .

والآية الكريمةُ تشيرُ إلى الجبنِ المتميزِ الذي تتصفُ به يهودُ ، إذ كيف يتأتى لهذه الصفوةِ المؤمنةِ المفضلةِ على العالمينَ أن تَحجمَ عن قتالِ الجبارين وتنكصَ على أعقابِها ، مع أن نبيَّها بينَ ظهرانيها يُقاتلُ معها إضافةً إلى أن بشرى الله لهم بالنصرِ ، ووعدَه لهم بسكنى الأرض المقدسة ووراثتها تَحفُّهم.

ويلقي صاحب* التفسيرِ الواضحِ الضوءَ على سببِ إحجامِهم ذاك بقولِه: " ولا غرابةَ في إحجامِهم عن الدخولِ فيها وقتالِ الجبارين ، فكل قوم تربوا في أحضانِ الذلِّ والإستعمارِ يألفونَه ، ولا يألفونَ الحريةَ والكرامةَ ولذلك قالوا معتذرين : لن ندخلَها أبداً حتى يَخرجوا منها فإنَّا داخِلُون !! "(٥).

والجبنُ صفةٌ مميزةٌ ومتأصلةٌ في يهودَ لا تنفكُّ عنهم ، وذلك لنشأتِهم المرة تلو المرة في أحضانِ الذلِّ والهوان ، إضافةً إلى حرصِهم الشديد على الحياةِ، كما قال تعالى: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ...)) (٦)،ولكرههم الشديدِ للموت كما قال تعالى: ((... فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (٧)، وكل ذلك نَتَجَ عن زيغانِهم المستمرِ عن الحقِّ بعد أن عرفوه كما قال - تعالى -: ((... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) (٨).

وقد بيَّن - لنا - اللهُ - سبحانه - جبنَ يهود المتأصلَ فيهم بقوله : ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)) (٩).

وإنه لمن الغريبِ أن يسيطرَ هؤلاءِ الجبناءُ على الأرضِ الإسلاميةِ المقدسةِ - فلسطين - رغمَ اتصافِهم بهذا الجبنِ المتميزِ الذي لمْ ولنْ ينفكَ عنهم لقولِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ

---

(١)تفسير القرآن العظيم ٠٣٨/٢ (٢)فتح القدير ٠٢٧/٢ .
(٣)حديث خرافة : نسبة إلى رجل من عُذْرَةَ اسمه خُرَافَةَ استهوته الجن ، فكان يحدث بما رأي فكذبوه وقالوا : " حديث خرافة " ، أو : هي : حديث مستملح كذب . أنظر : القاموس المحيط /١٠٣٨ . (٤) روح المعاني ٠١٠٦/٦
(٥)التفسير الواضح ٠٤٧/٦ (٦) البقرة /٠٩٦ (٧)البقرة /٠٩٤
(٨)الصف /٠٥ (٩)الحشر /٠١٤

* صاحب التفسير الواضح : هو : الدكتور محمود محمد حجازي . كاتب ومفسر معاصر .

الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِي مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ: هذا يَهُودِي خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ (١) فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) (٢).

-والشاهد : اختباؤهم وراءَ الحجرِ والشجرِ لجبنِهم -، ورغمَ وجودِ الأمةِ المحمديةِ التي قال الله فيها : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...)) (٣) .

والآيةُ الكريمةُ تشيرُ - أيضا - إلى تَطفلِ (٤) يهود على موائدِ النصرِ، وهذا يُلقي الضوءَ على طبيعتِهم الميالةِ إلى تحصيلِ الأشياءِ دون تعبٍ وجهدٍ.

وهذا مخالفٌ لسنةِ اللهِ في خلقِهِ في أنَّ النصرَ إنما يكونُ مع الأخذِ بالأسبابِ كاملةً ، وبذلِ الجهدِ والعرقِ والدمِ بعدَ التوكلِ عليهِ - سبحانه - !

وفي ذلك يقول صاحب الظلال : " ... فهم يُريدونه نصراً رخيصاً ، لا ثمنَ له ، ولا جهدَ فيه. نصراً مريحاً يَتنزلُ عليهم تنزلَ المنِّ (٥) والسلوى (٦) ... ولكن تكاليفَ النصرِ ليست هكذا كما تُريدها يهودُ ! وهي فارغةُ القلوبِ والإيمانِ" (٧)

وحبُّ اليهود جني الثمارِ بدون جهدٍ بالحق وبالباطل متأصلٌ في نفوسِهم على مرِّ الأزمانِ ، لقولِ اللهِ - تعالى - : ((... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ (٨) سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (٩).

وهذا يُظهر - لنا - حُبَّ اليهودِ الشديدِ للربا واستحلالِهم له - كما هو مشاهد من سيطرتهم على كثير من البنوك العالمية - وحبَّهم الشديدَ في غصبِ أموالِ الآخرين وديارِهم وممتلكاتِهم - كما هو مشاهد في فلسطين الآن - .

ثانيا : إصرارهم على الرفض :

أمامَ هذا الجبنِ والتخاذلِ انتدبَ (١٠) مؤمنان يخافان اللهَ وأخذا ينصحان القومَ ، إلا أنهم - اليهود - أصروا على الرفضِ، بل وتَعَرضوا لربِّهم بسوءِ أدبِهم ، وتفصيلُ ذلك كما يلي :

أ) نصيحة الرجلين الخائفين :

وذلك قولُه : ((قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مُؤْمِنِينَ)) (١١) .

---

(١) الغرقد : جمع غرقدة ، وهو : ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٦٢. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب: (الجهاد والسير) باب : (قتال اليهود) ٣/٢٣٢. وأخرجه مسلم في صحيحه . كتاب (الفتن وأشراط الساعة) باب : (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ...) ٨/١٨٨. (٣) آل عمران/١١٠ .

(٤) تطفل : أي: صار طُفَيْلِيّاً ، والطُّفَيْلِيُّ هو : الذي يغشى الولائم والأعراس والمجالس ونحوها من غير أن يدعى إليها ، وهو منسوب إلى طفيل الكوفي الذي كان يفعل ذلك . انظر: المعجم الوسيط ٢/٥٦٦. (٥) المن : يقال : هو الطَّرَنْجَبِين. انظر: تفسير غريب القرآن /٤٩ . (٦) السلوى : طائر يشبه السُّماني لا واحد له . انظر: تفسير غريب القرآن /٥٠ . (٧) في ظلال القرآن ٢/٨٧. (٨) الأميين: من الأمية ، وهي : الغفلة والجهالة وقلة المعرفة . انظر: المفردات في غريب القرآن/٢٣.

(٩) آل عمران/٧٥ ... (١٠) انتدب

أي : قال رجلان من الذين يخافون اللهَ ويراقبونه في أمرهِ ونهيهِ أنعمَ اللهُ عليهما بطاعتهِ وطاعةِ نبيهِ : ادخلوا أيها القوم بابَ مدينةِ الجبارين ، فان فعلتُم ذلك غلبتموهم ، وتوكلوا على الله إن كنتم مصدقينَ بوعدهِ بالظفرِ والغلبةِ(١) .

وقد ذهب غالبُ المفسرين إلى أن هذين الرجلين هما يُوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا(٢).

قوله : (أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) ، أي: " بالتثبتِ وربطِ الجأشِ(٣) والوقوفِ على شؤونهِ - تعالى - والثقةِ بوعدهِ أو بالإيمانِ ..."(٤) .

وقد علمَ الرجلانُ أنهم غالبون إن قاتلوهم : من جهةِ إخبارِ موسى بذلك : (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) ، أو من غلبةِ الظنِّ من عادةِ اللهِ في نصرِ رسلهِ كما صَنعَ لموسى من المعجزاتِ التي قَهرت أعداءَه ، أو كانا قد علما أن الجبارين جبناء .

والآيةُ الكريمةُ تشيرُ إلى أهميةِ النصيحةِ بينَ المسلمينَ وضرورةِ انتشارها في المجتمعِ الإسلامي لاسيما في أيامِ الكربِ والشدائدِ . ومجتمعٌ لا يُتناصحُ فيه مجتمعٌ مهددٌ بالخرابِ وانتشارِ الفسادِ فيه .

ومما يدلل على هذا ما روي عن أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِي - رضي الله عنه - أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)(٥)(٦).

والآيةُ الكريمةُ توضحُ أهميةَ الإيمانِ الصادقِ القوي باللهِ ودورهِ في قيادةِ النفسِ البشريةِ لاقتحامِ الصعابِ والشدائدِ واستصغارِها مهما بدت مهلكةً ومبئسةً . والسرُّ في ذلك أن الإيمانَ يُمثلُ رأسَ الأمرِ كلهِ ، فبه يكون كل شيءٍ ، وبدونه لا يكونُ شيءٌ ، وذلك لقوله - تعالى - : ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائكة ...)) (٧) ، ولما رُوي عن سفيان بن عبدالله الثقفي * قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لي في الإسلام قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ قَالَ : (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)(٨) .

ويُلقي صاحبُ الظلالِ الضوءَ على أهميةِ الإيمانِ وقيمتهِ من خلالِ الآيةِ الكريمةِ فيقول : " هنا تبرزُ قيمةُ الإيمانِ باللهِ،والخوفِ منه .. فهذان رجلان من الذين يخافون اللهَ ، يُنشيءُ لهما الخوفُ من اللهِ استهانةً بالجبارين ! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمةِ الإيمانِ في ساعةِ الشدةِ ؛ وقيمةِ الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس "(٩)(١٠) .

---

(١)الغلبة : أنظر:جامع البيان ٦/١٧٦- ١٧٩ ط ٢ . وتفسير النسفي ١/٢٧٨. وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٨. (٢) انظر: جامع البيان ٦/١٧٦ط٢ . والكشاف ١/٦٠٤. وتفسير النسفي ١/٢٧٨. والتفسير الكبير ١٢/١٩٩. وتفسير الجلالين ١/٩١ . وأنوار التنزيل ١/٣٣٢. ومراح لبيد ١/١٩٨ . (٣)ربط الجأش :الجأش : النفس أو القلب ، ويقال:هو رابط الجأش : ثابت عند الشدائد . انظر:المعجم الوسيط ١/١٠٣. (٤)تفسير أبي السعود ٢/١٨. (٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) ١/٥٣. (٦)وردت تفصيلات أخرى عن النصيحة . راجع / ٢٠٧، ٢٠٨ .
(٧)فصلت / ٣٠ . (٨) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (جامع أوصاف الإسلام) ١/٤٧. (٩)في ظلال القرآن ٢/٨٧٠
(١٠)وردت تفصيلات أخرى عن الإيمان وأهميته . راجع / ١٢٠، ١٧٩ .
* سفيان بن عبدالله الثقفي : هو : سفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة ابن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف ، الثقفي الطائفي له صحبة ورواية ، وكان عاملا لعمر بن الخطاب على الطائف . روى عن النبي

والآيةُ الكريمةُ تلقي الضوءَ على عزةِ الإسلام والمسلمين . فالمؤمنون أعزاء بدينهم في أوطانِهم لا يعرفون الذلةَ والخنوعَ (١) ، بل يحاربونَ أعداءَهم في مدنِهم وقراهم ويقتحمونَ عليهم أبوابَهم وحصونَهم . وكذلك كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابُه ؛ فقد غزوا الكفارَ في ديارِهم كغزوة بني المصطلقِ ، وغزوةِ ذات الرقاع ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، وغزوة مؤتة ، وغير ذلك (٢) .

ولذلك قالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ) (٣) .

ومن المعلوم أن ترك الجهاد والغزو في سبيل الله يورث الذل والمهانة والشتات وطمع الأعداء كما يؤدي إلى انتشار المفاسد ، وقساوة القلوب وذلك بالتفرغ للدنيا وحبها ، إضافة إلى كراهية الموت ، وهذا كله يجلب غضب الرب - عز وجل - لقوله - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٤) .

والآية الكريمة تبين - لنا - وجوب الأخذ بالأسباب في الحرب ، إضافة إلى خداع العدو ما وجد إلى ذلك سبيلا ، ولذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الْحَرْبُ خِدْعَةٌ) (٥) .

ويلقي صاحب الظلال الضوء على خطة الهجوم التي أشار إليها الرجلان المؤمنان بقوله : " قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب . . أقدموا واقتحموا . فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلب عليهم . . " (٦)

والآية الكريمة تبين وجوب التوكل على الله والإعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب كاملة والإعتقاد بأنها لا تقدم ولا تؤخر إلا بإذن الله .

والتوكل على الله واجب في المنشط والمكره وفي كل الحالات ، لقوله - تعالى - : ((... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) (٧) ، ولقوله - سبحانه - : ((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ..)) (٨) ، ولقوله - عز وجل - : ((... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ..)) (٩) ، ولقوله - جل جلاله - : ((... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ..)) (١٠) ، ولقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا (١١) وَتَرُوحُ بِطَانًا (١٢)) (١٣) .

---

(١) الخنوع : أي: الخضوع والذل . انظر: القاموس المحيط/٩٢٢ . (٢) سبقت الإشارة إلى عزة الكافرين المصطنعة . راجع /١١٠ . (٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد) باب : (ذم من مات ولم يغز ...) ٦/٤٩ . (٤) التوبة/٣٨، ٣٩ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الجهاد والسير) باب: (جواز الخداع في الحرب) ٥/١٤٣ . (٦) في ظلال القرآن ٢/٨٧٠ . (٧) إبراهيم /١١ .
(٨) الفرقان /٥٨ . (٩) آل عمران/١٥٩ . (١٠) الطلاق / ٣ .
(١١) تغدو خماصا : "أي : تغدو بكرة وهي جياع " . النهاية في غريب الحديث و الأثر ٢/٨٠ . (١٢) تروح بطانا : أي : " وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف " . النهاية في غريب الحديث و الأثر ٢/٨٠ . (١٣) أخرجه الترمذي في : " الجامع الصحيح " وقال حديث حسن صحيح . باب : (في التوكل على الله) ٤/٥٧٣ رقم (٢٣٤٤) .

ب) إصرارهم على الرفـــض :

وذلـك واضح في قوله - سبحانه - :((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)) (١) .

أي : قال بنو إسرائيل لنبيهم : يا موسى إنا لن ندخل مدينة الجبارين أيام حياتنا ما كانوا فيها مقيمين ، فاذهب أنت وربك فقاتلاهم إنا هاهنا قاعدون لا نبرح ولا نقاتل (٢).

وقد اختلف المفسرون في المراد من قولهم : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا) ،وتفصيل ذلك كما يلي .

ذهب فريق إلى أنهم قالوا ذلك على وجه الذهاب والإنتقال من مكان إلى مكان حقيقة وهذا كفر منهم ، ويدل على أنهم كانوا مشبهة واستدلوا على ذلك بظاهر الآية (٣) .

وذهب فريق آخر إلى أنهم قالوا ذلك على وجه التمرد على طاعة الله وهذا فسق منهم ، واستدلوا على ذلك بقول موسى بعد ذلك كما ذكر القرآن: ((... فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) (٤) ، وبقوله - تعالى - : ((... فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) (٥) (٦) .

وردوا على دليل الفريق الأول بقولهم : " ... لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا بمحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء..." (٧).

والذي أميل إليه هو القول الثاني للأدلة التي ذكروها .

والآية الكريمة تلقي الضوء على طبيعة يهود التي تتصف بالإصرار على الباطل مهما توالت عليهم الأدلة والحجج والبراهين المثبتة صدق المقصد وصدق الدعوة ، ويرجع السبب في ذلك إلى ركونهم لحمأة (٨) الدنيا كما قال الله - تعالى - : ((... وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ...)) (٩) ، وإلى كراهيتهم للموت وللتضحية ، وإلى عشقهم للمعصية والفسوق . ومن هنا كان تحريفهم لكتاب الله ، وقتلهم لأنبياء الله ، وإخفاؤهم صفة نبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وكذبهم وفجورهم ومعاصيهم وغير ذلك .

وقد استخدموا هنا ألفاظا صريحة صارخة تدل على إصرارهم الأكيد على الباطل (١٠) و ذلك بالقعود وعدم القتال والتعرض لله . وقد أشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: "(لَنْ نَدْخُلَهَا) نفي لدخولها في المستقبل على وجه التأكيد المؤبد ، و(أَبَدًا) تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ، و (مَا دَامُوا فِيهَا) بيان للأبد "(١١).

---

(١)المائدة / ٢٤ . (٢) انظر: جامع البيان ١٧٩/٦، ١٨٠ط٢ . ومراح لبيد ١٩٨/١. (٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/٦ ط ١ . وتفسير أبي السعود ١٨/٢ . وفتح القدير ٢٨/٢ . وجامع البيان ١٨٠/٦ ط٢ . (٤)المائدة /٢٥ . (٥)المائدة/٢٦ . (٦) انظر : التفسير الكبير ٢٠٠/١٢ . وتفسير النسفي ٢٧٩/١. ومراح لبيد ١٩٨/١. (٧) تفسير النسفي ٢٧٩/١. (٨)لحمأة :من حمأ، والحمأة - بسكون الميم - : الطين الأسود . انظر : مختار الصحاح /١٥٣ . (٩)البقرة / ٩٦ . (١٠)سبقت تفصيلات عن ذلك . راجع/٢٠٨،٢٠٩،٢٥١،٢٦٣. (١١)الكشاف ٦٠٤/١ . وانظر : تفسير النسفي ٢٧٨/١.

والآية الكريمة تبين أن اليهود من الذين لا ينتصحون . فرغم نصيحة نبيهم موسى بدخول الأرض المقدسة وتذكيره بوعد الله لهم بالتمكين فيها ، ورغم نصيحة الرجلين الخائفين إلا أن القوم لم يستجيبوا ولم ينتصحوا .فيبدو أنهم من الذين لا يحبون الناصحين(١).

قولهم لنبيهم : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) يشير إلى سوء أدبهم معه ومع ربهم ، وإلى وقاحتهم المتميزة في حق الله ورسوله ، وإلى تجرئهم على الله ورسوله ، كما يشير إلى جبنهم المتميز المتأصل فيهم(٢).

ويقرن صاحب الظلال بين جبنهم ووقاحتهم مبينا سبب ذلك بقوله :"وهكذا يخرج الجبناء فيتوقحون ؛ ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون ! والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين ؛ بل إنهما لصنوان (٣) في كثير من الأحيان . يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن . فيحرج بأنه ناكل(٤) عن الواجب ، فيسب هذا الواجب ؛ ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لا يريد !"(٥) .

وإنه ليحسن بنا في هذا المقام أن نقارن بين موقف يهود هذا المتمثل في جبنهم وخذلانهم ، وبين موقف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بدر .

" فعن أنس* أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ** قَالَ : فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ*** فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ**** فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ***** فَقَالَ : إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا ،

---

(١)سبق الحديث مفصلا عن النصيحة . راجع / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٨٢ .
(٢)سبق الحديث مفصلا عن ذلك.راجع/١٩٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ .
(٣)لصنوان : أي أخوان . انظر : مختار الصحاح /٣٧١ . (٤)ناكل : أي :جبان. انظر:مختار الصحاح / ٦٧٩ . (٥) في ظلال القرآن ٢/٨٧٠ .

* أنس : هو: أنس بن مالك الصحابي . سبقت ترجمته / ١٤٠ .

** أبو سفيان : هو : المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو سفيان الهاشمي القرشي . كان أخا لرسول الله من الرضاعة . وكان شديد العداوة للنبي . وكان كثير الهجاء له . أسلم قبيل الفتح . وشهد فتح مكة وحنينا . وحسن إسلامه حتى مات بعد أن استخلف عمر بسنة وسبعة أشهر، ويقال : بل مات سنة ٢٠ هـ ، وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع . انظر : صفة الصفوة ١/٥١٩ - ٥٢١ رقم (٥٨) ط ٣ . والأعلام للزركلي ٧/٢٧٦ ط٣ .

*** أبو بكر : هو : عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة أبو بكر الصديق . سبقت ترجمته / ١٤١ .

**** عمر : هو : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين . سبقت ترجمته/١٧ .

***** سعد بن عبادة : هو : سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي سيد الخزرج . يكنى أبا ثابت . أمه : عمرة بنت مسعود من المبايعات وهو أحد النقباء . شهد العقبة مع السبعين ، كما شهد المشاهد كلها ما خلا بدرا لعذر اللدغ . كان جوادا وكريما . توفي بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر ، كأنه مات سنة ١٥هـ . انظر : صفة الصفوة ١/٥٠٣ - ٥٠٥ رقم (٥٣) ط ٣ . والأعلام للزركلي ٣/٨٥ ط ٦ .

وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا (١) إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا ، قَالَ : فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا ...)الحديث (٢) .

وقد روى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال : (شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ* مَشْهَدًا ، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ . أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ . فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ) (٣) .

وبالمقارنة بين الموقفين يتضح - لنا - الآتي :

١- إن القتال كان واجبا على اليهود ، بينما كان مندوبا على الصحابة .

٢- إن اليهود انكشفوا عن جبن شديد ، بينما الصحابة انكشفوا عن شجاعة نادرة .

٣- إن اليهود خذلوا نبيهم ، بينما الصحابة نصروا نبيهم .

٤- إن اليهود ربطوا جبنهم بالجبارين ما داموا في الأرض المقدسة ، بينما ربط الصحابة شجاعتهم باتباع أمر الله ورسوله مهما كانت الأهوال .

٥- إن اليهود أساءوا الأدب مع ربهم ومع نبيهم ، بينما الصحابة - رضوان الله عليهم - أحسنوا الأدب مع الله ومع رسوله ووقروهما (٤).

" هذه هي نهاية المطاف بموسى - عليه السلام - . نهاية الجهد الجهيد . والسفر الطويل .واحتمال الرذالات(٥) والإنحرافات والإلتواءات من بني إسرائيل !... نكوصا عن الأرض المقدسة ، وهو معهم على أبوابها . ونكولا عن ميثاق الله وهو مرتبط معهم بالميثاق .. فماذا يصنع ؟ وبمن يستجير ؟"(٦). هذا ما سيوضحه ويجليه ويظهره - لنا - المطلب التالي .

:::::::::::: * ::::::::::::

---

(١) أكبادها :يقال: "وتضرب إليه أكباد الإبل، أي : يرحل إليه في طلب العلم وغيره ". القاموس المحيط/٤٠١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .كتاب: (الجهاد والسير) باب: (غزوة بدر)٥/١٧٠. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب: (المغازي)باب: (إذ تستغيثون ربكم...)٥/٤. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/٣٨٩ رقم (٣٦٩٨). ط:المعارف .

(٤) سبقت مقارنة بين خروج أتباع موسى من مصر ، وهجرة أتباع محمد إلى الحبشة والمدينة. راجع/ ١٦٤، ١٦٥ .

(٥)الرذالات : جمع رذال ، وهو: من كل شيء رديئه. انظر : مختار الصحاح/٢٤٠.

(٦)في ظلال القرآن ٢/٨٧١ .

* المقداد بن الأسود: هو : المقدار بن عمرو بن ثعلبة بن مالك . صحابي جليل ، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. قال فيه علي بن أبي طالب : "ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد" . وكان يكره الإمارة. له ٤٨ حديثا . مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع وقد صلى عليه عثمان سنة ٣٣هـ عن ٧٠ سنة أو نحوها. وكان قد ولد سنة ٣٧ قبل الهجرة . انظر:صفة الصفوة ١/٤٢٣-٤٢٦ رقم (٢٠)ط٣.

(المطلب الثالث)

(نتائج رفضهم الدخول)

أمام هذا الجبن المتميز ، وهذا الخذلان المخزي ، وهذه الوقاحة مع رب العزة والجلال ، وجد موسى - عليه السلام - نفسه مضطرا إلى أن يدعو على قومه ، فدعا عليهم ، واستجار بالله من شر فسوقهم . وترتب على ذلك استجابة الله له فحكم عليهم بالتيه أربعين سنة .

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولا : دعاء موسى عليهم :

وذلك قوله : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ))[١] .

أي : قال موسى - تحسرا وتحزنا واستجلابا للنصر - رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي هارون ، فباعد بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وخلصنا من صحبتهم ، أو فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه[٢] .

لم يذكر موسى الرجلين الخائفين بينما اكتفى بذكر أخيه فقط، كأنه لم يثق بهما كل الوثوق لما رآه من تقلب قومه وتلونهم ، أو لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ، ويجوز أنه أراد : ومن يؤاخيني في ديني[٣] .

والآية الكريمة توضح - لنا - أن على الداعية أن يلجأ إلى الله في صراعه الإيماني[٤] ويناجيه ويبث حزنه وشكواه إليه ، فيما تعرض له من كذب وأذى وتعنت .

وهذا ديدن الأنبياء في صراعهم الإيماني ، ومن ذلك قول يعقوب - عليه السلام - لأبنائه كما ذكر القرآن : ((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي[٥] وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))[٦] ومن ذلك ما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد أن ذهب إلى الطائف وكذبته ثقيف بعد تكذيب قومه إياه في مكة : (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُوا ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[٧] ؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[٨] .

ويلقي صاحب الظلال الضوء على موقف موسى من قومه بعد جبنهم وخذلانهم له بقوله : " وإنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه.. ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول . وفي إيمان النبي الكليم . وفي عزم المؤمن

---

(١) المائدة/٢٥ . (٢) انظر : الكشاف ٦٠٥/١ وتفسير النسفي ٢٧٩/١ . والتفسير الكبير ٢٠٠/١٢ وتفسير القرآن العظيم ٣٩/٢ وأنوار التنزيل ٣٣٢/١ وفتح القدير ٢٨/٢ وتفسير أبي السعود ١٩/٢ . (٣) أنظر:الكشاف ٦٠٥/١والتفسير الكبير ٢٠٠/١٢ وتفسير النسفي ٢٧٩/١ وأنوار التنزيل ٣٣٢/١ (٤)سبقت الإشارة لذلك . راجع / ١٢١ . (٥)بثي : من البث وهو : الحال والحزن . انظر : مختار الصحاح /٤٠ . (٦)يوسف /٨٦ . (٧)يتجهمني: أي: يستقبلني بوجه كريه . انظر: القاموس المحيط/١٤٠٩ . (٨)الحديث : رواية

المستقيم ، لا يجد متوجها إلا لله . يشكو إليه بثه ونجواه..."(١).

والآية الكريمة تلقي الضوء على الرباط الذي يحدد العلاقة بين الناس ، فيجتمعون على أساسه ويفترقون على أساسه أيضا ، ألا وهو رباط العقيدة العقيدة الإسلامية ليس إلا .

ورباط العقيدة الإسلامية من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، وقد تضافرت الآيات والأحاديث في هذا الباب ، فمن ذلك قوله - تعالى - : ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٢) ، وقوله - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ...)) (٣) ، ومن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ...)) الحديث (٤) ، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)) (٥) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ ، فَقَالَ : يَا بَنِي كَعْبِ بْنَ لُؤَيٍّ : أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ: أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمَ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا) (٦) .

ويلقي صاحب الظلال الضوء على ذلك من خلال موقف موسى من قومه كما أظهرته الآية الكريمة فيقول : "... ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين . فمايربطه بهم شيء بعد النكول عن ميثاق الله الوثيق ..ما يربطهم بهم نسب . وما يربطه بهم تاريخ . وما يربطه بهم جهد سابق. إنما تربطه بهم هذه الدعوة إلى الله ، وهذا الميثاق مع الله . وقد فصلوه . فانبتّ(٧) ما بينه وبينهم إلى الأعماق ... هذه هي الآصرة التي يجتمع عليها أو يتفرق المؤمنون .. لا جنس . لا نسب . لا قوم . لا لغة . لا تاريخ . لا وشيجة (٨) من كل وشائج الأرض ؛ إذا انقطعت وشيجة العقيدة ؛ وإذا اختلف المنهج والطريق .."(٩) .

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٨٧١ . (٢) المجادلة /٢٢ . (٣) الممتحنة / ١ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب: (الإيمان) باب: (بيان خصال من اتصف بهن...) ١/٤٨ .
(٥) الشعراء/٢١٤ (٦) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الإيمان) باب : (إختباء النبي - صلى الله عليه وسلم - دعوة ...) ١/١٣٣ . (٧) فانبت: أي : فانقطع. أنظر: مختار الصحاح/٣٩ . (٨) وشيجة :من وشج ،والوشيجة : القرابة المشتبكة المتصلة . انظر: القاموس المحيط/٢٦٧ . والمعجم الوسيط٢/١٠٤٥ .
(٩) في ظلال القرآن ٢/٨٧١ .

والآية الكريمة تشير إلى جواز الدعاء على الآخرين حينما يفرطون في المعصية والفسوق وحينما يسيئون أدبهم في حق ربهم ونبيهم ودينهم، وحينما يصل بهم الفجور إلى درجة ييئس معها في إصلاحهم ، كما فعل نبي الله نوح - عليه السلام - مع قومه وذلك قوله - تعالى - : ((وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (١) . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)) (٢)، وكما فعل رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - حينما دعا على قريش وعلى أفراد بأعيانهم . فقد روي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : (...فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضحك ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ* ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ** ، وَشَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ***، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ****، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ*****، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ****** " . وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَعْرِفْهُ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِي سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ(٣) قَلِيبِ بَدْرٍ)(٤) .

---

(١) ديارا : أي : ساكن دار . انظر : المفردات في غريب القرآن : ١٧٤.
(٢) نوح/ ٢٦، ٢٧ . (٣) القليب : هو البئر التي لم تطو. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٩٨ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (ما لقي النبي ...) ٥/١٨١ .

* أبو جهل بن هشام : هو : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (أبو الحكم) ودعاه المسلمين بـ (أبي جهل). جاهلي شديد العداوة للنبي ومن دهاة قريش وساداتها وأبطالها. كان دائم التآمر على النبي والمسلمين والإسلام . قتل يوم بدر كافرا سنة ٢ هـ . انظر جمهرة أنساب العرب ٥/٢٦١، ٢٦٢ ط: ٣ .

** عتبة بن ربيعة : هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . من أولاده : هند أم أمير المؤمنين معاوية ، والوليد : الذي قتل يوم بدر كافرا، ومهيشم : من أفاضل الصحابة وشهد بدرا وقتل يوم اليمامة وقد قتل عتبة هذا يوم بدر كافرا سنة ٢هـ . انظر: جمهرة أنساب العرب /٧٦، ٧٧، ٨٠، ٤٩١ .

*** شيبة بن ربيعة : هو : شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وهو أخو عتبة - صاحب الترجمة السابقة - . كان نصرانيا من قريش ، وكان مطعما كريما جوادا ، وكان يقف بعرفة إذا حج بخلاف سائر قريش . قتل يوم بدر كافرا سنة ٢ هـ . انظر جمهرة أنساب العرب /٧٦، ٨٠، ٤٩١ .

**** الوليد بن عتبة : هو : الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف . قتل مع والده عتبة - صاحب الترجمة قبل السابقة - يوم بدر كافرا سنة ٢ هـ . انظر : جمهرة أنساب العرب /٧٦، ٧٧ .

***** أمية بن خلف : هو: أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب . كان يعرف بالغطريف . قتل يوم بدر كافرا على يد الصحابي : حبيب الخزرجي بن إساف . من أبنائه : علي الذي قتل يوم بدر كافرا ، وصفوان الذي أسلم يوم الفتح ، وربيعة : وقد أسلم وله صحبة ثم ارتد وتنصر ومات نصرانيا في بلاد الروم . انظر: جمهرة أنساب العرب / ١٥٩، ٣٦١ .

****** عقبة بن أبي معيط سبقت ترجمته . /١٤١ .

غير أن الدعاء لهم بالهداية أولى من الدعاء عليهم بالهلاك ، كما فعل عيسى بن مريم - عليه السلام - مع قومه إذ قال كما ذكر في القرآن : ((إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (١) ، وكما فعل نبي آخر ، فقد روي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٢) ، وكما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع قومه ، فقد روي عن عائشة - رضي الله عنها - زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ... [إلى أَنْ قَالَ] فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ(٣) ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) (٤) .

ثانيا : حكم الرب عليهم :

إستجاب الله - تعالى - دعاء نبيه على قومه ، فحكم عليهم بحكمه العادل من فوق سبع سماوات وذلك قوله - عز وجل - : ((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) (٥) .

أي : قال الله - تعالى - : فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم فلا يدخلونها ولا يملكونها أربعين سنة ، يتيهون خلالها في المفازة (٦) التي يتاه فيها متحيرين لا يهتدون طريقا ، فلا تأسف يا موسى ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به ، فإنهم مستحقون لذلك (٧) .

لا خلاف بين قوله هنا : (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) ، وقوله قبل ذلك : ((... كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ...)) (٨) ، ذلك أن : " فيه وجهان . أحدهما : أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها ، فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم . والثاني : أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب " (٩) .

---

(١) المائدة /١١٨ . (٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (غزوة أحد) . ٥/١٧٩ . (٣) الأخشبين : هما جبلا مكة . انظر : مختار الصحاح /١٧٥ . (٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (ما لقي النبي ...) ٥/١٨١ . (٥) المائدة /٢٦ . (٦) المفازة : واحدة المفاوز ، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فَوَّزَ تَفْويزاً : هلك. انظر: مختار الصحاح /٥١٤ . (٧) انظر :الكشاف ١/٦٠٥ . وتفسير النسفي ١/٢٧٩ . وتفسير القران العظيم ٢/٤٠ . وغريب القرآن /١٤٢ . وفتح القدير ٢/٢٨ . وأنوار التنزيل و١/٢٣٢ . ومراح لبيد ١/١٩٩ . (٨) المائدة /٢١ . (٩) الكشاف ١/٦٠٥ . وانظر : فتح القدير ٢/٢٨ .

وقد اختلف المفسرون في المقصود من التحريم ، هل هو مؤبد أم محصور بأربعين سنة ؟ وكان اختلافهم تبعا لاختلاف الناصب لأربعين في قوله : (أَرْبَعِينَ سَنَةً) ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١- ذهب فريق من المفسرين إلى أن الناصب له قوله : (مُحَرَّمَةٌ) ، والمعنى على ذلك : إن الله حرم عليهم مدينة الجبارين لمدة أربعين سنة فقط. واستدلوا بقوله : (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) إذ أن ، الحكم شمل قوم موسى جميعا ، ولم يخص منهم بعضا من دون بعض .

٢- وذهب فريق آخر إلى أن الناصب له قوله : (يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ) ،والمعنى على ذلك : إن الأرض المقدسة محرمة عليهم أبدا يتيهون في الأرض ويهلكون ثم يكون فتحها على يد ذراريهم بعد ذلك إضافة للرجلين الخائفين(١) فقط .

والقولان محتملان ، إلا أن القول الأول أرجح للدليل الذي ذكروه . والله أعلم.

وأكثر العلماء على أن التحريم هنا هو تحريم منع لا تحريم شرع(٢).

وقد اختلف العلماء أيضا في أن موسى وهارون - عليهما السلام - : هل كانا معهم في التيه أم لا ؟ وتفصيل ذلك كما يلي :

أ) ذهب فريق من العلماء إلى أنهما لم يكونا معهم في التيه واستدلوا بما يأتي :

١) إن التيه كان عقابا وعذابا ، والأنبياء لا يعذبون ولا يعاقبون.

٢) إن موسى دعا الله أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين ، ودعوات الأنبياء مستجابة ، وهذا يدلل على أنهما لم يكونا معهم .

٣) إن التيه كان بسبب تمردهم ، بينما موسى وأخوه لم يتمردا .

ب) وذهب فريق آخر إلى أنهما كانا معهم في التيه،واستدلوا بما يلي :

١) إن الله- تعالى - يسر عليهما أمر التيه ، كما يسر النار على إبراهيم - عليه السلام - فكانت بردا وسلاما عليه (٣).

والذي أميل اليه هو القول الثاني ، وذلك لما استدلوا به ، وللأدلة الآتية :

١) لا معنى لنبوته ودعوته إذا فصل عمن يدعوهم وهم قومه هنا ولو فصل عنهم للزم أن يذهب إلى قوم آخرين كما حدث مع يونس - عليه السلام - كما قال الله-تعالى-: ((وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)) (٤) ،وهذا ما لم يحدث مع موسى ، بل هو مخوض ببني إسرائيل .

٢) إن موسى هو الذي استسقى لقومه ، لقوله - تعالى- :((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ...)) (٥) . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الإستسقاء

---

(١) انظر:جامع البيان٦/١٨١-١٨٤،ط٢ .والتفسير الكبير١١/٢٠١. وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٩. وتفسير الجلالين/٩٢. وفتح القدير٢/٢٨. (٢) انظر :الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢٩،ط١. والتفسير الكبير١١/٢٠٢. وتفسير النسفي١/٢٧٩. (٣) انظر:التفسير الكبير١١/٢٠٢ .وتفسير النسفي١/٢٧٩. وتفسير القرآن العظيم٢/٣٩،٤٠. وتفسير الجلالين /٩٢ . (٤) الصافات /١٤٧، ١٤٨. (٥) البقرة /٦٠ .

إنما كان في التيه (١) ، مما يدلل على أن موسى وأخاه كانا معهم.

٣) ذهب أكثر المفسرين إلى أن قوله - تعالى - : ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا (٢) وَقِثَّائِهَا (٣) وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ...)) (٤) ، كان في التيه (٥). إضافة إلى أن الآية تثبت بالدليل القطعي أنهم كانوا محصورين وممنوعين من الأشياء المذكورة مما يدلل على ما ذهبنا إليه.

والآية الكريم تدل على استحقاق يهود لعقاب الله لهم المتمثل في حكمه عليهم ، كما تدل على أن العقوبة مناسبة لجرمهم ، ومناسبة لحالهم، وفيها تأديب لهم وصلاح .

وقد ذكر النسفي سبب عقابهم بالتيه بالذات ، فقال :" ... وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث ..." (٦) .

ويبدو أن الحياة التي عاشها اليهود في ظل الفراعنة حيث الإستعباد والإذلال والقهر والتسخير والخدمة في الزراعة والبناء وغير ذلك أفسد طبيعتهم وجعلها لا تصلح للمواقف الصلبة الخطيرة التي تحتاج الأقوياء الأشداء من الرجال الذين يأخذون بالعزيمة . ولذلك كان عقابهم بالتيه لحكمة بالغة تتمثل في أن التيه يعتبر خلوة لهم ، وهذا يصلح قلوبهم ، ويعتبر ميدانا بريا للتدريب وهذا يقوي عودهم ويعلمهم المراس على الشدائد، ويعتبر ساحة للحرية - بعيدا عن النظم والقوانين والحكام والإستبداد - ،وهذا ينزع الذل والهوان والخوف من قلوبهم ، ويربيها على العزة والكرامة والشجاعة والإقدام .

وقد أشار صاحب الظلال بما يعضد هذا ،وذلك قوله : " ... والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى ...ينشأ جيل غير هذا الجيل . جيل يعتبر بالدرس ، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود .. جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والإستعباد والطغيان في مصر ، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل !"(٧) .

ومن الجدير ذكره أن القرطبي قد أشار إلى حكمة الله بالحكم عليهم بالتيه أربعين سنة بالذات ، فقال : " ... وكانت سنو التيه بعدد أيام العجل ، فقوبلوا على كل يوم بسنة "(٨) .

---

(١) انظر : جامع البيان ٣٠٦/١ ط٢ . والكشاف ٢٨٤/١ . والتفسير الكبير ٩٤/٣ وتفسير النسفي ٥٠/١ والبحر المحيط ٢٢٦/١ وأنوار التنزيل ٨٤/١ ومراح لبيد ١٦/١ وتفسير الجلالين /١٧٣، ٣٢٥ (٢) بقلها : من بقل ،والبقل : معروف واحدته :بقلة ، وقيل : كل نبات اخضرت له الأرض فهو : بقل . انظر: مختار الصحاح/٦٠ (٣)قثائها :من قثأ ،والقثاء :الخيار،واحدته :قثاءة . انظر : مختار الصحاح/٥٢١ (٤)البقرة/٦١ (٥) انظر:جامع البيان١/٣٠٩ط٢ والجامع لأحكام القرآن١/٤٢٢ط٣ . والكشاف ٢٨٤/١ وتفسير النسفي ٥١/١ وزاد المسير١/ ٨٨ والتفسير الكبير٣/٩٨ .والبحر المحيط١/٢٣١ وأنوار التنزيل ٨٥/١ . وروح المعاني ٢٧٣/١ (٦)تفسير النسفي : ٢٧٩/١ (٧)في ظلال القرآن ٨٧١/٢ وانظر: تفسير المنار ٣٣٧/٦ ط٤ . (٨)الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/٦ ط١ .

وحكم الله على بني إسرائيل بالتيه أربعين سنة يوضح لنا أن الله - سبحانه - لا يحابي أحدا في حكمه مهما كان . فمع أن بني إسرائيل من نسل الأنبياء، ومع أنهم صفوة الله فضلهم على العالمين فإن هذا لم ينفعهم ، ولم يمنع عقاب الله من النزول عليهم جزاء بما اقترفوه من إثم .

وهذه سنة ثابتة لله في حق الخلق جميعا لا تتبدل ولا تتغير كما قال - جل في علاه -: ((.... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً . وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)) (١) .

وهذه السنة لا تفرق بين الأشخاص ، فالجميع أمامها سواء حتى ولو كانوا أنبياء ، وحتى لو كانوا من أولي العزم من الأنبياء . فهذا نوح - عليه السلام - يلومه ربه ويحذره من أن يسأله ما ليس له به علم ، وذلك قوله - تعالى - : ((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٢) ، وهذا يونس - عليه السلام - لم ينفعه شيء إذ ذهب مغاضبا ولولا تسبيحه لبقي في بطن الحوت إلى يوم الدين كما قال - جل ثناؤه -: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا (٣) فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)) (٤) ، وهذا رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - كاد أن ينزل به وبصاحبه أبي بكر عذاب الله - عز وجل - لكونهم أخذوا فداء على أسرى بدر . فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: حدثني عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ... [إلى أن قال] ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ* فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنَّنِي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا (٥) فَهَوَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، جِئْتُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ وَهُمَا يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ

---

(١) فاطر/٤٣ . (٢) هود/٤٦، ٤٧ . (٣) مغاضبا : أي: "لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك". تفسير الجلالين/٤٣٥. (٤) الأنبياء/٨٧، ٨٨. (٥) صناديدها: أي : الدواهي وحماة العسكر ، وهي جمع :صنديد. انظر: القاموس المحيط /٣٧٦ .

* عقيل : هو: عقيل بن عبدمناف (أبي طالب) بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ، وكنيته : أبو يزيد. كان أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها . صحابي فصيح اللسان شديد الجواب ، وهو أخو " علي " و " جعفر " لأبيهما ، وكان أسن منهما . شهد غزوة مؤتة وثبت يوم حنين . توفي في خلافة يزيد وقيل: في خلافة معاوية سنة ٦٨ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٢٤٢/٤ ط٦ .

لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ(١) فِي الْأَرْضِ ... إلى قَوْلِهِ : ((فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا))(٢) فأحل الله الغنيمة لهم)(٣) .

ونص الآيات هكذا : ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (٤) .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومتضافرة ومعلومة .

وقوله : (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) يدل على أن على المسلم أن لا يأسف ولا يحزن على ما يحل بالفاسقين ، ولكن بعد أن ينصح لهم ويجهد في نصحهم (٥) .

فقد روى الترمذي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))(٦) ، وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابٍ مِنْهُ) (٧) .

والشاهد : أن المعنى الظاهر للآية هو المراد ، ولكن بعد إسداء النصح للضالين الفاسقين الذين يصرون على باطلهم . كما فسر ذلك الحديث .

وفي أثناء التيه حدث ما قصه الله علينا من استسقاء موسى لقومه وانفجار الماء من الحجر ، ومن تظليل بني إسرائيل بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم . وذلك قوله : ((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (٨) ، وقوله : ((... وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ(٩) مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))(١٠)، وقوله : ((وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (١١) .

---

(١) يثخن: من "أثخنته الجراح أوهنته ، يقال : أثخن في الأرض قتلا". مختار الصحاح / ٨٢ . (٢) الأنفال/٦٧ - ٦٩ . (٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : (الجهاد والسير) باب : (الإمداد بالملائكة ...)٥/٥٦ ١ - ١٥٨ .
(٤) الأنفال /٦٧-٦٩ . (٥) سبق الحديث مفصلا عن النصيحة وأهميتها ودورها في الصراع . راجع /٢٠٧، ٢٠٨، ٢٨٢، ٢٨٥ . (٦) المائدة/١٠٥.
(٧) أخرجه الترمذي في " الجامع الصحيح " وقال : هذا حديث صحيح . باب : (ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر)٤/٤٦٧ رقم : (٢١٦٨) .
(٨) البقرة/٦٠ . (٩) فانبجست :من : " بَجَسَ الماء (فانبجس)أي: فَجَرَهُ فانفجر". مختار الصحاح/٤١ . (١٠) الأعراف /١٦٠. (١١) البقرة / ٥٧ .

وفـــي أثناء التيه حدث أيضا ما قصه الله علينا من جزع اليهـــود وعدم صبرهم على الطعام الواحد، وذلك قوله - تعالى - : ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَـــا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِـــتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَـــى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُـــمْ ...)) (١) .

ولابد أنه وقع شيء من الصراع الإيماني في فترة التيه بين موسى وقومه وذلك لما عرف عن بني إسرائيل من تقلب وتلون مستمر - كما وردت التفاصيل في هذا البحث - ، إلا أنه لم يصرح بشيء من ذكره في القرآن اكتفاءً بما ذكر من الصراع في مراحل ما قبل التيه . وهذا على طريقة القرآن في الإكتفـــاء بذكر أمثلة للعظة والعبرة، لأنه ليس كتاب تاريخ يذكر كل ما حدث من صراع.

وهكذا انتهت جولات الصراع الإيماني التي وقعت بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل ، وبين المنهج السوي والمنهج المعوج .

لقد أبلى كليم الله في صراعه الإيماني ، وأحسن أيما إحسان، وخاض الصراع على أحسن وجه وأتمه .

لقد نصر الكليم ربه ، ونصر دينه ، ولم يهتم بسوى ذلك.

لذلك كله ولغيره كان على يده الخير ، كل الخير : النصر على الفراعنة ونجاة قومه من الهلاك المحتوم ، ونزول التوراة ، وهداية الناس . ولذلـــك تخلد (٢) ذكره في الأولين والآخرين ، وكان له سلام من رب العالمين ، هو وأخوه هارون . قال - تعالى - : ((وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَـــابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ(٣). سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وهارون . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ))(٤).

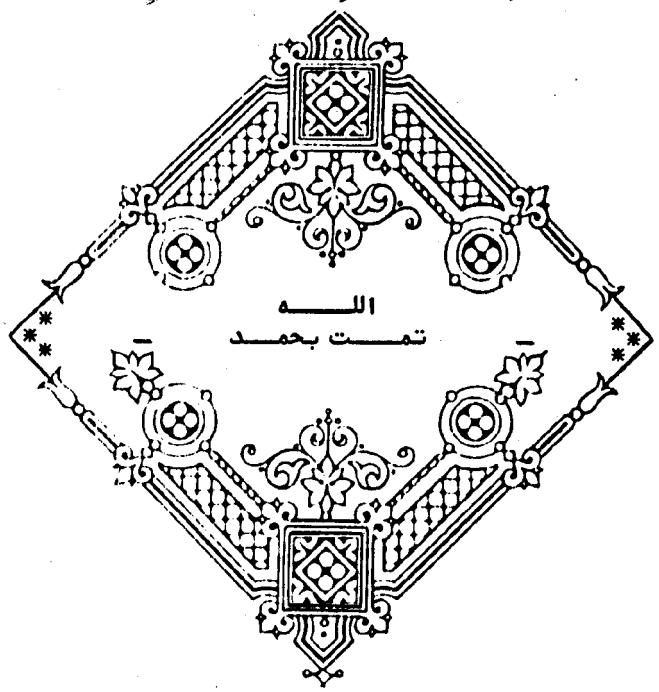

---

(١) البقرة /٦١ .
(٢) تخلد : من خَلَدَ ،والخُلْدُ : دوام البقاء. انظر: مختار الصحاح/١٨٤.
(٣) (وتركنا عليهما في الآخرين) : أي: أبقينا عليهما في الآخرين) ثناء حسنا . تفسير الجلالين /٥٩٥ .
(٤) الصافات /١١٤ - ١٢٢ .

الخاتمة

الخاتمـــــــــــة

وبعد فلله الحمد والشكر على ما أنعم وفضل وامتن ، وسهل ويسر أحمده - تعالى - حمدا عظيما كثيرا يليق بمقامه الجليل ، وأصلي وأسلم على رسوله الهادي الأميـن .

فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج كثيرة ، أجمل أهمها فيما يلي:

نتائج التمهيـــد :

١- إن الصراع الإيمائي مرتبط بعلاقة وثيقة بالقصص القرآني ، لا ينفصله أحدهما عن الآخر .

٢- إن الصراع الإيماني مرتبط بعلاقة وثيقة بالتاريخ ، وهو قديم بقدم الإنسان نفسه ، وهو ماض إلى يوم القيامة .

٣- إن القصص القرآني لا تنقضي أغراضه وأهدافه إلى آخر الزمان ، ومظاهره من طول وقصر وتكرار وغير ذلك مرتبط بتلك الأغراض والأهداف .

٤- إن القصة في القرآن تتفق مع القصة في التوراة الحقيقية ، وتختلف عن القصة في الأدب وفي التوراة المترجمة .

٥- إن ميزان الملك في بني إسرائيل كان تبعا لصلاحهم وفسادهم ، فحيثما صلحوا ملكوا ، وحيثما فسدوا وغلب عليهم الفساد ملكهم غيرهم .

٦- إن كثرة الأنبياء في يهود لا يعد مأثرة لهم ، بقدر ما هو مثلبة تدل على فسادهم المستمر الذي لا يصلحون معه إلا بوجود الأنبياء بين ظهرانيهم.

٧- إن اليهود من أجرأ الناس على التعرض لله ، ولكتبه ، ولرسله ، ولأنفسهم.

٨- إن الله جعل حياة النبيين قبل بعثهم ممهدة لحياتهم بعد بعثهم .

٩- إن كليم الله حاز على مناقب وشمائل شتى أكثر من أن تحصى ، وقد شملت الدنيا والبرزخ والآخرة .

نتائج الفصل الأول من الباب الأول :

١- إن خائض الصراع الإيماني لابد له أن يتأهل بالعلم أولا ، ثم يعبد الله بما علم ثانيا ، ثم يخوض الصراع الإيماني ثالثا .

٢- إن أسلوب الرفق واللين مهم في الصراع الإيماني ، ويمكن استبداله بأساليب أخرى كالترهيب والإستدراج حسب ما يقتضيه الحال .

٣- إن محافظة الداعية على مصداقيته في القول والعهد والوعد والأمانة والخصومة وغير ذلك شيء مهم ولا بد منه لإنها تؤثر على إقناع المدعوين وتفوت على المغرضين كثيرا من المطاعن التي قد يستغلونها .

٤- إن الإسلام هو الغالب والمنتصر في زمن الحرية .

٥- إن من أساليب الطواغيت في التعرض لدعوة الله ، الطعن في حملتها ورموزها .

٦- إن دحض تهم الخصوم بالحجج الدامغة والأدلة الساطعة من الأساليب الناجحة في الصراع الإيماني ، وإنه لمن الحكمة أن ينتقل الداعية من دليل لآخر ومن أسلوب لآخر .

٧- إن التخبط في الطعون والتهم ، وفي الأدلة والبراهين ، وفي المواقف وفي التهديد بالسجن والقتل ونحو ذلك علامة واضحة على عجز الطواغيت في مواجهة الحق .

٨- إن أعوان الطواغيت من ملإ وبطانة ونحو ذلك ، يمثلون إمعات لا رأي لها وموقفهم مكرور على مر الأزمان ، وذلك لرغبتهم الجامحة في المحافظة على مركزهم .

٩- إن السبب الأول والمباشر الذي من أجله يحارب الدعاة هو : الإيمان بالله الذي يفقد الطواغيت وأعوانهم مراكزهم ومصالحهم وامتيازاتهم .

١٠- إن اختيار الزمن المناسب ، والمكان المناسب من الحكمة التي ينبغي على خائض الصراع الإيماني أن يوليها قدرا كبيرا من الأهمية .

نتائج الفصل الثاني من الباب الأول :

١- إن الطواغيت لا يدخرون وسعا وجهدا ولا يتركون سبيل مكر وخديعة لمحاربة دعوة الله ، ويسخرون لذلك كل ما تحت أيديهم من مال وقوة .

٢- إن كثيرا من التجمعات المستترة وراء أسماء معينة ، والمنضوية تحت سلطان الطواغيت إنما هي حثالات مأجورة تهدف إلى الأطماع المادية والنزوات الرخيصة .

٣- إن تأييد الناس - على كثرتهم - للطاغية في كل شيء علامة على جهلهم ومذلتهم وبعدهم عن الكرامة والعزة والعلم .

٤- إن أصحاب العزة الحقيقية هم الذين يعتزون بالله ، وما غير ذلك فعزتهم مزيفة ومصيرها إلى الزوال .

٥- إن الحق لابد أن ينتصر في النهاية ، مهما استفحف وطعن فيه ، وإن الباطل لابد أن ينهزم في النهاية مهما بدا أمام الناس عظيما .

٦- إن اليأس من إيمان الناس حتى ولو كانوا كأمثال السحرة صفة غير إسلامية .

٧- إن الشباب أسرع إيمانا من الكبار ، وذلك نظرا لشجاعتهم النادرة وحماسهم الكبير ، وصدقهم المخلص .

٨- إن المساجد منوط بها دور مهم في الصراع الإيماني من تعليم ، وتوحيد للصفوف ، وتعاون على الحق ، ومعرفة لأخبار الأعداء ، وعلى الدعاة في حالة تعطيلها أن يتخذوا من بيوتهم مساجد .

٩- إن الصراع فيمنطق الطواغيت لا يتمثل في البحث عن الحق واعتناقه بقدر ما يتمثل في نصرهم على أي حال كانوا .

١٠- إن البطانة تمثل دورا خطيرا في الإسلام يؤثر تأثيرا مباشرا على حياة المسلمين .

١١- إن الصبر والتحمل سلاح الأنبياء وأتباعهم في خوض الصراع الإيماني .

١٢- إن الأرض مهما اتسعت رقعتها بالباطل ، ومهما أظلمت بالكفر والشرك ، ومهما اكفهرت بالمعاصي ، فإن ذلك سرعان ما يتبدد ويتلاشى ويزول أمام الحق المضيء الساطع .

١٣- إن القائد المسلم خليفة كان أو واليا أو أميرا منوط به دور مهم في الصراع الإيماني بحيث يقع على أهل الحق أن يمنعوه من تربص المبطلين .

١٤- إن الطواغيت أصحاب نظرة ضيقة ، لا ينظرون إلا بمنظارهم ،ولا يرون الحق إلا في جانبهم ، ولا يرون الهداية إلا من جهتهم ، ولابد أن يقتصر سبيل الرشد على سبيلهم .

نتائج الفصل الثالث من الباب الأول :

١- إن كل عقاب لأمة أو لشعب أو لفرد إنما هو عظة للجميع .

٢- إن الطواغيت وأعوانهم لا عهد لهم ولا ذمة ، وعهودهم ومواثيقهم لا تتجاوز الخداع والغش والمماراة .

٣- إن الطواغيب يجعلون من سلطانهم وأبهتهم دليلا على أحقيتهم ، وقد يجعلون من الدعاة سببا مباشرا لكل بلاء يحل بهم .

٤- إن الطواغيت يستغلون سذاجة الجماهير وجهلها في تضليلها ، ويستغلون غفلتها في خداعها .

٥- إن على خائض الصراع الإيماني أن يأخذ بالأسباب كاملة في صراعه .

٦- إن موسى - عليه السلام - كان محقا في دعائه على الفراعنة .

٧- إن الطواغيت يلجأون إلى القوة والجيش والسلاح كحل أخير في مواجهة الحق .

٨- إن الكفر والضلال يعمي ويصم ، ويلقي بأصحابه - عن علم - في الأهوال رغم الأخطار الهائلة المحدقة بهم من كل مكان .

٩- كلما تمسك المسلمون بدينهم قويت شوكتهم ، وفتح الله عليهم ، ومكنهم في الأرض ، وكلما تخلفوا عن دينهم ضعفت شوكتهم ، وقلت مهابتهم ، واضمحلت سيطرتهم .

نتائج الفصل الأول من الباب الثاني :

١- إنعدام ثقة يهود بأنبيائهم ، وبأنفسهم من باب أولى ، وبغيرهم تبعا لذلك .

٢- سرعة تأثر اليهود بماضيهم الجاهلي ، ومحاولتهم المستمرة في الرجوع إليه .

٣- إن اليهود أصحاب طبيعة مخلخلة متلجلجة تميل إلى التسويف والمماطلة وخلط الأمور ، وهم غالبا ما يكونون في عجلة من أمرهم .

٤- إن اليهود ليس لهم رأي ثابت ، ولا عزيمة ولا حكمة ، إذ أنهم لا يتعظون بدروس الماضي ولا يستفيدون من تجاربهم الخاصة ، وهم في تقلب مستمر .

٥- إن الجحود الكبير للنعم متمكن من قلوب يهود ، ونكرانهم الكبير لمن أسدى لهم الجميل صفة ملازمة لهم .

٦- إن اليهود بعيدون عن المنهج العلمي في الإستدلال على الأمور الخطيرة ، وهم

من الذين يصرون على باطلهم بدون دليل ، أو بدليل أوهي من بيت العنكبوت

٧- البهت ، والكذب ،والإفك ، والإفتراء ، وخلف الوعد من صفات اليهود المتأصلة فيهم والملازمة لهم والمتوارثة بينهم .

٨- إن اليهود إمعات سهلة الإنقياد لكل ناعق .

٩- إن اليهود غالبا يلقون تبعات جهلهم وانحرافهم على غيرهم .

١٠- إن أهل الباطل يستغلون علمهم في خداع الجماهير الرعاع ، ويستغلون جهلها في تمرير خداعهم عليها .

١١- إن من حق المسلم أن يسوق الحجج والبراهين المتتالية لإقناع الآخرين بما يراه حقا .

نتائج الفصل الثاني من الباب الثاني :

١- إن ترك العزيمة في الدين بصورة مستمرة يؤدي إلى تثبيط الهمم ، وتلاشي الطليعة المجاهدة ، وخلخلة المجتمع الإسلامي .

٢- إن نفسية يهود وطبيعتهم لا تميل إلى الجد والعزيمة ، بل غالبا ما تركن إلى التحلل من التكاليف ، والإستئناس إلى الذل والهوان ، والحرص على الحياة ولو كانت دنيئة .

٣- إن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا يستقيم حالهم إلا بالقوة والتخويف .

٤- إن اليهود من الذين يصرون على الجرم الكبير عن علم ، ومن الذين لا ينتصحون ، ومن الذين انعدم عندهم توقير الله وتعظيمه .

٥- إن اليهود قوم انعدم عندهم النظر البعيد ، ولا يعيشون إلا ساعتهم ، ولا يتبعون إلا هواهم .

٦- إن اليهود اتصفوا بكتمان الحق ، وانتشر بينهم سوء الظن ، والخوض في الأعراض والحرمات واللغو الفارغ ، إضافة إلى تفكك أواصر الود بينهم ، وتجرئهم على بعضهم بلا وازع .

٧- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عنوان المجتمع الخير الوسط الصالح ، ومجتمع لا يتخذ من ذلك شعارا عمليا له مهدد بالبوار .

٨- إن طبيعة اليهود تتسم بالتسرع والتهور ، والبعد عن الحلم والأناة .

٩- إن اليهود أهل غي وغواية ، ويتصفون بالتعنت ، والتكلف ، والتعمق ، والمغالاة .

١٠- إن اليهود ذوو عقول ضعيفة ، وفقه مريض وتوجه مشوش ومختلط بالمتشابهات نتيجة التعنت والتنطع والمغالاة .

١١- إن اليهود يتصفون بجبن شديد مميز فريد في نوعه ، متأصل فيهم ، وملازم لهم على مر الأزمان والعصور .

توصية

وإن كان لابد من توصية أوصي بها إخواني الباحثين من طلبة العلم ، فأوصيهم بما يلي :

١- الإقبال على دراسة القضايا التي تعالج أمراض الأمة الواقعة الآن ، دراسة تفصيلية مستوعبة مستوفية لكل ما جاء به القرآن الكريم ، سواء أكانت في التوحيد أم في العبادة أم في التشريع ونحو ذلك .

٢- الإهتمام بقضايا التفسير الموضوعي ، مع التركيز على الموضوعات المناسبة التي تعنى بحل مشاكل الحاضر الإسلامي .

٣- محاولة استنفاد كامل الجهد من أجل إخراج بحوث علمية قيمة تفيد الإسلام والمسلمين ، وتضيف ذخرا جديدا للمكتبة الإسلامية .

٤- الإقبال على القرآن الكريم للتأمل والتدبر والتعبد ، واستلهام الدروس والعبر والمعالم ، فهو أصل العلوم ، ومتجدد المعاني، ولا يخلق على كثرة الرد ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء .

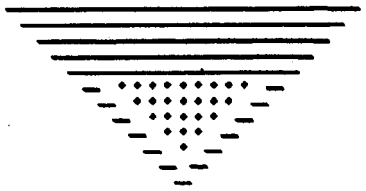

الفهـــــــــارس

أولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ثالثا : فهـــــــرس الأعـــــلام .

رابعا : فهـرس المدن والبقـاع والأماكـن .

خامسا : فهـرس المصـادر والمراجـــع .

سادسا : أ) فهـــرس تفصيلـــي للموضوعـــات .

ب) فهـــرس موجـــز للموضوعـــات .

أولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة

التسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	١ - (سورة الفاتحة)		
١	((إياك نعبد وإياك نستعين))	٥	١٣١
	٢ - (سورة البقرة)		
٢	((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ...))	١٩	٥
٣	((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ...))	٢٣	١٠٢، ١٧٨
٤، ٥	((... وإياي فارهبون * ... وإياي فاتقون))	٤٠، ٤١	٢٥٢
٦	((ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ...))	٤٢	٢١٢
٧	((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت ...))	٤٧	٢٦٩
٨	((وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم ...))	٤٩	١٧٣
٩	((وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ...))	٥٠	١٦٨، ١٧٢
١٠	((وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ...))	٥١	٢٠٣، ٢٠٥
١١	((ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم ...))	٥٢	٢٣٥، ٢٣٨
١٢	((وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم ...))	٥٤	٢٥، ٢٣٥، ٢٣٨
١٣	((وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى ...))	٥٥	٢٣، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٧٠
١٤	((ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ...))	٥٦	٢٥٠
١٥	((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن ...))	٥٧	٢٩٤
١٦	((وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها ...))	٥٨	٢٦
١٧	((فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ...))	٥٩	٢٤
١٨	((وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب ...))	٦٠	٤٦، ١٦٩، ٢٩، ٢٩٤
١٩	((وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام ...))	٦١	٢٩٢، ١٩٥
٢٠	((وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ...))	٦٣	٢٤٧
٢١	((ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله ...))	٦٤	٢٤٧، ٢٤٨
٢٢	((وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم ...))	٦٧	٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٠
٢٣	((قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ...))	٦٨	٢٦٢، ٢٧٠
٢٤	((قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ...))	٦٩	٢٦٣
٢٥	((قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ...))	٧٠	٢٦٤
٢٦	((قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير ...))	٧١	٢٦٤، ٢٦٨
٢٧	((وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ...))	٧٢	٢٥٤
٢٨	((فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله ...))	٧٣	٢٦٩
٢٩	((ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ...))	٧٤	١٩٨
٣٠	((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ...))	٧٩	٢٤، ٢١٢
٣١	((ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون ...))	٨٥	٢٥

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٣٢	((وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل اللـــــه ...))	٩١	٢٤
٣٣	((وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطـــور ...))	٩٣	٢٤، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٣٩، ٢٤٧
٣٤	((... فتمنوا الموت إن كنتم صادقيـــــن))	٩٤	٢٨٠
٣٥	((ولتجدنهم أحرص الناس على حيـــــاة ...))	٩٦	٢٤٨، ٢٨٠، ٢٨٤
٣٦	((أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهـــم ...))	١٠٠	٢٤٩
٣٧	((... قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقيـــــن))	١١١	١٠٢
٣٨ ، ٣٩	((الذين آتيناهم الكتاب ... * الحق من ربـــك فلا ...))	١٤٦، ١٤٧	٢٥٧
٤٠	((يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبـــــر ...))	١٥٣	١٣٢
٤١	((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص مـــن ...))	١٥٥	١٧٤
٤٢	((إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئـــك ...))	١٦١	١٩٠
٤٣	((إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليـــل ...))	١٦٤	١٧٩
٤٤	((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم ...))	١٧٩	٢٤٠
٤٥	((وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة ...))	١٨٦	٥١، ١٦١
٤٦	((وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيهـــــا ...))	٢٠٥	١٢٩، ١٨٠
٤٧	((وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثـــم ...))	٢٠٦	١٤١، ١٨٠
٤٨	((ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهـــم ...))	٢٤٣	٢٠
٤٩	((ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعـــد ...))	٢٤٦	٢٠
٥٠	((...وسع كرسيه السمـــــــوات والأرض ...))	٢٥٥	١٠٣
٥١	((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغـــي ...))	٢٥٦	٦١
٥٢	((ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربـــــه ...))	٢٥٨	٧٩
٥٣	((أو كالذي مر على قرية وهي خاوية علـــى ...))	٢٥٩	٢١، ٢٧١
٥٤	((وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ...))	٢٦٠	٢٧١، ٢٠٣
٥٥	((يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقـــد ...))	٢٦٩	١٠٣
٥٦	((... أن تضـــل إحداهمـــــا ...))	٢٨٢	٦٧
٥٧	((لا يكلف اللـــه نفسا إلا وسعهـــــا ...))	٢٨٦	١٢٢، ٢٢٣
	٣- (سورة آل عمـــران)		
٥٨	((إن الذين يكفرون بآيات اللـــه ويقتلـــون ...))	٢١	٢٥
٥٩	((قل اللهم مالـــك الملـــك تؤتي الملـــك مـــن ...))	٢٦	١٠٣، ١٣٢
٦٠	((... ويحذركـــم اللـــــه نفســـــه ...))	٢٨	٢٥٢
٦١	((فنادته الملائكة وهو قائم يصلـــــي ...))	٣٩	٢٢
٦٢	((ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكـــم ...))	٥٠	٣١
٦٣	((إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صـــراط ...))	٥١	٣١، ٣٩
٦٤	((فلما أحس عيسى منهم الكفر قـــال ...))	٥٢	٣١
٦٥	((إن هذا لهو القصص الحق وما من إلـــه الا الله ...))	٦٢	٥

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٦٦	((...يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ...))	٦٤	٦٣
٦٧	((...ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده ...))	٧٥	٢٨١
٦٨	((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ...))	٨٥	٣١
٦٩	((...واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء...))	١٠٣	٢٧٤
٧٠	((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون ...))	١٠٤	٢٥٦
٧١	((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف...))	١١٠	٢٥٦،٢٨١
٧٢	((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من ...))	١١٨	١٢٩
٧٣	((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا...))	١٥٩	٢٨٣،٥٤
٧٤ ، ٧٥	((الذين قال لهم الناس ...* فانقلبوا بنعمة من ...))	١٧٣،١٧٤	١١٤
٧٦	((لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ...))	١٨١	٢٣
٧٧	((...وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من ...))	١٨٦	٢٤٦
	٤- (سورة النساء)		
٧٨	((ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله...))	١٤	١٨١
٧٩	((... ولا يكتمون الله حديثا))	٤٢	١٣٩
٨٠	((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون...))	٤٨	٢٤٠
٨١	((... أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من...))	٦٦	١١٦،٨٨
٨٢	((...والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان...))	٧٥	١٨١
٨٣	((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون...))	١١٦	٣٩
٨٤	((**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من...**))	**١٥٣**	**٢٣٨،١٥٠**
٨٥	((فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ...))	١٥٥	٢٤
٨٦	((ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم ...))	١٦٤	٣٢،٦
	٥- (سورة المائدة)		
٨٧	((...وتعاونوا على البر والتقوى ...))	٢	١٠٠،٤٩
٨٨	((... اثني عشر نقيبا ...))	١٢	٢٧٨
٨٩	((فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم ...))	١٣	٢٤٩
٩٠	((... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين))	١٥	٢٤٤
٩١	((وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله ...))	١٨	٢٣
٩٢	((**وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة...**))	٢٠	٢٧٢
٩٣	((**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله...**))	٢١	٢٧٥،١٨٦،٢٩٠
٩٤	((**قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا...**))	٢٢	٢٧٨
٩٥	((**قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله...**))	٢٣	٢٨١،١٢٥
٩٦	((**قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا...**))	٢٤	٢٤٤،٢١٢،٢٤،٢٣
٩٧	((**قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق...**))	٢٥	٢٨٧،٢٨٤
٩٨	((**قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون...**))	٢٦	٢٨٤،٢٣٤،١٨٧، ٢٩٠

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحـــة
٩٩	((واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربـــا ...))	٢٧	٦
١٠٠	((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جـــزاء ...))	٣٨	٢٤٠
١٠١	((وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقـــا ...))	٤٦	٢٣
١٠٢	((يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ...))	٥٤	٢٠٠، ٢٠٧، ٢٢١
١٠٣	((... فإن حزب الله هم الغالبـــــون))	٥٦	١٠٩
١٠٤، ١٠٥	((وترى كثيرا منهم ... * لولا ينهاهم الربانيون ...))	٦٢ ، ٦٣	٢٥
١٠٦	((وقالت اليهود يد اللـــه مغلولـــــة ...))	٦٤	٢٣
١٠٧	((ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل ...))	٦٦	١٥١
١٠٨، ١٠٩	((لعن الذين كفروا ... * كانوا لا يتناهون عـــن ...))	٧٨ ، ٧٩	٢٥٦
١١٠	((يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيـــاء ...))	١٠١	٢٦٥
١١١	((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم ...))	١٠٥	٢٩٤
١١٢	((... وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنـــي ...))	١١٠	٢٣٠، ٢٧١
١١٣	((إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهـــم ...))	١١٨	٢٩٠
١١٤	((قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهـــم ...))	١١٩	٥٩
	٦- (سورة الأنعـــام)		
١١٥	((... لولا أنزل عليـــه ملـــك ...))	٨	١٥٨
١١٦	((ومن أظلم ممن افترى على اللـــه كذبـــا ...))	٢١	٢٣٥
١١٧	((... ما فرطنا في الكتـــاب مـــن شـــيء ...))	٣٨	٢٤٥
١١٨	((... إن الحكم إلا للـــه يقص الحق وهـــو ...))	٥٧	٥
١١٩	((... وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة ...))	٥٩	٢٢٨
١٢٠	((وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحيـــن))	٨٥	٢٢
١٢١	((وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنـــا ...))	٨٦	٢٠
١٢٢	((... قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موســى ...))	٩١	٢٤٤
١٢٣	((ومن أظلم ممن افترى على اللـــه كذبـــا ...))	٩٣	٥٨
١٢٤	((ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهـــم ...))	١١١	١٥٨
١٢٥	((وهو الذي أنشأ جنـــات معروشـــــات ...))	١٤١	١٨٥
١٢٦	((ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن ...))	١٥٤	٢٤٤
	٧- (سورة الأعـــراف)		
١٢٧	((يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخـــرج ...))	٢٧	٦
١٢٨	((والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـــا ...))	٣٦	١٨٠
١٢٩	((إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـــا ...))	٤٠	١٨٠
١٣٠	((ونادى أصحاب الجنـــة أصحـــاب النـــار ...))	٤٤	١٤٣
١٣١	((ونادى أصحاب النار أصحاب الجنـــــة ...))	٥٠	١٤٣
١٣٢	((ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هـــدى ...))	٥٢	٢٤٣

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
١٣٣	((لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قـــوم ...))	٥٩	٣٩
١٣٤	((فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلـــك ...))	٦٤	١٢٤، ١٧٢
١٣٥	((وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبـدوا ...))	٦٥	٣٩، ٥٤
١٣٦	((قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنـــراك ...))	٦٦	٥٤، ٦٨
١٣٧	((قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول اللـه ...))	٦٧	٥٤، ٦٩
١٣٨	((أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أميـــن))	٦٨	٦٩
١٣٩	((أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكـــم ...))	٦٩	٦٩، ٢٧٤
١٤٠	((واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عـــاد ...))	٧٤	٢٧٤
١٤١	((وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبـدوا ...))	٨٥	٣٩
١٤٢	((... واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظـروا ...))	٨٦	٢٧٤
١٤٣	((وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئـــن ...))	٩٠	٨٦
١٤٤	((ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون ...))	١٠٣	١٢٤
١٤٥	((وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين))	١٠٤	٥٧
١٤٦	((حقيق على أن لا أقول على اللـه إلا الحـق ...))	١٠٥	٥٧، ٥٨، ٦٠
١٤٧	((قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنـت ...))	١٠٦	٨٠
١٤٨	((فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبيـن))	١٠٧	٤٢
١٤٩	((ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظريـن))	١٠٨	٤٤، ٨٢
١٥٠	((قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليـم))	١٠٩	٨٤، ٩٠
١٥١-١٥٣	((يريد أن ... * قالوا أرجه ... * يأتوك بكـل ...))	١١٠-١١٢	٨٤
١٥٤، ١٥٥	((وجاء السحرة فرعون ... * قال نعم وإنكم لمن ...))	١١٣-١١٤	٩٥
١٥٦	((قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون ...))	١١٥	١٠١
١٥٧	((قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس ...))	١١٦	١٠٢، ١٠٤، ١٠٥
١٥٨	((وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي ...))	١١٧	١٠٧، ١٠٨
١٥٩، ١٦٠	((فوقع الحق وبطل ... * فغلبوا هنالك وانقلبوا ...))	١١٨، ١١٩	١٠٩
١٦١	((وألقي السحرة ساجديـن))	١٢٠	١٠٩، ١١٠
١٦٢، ١٦٣	((قالوا آمنا ... * رب موسى وهـارون))	١٢١، ١٢٢	١١٠
١٦٤	((قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكـم ...))	١٢٣	١١٦، ١١٧-١١٨
١٦٥	((لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثـم ...))	١٢٤	١١٨
١٦٦	((قالوا إنا إلى ربنا منقلبـون))	١٢٥	١١٩
١٦٧	((وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما ...))	١٢٦	١٢٠
١٦٨	((وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسـى ...))	١٢٧	١٢٥، ٢٦، ١٢٧، ٩٧، ١٢٨
١٦٩	((قال موسى لقومه استعينوا باللـه ...))	١٢٨	١٢٦، ٣٠، ١٨٧
١٧٠	((قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ...))	١٢٩	١٣٣، ٨٦، ١٨٧، ٢٧٢
١٧١	((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص مـن ...))	١٣٠	١٤٩
١٧٢	((فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هـذه ...))	١٣١	١٥٠
١٧٣	((وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها ...))	١٣٢	١٥١، ١٥٢، ١٦٠

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــــة
١٧٤	((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمـــــل ...))	١٣٣	١٥١
١٧٥	((ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موســـــى ...))	١٣٤	١٥٣
١٧٦	((فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه ...))	١٣٥	١٥٣، ١٥٤
١٧٧	((فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهـــم ...))	١٣٦	١٧٨
١٧٨	((وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق ...))	١٣٧	١٨٥، ١٨٧
١٧٩	((وجاوزنا ببنـي إسرائيـل البحر فأتوا علـــى ...))	١٣٨	١٣٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٩٦، ٢٣٩
١٨٠	((إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون))	١٣٩	٢٠٠
١٨١	((قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكـــم ...))	١٤٠	٢٠١، ٢٣٩
١٨٢	((وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكـــم ...))	١٤١	٢٠١
١٨٣	((وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ...))	١٤٢	٢٠٣، ٢١٨
١٨٤	((ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربـــه ...))	١٤٣	٢٠٣
١٨٥	((قال يا موسى إني اصطفيتـــك على النـــاس ...))	١٤٤	٣٢، ٢٠٣
١٨٦	((وكتبنا له في الألـواح من كل شيء موعظـة ..))	١٤٥	١١، ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٤٥
١٨٧	((واتخذ قوم موسى من بعـده من حليهـــم ...))	١٤٨	٢٠٥
١٨٨	((ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلـوا ...))	١٤٩	٢٣٢
١٨٩	((ولما رجع موسى إلى قومـــه غضبـــان ...))	١٥٠	١٩٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٩
١٩٠	((قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتـــك ...))	١٥١	٢٢٣
١٩١	((إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب مـــن ...))	١٥٢	٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥
١٩٢	((ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألـــواح ...))	١٥٤	١٩، ٢٣٣
١٩٣	((واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنـــا ...))	١٥٥	٢٣٦، ٢٥٠
١٩٤	((واكتب لنا في هذه الدنيـا حسنـة وفي الآخرة ...))	١٥٦	١٥
١٩٥	((ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلـــون))	١٥٩	٢٥، ٢٤٠
١٩٦	((وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أممـــا ...))	١٦٠	١٤، ٢٩٤
١٩٧	((وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومـــا ...))	١٦٤	٢٦
١٩٨	((وإذ تأذن ربـك ليبعثن عليهم إلى يـــوم ...))	١٦٧	١٦، ١٨
١٩٩	((وقطعناهم في الأرض أممـــا ...))	١٦٨	١٩٨
٢٠٠	((وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنـــه ظلـــة ...))	١٧١	٢٤٧
٢٠١	((... لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعيـــن ...))	١٧٩	٢٦٦
٢٠٢	((من يضلل اللـه فلا هادي لـه ويذرهم فـــي ...))	١٨٦	١٧٥
	٨- (سورة الأنفـــال)		
٢٠٣	((ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمـــون))	٨	١١٠
٢٠٤	((إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم ...))	٩	٤٦
٢٠٥، ٢٠٦	((إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكـــم ...* إذ يوحي ربك إلى الملائكـة أني معكم فثبتوا ...))	١١، ١٢	٤٦

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٢٠٧	((ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتـــال ...))	١٦	١٨٢
٢٠٨	((واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فـي الأرض ...))	٢٦	١٨٨، ٢٧٤
٢٠٩	((وإذ يمكر بـــك الذين كفروا ليثبتـــوك ...))	٣٠	٧٨
٢١٠	((وأطيعوا اللـــه ورسولـــه ولا تنازعـــوا ...))	٤٦	٤٩
٢١١	((كدأب آل فرعـون والذيـن من قبلهـــم ...))	٥٢	١٤٢، ١٧٨
٢١٢	((كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبـــوا ...))	٥٤	١٤٢، ١٧٨
٢١٣	((الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كـــل ...))	٥٦	٢٤٩
٢١٤	((وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــــوة ...))	٦٠	١٦٥
٢١٥	((... وإن يكن منكم مائـة صابـرة يغلبـــوا ...))	٦٦	٤٩
٢١٦-٢١٨	((ما كان لنبي ... * لولا كتاب ... * فكلوا ممـــا ...))	٦٧ - ٦٩	٢٩٤
	٩- (سورة التوبـــة)		
٢١٩	((أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم اللـه الذيـن ...))	١٦	١٠٦
٢٢٠	((وقالت اليهود عزير بن اللـــــه ...))	٣٠	٢١، ٢٣
٢٢١	((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحـــق ...))	٣٣	٦١
٢٢٢	((... وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكـم ...))	٣٦	٣، ١٠٠
٢٢٣، ٢٢٤	((يا أيها الذين آمنوا ... * إلا تنفروا يعذبكم ...))	٣٨، ٣٩	٨٣
٢٢٥	((إلا تنصروه فقد نصره اللـه إذ أخرجه الذيـن ...))	٤٠	١٦٨
٢٢٦	((قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنييـــن ...))	٥٢	١٣٣، ٨٨
٢٢٧	((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعـــض ...))	٧١	٢٥٦
٢٢٨	((وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقـــت ...))	١١٨	٢٢٧
٢٢٩	((يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللـه وكونـــوا ...))	١١٩	٥٩
	١٠- (سورة يونـــس)		
٢٣٠	((قل لو شاء اللـــه ما تلوتـــه عليكـــم ...))	١٦	٦٩
٢٣١	((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهـــق ...))	٢٦	٢٧٦
٢٣٢	((... يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري ...))	٧١	٥١
٢٣٣	((فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هـــذا ...))	٧٦	٨٦، ٩٠
٢٣٤	((قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هـذا ...))	٧٧	٨٧
٢٣٥	((قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليـــه ...))	٧٨	٨٨
٢٣٦	((وقال فرعون ائتوني بكل ساحـــر عليـــم))	٧٩	٩٢
٢٣٧	((فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا مـــا ...))	٨٠	١٠٢
٢٣٨، ٢٣٩	((فلما ألقوا قال موسى ... * ويحق اللـه الحـــق ...))	٨١، ٨٢	١٠٧
٢٤٠	((فما آمن لموسى إلا ذرية من قومـــــه ...))	٨٣	١١٣
٢٤١-٢٤٣	((وقال موسى ... * فقالوا على الله ... * ونجنا برحمتك ...))	٨٤ - ٨٦	١١٤
٢٤٤	((وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكمـا ...))	٨٧	١١٥

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٢٤٥،٢٤٦	((وقال موسى ربنا ...* قال قد أجيبت دعوتكما ...))	٨٨ ، ٨٩	١٦٠،١٦٢
٢٤٧	((وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم ...))	٩٠	١٧٠،١٧٥
٢٤٨	((آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين))	٩١	١٧٦،١٨١
٢٤٩	((فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ...))	٩٢	١٧٦
٢٥٠	((ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم ...))	٩٣	١٨٧
١٥١	((ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا ...))	١٠٣	١٧٢
	١١- (سورة هود)		
٢٥٢	((...ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ...))	١٧	٢٤٤
٢٥٣	((... أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ...))	٣٦	١٦٠
٢٥٤	((قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل ...))	٤٦	٢١٩،٢٩٣
٢٥٥	((قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي ...))	٤٧	٢٩٣
٢٥٦	((ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا ...))	٥٨	١٧٢
٢٥٧،٢٥٨	((وتلك عاد جحدوا ...* واتبعوا في هذه الدنيا ...))	٥٩ ، ٦٠	١٨١
٢٥٩	((قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ...))	٨١	١٦٤
٢٦٠	((...إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ...))	٨٨	٥١
٢٦١،٢٦٢	((...فاتبعوا أمر فرعون ...* يقدم قومه يوم ...))	٩٧ ، ٩٨	١٩١
٢٦٣	((واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس ...))	٩٩	١٨٩ ١٩١
	١٢-(سورة يوسف)		
٢٦٤	((وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل ...))	٦	١٨
٢٦٥،٢٦٨	((قالوا يا أبانا ...* أرسله معنا غدا يرتع ...* قال إنني ليحزنني ...* قالوا لئن أكله الذئب ...))	١١- ١٤	١١
٢٦٩،٢٧٠	((وجاءوا أباهم عشاء ...* قالوا يا أبانا إنا ...))	١٦ ، ١٧	١٢
٢٧١	((وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت ...))	١٨	١٢،١٣١
٢٧٢	((يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع ...))	٤٦	٥٨
٢٧٣	((... الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه ...))	٥١	٥٨
٢٧٤	((... إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ...))	٥٣	٣
٢٧٥	((وقال الملك ائتوني به أستخلصه ...))	٥٤	٥٨
٢٧٦	((قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم))	٥٥	٢٢٢
٢٧٧	((وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ...))	٦٢	١٢
٢٧٨	((قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله ...))	٨٦	٢٨٧
٢٧٩	((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ...))	١٠٨	١٥٩
٢٨٠	((حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد ...))	١١٠	١٠٦
٢٨١	((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...))	١١١	٧،١١،٢٣،١٥٠

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحـــــة
	١٣- (سورة الرعـــد)		
٢٨٢	((...كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد...))	١٧	٢٢٨
	١٤- (سورة إبراهيم)		
٢٨٣-٢٨٥	((وإذ قال موسى ...* وإذ تأذن...* وقال موسى ...))	٨،٧،٦	٢٠٢
٢٨٦	((...وعلى الله فليتوكل المؤمنون))	١١	٢٨٣
٢٨٧	((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد ...))	١٨	٢٠١
٢٨٨	((الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل ...))	٣٩	١٣
	١٥- (سورة الحجر)		
٢٨٩			
٢٩٠	((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين))	٩٩	٢٤٨
	١٦- (سورة النحل)		
٢٩١	((والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة...))	٨	٢٥١
٢٩٢	((والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم...))	٨١	٥
٢٩٣	((...ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء...))	٨٩	٢٤٥
٢٩٤	((...ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب ...))	١٠٦	١٨٢
٢٩٥	((يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى...))	١١١	٢٢٢
٢٩٦	((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...))	١٢٥	٦٤،٤٢،٣
	١٧- (سورة الإسراء)		
٢٩٧	((سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام...))	١	٢٧٥
٢٩٨	((وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى...))	٢	٢٤٣
٢٩٩	((وجعلنا الليل والنهار آيتين...))	١٢	١٧٨-١٧٩
٣٠٠،٣٠٢	((لا تجعل مع الله إلها...* وقضى ربك ألا تعبدوا إلا...))	٢٢ ، ٢٣	٤٠
٣٠٢	((...ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا...))	٥٥	٢١
٣٠٣	((... جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا))	٨١	٢٢٧
٣٠٤	((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا ...))	٨٨	٨٢-٨٣
٣٠٥	((ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ...))	٨٩	٢٤٥
٣٠٦،٣٠٧	((...ونحشرهم يوم القيامة...* ذلك جزاؤهم بأنهم...))	٩٨،٩٧	١٧٨
٣٠٨	((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ...))	١٠١	١٥٥،٩٠
٣٠٩	((قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات ...))	١٠٢	١٥٦،٩٣
٣١٠	((فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن ...))	١٠٣	٨١،١٧١

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٣١١	((وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ...))	١٠٤	١٨٦
	١٨- (سورة الكهف)		
٣١٢	((فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا ...))	٦	٢٧٤
٣١٣	((... إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى))	١٣	١١٣
٣١٤	((... من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ...))	١٧	١٧٥
٣١٥	((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن ...))	٢٩	١١٠،٦١
٣١٦	((... ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به ...))	٥٦	١٤٤
٣١٧	((وإذ قال موسى لفتاه ...))	٦٠	١٩
٣١٨	((ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو ...))	٨٣	٧٢
٣١٩	((قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي ...))	٩٨	٧٣
	١٩- (سورة مريم)		
٣٢٠	((فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ...))	٢٣	١٦٨
٣٢١	((وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا))	٢٥	١٦٨
٣٢٢	((واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا))	٤١	٥٩،١٣
٣٢٣	((قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ...))	٤٦	٧٨،٥٤
٣٢٤	((قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان ...))	٤٧	٥٤
٣٢٥	((... وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا))	٤٩	٥٩،١٣
٣٢٦	((ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان ...))	٥٠	٥٩
٣٢٧	((واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان ...))	٥١	٢٢،٣١،١٩
٣٢٨	((وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا))	٥٢	٣٢
٣٢٩	((ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا))	٥٣	٤٩،٣٢
٣٣٠	((واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق ...))	٥٤	٥٩،١٣
٣٣١	((واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا))	٥٦	٥٩
٣٣٢	((ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن ...))	٦٩	١٤٥
	٢٠- (سورة طه)		
٣٣٣،٣٣٤	((فلما أتاها نودي ... * إني أنا ربك ...))	١١،١٢	٣٠،٣٨
٣٣٥	((وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى))	١٣	٣٠
٣٣٦	((إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ...))	١٤	٣٠،٣٨،٤٠
٣٣٧،٣٣٨	((إن الساعة آتية ... * فلا يصدنك عنها من ...))	١٥،١٦	٤١
٣٣٩،٣٤٠	((قال ألقها ... * فألقاها فاذا هي حية تسعى))	١٩-٢٠	٣٣،٤٢
٣٤١	((واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء ...))	٢٢	٣٣،٤٤
٣٤٢-٣٤٥	((قال رب ... * ويسر لي ... * واحلل ... * يفقهوا قولي))	٢٥-٢٨	٤٧

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٣٤٦- ٣٤٩	((واجعل لي ... * هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه ...))	٢٩-٣٢	٤٨
٣٥٠، ٣٥١	((كي نسبحك كثيرا * ونذكرك كثيـــــــرا))	٣٣، ٣٤	٣٩، ٤٠، ٤٨
٣٥٢	((إنـك كنـــت بنـــا بصيـــرا))	٣٥	٣٩، ٤٩
٣٥٣	((قال قد أوتيت سؤلـــك يـــا موســـى))	٣٦	٤٩
٣٥٤	((إذ أوحينـــا إلـــى أمـــك مـــا يوحـــى))	٣٨	٢٧
٣٥٥، ٣٥٦	((أن اقذفيه في التابوت ... * إذ تمشي أختـــك ...))	٣٩ ، ٤٠	٢٨
٣٥٧	((إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيـا في ذكـــري))	٤٢	٤٠، ٤٨
٣٥٨، ٣٥٩	((إذهبا إلى فرعون ... * فقولا لـه قولا لينـــا ...))	٤٣ ، ٤٤	٥٢
٣٦٠	((قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغـى))	٤٥	٥٠
٣٦١	((قال لا تخافا إنني معكما أسمـــــع وأرى))	٤٦	٣٩، ٥٠
٣٦٢	((فأتياه فقولا إنا رسولا ربـك فأرسل معنـــا ...))	٤٧	٥٤، ٥٧، ٦٠، ٦٢
٣٦٣	((إنا قد أوحي إلينـا أن العذاب على من كـذب ...))	٤٨	٥٤، ٦٢
٣٦٤	((قـــال فمـــن ربكمـــا يـا موســـى))	٤٩	٣٨، ٧٠، ٧١
٣٦٥	((قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هـــدى))	٥٠	٣٨، ٧١
٣٦٦	((قال فما بال القـــرون الأولـــى))	٥١	٧٢، ٧٣
٣٦٧	((قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى))	٥٢	٣٩، ٧٣
٣٦٨-٣٧٠	((الذي جعل لكم ... * كلوا وارعوا ... * منها خلقناكم ...))	٥٣ - ٥٥	٧٣
٣٧١	((ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبـــى))	٥٦	٥٦
٣٧٢	((قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موســى))	٥٧	٨٨، ٩٠
٣٧٣	((فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينـــك ...))	٥٨	٨٩
٣٧٤	((قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحـــى))	٥٩	٨٩، ٩٣
٣٧٥	((فتولى فرعـــون فجمـــع كيـــده ثم أتـــى))	٦٠	٩٤
٣٧٦	((قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على اللـــه ...))	٦١	٩٧، ١٢٣
٣٧٧	((فتنازعـوا أمرهـم بينهـم وأسروا النجـــوى))	٦٢	٩٨
٣٧٨	((قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكـم ...))	٦٣	٩٩، ١٠١
٣٧٩	((فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلـــح ...))	٦٤	١٠٠
٣٨٠	((قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكـون ...))	٦٥	١٠١
٣٨١	((قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيـــل ...))	٦٦	١٠٢، ١٠٤
٣٨٢، ٣٨٣	((فأوجس في نفسه خيفة ... * قلنا لا تخف إنك أنت ...))	٦٧، ٦٨	١٠٤، ١٠٦
٣٨٤	((وألـــق ما في يمينـك تلقف ما صنعـــوا ...))	٦٩	١٠٧
٣٨٥	((فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هـــارون ...))	٧٠	١١٠
٣٨٦	((قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم ...))	٧١	١١٦، ١١٨
٣٨٧	((قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينـــات ...))	٧٢	١١٩
٣٨٨	((إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانـــــا ...))	٧٣	١٢١
٣٨٩	((إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يمـــوت ...))	٧٤	١٢٢، ١٢٤
٣٩٠	((ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهـــم ...))	٧٥	١٢٣
٣٩١	((جنات عدن تجري من تحتها الأنهـــــار ...))	٧٦	١٢٣، ١٢٤

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٣٩٢	((ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ...))	٧٧	١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠
٣٩٣، ٣٩٤	((فأتبعهم فرعون ... * وأضل فرعون قومه ...))	٧٨ ، ٧٩	١٧٥
٣٩٥	((يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ...))	٨٠	٢٠٣
٣٩٦	((كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه ...))	٨١	١٨٢
٣٩٧، ٣٩٨	((وما أعجلك عن ... * قال هم أولاء على أثري ...))	٨٣ ، ٨٤	٢٠٣
٣٩٩	((قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم ...))	٨٥	٢٠٣، ٢١٠
٤٠٠	((فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ...))	٨٦	٢١١، ٢٣٩
٤٠١	((قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا ...))	٨٧	٢١٣ ، ٢٣٨
٤٠٢	((فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ...))	٨٨	٢١٥، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٩
٤٠٣	((أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك ...))	٨٩	٢١٦
٤٠٤	((ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما ...))	٩٠	٢٠٦
٤٠٥	((قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع ...))	٩١	٢٤، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٩
٤٠٦، ٤٠٧	((قال يا هارون ... * ألا تتبعن أفعصيت أمري))	٩٢ ، ٩٣	٢١٨
٤٠٨	((قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ...))	٩٤	٢٢٠، ٢٢١
٤٠٩	((قال فما خطبك يا سامري))	٩٥	٢٢٤
٤١٠	((قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة ...))	٩٦	٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠
٤١١	((قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول ...))	٩٧	٢٢٥، ٢٢٩
٤١٢	((إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل ...))	٩٨	٢٢٨
٤١٣	((ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد ...))	١١٥	٢٤٦
	٢١- (سورة الأنبياء)		
٤١٤	((ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون))	٦	١٧٩
٤١٥	((وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ...))	٣٦	٧٧
٤١٦	((ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء ...))	٤٨	٣٢، ٢٤٤
٤١٧	((قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين))	٥٥	٦٨
٤١٨	((قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي ...))	٥٦	٦٩
٤١٩، ٤٢٠	((وتالله لأكيدن أصنامكم ... * فجعلهم جذاذا ...))	٥٧ ، ٥٨	٢٢٨
٤٢١، ٤٢٢	((قالوا حرقوه ... * قلنا يا نار كوني بردا ...))	٦٨ ، ٦٩	١٦٦
٤٢٣	((وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ...))	٨٠	٥
٤٢٤، ٤٢٥	((وذا النون إذ ذهب ... * فاستجبنا له ونجيناه ...))	٨٧ ، ٨٨	٢٩٣
٤٢٦	((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض ...))	١٠٥	١٣٢، ١٨٨
٤٢٧	((إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين))	١٠٦	١٨٨
٤٢٨	((قال رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان ...))	١١٢	١٣١
	٢٢- (سورة الحج)		
٤٢٩	((... ولكن عذاب الله شديد))	٢	٢٥٢

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٤٣٠	((ومن الناس من يجادل في اللـــه بغير علـــم ...))	٨	١٤٤،٢٠٩
٤٣١	((ثاني عطفه ليضل عن سبيل اللـــه لـــه فـــي ...))	٩	٢٠٩
٤٣٢	((ذلـــك ومن يعظم حرمات اللـه فهـو خير لـــه ...))	٣٠	٢١١
٤٣٣	((...ومن يشرك باللـه فكأنمـا خر من السمـــاء ...))	٣١	٢٤٠
٤٣٤	((...ولولا دفع اللـــه الناس بعضهم ببعـــض ...))	٤٠	١٧٩
٤٣٥	((...فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلـــوب ...))	٤٦	٢١٧
	٢٣- (سـورة المؤمنـون)		
٤٣٦	((والذين هم لأماناتهم وعهـــدهم راعـــــون))	٨	١٥٤
٤٣٧	((فقال الملأ الذين كفـروا من قومـه مـا هـــذا ...))	٢٤	٨٦
٤٣٨	((إن هـوَ إلا رجـل به جنـة فتربصـــــوا ...))	٢٥	٦٨
٤٣٩	((ولقد آتينـا موسى الكتـاب لعلهم يهتـــــدون))	٤٩	٢٤٣
	٢٤- (سـورة النـــور)		
٤٤٠	((إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذيـــن ...))	١٩	٢٢٣
٤٤١	((يـا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ...))	٢١	٣
	٢٥- (سـورة الفرقـان)		
٤٤٢	((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكـــون ...))	١	٢٤٤
٤٤٣	((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا))	٢٣	٢٠١
٤٤٤	((ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معـه أخـاه ...))	٣٥	٤٩
٤٤٥	((فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنـــا ...))	٣٦	١٧٨
٤٤٦	((أرأيت من اتخـذ إلـهـــه هواه أفأنت تكـون ...))	٤٣	٣
٤٤٧	((إن هم إلا كالأنعام بل هـــم أضـل سبيـــلا))	٤٤	٩٤
٤٤٨	((وتوكـل على الحـي الذي لا يمـــــــوت ...))	٥٨	٢٨٣
	٢٦- (سـورة الشعـــراء)		
٤٤٩	((ويضيق صدري ولا ينطلق لسانـــــــي ...))	١٣	٤٧
٤٥٠	((ولـهم علي ذنب فأخاف أن يقتلـــــــون))	١٤	٥٠
٤٥١	((قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعـــون))	١٥	٥٠،٥٦
٤٥٢	((فأتيا فرعون فقولا إنا رسـول رب العالميـــن))	١٦	٥٤،٥٦،٥٧،٦٠
٤٥٣	((أن أرسـل معنـا بنـي إسرائيـــل))	١٧	٥٤،٦٠
٤٥٤	((قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا مـن ...))	١٨	٢٩،٦٤
٤٥٥	((وفعلت فعلتـك التي فعلت وأنت مـن الكافريـن))	١٩	٥٤،٦٥

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــــة
٤٥٦	((قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ...))	٢٠	٦٦
٤٥٧	((ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما ...))	٢١	٦٦، ٦٧
٤٥٨	((وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل))	٢٢	٦٧
٤٥٩	((قال فرعون وما رب العالمين))	٢٣	٣٨، ٧٠، ٧٤
٤٦٠	((قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم ...))	٢٤	٣٨، ٧٥
٤٦١، ٤٦٢	((قال لمن حوله ... * قال ربكم ورب آبائكم ...))	٢٥ ، ٢٦	٧٦
٤٦٣، ٤٦٤	((قال إن رسولكم ... * قال رب المشرق والمغرب ...))	٢٧ ، ٢٨	٧٧
٤٦٥	((قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين))	٢٩	٧٨، ٨٥
٤٦٦، ٤٦٧	((قال أولو جئتك ...* قال فأت به إن كنت ...))	٣٠ ، ٣١	٨٠
٤٦٨	((فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين))	٣٢	٤٢، ٨١
٤٦٩	((ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين))	٣٣	٤٤، ٨٢
٤٧٠	((قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم))	٣٤	٨٣، ٩٠
٤٧١	((يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون))	٣٥	٨٣
٤٧٢، ٤٧٣	((قالوا أرجه وأخاه ... * يأتوك بكل سحار عليم))	٣٦ ، ٣٧	٨٤، ٩٢
٤٧٤	((فجمع السحرة لميقات يوم معلوم))	٣٨	٩٢
٤٧٥، ٤٧٦	((وقيل للناس هل ...* لعلنا نتبع السحرة ...))	٣٩ ، ٤٠	٩٣
٤٧٧	((فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا ...))	٤١	٩٥، ١٢١
٤٧٨	((قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين))	٤٢	٩٥
٤٧٩	((قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون))	٤٣	١٠٢
٤٨٠	((فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون ...))	٤٤	٩٩، ١٠٣
٤٨١	((فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون))	٤٥	١٠٨
٤٨٢	((فألقي السحرة ساجدين))	٤٦	١١٠، ٢١٩
٤٨٣، ٤٨٤	((قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون))	٤٧ ، ٤٨	١١٠
٤٨٥	((قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم ...))	٤٩	١١٦، ١١٧
٤٨٦	((قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون))	٥٠	١١٩
٤٨٧	((إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ...))	٥١	١٢١
٤٨٨	((وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون))	٥٢	١٦٣، ٢٣٥
٤٨٩-٤٩٢	((فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة ...* وإنهم لنا ... * وإنا لجميع حاذرون))	٥٣ ٥٦	١٦٥
٤٩٣	((فأخرجناهم من جنات وعيون))	٥٧	١٨٣، ١٨٤، ١٨٦
٤٩٤، ٤٩٥	((وكنوز ومقام كريم* كذلك وأورثناها بني إسرائيل))	٥٨ ، ٥٩	١٨٣، ١٨٦
٤٩٦	((فأتبعوهم مشرقين))	٦٠	١٦٦
٤٩٧، ٤٩٨	((فلما تراءا الجمعان ...* قال كلا إن معي ...))	٦١ ، ٦٢	١٦٧
٤٩٩	((فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق...))	٦٣	٤٦، ١٦٨، ١٧١
٥٠٠	((وأزلفنا ثم الآخرين))	٦٤	١٧٠
٥٠١	((وأنجينا موسى ومن معه أجمعين))	٦٥	١٧٠، ١٧٢
٥٠٢	((ثم أغرقنا الآخرين))	٦٦	١٧٠، ١٧٩
٥٠٣	((إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين))	٦٧	١٧٧، ١٧٩

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحـــة
٥٠٤	((وأزلفت الجنـــة للمتقيـــن))	٩٠	١٧٤
٥٠٥	((قالوا إنمـــا أنـت من المسحريـــن))	١٥٣	٦٨
٥٠٦	((قالوا إنما أنت من المسحريـــن))	١٨٥	٦٨
٥٠٧	((وأنـــذر عشيرتـــك الأقربيـــن))	٢١٤	٢٨٨
	٢٧- (سورة النمـــل)		
٥٠٨	((يـــا موسى إنه أنا اللـــه العزيـــز الحكيـــم))	٩	٣٩
٥٠٩	((فلما جاءتهم آيـتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبيـن))	١٣	١٥٤،٩٠
٥١٠	((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلـوا ...))	١٤	١٥٥
٥١٢،٥١١	((ولقد آتينا داود... *وورث سليمـــان داود ...))	١٥ ، ١٦	٢١
٥١٣	((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجـــوا ...))	٥٦	١٢١
	٢٨- (سورة القصـــص)		
٥١٤	((إن فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعـــا ...))	٤	٢٧
٥١٥	((ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ...))	٥	١٨٥،١٠٤،١٨٣،٢٧ ١٨٧
٥١٦	((ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامـــان ...))	٦	١٠٤،١٨٣،٢٧
٥١٧-٥٢٣	((وأوحينا إلى أم موسى... * فالتقطه آل فرعـون ... * وقالت امرأة فرعون ... * وأصبح فؤاد أم موسى... * وقالت لأختـه قصيـــه ... * وحرمنا عليه المراضع... * فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحـــزن ...))	٧-١٣	٢٧
٥٢٤	((ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلمـــا ...))	١٤	٨٩،٣١
٥٢٥-٥٣١	((ودخل المدينة على حين غفلة... * قال رب إنـــي ظلمت نفسي... * قال رب بما أنعمت علـــي ... * فأصبح في المدينة خائفا يترقب ... * فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما... * وجاء رجل من أقصى المدينة... * فخرج منها خائفا يترقـــب ...))	١٥ - ٢١	٢٩
٥٣٢-٥٣٥	((ولما توجه تلقاء مدين... * ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة... * فسقى لهما ثم تولى إلى الظل... * فجاءته إحداهما تمشي على استحيـــاء ...))	٢٢- ٢٥	٣٠
٥٣٦	((قالت إحداهما يا أبت استأجـــره ...))	٢٦	٢٢٢،٣٠
٥٣٧-٥٣٩	((قال إني أريد أن أنكحك... * قال ذلك بينـــي وبينك... * فلما قضى موسى الأجل وسار بأهلـه ...))	٢٧ - ٢٩	٣٠
٥٤٠	((فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمـــن ...))	٣٠	٣٨
٥٤١	((وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جـــان ...))	٣١	٤٢
٥٤٢	((اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ...))	٣٢	٨٢،٤٦،٤٤

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٥٤٣	((قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلـــون))	٣٣	٥٠
٥٤٤	((وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معـي ...))	٣٤	٤٨،٤٧
٥٤٥	((قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانـــا ...))	٣٥	١٢٦،١٢٥،٩٢٤،٨٥،٥٠
٥٤٦	((فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالـــوا ...))	٣٦	٩٠،٨٦
٥٤٧	((وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ...))	٣٧	٨٧
٥٤٨	((وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله ...))	٣٨	١٨١،٨٧
٥٤٩	((واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحـــق ...))	٣٩	١٧٩
٥٥٠	((فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف ...))	٤٠	١٧٩
٥٥٢،٥٥١	((وجعلناهم أئمة ... * وأتبعناهم في هذه الدنيا ...))	٤١ ، ٤٢	١٩١،١٨٩
٥٥٣	((ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنـــا ...))	٤٣	٢٤٣،١٩،١١
٥٥٤	((فإن لم يستجيبوا لـــك فاعلم أنما يتبعـــون ...))	٥٠	٣
٥٥٥	((وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمهـــا ...))	٥٩	٦
٥٥٦	((وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيـــر ...))	٨٠	٢٦
٥٥٧	((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا ...))	٨٣	١٠٠
	٢٩- (سورة العنكبوت)		
٥٥٩،٥٥٨	((أحسب الناس أن يتركوا ... * ولقد فتنا الذين من ...))	٢ ، ٣	١٧ ،١٣١،١٢٠
٥٦٠	((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـــا ...))	٦٩	١٠٦
	٣١- (سورة لقمـــان)		
٥٦١	((يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن ...))	١٦	٢٥٨
٥٦٢	((يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ...))	١٧	٢٥٦،٢٤٦
٥٦٣	((... ومن الناس من يجادل في الله بغير علـــم ...))	٢٠	١٤٤
	٣٣- (سورة الأحـــزاب)		
٥٦٤	((يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ...))	٩	٤٦
٥٦٥	((... قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصـدق ...))	٢٢	٥٩
٥٦٦	((ليجزي الله الصادقين بصدقهـــــــم ...))	٢٤	٥٩
٥٦٨،٥٦٧	((وأنزل الذين ظاهروهم ... * وأورثكم أرضهـــم ...))	٢٦ ، ٢٧	١٨٨
٥٦٩	((إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـــات ...))	٣٥	٥٩
٥٧٠	((... ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينـــا))	٣٦	١٨١
٥٧١	((يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ...))	٦٩	٣٢،٢٤
	٣٤- (سورة سبـــأ)		
٥٧٢	((... إعملوا آل داود شكـــــــرا ...))	١٣	٢٥٠،٢٣٨

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٥٧٣	((...جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيـــد))	٤٩	٢٢٧
	٣٥- (سورة فاطـــر)		
٥٧٤	((... فلن تجد لسنة الله تبديـــلا ...))	٤٣	٢٩٣
	٣٦- (سورة يـــس)		
٥٧٥	((يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رســول ...))	٣٠	٧٧
٥٧٦-٥٧٩	((أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ...* وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ...* قل يحييها الذي أنشأهـا أول مرة ...* الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نـارا ...))	٧٧ - ٨٠	٧٩
	٣٧- (سورة الصافـات)		
٥٨٠	((ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنـون))	٣٦	٦٩
٥٨١	((وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحيـن))	١١٢	١٣
٥٨٢-٥٨٤	((ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم* ونصرناهم فكانوا هم الغالبيـن))	١١٤-١١٦	٣٥،١٧٣،١٩٥
٥٨٥-٥٩٠	((وآتيناهما الكتاب المستبين* وهديناهما الصـراط المستقيم* وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون* إنا كذلك نجزي المحسنين * إنهمـا من عبادنـا المؤمنيـن))	١١٧-١٢٢	٣٥،١٩٥
٥٩١	((وإن إلياس لمن المرسليـن))	١٢٣	١٢٠
٥٩٢،٥٩٣	((وإن لوطا لمن المرسلين* إذ نجيناه وأهله أجمعين))	١٣٣،١٣٤	١٧٢
٥٩٤،٥٩٥	((فلولا أنه كان من المسبحين* للبث في بطنـه ...))	١٤٣،١٤٤	١٧٦
٥٩٦،٥٩٧	((وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون * فآمنـوا فمتعناهم إلـى حيـن))	١٤٧،١٤٨	٢٩١
٥٩٨،٦٠٠	((ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبـون))	١٧١-١٧٣	١٠٩،١٧٢
	٣٨- (سـورة ص)		
٦٠١	((بل الذين كفروا في عزة وشقـاق))	٢	١٤١
٦٠٢	((قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحـد ...))	٣٥	١٦
	٣٩- (سـورة الزمـر)		
٦٠٣	((... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون...))	٩	٤٢،١٥٩

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحـــة
٦٠٤	((...إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب))	١٠	١٣٢، ١٧٤
٦٠٥	((...ذلك هدى الله يهدي به من يشاء...))	٢٣	٢٦٦
٦٠٦	((والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون))	٣٣	٥٩
٦٠٧	((قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...))	٥٣	٢٤١
٦٠٨	((واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم...))	٥٥	٢٤٥
	٤٠- (سورة غافر)		
٦٠٩، ٦١٠	((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب))	٢٣ ، ٢٤	٩٠
٦١١	((فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ...))	٢٥	١٢٧
٦١٢	((وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ...))	٢٦	١٣٥، ١٣٨
٦١٣	((وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر ...))	٢٧	١٣٧
٦١٤	((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ...))	٢٨	١٣٨، ١٤١
٦١٥	((يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ...))	٢٩	١٣٩، ١٤١، ١٤٣
٦١٦-٦١٩	((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم... * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ... * ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ...))	٣٠-٣٣	١٤٢
٦٢٠، ٦٢١	((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ...* الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ...))	٣٤ ، ٣٥	١٤٣
٦٢٢، ٦٢٣	((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا...* أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه ...))	٣٦ ، ٣٧	١٤٤
٦٢٤-٦٢٦	((وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم...* يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع... * من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا ...))	٣٨-٤٠	١٤٥
٦٢٧-٦٢٩	((ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة...* تدعونني لأكفر بالله وأشرك به...* لا جرم أنما تدعونني إليه ...))	٤١-٤٣	١٤٦
٦٣٠	((فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ...))	٤٤	١٤٧
٦٣١	((فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون...))	٤٥	١٤٧، ١٩٠
٦٣٢	((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم...))	٤٦	١٩٠، ١٩١، ١٩٢
٦٣٣-٦٣٦	((وإذ يتحاجون في النار ... * قال الذين استكبروا إنا كل فيها...* وقال الذين في النار لخزنة جهنم ... * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم ...))	٤٧-٥٠	١٩٢
٦٣٧	((إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ...))	٥٦	١٣٧
٦٣٨	((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ...))	٦٠	٥١
٦٣٩، ٦٤٠	((فلما رأوا بأسنا ...* فلم يك ينفعهم إيمانهم...))	٨٤ ، ٨٥	١٧٧

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
	٤١- (سـورة فصلـــت)		
٦٤١	((إن الذين قـالوا ربنـا الله ثم استقامـــوا ...))	٣٠	١٧٩، ٢٨٢
٦٤٢، ٦٤٣	((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ... * وما يلقـاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيـــم))	٣٤ ، ٣٥	٢٢١
٦٤٤	((سنريهم آياتنـا في الآفـاق وفي أنفسهـــم ...))	٥٣	١٧٨
	٤٢- (سـورة الشـورى)		
٦٤٥	((... ليس كمثله شيء وهو السميع البصيـــر))	١١	٧٥
٦٤٦	((ولمـن صبـر وغفـر إن ذلـك لمـن عزم الأمـــور))	٤٣	٢٤٦
	٤٣- (سـورة الزخـرف)		
٦٤٧	((... لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين ...))	٣١	١٥٨
٦٤٨	((ولقد أرسلنـا موسى بآيتنـا إلى فرعون ومـلإه ...))	٤٦	٩٠
٦٤٩	((فلمـا جاءهم بآياتنـا إذا هم منهـا يضحكـــون))	٤٧	٩٠
٦٥٠	((ومـا نريهم من آية إلا هي أكبر من أختهـــا ...))	٤٨	١٥٢، ١٥٣
٦٥١	((وقـالوا يـا أيـــه الساحر ادع لنـا ربك بمـــا ...))	٤٩	١٥٣
٦٥٢	((فلمـا كشفنـا عنهم العذاب إذا هم ينكثـــون))	٥٠	١٥٣، ١٥٤
٦٥٣	((ونادى فرعون في قومه قـال يـا قوم أليس لـي ...))	٥١	١٥٧
٦٥٤	((أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبيـــن))	٥٢	٧١، ١٥٧
٦٥٥	((فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معـه ...))	٥٣	١٥٧
٦٥٦	((فاستخف قومه فأطاعـوه إنهم كانوا قوما فاسقيـــن))	٥٤	٩٦، ١٤٥، ١٥٩، ٢٢٥
٦٥٧	((فلمـا آسفونـا انتقمنـا منهم فأغرقناهم أجمعيـــن))	٥٥	١٧١، ١٨٢
٦٥٨	((فجعلنـاهم سلفـا ومثلا للآخريـــــن))	٥٦	١٧٧، ١٨٢
	٤٤- (سـورة الدخـان)		
٦٥٩	((ولقد فتنـا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريـــم))	١٧	٣٣
٦٦٠	((أن أدوا إلي عبـاد اللـه إني لكم رسول أميـــن))	١٨	٣٣، ٦٠، ١١
٦٦١	((وأن لا تعلـوا على الله إني آتيكم بسلطان مبيـــن))	١٩	٦٢
٦٦٢، ٦٦٣	((وإني عذب بربي وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلـــــون))	٢٠ ، ٢١	٦٣
٦٦٤، ٦٦٥	((فدعا ربه أن هؤلاء قـــوم مجرمـــــون* فأسر بعبادي ليـــلا إنكـــم متبعـــــون))	٢٢ ، ٢٣	١٦٣
٦٦٦	((واترك البحـر رهـوا إنهم جنـد مغرقـــــون))	٢٤	١٧٤
٦٦٧	((كم تركـوا مـــن جنـــات وعيـــــون))	٢٥	١٨٣، ١٨٤

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحـــة
٦٦٨-٦٧٠	((وزروع ومقام كريم* ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين))	٢٦ - ٢٨	١٨٣
٦٧١،٦٧٢	((ولقد نجينا بني إسرائيل...* من فرعون ...))	٣٠ - ٣١	١٧٣
	٤٦- (سورة الأحقاف)		
٦٧٣	((ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ...))	١٢	٢٤٤
٦٧٤	((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ...))	٣٥	٢٤٦
	٤٧- (سورة محمد)		
٦٧٥	((يا أيها الدين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ...))	٧	١٧٣،٢١١
٦٧٦	((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ...))	٣١	١٣٢
	٤٨- (سورة الفتح)		
٦٧٧	((ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين ...))	٦	١٨٢
	٤٩- (سورة الحجرات)		
٦٧٨،٦٧٩	((يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ...* يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا ...))	٢،١	٢٦٥
٦٨٠	((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا ...))	٩	٤
٦٨١	((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ...))	١٢	٢٥٧
	٥١- (سورة الذاريات)		
٦٨٢	((كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا ...))	٥٢	٦٩
٦٨٣	((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))	٥٦	٤٠،٩٥
٦٨٤	((إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين))	٥٨	١٠٣
	٥٤- (سورة القمر)		
٦٨٥،٦٨٦	((...في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر))	٥٤ ، ٥٥	٢٤٥
	٥٦- (سورة الواقعة)		
٦٨٧،٦٨٨	((أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون))	٥٨ ، ٥٩	٧٩
٦٨٩،٦٩٠	((أفرأيتم ما تحرثون* أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون))	٦٣ ، ٦٤	٧٩

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــــة
	٥٧- (سـورة الحديـــد)		
٦٩١	((ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فـــي...))	٢٦	١٣
	٥٨- (سـورة المجـادلة)		
٦٩٢	((إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذليـــن))	٢٠	٢٣٥
٦٩٣	((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ...))	٢٢	٢٠٧،٢٨٨
	٥٩- (سـورة الحشـــر)		
٦٩٤	((لأنتم أشد رهبة في صدورهم من اللهذلـــــك ...))	١٣	١٣٦
٦٩٥	((لايقا تلونكم جميعـا إلا فى قرى محصنـــة ...))	١٤	١٩٧،٢٨٠
	٦٠- (سـورة الممتحنـة)		
٦٩٦	((يـا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكـم...))	١	٢٨٨
	٦١- (سـورة الصـــف)		
٦٩٧،٦٩٨	((يـا أيهـا الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلـــون *		
	كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلـــون))	٢،٣	٤٠
٦٩٩	((إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفـــا...))	٤	٤٩،١٠٠
٧٠٠	((... فلمـا زاغوا أزاغ الله قلوبهـــــم...))	٥	٢٨٠
٧٠١	((وإذ قـال عيسى بن مريم يـا بني إسرائيل إنـــي...))	٦	٢٣
٧٠٢	((... فـآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة...))	١٤	١٧٩
	٦٢- (سـورة الجمعـــة)		
٧٠٣	((قل يـا أيهـا الذين هادوا إن زعمتـــــم...))	٦	١٥
	٦٣- (سـورة المنـافقـون)		
٧٠٤	((يقولون لئن رجعنـا إلى المدينة ليخرجن الأعـــز...))	٨	٤،١٠٣
	٦٤- (سـورة الطـــلاق)		
٧٠٥	((...ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بـالغ...))	٣	١١٤،٢٨٣

التسلسل	الآيـــــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
	٦٦- (سـورة التحريـــم)		
٧٠٦	((يـا أيهـا النبي لـم تحرم مـا أحل الله لـك تبتغي ...))	١	٢١٩
	٦٩- (سـورة الحاقـــة)		
٧٠٧،٧٠٨	((وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخـذة رابيـــــة))	١٠،٩	١٨١
	٧٠- (سـورة المعـــارج)		
٧٠٩	((والذين هم لأماناتهم وعهـــدهم راعـــون))	٣٢	١٥٤
	٧١- (سـورة نـــوح)		
٧١٠-٧١٢	((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسـل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين...))	١٠-١٢	٥٤
٧١٣،٧١٤	((ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطـوارا))	١٣،١٤	٢٦٥
٧١٥،٧١٦	((وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا...))	٢٦،٢٧	٢٨٩
	٧٢- (سـورة الجـــن)		
٧١٧	((... ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنـم...))	٢٣	١٨١
	٧٣- (سـورة المزمـــل)		
٧١٨،٧١٩	((إنا أرسنا إليكم رسولا شاهدا عليكم... * فعصـى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيـــــلا))	١٥،١٦	١٨١
	٧٤- (سـورة المدثـــر)		
٧٢٠	((... وما يعلم جنـود ربك إلا هـــــو ...))	٣١	١٧٣
	٧٦- (سـورة الإنســان)		
٧٢١	((إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفـورا))	٣	٦١
	٧٩- (سـورة النازعـات)		
٧٢٢	((إذهب إلى فرعون إنه طغـــــى))	١٧	٥٤

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
٧٢٣،٧٢٤	((فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى))	١٨،١٩	٥٢،٥٤،٦١
٧٢٥،٧٢٦	((فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى))	٢٠،٢١	٩٠
٧٢٧	((فحشر فنادى))	٢٣	٩٦،١٨٠
٧٢٨	((فقال أنا ربكم الأعلى))	٢٤	٩٦،١١١،١٢٧،١٨٠
٧٢٩	((فأخذه الله نكال الآخرة والأولى))	٢٥	١٨٠
٧٣٠	((إن في ذلك لعبرة لمن يخشى))	٢٦	١٧٧،١٨٠
٧٣١-٧٣٣	((فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم ...))	٣٧ - ٣٩	١٨٠
٣٧٤	((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى))	٤٠	٣
	٨٥- (سورة البروج)		
٧٣٥-٧٣٨	((قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود))	٤-٧	١٦٦
٧٣٩	((وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد))	٨	١٢١،١٦٦
٧٤٠	((إن بطش ربك لشديد))	١٢	٢٥٢
٧٤١،٧٤٢	((هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود))	١٧،١٨	١٦٦،١٧١
	٨٩- (سورة الفجر)		
٧٤٣-٧٤٥	((وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد))	١٠-١٢	٥٦،١٨٠
٧٤٦	((فصب عليهم ربك سوط عذاب))	١٣	١٨٠
	٩٩- (سورة الزلزلة)		
٧٤٧،٧٤٨	((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره))	٧،٨	٢٧٦
	١٠١- (سورة القارعة)		
٧٤٩-٧٥٩	((القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه * نار حامية))	١-١١	٣٠
	١٠٤- (سورة الهمزة)		
٧٦٠-٧٦٣	((نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة))	٦-٩	٢٤٥

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
	(أ)	
١	(آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ،وإذا ...)	٥٩، ٢١٣
٢	(أتقاهم ... فيوسف ابن نبي الله ابن نبي...)	١٨
٣	(أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند...)	٣٤
٤	(أجب عني، اللهم أيده بروح القدس).....	١٤٠
٥	(إحتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني ...)	١٤٥
٦	(إحتج آدم وموسى فقال له موسى : أنت ...)	٣٣
٧	(إذا أراد الله بالأمير خيرا ، جعل له ...)	١٢٩
٨	(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن...)	٥٩، ١٥٤
٩	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا: الإشراك ...)	٢٤٠
١٠	(الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ...)	٢٧٦
١١	(الحرب خدعة).....	٢٨٣
١٢	(الدين النصيحة ،قلنا لمن ؟ قال : لله ...)	٢٨٢، ٢٠٨
١٣	(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من ...)	١٣١، ٢٤٨
١٤	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).....	٤٩
١٥	(المسجد الحرام ،قلت ثم أي ، قال المسجد الأقصى...)	٢٧٥
١٦	(الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من...)	٣٥
١٧	(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي...)	٢٨٧
١٨	(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل،والجبن...)	٥١، ١٣٨
١٩	(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك...)	١٣٨
٢٠	(اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ،فلما سمعوا...)	٢٨٩
٢١	(أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أولاد علات ...)	٢٣
٢٢	(أن تدعو لله ندا وهو خلقك ...)	٢٤٠
٢٣	(أن لا تدع صورة ألا طمستها، ولا قبرا ...)	٢٢٨
٢٤	(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده ...)	١٩٠
٢٥	(إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ...)	٤١
٢٦	(إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان ...)	٢٧٦
٢٧	(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ...)	١٣
٢٨	(إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا...)	٤٩
٢٩	(إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي...)	١٩
٣٠	(إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي...)	٥٩
٣١	(إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها...)	٢٦١
٣٢	(إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض ...)	٤١
٣٣	(إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت ...)	١٤٠
٣٤	(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ،وإن الله...)	١٧٤
٣٥	(إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها...)	٢٧٦
٣٦	(إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة...)	٢٤١

الرقم	الحديث	الصفحة
٣٧	(إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى ...)	٣٣
٣٨	(إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق ...)	٤٩
٣٩	(إياكم والظن ، فإن بعض الظن أكذب الحديث ...)	٢٥٧
٤٠	(أي رجل الحصين بن سلام فيكم ...)	٢١٤
٤١	(أي واد هذا ... كأني أنظر إلى موسى ...)	٣٣
	(ب)	
٤٢	(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل ...)	٢٢٣
٤٣	(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى ...)	٥٩
	(ت)	
٤٤	(تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ...)	١٣٨
	(ث)	
٤٥	(ثكلتك أمك ! وهل يكب الناس في النار على ...)	٢٦١
٤٦	(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان ...)	٨٨،٢٦٥
	(ج)	
٤٧	(جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فقال له ...)	٣٥
	(ح)	
٤٨	(حسبنا الله ونعم الوكيل ...)	١١٤
	(د)	
٤٩	(دعوني ما تركتكم : إنما هلك من كان قبلكم ...)	٢٦٥
	(ر)	
٥٠	(رأيت ليلة أسري بي ، موسى ، رجلا آدم ...)	٨٢،٤٥
٥١	(رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ...)	٢٩٠

الرقم	الحديث	الصفحة
	(س)	
٥٢	(سبحان الله إهذا كما قال قوم موسى : إجعل لنا ...)	١٩٩
	(ع)	
٥٣	(عرضت علي الأمم ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق ...)	٣٢
٥٤	(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا...)	٢٠٨
	(غ)	
٥٥	(غزا نبي من الأنبياء ... فقال للشمس : أنت ...)	١٩
	(ف)	
٥٦	(فأتينا على السماء السادسة قيل : من هذا ...)	٣٤
٥٧	(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام...)	٢٧٠-٧١
٥٨	(فرض الله علي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى أمر...)	٣٤
٥٩	(...فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، وطوله ...)	٢٧٩
٦٠	(فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ...)	٢٦٧
	(ق)	
٦١	(قام موسى خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل أي الناس...)	١٩
٦٢	(قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ...)	١٣٢، ١٣٣
٦٣	(قل آمنت بالله ثم استقم ...)	٢٨٢
٦٤	(قل اللهم اهدني ، وسددني ، واذكر بالهدى ...)	٥١
	(ك)	
٦٥	(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما ...)	١٨
٦٦	(كان زكريا نجارا)	٢٢
٦٧	(كلكم راع ومسؤول عن رعيته والإمام راع ومسؤول...)	٢٢٠
	(ل)	
٦٨	(لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى ...)	١٧
٦٩	(...لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعو على أولادكم ...)	١٦١
٧٠	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم...)	٧
٧١	(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ...)	٧

الرقم	الحديث	الصفحة
٧٢	(لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل ...)	١٨٩
٧٣	(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى ...)	١٩٨، ٢٨٠-٢٨١
٧٤	(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم ...)	١٨
٧٥	(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ...)	٢٦٥
٧٦	(لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان ...)	٢١٩
٧٧	(لا يحل دم مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأني ...)	٢٣٨
٧٨	(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ...)	١٨٠
٧٩	(لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم ...)	٢٩٠
٨٠	(لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه على نفسه فهو ...)	٢٤١
٨١	(لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم ...)	٢٥٦
٨٢	(لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ...)	٢٨٣
٨٣	(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع ...)	٢٤١
	(م)	
٨٤	(ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ...)	١٢٩
٨٥	(ما تجدون في التوراة على من زنا ...)	٢٥٧
٨٦	(ما ترون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر ...)	٢٩٣-٢٩٤
٨٧	(ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم ...)	٢٢٠
٨٨	(ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو ...)	٢٢٢
٨٩	(ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ...)	٢٥٢
٩٠	(ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ ...)	١٧٧-١٧٨
٩١	(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ...)	٤٩
٩٢	(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)	٢٣٥
٩٣	(من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصا ...)	٢٠٨
٩٤	(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من ...)	١٥٩، ١٨٩
٩٥	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم ...)	٢٠٧، ٢٢٠
٩٦	(من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ...)	٣٩، ٢٠١، ٢٤٠
٩٧	(من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات ...)	٢٨٣
٩٨	(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما العلم ...)	١٥٩
٩٩	(من يردهم عنا وله الجنة ؟ أو هو رفيقي في الجنة ...)	١٤٠
	(ن)	
١٠٠	(نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة ...)	٢١
	(و)	
١٠١	(... واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين ...)	١٦١
١٠٢	(والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه ...)	٢٦، ٣١
١٠٣	(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن ...)	٢٥٦

الرقم	الحديث	الصفحة
١٠٤	(... ومن يصبر يصبره الله ،وما أعطي أحدمن عطاء ...)	١٣٢
	(ي)	
١٠٥	(يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ...)	١٦٨
١٠٦	(يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها ...)	٢٢٢
١٠٧	(يا أيها الناس أي يوم هذا . قالوا : يوم ...)	٢٦١
١٠٨	(يا بني كعب بن لؤي : أنقذوا أنفسكم من النار ...)	٢٨٨
١٠٩	(يا غلام إني أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك ...)	١٣١
١١٠	(يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم...)	١٨
١١١	(يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار...)	٤٠
١١٢	(يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)	٣٢

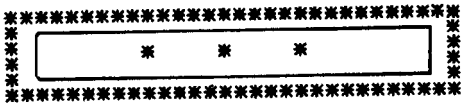

ثالثا : فهرس الأعلام

ملاحظة : النجمة تشير إلى العلم المترجم له ،والرقم المحصور بين أقواس يشير إلى صفحة الترجمة.

الرقم	العلم	الصفحة
	(أ)	
١	آدم (عليه السلام)*	٦، ١٣، ٣٣، ١٨٩، ٢٤٦، ٢٧٩
٢	إبراهيم (عليه السلام)*	٤، ٦، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٦٩، ٧٨، ٧٩، ١١٤، ١٢٤، ١٦٦، ٢٢٨، ٢٧١، ٢٩١
٣	ابن الأثير *	((٢١))
٤	ابن القيم *	((١٦٢))
٥	ابن جريج *	((١٦١)) ، ١٩١
٦	ابن حزم الأندلسي *	((١٤))
٧	ابن خلدون *	((١٥)) ، ٢٠، ٢١
٨	ابن زيد *	((٦٥)) ، ٦٦، ٢١٣، ٢٥١، ٢٦٦
٩	ابن عباس (رضي الله عنه)*	((٢٢)) ، ٣٢، ٣٣، ٥٢، ٦٦، ٧١، ١٠٨، ١١٤، ١٢٤، ١٣١، ١٤٩، ١٧٧، ١٩٠، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٩٣
١٠	ابن عطية *	((١٧٠)) ، ١٩٢، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٦
١١	ابن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)*	((١٤٠))
١٢	ابن قتيبة*	((٢١٠)) ، ٢٣٧
١٣	ابن كثير *	((٢٠)) ، ٢١، ٢٢، ٥٢، ٧٢، ٧٤، ٨١، ١٠٤، ١١٣، ١٤٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٨٠
١٤	ابن مسعود (رضي الله عنه)*	((١٩٠)) ، ٢٢٧، ٢٤٠
١٥	ابن هشام *	((١٦٤))
١٦	أبو الدرداء (رضي الله عنه)*	((٢١١))
١٧	أبو السعود *	((٦٦)) ، ٨٦، ١٠٩، ١٧٦
١٨	أبو العالية *	((٢٥٤))
١٩	أبو الفرج بن الجوزي *	((٤٣)) ، ٥٢، ٦٥، ٧٤، ٧٥، ١٢٨، ٢٥٥
٢٠	أبو الهياج *	((٢٢٨))
٢١	أبو بكر الرازي *	((٢٣٠))
٢٢	أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)*	((١٤١)) ، ١٦٤، ١٦٨، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٤
٢٣	أبو جهل بن هشام*	((٢٨٩))
٢٤	أبو حيان *	((٥٢)) ، ٦٢، ٦٥، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٠٧، ١١١، ١٢٤، ١٣٩، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٠
٢٥	أبو ذر(رضي الله عنه)*	((٢٢٢)) ، ٢٧٥
٢٦	أبو داود (صاحب السنن)*	١٢٩
٢٧	أبو رقية تميم بن أوس الداري*	((٢٠٨)) ، ٢٨٢
٢٨	أبو سفيان(رضي الله عنه)*	((٢٨٥))

الرقم	العلم	الصفحة
٢٩	أبو سليمان الدمشقي	٢٣٧
٣٠	أبو صالح	٢١٩
٣١	أبو عبيدة *	((٦٦))
٣٢	أبو واقد الليثي (رضي الله عنه) *	((١٩٩))
٣٣	أبو هريرة (رضي الله عنهم) *	((١٨)) ، ٢٨٨
٣٤	أحمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم)	٢٣
٣٥	إدريس (عليه السلام)	٥٩
٣٦	أرميا (عليه السلام) بن حلقيا	٢١
٣٧	إسحاق (عليه السلام)	٦٠،٥٩،١٨،١٤،١٣،١٢
٣٨	أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) * ...	((١٦٥))
٣٩	إسماعيل (عليه السلام)	٥٩،١٣
٤٠	أشر بن يعقوب (عليه السلام)	١٤
٤١	أم زرع	٢٣١
٤٢	أمية بن خلف *	((٢٨٩))
٤٣	أنس بن مالك (رضي الله عنه) *	((١٤٠)) ، ١٦٨ ، ٢٨٥
٤٤	الأرقم بن أبي الأرقم (رضي الله عنه) * ...	((١١٥))
٤٥	الأزهري *	((٦٧))
٤٦	الأقرع بن حابس (رضي الله عنه) *	((٢٦٧))
٤٧	الألوسي *	((٦٢)) ، ٧٢٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٤ ، ٢٨٠
٤٨	البخاري *	((٢٦١)) ، ٢٨٦
٤٩	البيضاوي *	((٨٥)) ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥
٥٠	الترمذي *	((١٩٨)) ، ٢٩٤
٥١	الثعلبي *	((٦٧))
٥٢	الحسن البصري *	((٢٢)) ، ٥٣٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٥
٥٣	الخازن *	((٤٣)) ، ٧٤٠
٥٤	الخطيب الشربيني *	((١٩٦)) ، ١٩٧٠ ، ٢٣٩
٥٥	الزجاج *	((٤٣)) ، ٦٢٠ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ٢١٠ ، ٢٣٣
٥٦	الزمخشري *	((٤٤)) ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٨٤
٥٧	السامري (صاحب عجل بني إسرائيل)	٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧
٥٨	السدي *	((٥٣)) ، ٦٥ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤
٥٩	السيوطي *	((٢٣٤)) ، ٢٣٧
٦٠	الشوكاني *	((٢٠٠)) ، ٢٨٠
٦١	الضحاك بن قيس *	((٦٥)) ، ٩٨ ، ١٧٦ .

الرقم	العلم	الصفحة
٦٢	الطبري *	((٤٤)) ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
٦٣	العزير (عليه السلام)	١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣
٦٤	الفخر الرازي *	((٤٥)) ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١١٠ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٧٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ،
٦٥	الفراء*	((١٢٠))
٦٦	الفيروز آبادي *	((١٥١)) ، ٢٣٠
٦٧	القاسمي *	((١٥٧)) ، ٢٣٧ ، ٢٧٠ ،
٦٨	القرطبي *	((٥٣)) ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٠٤ ، ١٣٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢
٦٩	الكلبي *	((٨٤)) ، ٩٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠
٧٠	الماوردي*	((٢١٣)) ، ٢٥٨ ،
٧١	المبرد*	((٦٧))
٧٢	المحلي *	((٢٣٤)) ، ٢٣٧
٧٣	المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) *	((٢٨٦))
٧٤	النسفي *	((٤٥)) ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ، ٢٩٢ ،
٧٥	النووي	١٢٩
٧٦	الواحدي *	((٧٢))
٧٧	الوليد بن عتبة*	((٢٨٩))
٧٨	إلياس (عليه السلام)	٢٠ ، ٢٢
٧٩	اليسع (عليه السلام)	٢٠ ،
	(ب)	
٨٠	بختنصر (قائد الفرس)	١٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
٨١	بشتاسب بن لهراسب (ملك فارسي)	١٦
٨٢	بلهة (زوجة يعقوب عليه السلام)	١٤
٨٣	بنيامين (ابن يعقوب عليه السلام) ...	١٤
	(ج)	
٨٤	جاد (ابن يعقوب عليه السلام)	١٤
٨٥	جالوت (ملك العمالقة)	١٦
٨٦	جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) *	((٢٠٧))

الرقم	العلـــــــم	الصفحـــــــة
	(ح)	
٨٧	حزقيـل(عليه السلام) ابن بوذي	١٦، ٢٠
٨٨	حسان بن ثابت (رضي الله عنه)*	((١٤٠)) ، ٢٣١
	(خ)	
٨٩	خبـــاب بن الأرت(رضي الله عنه)* ...	((١٣٢))
	(د)	
٩٠	دان (ابن يعقوب عليه السلام).....	١٤
٩١	داود (عليه السلام).....	١٦، ٢٠ ، ٢١، ٢٢، ١٨٦، ٢٥٦،
	(ر)	
٩٢	راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس .	١٤
٩٣	رأوبين(بن يعقوب عليه السلام).....	١٢، ١٤
٩٤	رفقة بنت بتويل بن إلياس	١٣
	(ز)	
٩٥	زبالـــــون(ابن يعقوب عليه السلام).	١٤
٩٦	زكريا (عليه السلام).....	٢١، ٢٢
٩٧	زلفة (زوجة يعقوب علـــيه البـسلام)	١٤
	(س)	
٩٨	سارة (زوجة يعقوب عليه السلام).....	١٣
٩٩	سعد بن عبادة (رضي الله عنه)*.....	((٢٨٥))
١٠٠	سعيد بن جبير *	((٦٥)) ، ٦٦، ٢١٩
١٠١	سفيان بن عبد الله الثقفي(رضي الله عنه)*.	((٢٨٢))
١٠٢	سليمان(عليه السلام).....	٩، ١٦، ٢١، ٢٢، ١٨٥، ١٨٦
	(ش)	
١٠٣	شعيـا (عليه السلام) بن أمصيا.....	٢١
١٠٤	شعيب (عليه السلام).....	٣٩، ٦٨، ٨٦، ٢٧٤
١٠٥	شمعون (بن يعقوب عليه السلام).....	١٤

الرقم	العلـــــــم	الصفحـــــــة
١٠٦	شمويل (عليه السلام).....	١٦، ٢٠
١٠٧	شيبة بن ربيعة*	((٢٨٩))
	(ص)	
١٠٨	صالح (عليه السلام).....	٦، ٦٨، ٢٧٤
١٠٩	صلاح الدين الأيوبي *	((٦))
	(ط)	
١١٠	طالوت (ملك بني إسرائيل).....	١٦
	(ع)	
١١١	عائشة (بنت أبي بكر الصديق)*.....	((٢١٢)) ، ٢٣١، ٢٩٠
١١٢	عبد اللهُ بنُ أبي بكر الصديق *	((١٦٤))
١١٣	عبد الله بن الزبعري السهمي*	((٢٣١))
١١٤	عبد الله بن سلام (رضي الله عنه)*.....	((١٧)) ، ٢١٤٠، ٢٥٧
١١٥	عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)*...	((١٧)) ، ٣٢٠، ٢٢٧، ٢٥٧
١١٦	عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)	٢٥٠ ، ٢٦٧، ٢٨٩، ٢٩٠
١١٧	عبيدة	٢٥٤
١١٨	عتبة بن ربيعة*	((٢٨٩))
١١٩	عروة بن الزبير (رضي الله عنه)*.....	((١٤٠))
١٢٠	عطاء *	((٦٥))
١٢١	عقبة بن أبي معيط*	((١٤١)) ، ٢٨٩
١٢٢	عقيل (رضي الله عنه)*.....	((٢٩٣))
١٢٣	عكرمة *	((٢١٥))
١٢٤	علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)*.....	٥١، ((١٦٤)) ، ٢٢٨٠، ٢٩٣
١٢٥	علي بن الحسين *	((١٦١))
١٢٦	عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)*.....	((١٧)) ، ٢٢٠٠، ٢٨٥٠، ٢٩٣
١٢٧	عيسى (عليه السلام).....	٦، ٢٢٠، ٢٣٠، ٣١، ٣٩٠، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٩٠
١٢٨	عيص (بن إسحاق عليه السلام).....	١٣
١٢٩	عيينة بن حصن *	((٢٦٧))
	(ف)	
١٣٠	فاطمة (بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام).	٢٨٨

الرقم	العلم	الصفحة
	(ق)	
١٣١	قارون	٢٦
١٣٢	قتادة *	((٦٠)) ، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٨٥، ٩٨، ١٢٤، ١، ٩، ١٧٤، ٢١٣، ٢١٥، ٢٥٠
	(ك)	
١٣٣	كالب بن يوفنا	١٦، ٢٨٢
١٣٤	كعب بن مالك *	((٢٢٦)) ، ٢٢٧
	(ل)	
١٣٥	لاوي (بن يعقوب عليه السلام)	١٤، ١٨، ٢١، ٢٢
١٣٦	لقمان (عليه السلام)	٢٤٦، ٢٥٦، ٢٥٨
١٣٧	لوط (عليه السلام)	٦، ١٤، ٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٦٤، ١٧٢
١٣٨	لهراسب (الملك البابلي)	١٦
١٣٩	ليا ابنة لبان بن بتويل	١٣، ١٤
	(م)	
١٤٠	مجاهد *	((٤٨)) ، ٦٠، ٦٦، ٧١، ١٢٤، ٢١٠، ٢٧٨
١٤١	محمد (عليه الصلاة والسلام)	١٣، ٢٦، ٣١، ٣٤، ٥١، ٥٩، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٩٧، ١١٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٥، ١٦٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣
١٤٢	محمد بن إسحاق *	((٥٦)) ، ٢١٤
١٤٣	محمد بن كعب *	((١٦١))
١٤٤	محمود نووي *	((٢٣٧))
١٤٥	مرارة بن الربيع العمري *	((٢٢٧))
١٤٦	مسلم *	١٢٩، ((١٦٨)) ، ١٧٧، ٢٣١
١٤٧	معاذ (رضي الله عنه) *	((٢٦١))
١٤٨	مقاتل *	((٥٢)) ، ٦٧، ٧٢، ٩٨، ٢١٩، ٢٣٧
١٤٩	مكحول *	((٢١٥))
١٥٠	موسى (عليه السلام)	٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٥، ١٨، ١٩ وقد ورد إسم موسى - عليه السلام - في أغلب صفحات الرسالة .

الرقم	العلـــــــم	الصفحـــــــة
	(ن)	
١٥١	نعيم بن مسعود الثقفي (رضي الله عنه)*...	((٩٨))
١٥٢	نفتالي (بن يعقوب عليه السلام).....	١٤
١٥٣	نـــوح (عليه السلام).....	٦، ١٣، ٣٩، ٥٢، ٥٤، ٦٨، ٨٦، ١٢٤، ١٤٢، ١٧٢، ٢١٩، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٨٩، ٢٩٣
	(هـ)	
١٥٤	هاجر (زوجة إبراهيم عليه السلام).....	١٣
١٥٥	هارون (عليه السلام).....	١٩، ٢٠، ٣٢، ٣٥، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٧١، ٨٨، ٩٤، ٩٧، ١١٠، ١١٥، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٥
١٥٦	هامان (وزير فرعون).....	٢٧، ٨٧، ١٤٤، ١٨٣، ١٨٤
١٥٧	هتلر (عظيم ألمانيا).....	١٧
١٥٨	هرقل (ملك الروم).....	٦٣
١٥٩	هلال بن أمية الواقفي (رضي الله عنه)*.	((٢٢٧))
١٦٠	هـــود (عليه السلام).....	٣٩، ٥١، ٥٤، ٦٧، ٦٨، ١٢٥، ١٧٢، ٢٧٤
	(ي)	
١٦١	يحيى بن زكريا (عليهما السلام).....	٢١، ٢٢
١٦٢	يسحر (بن يعقوب عليه السلام).....	١٤
١٦٣	يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام).....	١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٥١، ٦٠، ١٢٤، ١٤٣، ٢٨٧
١٦٤	يوسف بن يعقوب (عليهما السلام).....	١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٥٨، ٨٥، ٩٧، ١٣١، ١٤٣، ٢٢٢
١٦٥	يوشع بن نون (عليه السلام).....	١٥، ١٩، ٢٨٢
١٦٦	يونس (عليه السلام).....	٨، ٩، ٢٠، ٩٠، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ٢٩١، ٢١٣
١٦٧	يهوذا (بن يعقوب عليه السلام).....	١٢، ١٤، ١٥

رابعا: فهرس المدن والبقاع والأماكن

ملاحظة: تشير النجمة إلى ما ترجم له، ويشير الرقم بين الأقواس إلى صفحة الترجمة

الرقم	الإسم	الصفحة
	(أ)	
١	آسيا	٦١
٢	أحد	٤، ١٤٠، ٢٩٠
٣	أريحاء *	((٢٧٥))
٤	أصبهان *	((١٨))
٥	أفريقيا	٦١
٦	أفغانستان	٧
٧	أمريكا	٦١
٨	أندونيسيا	٦١
٩	أوروبا	٧، ٦١
١٠	الأردن	٢٧٥
١١	الأرض المقدسة	٣٥، ١٨٤، ١٨٥، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١
١٢	الحبشة	١٦٦، ١٦٧
١٣	الشام	١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٥
١٤	الصين	١٨٨
١٥	الطائف	٢٨٧
١٦	الطور	٣٠، ٣٢، ٣٥، ٥٦، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٥، ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٧٥
١٧	الفرات (نهر في العراق).	٢٧٥
١٨	القدس	١٨٨، ٢٧٥
١٩	القسطنطينية *	((٧))
٢٠	المدينة المنورة	١٦، ١٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧
٢١	الواد المقدس طوى	٣٠، ٣٨
	(ب)	
٢٢	بحر القلزم *	١٧٠، ((١٧١))
٢٣	بحر سوف	١٧٠، ١٧١
٢٤	بدر	٤، ٤٦، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٣
٢٥	برك الغماد	٢٨٦
٢٦	بيت المقدس	١٦
	(ت)	
٢٧	تبوك	٢٢٧

الرقم	الاسم	الصفحة
	(ج)	
٢٨	جزيرة العرب	١٦، ١٧
	(ح)	
٢٩	حضرموت	١٣٣
٣٠	حنين	١٩٩، ٢٦٧
	(خ)	
٣١	خيبر	٢٨٣
	(د)	
٣٢	دمشق	٢٧٥
	(ص)	
٣٣	صحراء سيناء	١٧١
٣٤	صنعاء	١٣٣
	(ع)	
٣٥	عريش مصر	٢٧٥
	(ف)	
٣٦	فارس *	((١٦))
٣٧	فرنسا	١٨٨
٣٨	فلسطين	٧، ١٦، ١٧، ٣٥، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١،
	(م)	
٣٩	مؤتة	٢٨٣
٤٠	مدين *	((٣٠)) ، ٣٩، ١١٦، ٢٧٤
٤١	مدينة الجبارين	٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩١
٤٢	مصر	١٤، ١٥، ٣٠، ٥٦، ٧٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١١٣، ١٥ ، ١١٦، ١١٧، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٧١، ١٨٤، ١٨٥،

الرقم	الاسم	الصفحة
٤٣	مكة المكرمة	١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٥، ١٣، ١١٥، ١٣٢، ١٦٤، ١٩٨، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢٨٧
	(ن)	
٤٤	نهر النيل	١٧٠، ١٧١
٤٥	نيجيريا	٦١
	(و)	
٤٦	وادي الأزرق *	((٣٣))

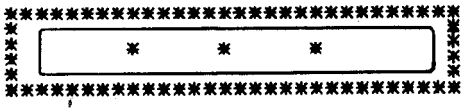

خامسا : فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المصادر والمراجع
*	القرآن الكريم .
	أ) التفسير
١	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي . ط : ١ (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م) . إلتزام محمد محمد عبد اللطيف صاحب المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر الشريف بمصر .
٢	الأساس في التفسير . لسعيد حوى . ط : ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . دار السلام للطباعة والنشر .
٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للقاضي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي . وبهامشه تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي . المطبعة العثمانية ١٣١٤ هـ .
٤	البحر المحيط . للإمام أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان . ط : ١ (٣٢٨ هـ) مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر . وبهامشه : النهر الماد من البحر المحيد . للمؤلف نفسه .
٥	التسهيل لعلوم التنزيل . للحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي . ط : ٢ (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) . دار الكتاب العربي - بيروت ، لبنان .
٦	الدر المنثور في التفسير بالمؤثور . لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ط : (لا يوجد) . الناشر : محمد أمين دمج - بيروت .
٧	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . للإمام الشيخ الخطيب الشربيني . ط : ٢ . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان .
٨	التفسير الحديث . لمحمد عزة دروزة . ط : (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م) . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٩	التفسير القرآني للقرآن . لعبدالكريم الخطيب . دار الفكر العربي .
١٠	التفسير القيم . للإمام ابن القيم . جمعه : محمد أويس الندوي . حققه محمد حامد الفقي . ط : (لا يوجد) . لجنة التراث العربي . بيروت . لبنان
١١	التفسير الكبير . للإمام الفخر الرازي . ط:١ (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) . طبع بالمطبعة البهية المصرية . إدارة عبدالرحمن محمد .

الرقم	المصادر والمراجع
١٢	التفسير الواضح . لمحمود محمد حجازي . ط : ٦ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) . مطبعة الإستقلال الكبرى .
١٣	الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ط: ١ (١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م) . دار الكتب المصرية . والطبعة المصورة عن دار الكتب المصرية . الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧٠ م . وط: ٢ (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) دار الكتب المصرية . مطبعة وزارة التربية والتعليم . وط: ٣ (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) . عن طبعة دار الكتب المصرية . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
١٤	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . ط : الأخيرة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م) شركة مطبعة مصطفى وعباس الحلبي وأولادهم بمصر .
١٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي . تحقيق وتعليق الأستاذ أحمد صادق الملاح . يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ط : (١٣٩٤هـ - ١٩٨٤م) .
١٦	المنتخب في تفسير القرآن الكريم . وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الدينية . القاهرة (١٣٨١ هـ) . مطابع شركة الإعلانات الشرقية .
١٧	تفسير الجلالين . لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي . مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر .
١٨	تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . طبع بدار إحياء الكتب العربية . ط : (لا يوجد) عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٩	تفسير المراغي . لأحمد مصطفى المراغي . طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر . ط ٢ ،ط ٣ .
٢٠	تفسير المنار . لمحمد رشيد رضا . ط : ٢ ،ط : ٤ . (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) .
٢١	تفسير النسفي . للإمام أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي . ط : (لا يوجد) نشر دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الرقم	المصادر والمراجع
٢٢	تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان • لعبد الرحمان بن ناصر السعدي • ط : (لا يوجد) • نشر رئاسة الإفتاء • السعودية •
٢٣	جامع البيان عن تأويل آي القرآن • لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري • ط :٢ (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م)• شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر • والطبعة المحققة : حققها وعلق على حواشيها محمود محمد شاكر• وراجع وخرج أحاديثها أحمد محمد شاكر • دار المعارف بمصر •
٢٤	خلاصة التفاسير في أوضح التعابير • لأحمد مغنية• المكتبة الحديثة للطباعة والنشر •
٢٥	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني • لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي • ط : (لا يوجد)• إدارة الطباعة المنيرية بيروت - لبنان •
٢٦	زاد المسير في علم التفسير • لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي • ط: ١ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)• المكتب الإسلامي للطباعة والنشر •
٢٧	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير• لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني• ط : ٢ (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م)• شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر • محمود نصار الحلبي وشركاه - حلفاء•
٢٨	في ظلال القرآن لسيد قطب • ط ١٠ • ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م • دار الشروق •
٢٩	لباب التأويل في معاني التنزيل • وبهامشه تفسير النسفي • لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف : بالخازن • ط:(لا يوجد) الناشر :محمد أمين دمج وشركاه • بيروت - لبنان •
٣٠	محاسن التأويل : تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي : ١٢٨٣-١٣٣٢هـ ١٨٦٦ - ١٩١٤م : وقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه / الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م•
٣١	مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد.لمحمد نووي الجاوي• ط:(لايوجد)•نشر دار إحياء الكتب العربية لأصحابهاعيسى البابي الحلبي وشركاه •

الرقم	المصادر والمراجع
	ب) الحديث
٣٢	الجامع الصحيح . وهو سنن الترمذي . لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق إبراهيم عطوة عوض . ط : (لا يوجد) . دار إحياء التراث العربي .
٣٣	رياض الصالحين . زكريا بن يحيى بن شرف النووي . حققه : عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق ، ط : ٣ . دار المأمون للتراث .
٣٤	سنن أبي داود . للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : (لا يوجد) . نشر دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان .
٣٥	صحيح البخاري . لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي . ط : مصورة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول /١٣١٥ هـ . دار الفكر .
٣٦	صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ط: مصورة عن المطبعة العامرة في دار الخلافة العلية ١٣٣٤ هـ .
٣٧	مسند الإمام أحمد بن حنبل . للإمام أحمد بن حنبل الشيباني. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ط : (لا يوجد). المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر .
	ج) القراءات
٣٨	إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات . لأحمد بن محمد البنا . تحقيق : د. شعبان محمد إسماعيل . ط : ١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م). عالم الكتب - بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية .
٣٩	النشر في القراءات العشر . لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزي . تصحيح : علي محمد الضباع . ط: (لا يوجد) . دار الفكر.

الرقم	المصادر والمراجع
	د) أسباب النزول
٤٠	أسباب النزول . لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. ط:١ دارالكتب العلمية .
	هـ) التاريخ والسير
٤١	البداية والنهاية . لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي . ط: ١(١٩٦٦م) مكتبة المعارف : بيروت ، ومكتبة النصر : الرياض .
٤٢	السيرة النبوية . لمحمد عبدالملك بن هشام المعافري . تقديم وتعليق : طه عبدالرؤوف سعد . ط : ١ . دار الجيل بيروت .
٤٣	الكامل في التاريخ . لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير . ط : (١٩٦٥) . دار صادر بيروت .
٤٤	المختصر في أخبار البشر . لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي .
٤٥	تاريخ الرسل والملوك . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط : (١٩٦٠) . دار المعارف بمصر .
٤٦	كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . لعبدالرحمان بن خلدون المغربي. ط : (١٩٥٦). منشورات دار الكتاب اللبناني .
	و) التوحيد
٤٧	تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . ط: (لا يوجد) . المكتبة السلفية .
٤٨	مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي . ط : (تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ).
	ز) الدراسات الإسلامية
٤٩	التصوير الفني في القرآن . لسيد قطب . ط : (١٩٦٣) . دار المعارف .
٥٠	التعبير الفني في القرآن.للدكتور بكري شيخ أمين .دارالشروق ط:١(١٣٩٣هـ).

الرقم	المصادر والمراجع
٥١	الفن القصصي في القرآن . للدكتور محمد أحمد خلف الله . ط: ٢. مكتبة النهضة المصرية .
٥٢	القصة في القرآن . للدكتور محمود بن شريف . ط: ١ (١٩٨٣م). دار ومكتبة الهلال .
٥٣	القصص القرآني فيمنطوقه ومفهومه . لعبد الكريم الخطيب . ط:١(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م) . مطبعة السنة المحمدية .
٥٤	الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم . للدكتور محمد محمود حجازي. ط:(١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) دار الكتب الحديثة .
٥٥	دراسات قرآنية . لمحمد قطب . طبعة دار الشروق .
٥٦	سيكولوجية القصة في القرآن . للتهامي نقرة . رسالة دكتوراة . جامعة الجزائر ١٩٧١ . الشركة التونسية للتوزيع .
٥٧	مع الأنبياء في القرآن الكريم . لعفيف عبدالفتاح طبارة. ط: ١٥. دار العلم للملايين .
٥٨	نظرات في القرآن . لمحمد الغزالي . ط : ٤ (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م). دار الكتب الحديثة .
	ح) الديانات السماوية الأخرى
٥٩	الكتاب المقدس . العهد القديم . مترجم من اللغات الأصلية ط :(لا يوجد) إصدار : دار الكتاب المقدس في العالم العربي .
	ط) الدواوين الشعرية
٦٠	شرح ديوان حسان بن ثابت . وضعه وصححه عبدالرحمن البرقوني . ط: (لا يوجد دار الكتاب العربي .
	ي) معاجم اللغة
٦١	تفسير غريب القرآن . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر . ط : (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م). دار الكتب العلمية - بيروت .

الرقم	المصادر والمراجع
٦٢	المفردات في غريب القرآن.لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق : مجمد سيد كيلاني . ط : (لا يوجد) . نشر المكتبة المرتضوية - طهران .
٦٣	القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط: ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م). مؤسسة الرسالة، بيروت .
٦٤	المحكم والمحيط الأعظم في اللغة . لعلي بن إسماعيل بن سيده . تحقيق: مصطفى السقا ، والدكتور حسين نصار . ط: ١ (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨ م) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه .
٦٥	المعجم الوسيط . أخرجه إبراهيم مصطفى ،وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبدالقادر ، ومحمد علي النجار . ط : (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) . مطبعة مصر .
٦٦	النهاية في غريب الحديث والأثر.لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي. ط :٢(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م). دار الفكر .
٦٧	لسان العرب.لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الشهير بابن منظور. ط : مصورة عن طبعة بولاق . الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٦٨	مختار الصحاح.لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي . ط: (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) . دار الكتاب العربي،بيروت .
	ك) معاجم البلدان والأمكنة والبقاع
٦٩	مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفي الدين عبد المؤمن ابن عبدالحق البغدادي . تحقيق : علي محمد البيجاوي .
٧٠	معجم البلدان . لشهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي الروسي البغدادي . ط: (١٣٧٦- ١٩٥٧م). بيروت . دار صادر .
	ل) تراجم الرجال
٧١	أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي . تحقيق:محمد إبراهيم البنا . ومحمد أحمد عاشور،ومحمود عبدالوهاب فايد . كتاب الشعب .

الرقم	المصادر والمراجع
٧٢	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق : محمد سيد جاد الحق . ط : (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م). مطبعة المدني - القاهرة .
٧٣	الإستيعاب في معرفة الأصحاب . لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر . تحقيق : محمد علي البيجاوي . ط : (لا يوجد). مطبعة نهضة مصر . الفجالة - القاهرة .
٧٤	الإصابة في تمييز الصحابة . لابن حجر العسقلاني . تحقيق : محمد علي البيجاوي . ط (لا يوجد) . دار نهضة مصر . الفجالة - القاهرة .
٧٥	الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . لخير الدين الزركلي . ط : ٣ (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م). وأيضا ط : ٦ .
٧٦	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . لمحمد بن علي الشوكاني.دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ، لبنان .
٧٧	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن السخاوي . ط : (١٣٥٤ هـ) . نشر مكتبة القدس - القاهرة .
٧٨	اللباب في تهذيب الأنساب . لعز الدين بن الأثير الجزري . مطبعة دار صادر.
٧٩	المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي . لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار. ط : مدينة مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٥ م . يطلب من مكتبة المثنى ببغداد،ومؤسسة الخانجي بمصر .
٨٠	بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . لأحمد بن يحيى بن أحمد ابن عميرة الضبي . ط : (١٩٦٧) . دار الكتاب العربي . وأيضا:ط:مجريط بمطبع روخس (١٨٨٤ م).
٨١	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للحافظ جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ط : ١ (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٨٢	تاريخ بغداد . للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . ط : ١ (١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م). مكتبة الخانجي بمصر .

الرقم	المصادر والمراجع
٨٣	تذكرة الحفاظ . لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي . ط : ٧ . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٨٤	تهذيب التهذيب . للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ط: ١. دار صادر بيروت.
٨٥	جمهرة أنساب العرب . لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي تحقيق . عبدالسلام محمد هارون . ط : (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م)دار المعارف بمصر .
٨٦	حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي . تحقيق : أبو الفضل إبراهيم . ط : ١ (١٩٦٨ م - ١٣٨٧ هـ) . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٨٧	حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء . للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني . ط : ٢ (١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ). دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
٨٨	خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال . لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي . تحقيق : محمود عبدالوهاب فايد . ط : (لا يوجد). الناشر مكتبة القاهرة .
٨٩	صفة الصفوة . لجمال الدين بن الجوزي . صححه : محمد فاخوري ، ومحمد رواس قلعجي ط: ٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار المعرفة . وط: ١ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩) دار الوعي بحلب.
٩٠	شذرات الذهب في أخبار من ذهب . لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي . ، المكتب التجاري - بيروت .
٩١	طبقات الشافعية الكبرى . لتاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي . ط: ١ . المطبعة الحسينية المصرية .
٩٢	طبقات المفسرين . للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي. تحقيق : علي محمد عمر . ط : ١ (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م). مكتبة وهبة.
٩٣	طبقات المفسرين . لجلال الدين السيوطي . ط : (ليدن ١٨٣٩ م).
٩٤	غاية النهاية في طبقات القراء . لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري . ط : ١ (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) . مطبعة الخانجي بمصر .
٩٥	لسان الميزان . للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني . ط : ٢ (١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م) . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .

الرقم	المصادر والمراجع
٩٦	هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) . إسماعيل باشا البغدادي . طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية بإستانبول سنة ١٩٥١ م ، وأعيد طبعه بالأوفست .

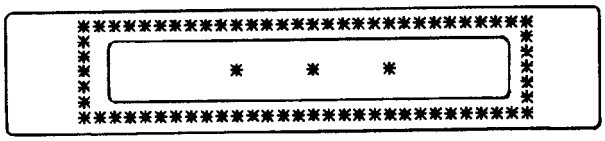

سادسا أ) فهرس تفصيلي للموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإفتتاح	
الإهداء	
المقدمة	(أ - ح)
(التمهيد)	(١- ٣٠)
١- الصراع الإيماني والقصة في القرآن	(٢- ١١)
أولا : المعنى اللغوي والعلاقة	٢
ثانيا : أنواع الصراع ومجالاته	٣
القسم الأول : الصراع المعنوي وأقسامه	٣
أ) صراع داخلي ومجالاته	٣
١) النفس	٣
٢) الهوى	٣
٣) الشيطان	٣
ب) صراع خارجي	٣
القسم الثاني : الصراع المادي ، ومجالاته	٣
١- بين المؤمنين والكفار	٣
٢- بين المؤمنين والمنافقين	٤
٣- بين المؤمنين وأنفسهم	٤
٤- بين المؤمنين والطبيعة	٤
ثالثا : الصراع القصصي والتاريخي	٥
رابعا : أهداف وأغراض القصص القرآني	٧
خامسا : مظاهر القصة القرآنية	٨
أ) مظهر الطول والقصر	٨
ب) مظهر العرض	٨
ج) مظهر التكرار	٩
سادسا : مقارنة بين القصة في القرآن ،والتوراة ،والأدب	١٠
أ) بين القصة في القرآن والأدب	١٠
ب) بين القصة في القرآن والتوراة	١٠
١) بين القصة في القرآن والتوراة الحقيقية	١٠
٢) بين القصة في القرآن والتوراة المترجمة	١١
٢- بنو إسرائيل : نسبهم وأنبياءهم وتاريخهم :	(١٣- ٢١)
أولا : النسب والتسمية	١٣
ثانيا : الملك والتاريخ	١٥
ثالثا : النبوة والكتاب	١٨
رابعا : الصفات والأعمال	٢٣
أ) تعرضهم لذات الله	٢٣

الموضـــــــــــــــوع	الصفحـــة
ب) تعرضهم لكتب الله	٢٤
ج) تعرضهم لأنبياء الله	٢٤
د) تعرضهم لأنفسهـــم	٢٥
٣-موسى : نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته	(٢٧ - ٣٥)
أولا : نشأته وشبابه	٢٧
أ) مولده وصباه	٢٧
ب) شبابه وزواجه	٢٩
ثانيا : نبوتـه ورسالته	٣٠
ثالثا : مناقبه ووفاته	٣١
أ) مناقبه وفضائله وشمائله	٣١
القسم الأول : في الدنيا	٣٢
١) النبوة والرسالة	٣٢
٢) التكليم والمناجاة	٣٢
٣) الكتاب المنزل	٣٢
٤) الوجاهـــــة	٣٢
٥) الأخ النبي الوزير هارون	٣٢
٦) الأمة العظيمة	٣٢
٧) الصبر المتميز	٣٢
٨) الحياء المتميز	٣٣
٩) محاجة آدم	٣٣
١٠) المعجـــزة	٣٣
١١) الأمانة	٣٣
١٢) الكرم	٣٣
١٣) الحج	٣٣
القسم الثاني : في البرزخ	٣٤
١) الصلاة في القبر	٣٤
٢) السماء السادسة	٣٤
٣) التخفيف على المسلمين	٣٤
القسم الثالث : في الآخرة	٣٤
١) الأخذ بإحدى قوائم العرش	٣٤
ب) وفاتـــــــه	٣٥
(الباب الأول : بين موسى وفرعون وحزبه)	(٣٦ - ١٠٢)
(الفصل الأول : بين موسى وفرعون وملإه)	(٣٧ - ١٠٠)
المبحث الأول : إعداد موسى وتأييده :	(٣٨ - ٥٥)
المطلب الأول : إعداده بالعلم والعبادة	(٣٨ - ٤٢)
أولا : علم التوحيد	٣٨

الموضـــــــــــــوع	الصفحـــة
أ)توحيـد الربوبية	٣٨
ب)توحيد الألوهيـة	٣٨
ج)توحيد الأسماء والصفات	٣٩
ثانيا : علم العبادة والعمل	٤٠
ثالثا : علم الخاتمة والعاقبة	٤١
المطلب الثاني : تأييده بالمعجزات	(٤١ - ٤٢)
أولا : معجزة العصا	٤٢
ثانيا : معجزة اليد	٤٤
المطلب الثالث : تأييده بأخيه وبأمور أخرى	(٤٥ - ٤٧)
أولا : شرح الصدر	٤٧
ثانيا : تيسير الأمر	٤٧
ثالثا : حل عقدة اللسان	٤٧
رابعا : الإعانة بالأخ	٤٨
أ)شد الأزر	٤٨
ب) الإشراك في الأمر	٤٨
ج)التعبد لله معا	٤٨
د)التعضيد بالكلام	٤٨
خامسا : التأمين من بطش فرعون	٥٠
المطلب الرابع : إعداده بالأسلوب والمنهج	(٥٠ - ٥٢)
المبحث الثاني : دعوة موسى للإيمان وموقف فرعون	(٥٦ - ٩)
مدخل المبحث	٥٦
المطلب الأول : إثبات مصداقية الرسالة	(٥٥ - ٥٧)
المطلب الثاني : تبليغ الدعوة والحكم	(٦٠ - ٦١)
أولا : إطلاق بني إسرائيل	٦٠
ثانيا : الدعوة للإيمان	٦١
أ) تأكيد إرساله وصدقه	٦١
ب) دعوته للهداية	٦١
ج) تحذيرهم من الكفر والتعالى على الله	٦٢
١) أسلوب الترغيب	٦٢
٢) أسلوب الترهيب	٦٢
المطلب الثالث : موقف فرعون وملإه من الدعوة	(٦٤ - ٨)
أولا : الطعن في شخص موسى	٦٤
أ) الإمتنان بالنعم	٦٤
ب) الإتهام بالقتل	٦٤
ج) الحكم بالكفر	٦٥
ثانيا : الطعن في رسالة موسى	٧٠
أ) السؤال عن رب موسى وهارون	٧١
ب) السؤال عن القرون الأولى	٧٢

الموضـــــــــــــــوع	الصفحـــة
ج) السؤال عن رب العالمين	٧٤
ثالثا : الطعن في معجزة موسى.....	٨٠
أ) فرعون يتهم موسى بالسحر.....	٨٣
ب) الملأ يتبنون التهمة ويرددونها.....	٨٤
ج) الملأ يقترحون مقابلة موسى بالسحر	٨٤
د) إستقرارهم على اتهامه بالسحر.....	٨٦
هـ) رد موسى عليهم واستهزاء فرعون.....	٨٧
و) الملأ يعللون اتهامهم.....	٨٨
ز) فرعون يعضد ملأه ، ويعرض على موسى منازلة السحرة.....	٨٨
ح) موسى يقبل العرض ويعين الموعد.....	٨٩
(الفصل الثاني : بين موسى وفرعون وسحرته).....	(٩١ - ١٤١)
المبحث الأول : لقاء السحرة وهزيمة فرعون	(٩٢ - ١١٠)
المطلب الأول : جمع السحرة وتحريضهم.....	(٩٢ - ٩٦)
أولا : جمع السحرة والناس	٩٢
أ) إصدار الأمر بجمع السحرة.....	٩٢
ب) جمع السحرة وتهيئتهم للموعد.....	٩٢
ج) تحريض الناس على الموعد.....	٩٣
د) حضور فرعون وسحرته للموعد.....	٩٤
ثانيا : إغراء السحرة وتشجيعهم.....	٩٥
أ) طلب السحرة الأجر.....	٩٥
ب) فرعون يعدهم ويمنيهم.....	٩٥
ثالثا : خطبة فرعون في الجمع	٩٦
المطلب الثاني: منازلة موسى للسحرة.....	(٩٧ - ١٠٧)
أولا : موسى يخيف السحرة ويربكهم.....	٩٧
أ) إتهام السحرة وتحذيرهم.....	٩٧
ب) إرتباكهم وإصرارهم على باطلهم.....	٩٨
١) التنازع في الأمر	٩٨
٢) الطعن في موسى	٩٩
٣) التعاون على مصارعته.....	١٠٠
ثانيا : موسى يدعوهم للإلقاء أولا.....	١٠١
أ) السحرة يخيرونه في الإلقاء.....	١٠١
ب) موسى يدعوهم للإلقاء.....	١٠٢
ثالثا : الإلقاء من السحرة وموسى	١٠٣
أ) إلقاء السحرة وتأثيره.....	١٠٣
١) الإلقاء مع القسم	١٠٣

الموضـــــــــــوع	الصفحـــة
٢) تأثير السحر على الناس	١٠٤
٣) تأثير السحر على موسى	١٠٤
ب) إلقاء موسى وتأثيره	١٠٧
١) أمر الله لموسى بالإلقاء	١٠٧
٢) موسى يقرر للسحرة الحقيقة	١٠٧
٣) إلقاء موسى لعصاه	١٠٨
المطلب الثالث : هزيمة السحرة وإيمانهم	(١٠٩- ١١٠)
أولا : تقرير هزيمة فرعون وقومه	١٠٩
ثانيا : إيمان السحرة	١١٠
ثالثا : إيمان ذرية من قوم موسى	١١٣
المبحث الثاني : موقف فرعون بعد هزيمته	(١١٦ - ١٤٧)
المطلب الأول : موقفه من السحرة	(١١٦ - ١٢٠)
أولا : إتهامهم والطعن فيهم	١١٦
ثانيا : تهديدهم بالتنكيل والتقتيل	١١٧
ثالثا : موقف السحرة من ذلك	١١٩
أ) عدم الخوف من تهديده	١١٩
ب) ذكر سبب نقمته منهم	١٢٠
جـ) ذكر سبب إيمانهم	١٢١
١) الطمع في مغفرة الذنوب	١٢١
٢) الخوف من جهنم	١٢٢
٣) الطمع في الجنة	١٢٣
المطلب الثاني : موقفه من قوم موسى	(١٢٧ - ١٣٤)
أولا : الحكم بالتقتيل والإستحياء	١٢٧
ثانيا : موقف موسى من الحكم	١٣٠
ثالثا : موقف بني إسرائيل من الحكم	١٣٣
المطلب الثالث : موقفه من موسى	(١٣٥ - ١٤٧)
أولا : الحكم بالقتل	١٣٥
ثانيا : موقف موسى من الحكم	١٣٧
ثالثا : موقف مؤمن آل فرعون من الحكم	١٣٨
(الفصل الثالث : بين موسى وفرعون وجيشه)	(١٤٨ - ١٩٢)
المبحث الأول : إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهم	(١٤٩ - ١٦٢)
المطلب الأول : تكبرهم على آيات الله	(١٤٩ - ١٥٦)
أولا : تكبرهم وكفرهم بآيتي السنين ونقص الثمرات ..	١٤٩
ثانيا : تكبرهم وكفرهم بالآيات الأخرى	١٥١
المطلب الثاني : تكبره على موسى	(١٥٧ - ١٥٩)
المطلب الثالث : دعاء موسى على الفراعنة	(١٦٠ - ١٦٢)

الموضـــــــــــــوع	الصفحـة
المبحث الثاني : وقوع الصراع ونتائجه وعواقبه	(١٦٣ - ١٩٢)
المطلـــب الأول : وقوع الصراع	(١٦٣ - ١٧١)
أولا : خروج موسى بقومه	١٦٣
ثانيا : إتباع فرعون وجيشه لهم	١٦٥
أ) فرعون يجمع جيشه	١٦٥
ب) فرعون يتبعهم بجيشه	١٦٦
ثالثا : ترائي الجمعين وشق البحر	١٦٦
أ) ترائي الجمعين	١٦٧
ب) شق البحر	١٦٨
المطلـــب الثاني : نتائج الصراع	(١٧٢ - ١٨٢)
أولا : إنتصار موسى وقومه ونجاتهم	١٧٢
أ) نجاتهم جميعا من الغرق	١٧٢
ب) نجاتهم جميعا من عذاب الفراعنة	١٧٣
ثانيا : هزيمة الفراعنة وغرقهم	١٧٤
أ) غرقهم جميعا وهلاكهم	١٧٤
ب) الأسباب التي أدت لذلك	١٧٨
١) تكذيبهم بآيات الله ،وكفرهم بها ،وغفلتهم عنها ، إضافة إلى ارتكابهم الذنوب	١٧٨
٢) عدم إيمانهم	١٧٩
٣) إستكبارهم في الأرض وكفرهم بالبعث	١٧٩
٤) طغيانهم في الأرض وفسادهم فيها	١٨٠
٥) التعدي على ربوبية الله ، وعصيانه ، وعصيان رسوله	١٨٠
٦) إستفزاز بني إسرائيل من الأرض	١٨١
٧) تسببهم في غضب الرب - عز وجل -	١٧٢
المطلـــب الثالث : عواقب الصراع	(١٨٣ - ١٩٢)
أولا : تمكين بني إسرائيل في الأرض	١٨٣
أ) تمكينهم في أرض مصر	١٨٣
ب) تمكينهم في أرض الشام	١٨٥
ثانيا : إنقلاب الفراعنة لأسوأ مصير	١٨٨
أ) مصيرهم السيء في الدنيا	١٨٩
ب) مصيرهم السيء في البرزخ	١٩٠
ج) مصيرهم السيء في الآخرة	١٩١
((الباب الثاني : بين موسى وقومه))	(١٩٣ - ٢٠٥)
مدخل الباب	١٩٤
(الفصـــل الأول : بين موسى ووثنية قومه)	(١٩٥ - ٢٠١)
المبحث الأول : بنو إسرائيل وعبادة الأصنام	(١٩٦ - ٢٠٢)

الموضـــــــــوع	الصفحـــة
المطلـــــب الأول : محاولتهم عبادة الأصنام.....	(١٩٦ - ١٩١)
المطلـــــب الثاني : موقف موسى من وثنية قومه.....	(٢٠٠ - ٢٠١)
أولا : تنبيههم إلى جهلهم.....	٢٠٠
ثانيا : تنبيههم إلى بطلان عبادة الأصنام.....	٢٠٠
ثالثا : تذكيرهم بنعم الله عليهم.....	٢٠١
المبحث الثاني : بنو إسرائيل وعبادة العجل	(٢٠٣ - ٢٤١)
مدخل المبحث	(٢٠٣ - ٢٠٤)
المطلـــــب الأول : عبادتهم العجل	(٢٠٥ - ٢٠٩)
أولا : إتخاذهم العجل إلها.....	٢٠٥
ثانيا : موقف موسى من تأليه قومه للعجل.....	٢٠٦
المطلـــــب الثاني : موقف موسى من عبادة قومه العجل....	(٢١٠ - ٢٣)
أولا : موقفه من قومه.....	٢١٠
ثانيا : موقفه من هارون.....	٢١٧
أ) لوم موسى لهارون	٢١٧
ب) محاجة هارون لموسى	٢٢١
ثالثا : موقفه من السامري.....	٢٢٤
أ) إعتراف السامري بجريمته.....	٢٢٤
ب) حكم موسى على السامري	٢٢٥
المطلـــــب الثالث : نتائج عبادة العجل	(٢٣٢ - ٢٤١)
أولا : ندم اليهود وذهاب غضب موسى	٢٣٢
أ) ندم اليهود.....	٢٣٢
ب) ذهاب الغضب وأخذ الألواح.....	٢٣٣
ثانيا : غضب الرب وحكمه عليهم	٢٣٣
أ) غضب الرب عليهم	٢٣٣
ب) حكم الرب عليهم	٢٣٦
(الفصل الثاني : بين موسى وفسق قومه).....	(٢٤٢ - ٢٩١)
المبحث الأول : بنو إسرائيل والتوراة ورؤية الله.....	(٢٤٣ - ٢٥٠)
المطلـــــب الأول : رفضهم قبول التوراة.....	(٢٤٣ - ٢٤٤)
أولا : أوصاف التوراة.....	٢٤٣
أ) البصائر والهدى والرحمة.....	٢٤٣
ب) الفرقان والضياء والنور.....	٢٤٤
ج) الإمامة.....	٢٤٤
د) الوعظ والتفصيل والحسن والتمام.....	٢٤٤
ثانيا : عرض التوراة على اليهود.....	٢٤٥
ثالثا : رفضهم قبول التوراة.....	٢٤٦

الموضـــــــــوع	الصفحـــة
المطلـــــب الثانـــي : إصرارهم على رؤية الله	(٢٥٠ - ٢٥٣)
المبحث الثاني : بنو إسرائيل وذبح البقـــرة	(٢٥٤ - ٢٧١)
المطلـــــب الأول : أمرهم بذبح بقرة وسببه	(٢٥٤ - ٢٥٨)
أولا : سبب الذبح	٢٥٤
ثانيا : الأمر بذبح البقرة	٢٥٨
المطلـــــب الثاني : تلكؤهم في ذبحها وتعرضهـــــم لنبيهم	(٢٥٩ - ٢٦٧)
أولا : إتهامهم نبيهم بالهزء واللعب	٢٥٩
ثانيا : تعنتهم في ماهية البقرة	٢٦٢
ثالثا : تعنتهم في لون البقرة	٢٦٣
رابعا : تعنتهم في ماهية البقرة ثانية	٢٦٤
المطلـــــب الثالـــث : ذبحهم البقرة ونتيجة ذلك	(٢٦٨ - ٢٧١)
أولا : ذبحهم البقرة بعد ترددهم	٢٦٨
ثانيا : نتيجة ذبحهم البقرة	٢٦٩
المبحث الثالث : بنو إسرائيل ودخول الأرض المقدسة	(٢٧٢ - ٢٩٥)
المطلـــــب الأول : أمرهم بدخول الأرض المقدسة	(٢٧٢ - ٢٧٧)
أولا : تذكيرهم بنعم الله عليهم	٢٧٢
ثانيا : أمرهم بدخول الأرض المقدسة	٢٧٥
المطلـــــب الثانـــي : رفضهم دخول الأرض المقدسة	(٢٧٨ - ١٨٦)
أولا : رفضهم الدخول	٢٧٨
ثانيا : إصرارهم على الرفض	٢٨١
أ) نصيحة الرجلين الخائفين	٢٨١
ب) إصرارهم على الرفض	٢٨٤
المطلـــــب الثالـــث : نتائج رفضهم الدخول	(٢٨٧ - ١٩٥)
أولا : دعاء موسى عليهم	٢٨٧
ثانيا : حكم الرب عليهم	٢٩٠
(الخاتمـــــة)	(٣٠١-٣٩٦)
(الفهـــــارس)	(٣٠٢-٣٦٠)
أولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة	(٣٠٣-٣٢٥)
ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	(٣٢٦-٣٣٠)
ثالثا : فهرس الأعلام	(٣٣١-٣٣٧)
رابعا : فهرس المدن والبقاع والأماكن	(٣٣٨-٣٤٠)
خامسا : فهرس المصادر والمراجع	(٣٤١-٣٦٠)
سادسا : فهرس الموضوعات	
أ) فهرس تفصيلي للموضوعات	(٣٥١-٣٥٨)
ب) فهرس موجز للموضوعـــات	(٣٥٩-٣٦٠)

* * *

سادسا ب) فهرس موجز للموضوعات

الموضوع	الصفحة
* الإفتتاح	
* الإهداء	
* المقدمة	(أ - ح)
* (التمهيد)	(١ - ٣٥)
١- الصراع الإيماني والقصة في القرآن	٢
٢- بنو إسرائيل : نسبهم وأنبياؤهم وتاريخهم	١٣
٣- موسى : نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته	٢٧
* (الباب الأول : بين موسى وفرعون وحزبه)	(٣٦ - ١٩٢)
* (الفصل الأول : بين موسى وفرعون وملئه)	(٣٧ - ٩٠)
المبحث الأول : إعداد موسى وتأييده	(٣٨ - ٥٥)
المطلب الأول : إعداده بالعلم والعبادة	٣٨
المطلب الثاني : تأييده بالمعجزات	٤٢
المطلب الثالث : تأييده بأخيه وبأمور أخرى	٤٧
المطلب الرابع : إعداده بالأسلوب والمنهج	٥٢
المبحث الثاني : دعوة موسى للإيمان وموقف فرعون	(٥٦ - ٩٠)
المطلب الأول : إثبات مصداقية الرسالة	٥٧
المطلب الثاني : تبليغ الدعوة والحكم	٦٠
المطلب الثالث : موقف فرعون وملإه من الدعوة	٦٤
* (الفصل الثاني : بين موسى وفرعون وسحرته)	(٩١ - ١٤٧)
المبحث الأول : لقاء السحرة وهزيمة فرعون	(٩٢ - ١١٥)
المطلب الأول : جمع السحرة وتحريضهم	٩٢
المطلب الثاني : منازلة موسى للسحرة	٩٧
المطلب الثالث : هزيمة السحرة وإيمانهم	١٠٩
المبحث الثاني: موقف فرعون بعد هزيمته	(١١٦ - ١٤٧)
المطلب الأول : موقفه من السحرة	١١٦
المطلب الثاني : موقفه من قوم موسى	١٢٧
المطلب الثالث : موقف مؤمن آل فرعون من الحكم	١٣٨
* (الفصل الثالث: بين موسى وفرعون وجيشه)	(١٤٨ - ١٩٢)
المبحث الأول : إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهم	(١٤٩ - ١٦٢)
المطلب الأول : تكبرهم على آيات الله	١٤٩
المطلب الثاني : تكبره على موسى	١٥٧
المطلب الثالث : دعاء موسى على الفراعنة	١٦٠

الموضـــــــــوع	الصفحـــة
* المبحث الثاني : وقوع الصراع ونتائجه وعواقبه	(١٦٣ - ١٩٢)
المطلـــب الأول : وقوع الصراع	١٦٣
المطلـــب الثاني : نتائج الصراع	١٧٢
المطلـــب الثالث : عواقب الصراع	١٨٣
* (الباب الثاني : بين موسى وقومه)	(١٩٣ - ١٩٥)
* (الفصل الأول : بين موسى ووثنية قومه)	(١٩٥ - ٢٤١)
المبحث الأول : بنو إسرائيل وعبادة الأصنام	(١٩٦ - ٢٠٢)
المطلـــب الأول : محاولتهم عبادة الأصنام	١٩٦
المطلـــب الثاني: موقف موسى من وثنية قومه	٢٠٠
المبحث الثاني : بنو إسرائيل وعبادة العجل	(٢٠٣ - ٢٤١)
المطلـــب الأول : عبادتهم العجل	٢٠٥
المطلـــب الثاني : موقف موسى من عبادة قومه العجل	٢١٠
المطلـــب الثالث : نتائج عبادتهم العجل	٢٣٢
* (الفصل الثاني: بين موسى وفسق قومه)	(٢٤٢ - ٢٩٥)
المبحث الأول : بنو إسرائيل والتوراة ورؤية الله	(٢٤٣ - ٢٥٣)
المطلـــب الأول : رفضهم قبول التوراة	٢٤٣
المطلـــب الثاني : إصرارهم على رؤية الله	٢٥٠
المبحث الثاني : بنو إسرائيل وذبح البقرة	(٢٥٤ - ٢٧١)
المطلـــب الأول : أمرهم بذبح بقرة وسببه	٢٥٤
المطلـــب الثاني : تلكؤهم في ذبحها وتعرضهم لنبيهم	٢٥٩
المطلـــب الثالث : ذبحهم البقرة ونتيجة ذلك	٢٦٨
المبحث الثالث : بنو إسرائيل ودخول الأرض المقدسة	(٢٧٢ - ٢٩٥)
المطلـــب الأول : أمرهم بدخول الأرض المقدسة	٢٧٢
المطلـــب الثاني : رفضهم دخول الأرض المقدسة	٢٧٨
المطلـــب الثالث : نتائج رفضهم الدخول	٢٨٧
* (الخاتمـــة)	(٢٩٦-٣٠١)
* (الفهـــارس)	(٣٠٢-٣٦٠)

تم بحمد الله وتوفيقه الفراغ من طباعة هذه الرسالة في يوم الثلاثاء ٤ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٧/١١/٢٤م، وقام بطباعتها العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي القدير : صالح أحمد البوريني ، راجيا عفو مولاه ، غفر الله له ولوالديه ، ولصاحب هذه الرسالة ولوالديه ولشيخه المشرف عليه ، ولجميع المسلمين آميـــــــن .